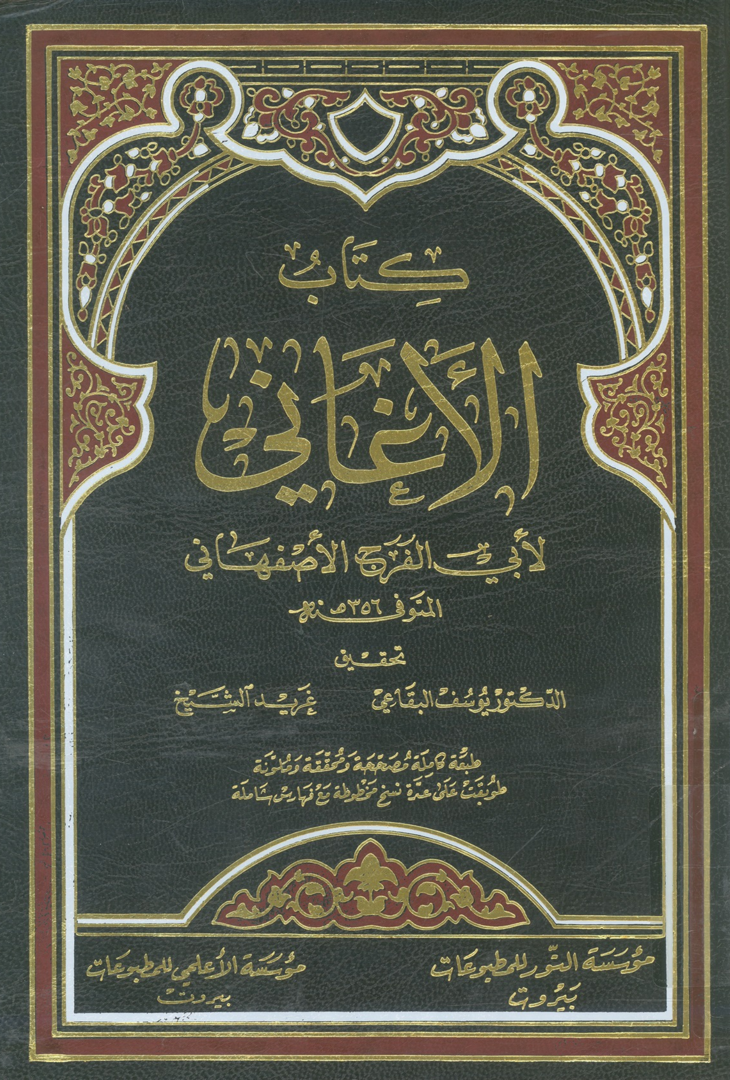
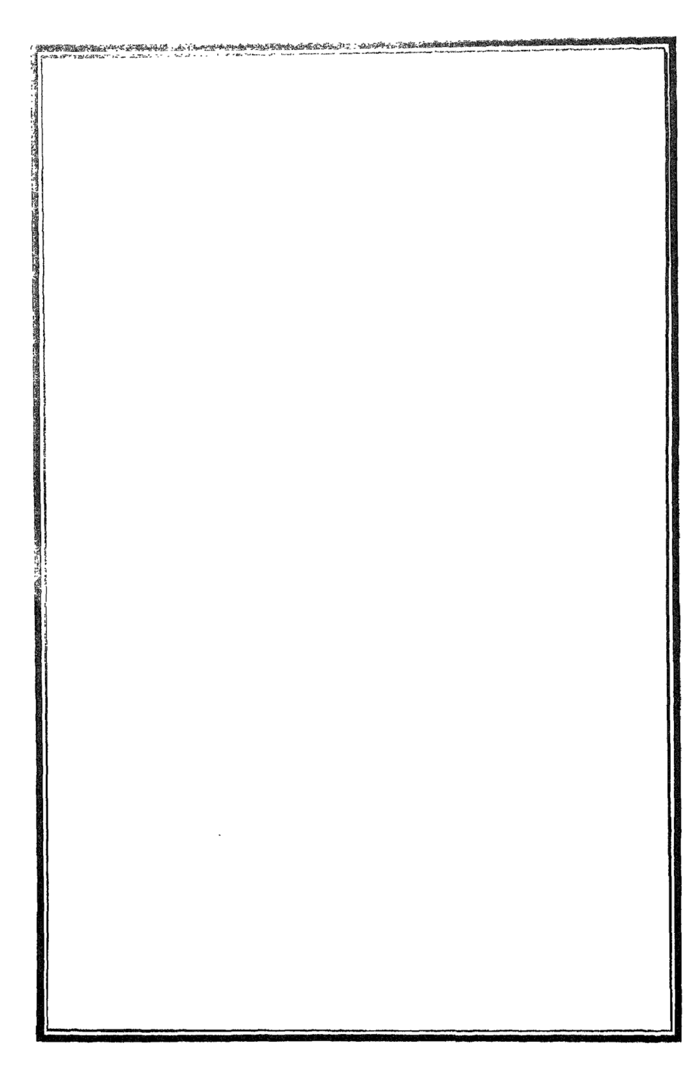


كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت


كتاب
الأغاني





لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة

طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء الخامس

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ذكر النابغة الجَعْديّ ونسبه وأخباره
والسبب الذي من أجله قيل هذا الشعر

[توفي نحو ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م]

[نسبه وكنيته وسبب تلقيبه بالنابغة]

هو ـ على ما ذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ والقَحْذَميّ، وهو الصحيح، ـ حِبَّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَس ـ وقيل ابن عمرو بن عُدَس مكان وَحْوَح ـ ابن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوَازِن ابن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر، هذا النسب الَّذي عليه النَّاس اليومَ مجتمعون. وقد روى ابن الكَلْبيّ وأبو اليَقْظان وأبو عُبيدة وغيرُهم في ذلك رواياتٍ تُخالف هذا، فمنها أن ابن الكلبيّ ذكر عن أبيه أن خَصَفة الّذي يقول النّاس إنه ابن قيس بن عَيْلان ليس كما قالوا، وأن عِكْرِمة بنُ قيس بنِ عَيْلان وخَصَفة أمّه، وهي امرأة من أهل هَجَر. وقيل: بل هي حاضنته؛ وكان قيس بن عَيْلان قد مات وعِكْرِمة صغير فربّته حتى كَبِرَ، وكان قومه يقولون: هذا عِكرمة بن خَصَفة، فبقيت عليه؛ ومن لا يعلم يقول: عكرمة بن خَصَفة بن قيس، كما يقال خِنْدِف[1]، وإنّما هي امرأة وزوجها إلياس بن مضر. وقالوا في صَعْصَعة بن معاوية:

---

(١) خِنْدِف: هي ليلى بنت حُلوان بن عمران زوجة إلياس بن مضر بن نزار، وغلبت على نسب أولادها منه، وقيل إن سبب هذه التسمية أن إلياس خرج في إثر إبل له نفرت ليلاً وخرج ابنه عمرو فأدركها فسمّيَ مُدرِكة، وخرج عامر فصيّدها وطبخها فسمّيَ طابخة، وانقمع عمير في الخِباء فسمّيَ قَمَعَة، فخرجت أمهم تسرع، فقال لها إلياس: أين تخندفين؟ فقالت: ما زلتُ أُخَنْدِفُ في إثرِكم، فلُقِّبوا: مُدْرِكَة وطابخة وقَمَعَة وخِنْدِف، والخندفة: ضربٌ من المَشْي.

إن الناقمية[١] بنت عامر بن مالك، وهو الناقم، سُمِّيَ بذلك لأنه انتقم بلطمةٍ لُطِمَها، وهو ابن سعد بن جَدّان بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار، كانت عند معاوية بن بكر بن هَوازِن فمات عنها أو طلّقها وهي نسءٌ[٢]، فتزوّجها سعد بن زيد مَنَاة بن تميم، فولَدَتْ على فراشه صعصعةَ بن معاوية، ثم ولدت هُبَيْرة ونَجْدَة وجُنادة؛ فلما مات سعد ٱقتسم بنوه الميراثَ وأخرجوا صعصعة منه، وقالوا: أنت ٱبن معاوية بن بكر؛ فلما رأى ذلك أتى بني معاوية بن بكر فأقرّوا بنسبه ودفَعوه عن الميراث؛ فلما رأى ذلك أتى سعدَ بن الظَّرِب العَدْوانيّ فشكا إليه ما لقي، فزوّجَهُ بنتَ أخيه عَمْرة بنت عامر بن الظَّرِب، وأبوها عامر الّذي يقال له: ذو الحِلْمِ؛ وعَمْرة ابنتُه هذه هي التي كانت تَقرع له العصا إذا سَهَا في الحكمِ؛ وله يقول الشّاعر: [الطويل]

لِذي الحِلْمِ قَبْلَ اليَوْمِ ما تُقرَعُ العَصَا ... وما عُلِّمُ الإنسانُ إلاّ لِيَعْلَمَا

قال: وكانت عَمْرَة يوم زَوَّجها عَمُّها نسأً من ملك من ملوك اليمن يقال له: الغافِق بن العاصي الأَزْديّ، والمُلْكُ يومئذ في الأزْد، فولَدت على فراش صعصعة عامرَ بن صعصعة، فسمّاه صعصعةُ عامراً بجَدّه عامر بن الظَّرِب؛ وقال في ذلك حبيب بن وائل بن دُهْمان بن نصر بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن:

أَزَعَمْتَ أنّ الغَافِقِيَّ أبوكم ... نَسَبٌ لَعَمْرُ أبيكَ غَيْرُ مُفَنَّدِ[٣]
وأبوكُمُ مَلِكٌ يُنَتِّفُ بِٱسْتِهِ ... هَلْباء عافيةٌ كَعُرْفِ الهُدْهُدِ[٤]
جَنَحَتْ عَجُوزُكُمُ إليه فَرَدَّها ... نسئاً بِعَامِرِكُمْ ولَمَّا يُويدِ

ويكنى النابغةُ أبا ليلى.

وأخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سلاّم قال: هو قيس بن عبد الله بن عُدَس ابن ربيعة بن جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وقال ٱبن الأعرابيّ: هو قيس بن عبد الله بن عمرو بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة،

(١) الناقمية: هي رقاش بنت عامر، وبنوها بطن من عبد القيس نُسِبوا إلى أُمُّهم.
(٢) النَّسْءُ: المرأة المظنون بها الحَمْلُ.
(٣) مفنّد: مكذّب.
(٤) الهلباء: كثيرة الشَّعْر، والهلباء: الاست.

ووافق ابنَ سلاّم في باقي نسبه. وهذا وَهْمٌ ممن قال إن ٱسمه قيس؛ وليس يُشَكُّ في أنه كان له أخ يقال له وَحْوَح بن قيس، وهو الذي قتله بنو أسد؛ وخبره يُذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة.

وأمه فاخرة بنت عمرو بن جابر بن شِحْنة الأَسَديّ. وإنما سمّي النابغةَ لأنه أقام مدّةً لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله. أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد: قرأت على القَحْذميّ: قال الجعديُّ الشِّعرَ في الجاهلية ثم أَجْبَلَ[1] دهراً ثم نَبغَ بعدُ في الشعر في الإسلام.

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار عن محمد بن حبيب عن ٱبن الأعرابيّ قال: أقام النابغة الجعديّ ثلاثين سنة لا يتكلّم ثم تكلّم بالشعر.

قال القَحْذميّ في رواية حمّاد عنه: كان الجعديّ أسنّ من نابغة بني ذُبْيان.

قال ٱبن سلاّم في رواية أبي خَليفة عنه: كان الجعديّ النابغةُ قديماً شاعراً طويلاً مُفلِقاً[2] طويل البقاء في الجاهلية والإسلام، وكان أكبر من الذُّبيانيّ؛ ويدُلّ على ذلك قولُه:

ومَـنْ يَـكُ سـائـلاً عَـنّـي فَـإنّـي ... مِـنَ الـفِـتـيـان أَيّـامَ الـخُـنَـانِ
أَتَـتْ مـائـةٌ لـعـام وُلِـدْتُ فـيـه ... وعَـشْـرٌ بَـعْـدَ ذَاكَ وحِـجَّـتَـانِ
فَـقَـدْ أَبْـقَـتْ خُـطُـوبُ الـدَّهْـرِ مِـنّـي ... كـمـا أَبْـقَـتْ مِـنَ الـسَّـيْـفِ الـيَـمـانِـي

قال: وعُمِّرَ بعد ذلك عُمراً طويلاً. سُئل محمد بن حبيب عن أيام الخُنان[3] ما هي؟ فقال: وقعةٌ لهم؛ فقال قائل منهم وقد لَقُوا عَدُوَّهم: خُنُّوهم[4] بالرماح، فسُمِّيَ ذلك العامُ الخُنَانَ. ويدلّ على أنه أقدم من النابغة الذبيانيّ أنه عُمِّر مع المُنذر ابن المُحرِّق قبل النعمان بن المنذر، وكان النابغة الذبيانيّ مع النعمان بن المنذر

(١) أجبل: صَعُبَ عليه القول.
(٢) الشاعر المُفْلِق: الذي يأتي بالفِلْق، والفِلْق: الداهية والأمر العَجَب.
(٣) أيام الخُنَان: زمن معروف عند العرب وكان في عهد المنذر بن ماء السماء. والخُنان: داء يصيب الطير في حلوقها والإبل في مناخرها وتموت منه.
(٤) خُنُّوهم: اقطعوهم.

وفي عصره، ولم يكن له قِدَمٌ إلا أنه مات قبل الجَعْديّ، ولم يُدرِك الإسلام. والجعديّ الذي يقول: [الطويل]

تَذَكَّرْتُ شيئاً قد مَضَى لِسَبيلِهِ ... ومِنْ عادةِ المَحْزونِ أنْ يَتَذكَّرَا[١]

نَدامايَ عِندَ المُنذر بنِ مُحَرِّقٍ ... أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرض مُقْفِرَا

كُهولٌ وفِتيانٌ كأنّ وُجُوهَهُمْ ... دَنانيرُ مِمَّا شِيفَ في أرضِ قَيصَرا[٢]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثني عبد الله بن محمد بن حكيم عَمَّن كان يأخذ العلمَ عنه ولم يُسَمِّ إليّ أحداً في هذا: أن النابغة عُمِّرَ مائة وثمانين سنة، وهو القائل: [المتقارب]

لَبِستُ أُناساً فَأَفْنَيْتُهُمْ ... وأَفْنَيْتُ بعد أُناسٍ أُناسَا

ثَلاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ ... وكانَ الإلهُ هُوَ المُسْتَآسَا[٣]

وهي قصيدة طويلة، يقول فيها، وفيه غناء:

صوت

[متقارب]

وكُنْتُ غُلاماً أُقاسي الحُرو ... بَ يَلْقَى المُقاسونَ مِنِّي مِرَاسَا[٤]

فلمَّا دَنَوْنا لِجَرْسِ النُّبَا ... حِ لم نَعْرِفِ الحَيَّ إلا ٱلتماسَا[٥]

أضاءتْ لنا النّارُ وَجْهاً أَغَـ ... ـرَّ مُلتبساً بِالفُؤادِ ٱلتِباسَا[٦]

غَنَّى في هذه الثلاثة الأبيات فُلَيح بن أبي العَوْراء خفيفَ ثقيل أوّلَ بالوسطى.

---

(١) في الديوان «تَذَكَّرَ».
(٢) في الديوان: «كهولاً وشُبّاناً» وشاف الدينار أو السيف: جلاه.
(٣) الأوس: العطيّة والعوض، والمستآس: المستعاض، واستآسني: طلب إليّ العوض.
(٤) أقاسي الحروب: أعالج شدّتها. والمِراس: الممارسة وشدة العلاج.
(٥) رواية البيت في الديوان:
فلمّا دَنَوْنا لِجَرْسِ النُّبُوح ... ولا نُبْصِرُ الحَيَّ إلا التماسا
والجَرْس: الصوت، بفتح الجيم وكسرها. والنُّبُوح: صوت الكلب كالنباح. والنّبوح: ضجّة الحيّ وجلبتهم، وجماعات الناس الكثيرة. وما نعرف الحيَّ إلا التماساً: أي ما نبصرهم من ظلمة الليل معاينةً ولكن لمستاهم.
(٦) مُلْتبساً بالفؤاد: أي مختلطاً حُبُّه بفؤادي.

رجع الخبر إلى رواية عمرَ بن شبّة: قال وقال أيضاً: [الوافر]

أَلاَ زَعَمَتْ بَنُو سَعْدٍ بِأَنِّي ـ أَلاَ كَذَبوا ـ كَبِيرُ السِّنِّ فَانِي
أَتَتْ مِائَةٌ لِعَامِ وُلِدْتُ فيه وعَشْرٌ بعدَ ذاكَ وحِجَّتَانِ[1]

قال: وأنشد عمرَ بنَ الخطاب رَضِيَ اللهُ تعالى عنه أبياتَه التي يقول فيها:

* ثلاثة أهلين أفنيتهم *

فقال له عمر رَضِيَ الله تعالى عنه: كم لَبِثْتَ مع كلِّ أهلٍ؟ قال: ستين سنةً.

وأخبرني بعض أصحابنا عن أبي بكر بن دُريد عن عبد الرحمن ٱبن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال: أُنشِدَ رجلٌ من العجم قولَ النابغة الجعديّ: [المتقارب]

لَبِسْتُ أُنَاساً فَأَفْنَيْتُهم وأَفْنَيْتُ بعدَ أُنَاسٍ أُنَاسَا

وفُسِّرَ له، فقال: «بدِين شان بود»، أي هذا رجلٌ مشؤومٌ. وأما ٱبن قُتيبة فإنه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمد أنه عُمّر مائتين وعشرين سنة، ومات بأَصْبهان. وما ذاكَ بِمُنْكَرٍ؛ لأنه قال لعمر رضي الله تعالى عنه: إنه أَفنى ثلاثة قرون كلّ قرن ستون سنة، فهذه مائةٌ وثمانون، ثم عُمِّرَ بعده فمكَثَ بعد قَتْل عمر خلافةَ عثمان وعليّ ومعاوية ويزيد، وقَدِمَ على عبد الله بن الزبير بمكة وقد دعا لنفسه، فٱستماحه ومدَحه؛ وبين عبد الله بن الزبير وبين عمر نحوٌ مما ذكر ٱبنُ قتيبة؛ بل لا أشك أنه قد بلَغ هذه السنّ وهاجى أَوْسَ بن مَغْراء بحضرة الأخطل والعَجّاج وكعب ابن جُعَيل فغلبه أوسٌ، وكان مُغَلَّباً.

[النابغة ينكر الخمر في الجاهلية وينشد الرسولﷺ شعراً فيدعو له]

حدّثنا أحمد بن عمر بن موسى القَطّان المعروف بٱبن زَنْجَوَيْهِ قال: حَدَّثنا إسماعيل بن عبد الله السكّريّ قال: حَدّثنا يَعْلَى بن الأَشْدق العُقَيليّ قال: حَدّثني نابغة بن جَعْدة قال: أنشدتُ النبيَّﷺ هذا الشّعرَ فأُعجِبَ به: [الطويل]

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنا وجُدُودُنا وإِنّا لَنَبْغِي فوقَ ذلكَ مَظْهَرَا

فقال النبيّﷺ: «**فأين المَظْهرُ يا أبا ليلى**»؛ فقلت: الجنة؛ فقال: «قل إن

(١) الحِجّة: السنة.

شاء الله»؛ فقلت: إن شاء الله. [الطويل]

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لم يكن له بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا[١]
ولا خَيْرَ في جَهْلٍ إذا لم يَكُنْ له حَلِيمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأمرَ أَصْدَرَا

فقال النبيّ ﷺ: **«أَجَدْتَ لا يَفْضُضِ اللَّهُ فاك»**؛ قال: فلقد رأيته وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوُها وما انفضّ مِن فِيهِ سِنٌّ[٢].

[بعضُ أخباره]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: أخبرني أبو حاتم قال: أخبرنا أبو عُبيدة قال: كان النابغة الجَعْديّ ممّن فَكَّرَ في الجاهلية وأنكر الخمرَ والسُّكْرَ وما يفعل بالعقل، وهَجرَ الأزلام والأوثان، وقال في الجاهلية كلمتَه التي أوّلها:

[المنسرح]

الحمد لِلَّهِ لا شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمْ يَقُلْها فَنَفْسَهُ ظَلَمَا

وكان يذكر دين إبراهيم والحنيفيّة، ويصومُ ويستغفِرُ، ويتوقّى أشياء لعواقبها.

ووفَد على النبيّ ﷺ فقال: [الطويل]

أتيتُ رسولَ اللهِ إذْ جَاءَ بالهُدَى ويَتْلُو كتاباً كالمَجَرَّة نَيِّرَا[٣]
وجَاهَدْتُ حتى ما أُحِسُّ ومَنْ مَعِي سُهَيْلاً إذا ما لاحَ ثُمَّتَ غَوَّرا
أُقِيمُ على التَّقْوَى وأَرْضَى بِفِعْلِها وكُنْتُ مِنَ النَّارِ المَخُوفَةِ أَوْجَرَا[٤]

وحَسُنَ إسلامُه، وأنشد النبيَّ ﷺ؛ فقال له: «لا يَفْضُضِ اللَّهُ فاك»؛ وشهِدَ مع عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه صِفِّينَ. وقد ذُكِر خبره مع عمر رضي الله عنه؛ وأما خبره مع عثمان فأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال مَسْلَمة بن مُحارِب: دخل النابغة الجعديّ على عثمان رضي الله تعالى عنه فقال: أستودعك اللَّهَ يا أمير المؤمنين؛ قال: وأينَ تريد يا أبا ليلى؟

---

(١) البادرة من الكلام: التي تسبق الإنسان في الغضب.
(٢) القصة في الإصابة تر (٨٦٣٩) جـ ٣: ٥٣٧.
(٣) المجرّة: مجموعة كبيرة من النجوم لا ترى بالعين المجرّدة ولكن ضوءها ينتشر فيُرَى كأنه بقعة بيضاء نيِّرة.
(٤) الوجر: الخوف.

قال: أَلْحَقُ بإبلي فأَشْرَبُ من ألبانها فإنّي مُنكِرٌ لنفسي؛ فقال: أَتَعَرُّباً[١] بعد الهجرة يا أبا ليلى! أمَا علمتَ أن ذلك مكروه؟! قال: ما عَلِمْتُهُ، وما كنتُ لأخرجَ حتى أُعلِمَكَ. قال: فأذِنَ له، وأَجَّلَ له في ذلك أَجَلاً؛ فدخل على الحسن والحسين ٱبني عليّ فودّعهما؛ فقالا له: أَنشِدْنا من شعرك يا أبا ليلى؛ فأنشدهما:

الحَمْدُ لله لا شَرِيكَ لَهُ ... مَنْ لَمْ يَقُلْها فنفسَهُ ظَلَما

فقالا: يا أبا ليلى، ما كنا نَرْوِي هذا الشعرَ إلا لأُميّة بن أبي الصّلت؛ فقال: يأبنيْ رسول الله ﷺ إني لَصَاحبُ هذا الشعر وأوّل من قاله، وإنَّ السَّرُوقَ لَمَنْ سَرَقَ شِعرَ أُمية.

قال أبو زيد عمرُ بن شَبَّة في خبره: كان النابغة شاعراً متقدّماً، وكان مُغَلَّباً ما هاجى قَطُّ إلا غُلِبَ، هاجى أوسَ بن مَغْراء وليلى الأخيليّة وكعبَ بن جُعَيل فغلبوه جميعاً.

وقال أبو عَمرو الشَّيْبانيّ: كان بَدْءُ حديث النّابغة وأوس بن مغراء أنّ معاوية لما وجّه بُسْرَ بن أَرْطَاة الفِهْريّ لِقَتلِ شيعة عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، قام إليه معنُ بن يزيد بن الأَخْنَس السُّلَميّ وزياد بن الأشهب بن وَرْد بن عمرو بن رَبيعة بن جَعْدة، فقالا: يا أمير المؤمنين، نسألك بالله وبالرَّحِم ألاَّ تجعلَ لِبُسْر على قيس سلطاناً، فيقتل قيساً بمن قتلَتْ بنو سُليم من بني فِهْر وبني كِنَانة يومَ دخل رسول الله ﷺ مكة؛ فقال معاوية: يا بُسر لا أَمْرَ لكَ على قيس؛ وسار بسرٌ حتى أتى المدينة، فقتَل ٱبني عبيد الله بن العباس، وفرّ أهل المدينة ودخلوا الحرّة[٢] (حرّةَ بني سُلَيم). ثم سار بُسر حتى أتى الطائف؛ فقالت له ثَقيف: ما لكَ علينا سلطان، نحن من قيس؛ فسار حتى أتى هَمْدان وهم في جبل لهم يقال له شِبَام[٣]، فتحصّنت فيه همدان، ثم نادَوْا: يا بُسر نحن هَمْدان وهذا شِبَام، فلم يلتفت إليهم؛ حتى إذا اغترّوا ونزلوا إلى قُراهم، أغار عليهم فقتل وسبى نساءهم؛ فكنّ أوّلَ مسلمات سُبينَ في الإسلام. ومرّ بحيّ من بني سعد

(١) التَّعَرُّب: الرجوع إلى البادية بعد الهجرة، وفي الحديث: «ثلاث من الكبائر ومنها التعرُّب».

(٢) الحَرّة: من بلاد بني سليم بناحية خيبر (معجم البلدان ٢:٢٤٨).

(٣) شبَام: جبل عظيم بصنعاء فيه شجر وعيون وشربُ صنعاء منه، وقيل إن في اليمن أربعة مواضع اسمها شبام وذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٣: ٣١٨).

نُزُولٍ بين ظَهْرَيْ بني جَعْدة بالفَلَج[١]، فأغار بُسْر على الحَيِّ السَّعْدِيِّينَ فقتل منهم وأَسَرَ؛ فقال أوْس بن مَغْراء في ذلك: [الطويل]

مُشِرِّينَ تَرْعَوْنَ النَّجِيلَ وقد غَدَتْ بِأَوْصَالِ قَتْلاكُمْ كِلابُ مُزاحِمِ

ـ المُشِرُّ: الّذي قد بسَطَ ثوبه في الشمس. والنجيل: جنس من الحَمْض ـ

فقال النابغة يجيبه: [الوافر]

مَتَى أَكَلَتْ لُحُومَكُمُ كِلابِي أَكَلْتَ يَدَيْكَ مِنْ جَرَبٍ تَهَامِ[٢]

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب مما أجاز لنا روايتَه عنه من حديثه وأخباره مما ذكره منها عن محمد بن سلاّم الجُمَحيّ عن أبي الغَرَّاف، وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز وحَبيب بن نَصر، قالا: حَدّثنا عمر بن شَبّة عن محمد بن سلاّم عن أبي الغَرَّاف: أن النابغة هَاجَى أَوسَ بن مَغْراء؛ قال: ولم يَكُنْ أوس مِثلَه ولا قريباً منه في الشعر؛ فقال النابغة: إنّي وإياه لَنَبْتَدِرُ بيتاً، أَيُّنا سبَقَ إليه غَلب صاحبَه؛ فلما بلَغه قولُ أوس: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما تَبْلَى سَرَابِيلُ عَامِرٍ مِنَ اللُّؤْمِ ما دَامَتْ عَليها جُلُودُهَا

قال النابغة: هذا البيت الذي كنا نَبتدِرُ إليه. فَغُلِّبَ أوسٌ عليه.

قال أبو زيد: فحدّثني المدائني أنهما اجتمعا في المِرْبَد فتنافرا وتهاجيا، وحضرهما العَجّاجُ والأخطل وكعب بن جُعَيل، فقال أَوْس: [الرجز]

لَمَّا رَأَتْ جَعْدَةُ مِنَّا وِرْدَا وَلَّوْا نَعَاماً فِي البِلادِ رُبْدَا[٣]

إنّ لنا عَلَيْكُمُ مَعَدَّا كاهِلَها ورُكْنَها الأَشَدَّا[٤]

فقال العجاج: [الرجز]

* كُلُّ امْرِىءٍ يَغْدو بِما اسْتَعَدَّا *

وقال الأخطل يُعِينُ أوسَ بن مغراء ويحكُمُ له: [الطويل]

وإنّي لَقَاضٍ بَيْنَ جَعْدَةِ عَامِرٍ وسَعْدٍ قَضَاءً بَيِّنَ الحَقِّ فَيْصَلا

---

(١) الفَلَج: موضع لبني جعدة بنجد وهو في أعلى بلاد قيس (معجم البلدان ٤: ٢٧١).

(٢) تَهامِ: منسوب إلى تهامة، ويجوز في النسبة إلى تِهامة: تِهاميّ.

(٣) الوِرد: الجيش. والرُّبْد: جمع الرَّبداء، والرُّبدة: الغبرة أو لون بين السواد والغبرة.

(٤) مَعَدّ: أبو حَيّ من العرب ينتسب إليه أوس بن مغراء.

أبو جعدةَ الذِّئبُ الخَبيثُ طَعَامُهُ وَعوفُ بن كَعْبٍ أَكْرَمُ النَّاسِ أَوَّلاَ

وقال كعبُ بن جُعَيل: [البسيط]

إنِّي لَقَاضٍ قَضَاءً سوفَ يَتْبَعُهُ مَنْ أَمَّ قَصْداً ولم يَعْدِلْ إلى أَوَدِ[١]

فَصْلاً مِنَ القَوْلِ تَأْتَمُّ القُضَاةُ به ولا أَجُورُ ولا أَبْغِي على أَحَدِ

نَاكَتْ بَنُو عَامرٍ سَعْداً وشَاعِرَها كما تَنِيكُ بَنُو عَبْسٍ بَنِي أَسَدِ

وقال أبو عمرو الشيباني: كان سبب المهاجاة بين ليلى الأخيليّة وبين الجعديّ أن رجلاً من قُشَير ـ يقال له ٱبن الحَيَا (وهي أمّه) وٱسمه سَوّار بن أَوْفَى بن سَبْرة ـ هجاه وسَبَّ أخوالَه من أَزْد في أمرٍ كان بين قُشير وبين بني جَعْدة وهم بأصبهان متجاورون، فأجابه النابغة بقصيدته التي يُقال لها الفاضحة ـ سُمِّيَتْ بذلك لأنه ذكر فيها مساويَ قُشير وعُقيل وكُلَّ ما كانوا يُسبّون به، وفخَرَ بمآثِرِ قومه وبما كان لسائر بطون بني عامر سوى هذين الحيّين من قُشير وعُقيل: [الطويل]

جَهِلْتَ عَلَيَّ ٱبنَ الحَيَا وظَلَمْتَني وجَمَّعْتَ قَوْلاً جَاءَ بَيْتاً مُضَلَّلا

وقال في هذه القصّة أيضاً قصيدتَه التي أوّلها: [البسيط]

إمَّا تَرَيْ ظُلَلَ الأَيَّامِ قد حَسَرَتْ عَنِّي وشَمَّرْتُ ذَيْلاً كانَ ذَيَّالا[٢]

وهي طويلة، يقول فيها: [البسيط]

ويومَ مَكَّةَ إذْ مَا جَدْتُمُ نَفَراً حَامَوْا على عُقَدِ الأَحْسَابِ أَزْوَالا[٣]

عِندَ النَّجَاشِيِّ إذْ تُعطونَ أَيْدِيَكُمْ مُقَرَّنِينَ ولا تَرجُونَ إرْسالا[٤]

إذ تَسْتَحِبُّونَ عندَ الخَذْلِ أَنَّ لكم مِنْ آلِ جَعْدَةَ أَعْمَاماً وأَخْوَالا

لو تستطيعونَ أَنْ تُلْقوا جُلُودَكُمْ وتَجْعَلُوا جِلْدَ عَبْدِ اللهِ سِرْبَالا

(١) الأود: العوج.

(٢) الظُّلَل: جمع ظُلَّة: وهي أوّل سحابة تظلّ. وحسرَ عن ذراعيه: كشف.

(٣) ماجدتم: فاخرتم وسابقتم في المجد. وحَامَى: دافع. والأحساب: الأواصر التي تربط ذوي الأرحام بعضهم ببعض. وعُقَدُ الأحساب: القيام بما تقتضيه من نصر مَنْ يتّصل بهم والدفاع عنهم. وأزوال: جمع زول: هو الفتى الخفيف الظريف والجواد.

(٤) إعطاء اليد: كناية عن الانقياد والمذلّة. ومقرنين: مشدودين في القرن وهو الحبل. وأرسل الشيء: أطلقه.

ـ يعني عبدَ الله بن جَعدة بن كعب[١] ـ

إذاَ تَسَرْبَلْتُم فيه لِيُنْجِيَكُمْ مِمَّا يَقُولُ ٱبْنُ ذِي الجَدَّيْنِ إذْ قَالاَ

حتَّى وَهَبْتُمْ لِعَبْدِ اللّهِ صَاحِبَهُ والقَوْلُ فيكم بإذنِ اللهِ ما فَالا[٢]

تِلكَ المَكَارِمُ لا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبَا بِماءٍ فعادَا بَعْدُ أبْوالا[٣]

يعني بهذا البيت أنَّ ٱبن الحَيَا فخَر عليه بأنهم سَقَوْا رجلاً من جَعدة أدركوه في سفر وقد جَهِدَ عطشاً لبناً وماءً فعاش.

وقال في هذه القصّة أيضاً قصيدتَه التي أوّلها: [الكامل]

أَبْلِغْ قُشَيْراً والحَرِيشَ[٤] فما ذا رَدَّ في أَيْدِيكُمْ شَتْمِي

وفَخَرَ عليهم بقتل عَلْقمَةَ الجُعْفِيّ يوم وادي نِسَاحٍ[٥] وقتل شَرَاحِيل بن الأصْهب الجُعْفيّ، وبيوم رَحْرَحان[٦] أيضاً، فقال فيه: [البسيط]

هَلاّ سألتَ بيومَيْ رَحْرحان وقد ظَنَّتْ هَوازِنُ أنّ العِزَّ قد زَالا

فلما ذكر ذلك النابغة قال:

تلكَ المَكَارِمُ لا قَعبَانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبَا بِمَاءٍ فعادَا بَعْدُ أَبْوَالا

ففخر بما له وغَضَّ مما لهم، ودخلت ليلى الأخيلية بينهما فقالت: [الطويل]

وما كُنتُ لو قَاذَفْتُ جُلَّ عَشِيرَتي لأذكرَ قَعْبَيْ حَازِرٍ قد تَشَمَّلا[٧]

وهي كلمة فلما بلغ النابغةَ قولُها قال:

---

(١) ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة خال النابغة الجعدي.
(٢) فال: أخطأ.
(٣) القعب: قدح بمقدار ما يروي الرجل. وشِيبَ: خُلِطَ.
(٤) الحريش: هو ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.
(٥) نِساح: هو وادٍ باليمامة، وقيل: هو وادٍ يقسم عارض اليمامة ويوم نساح من أيام العرب المشهورة (معجم البلدان ٥: ٢٨٢).
(٦) رحرحان: اسم جبل قريب من عكاظ خلف عرفات، وكان فيه يومان للعرب أشهرهما الثاني وهو لبني عامر بن صعصعة على بني تميم. (معجم البلدان ٣: ٣٦).
(٧) الحازر: اللبن الحامض. والثمالة: الرغوة.

[الطويل]

أَلا حَـيِّـيَـا لَـيْـلَـى وقُـولا لَـهَـا هَـلاَ ... فـقـد رَكِـبَـتْ أَيْـراً أَغَـرَّ مُـحَـجَّـلا[١]

وقـد أَكَـلَـتْ بَـقْـلاً وَخِـيـمـاً نَـبَـاتُـهُ ... وقَدْ شَرِبَتْ مِنْ آخِرِ الصَّيْفِ أَيِّلا[٢]

ـ يعني ألبان الأيّل ـ

دَعِي عـنـكِ تَـهْـجَاءَ الرِّجالِ وأَقْبِـلِي ... عـلـى أَذْلَغِـيٍّ يـمـلأُ ٱسْـتَـكِ فَـيْـشَـلا[٣]

وكـيـفَ أُهَـاجِـي شَـاعِـراً رُمْـحُـهُ ٱسْتُـهُ ... خَـضِـيـبَ الـبَـنَـانِ لا يَـزَالُ مُـكَـحَّـلا[٤]

فَرَدَّتْ عليه ليلى الأخيليّة فقالت: [الطويل]

أَنَـابِـغُ لـم تَـنْـبَـغْ ولـم تَـكُ أَوَّلا ... وكنتَ صُنَيًّا بين صُدَّيْن مَجْهَلا[٥]

ـ الصُنَيُّ: شِعْبٌ صغيرٌ يسيلُ منه الماءُ. وصُدَّان: جبلان.

أَنَـابِـغُ إنْ تَـنْـبـغ بِـلُـؤْمِـكَ لا تَـجِـدْ ... لِـلُـؤْمِـكَ إلاَّ وَسْـطَ جَـعْـدَةَ مَـجْـعَـلا

تُـعَـيِّـرُنِـي دَاءً بِـأُمِّـكَ مِـثْـلُـهُ ... وأَيّ حَـصَـانٍ لا يُـقَـالُ لَـهَـا هَـلا[٦]

فغلبتْه، فلما أتى بني جعدة قَوْلُها هذا، اجتمع ناسٌ منهم فقالوا: والله لنأتينَّ صاحبَ المدينة، أو أمير المؤمنين، فليأخذَنَّ لنا بِحَقِّنا من هذه الخبيثة، فإنها قد شتَمَتْ أعراضَنا وٱفْتَرَتْ علينا، فتهيّأُوا لذلك؛ وبلَغَها أنهم يريدون أن يستعدُوا عليها، فقالت: [الطويل]

أَتَـانِـي مِـنَ الأَنْـبَـاءِ أَنَّ عَـشِـيـرَةً ... بِشُورانَ يُزْجُونَ الـمَطِيَّ الـمُذَلَّلا[٧]

---

(١) حَيِّيَا: أي أبلغاها تحيّتي على طريق الهزء والسخرية. وهلا: كلمة زجر تزجر بها الإناث من الخيل إذا أُنزِيَ عليها الفحل لتقرّ وتسكن. وحَجّل فلان أمره تحجيلاً: إذا شهره.
والشطر الثاني في الديوان:
«فـقـد ركـبـت أمـراً أغـرَّ مُـحَـجَّـلا»

(٢) الوخيم: الثقيل. والأيّل: الذَّكَر من الأوعال.
ورواية الديوان:
بُـرَيْـذِيـنَـةٌ بَـلَّ الـبـراذيـنَ ثَـفْـرُهـا ... وقـد شَـرِبَـتْ فـي أوَّلِ الـصـيـفِ أُيَّـلا
وقـد أكـلـتْ بـقـلاً وخـيـمـاً نـبـاتُـه ... وقـد نَـكَـحَـتْ شَـرَّ الأخـايـلِ أخـيـلا

(٣) تهجاء: مصدر لمبالغة الهجاء. والأذلغي: الضخم الطويل من الأيور، وهو منسوب إلى أذلغ بن شداد من بني عبادة بن عقيل وكان نكّاحاً. والفيشل: رأس الذَّكَر.

(٤) أي: كيف أهاجي امرأة بهذه الصفات والاستفهام إنكاري.

(٥) المَجْهَل: الأرض التي لا يُهتَدى بها.

(٦) الحَصَان: المرأة العفيفة.

(٧) شَوْران: جبل في ديار بني جعدة مطلٌ على السُدّ، وهو جبلٌ ذو نبت وماء (معجم البلدان ٣: ٣٧١).

يَـرُوحُ ويَـغْـدُو وَفْـدُهُـمْ بِـصَـحِـيـفَـةٍ لِيَسْتَـجْلِدوا لِي، سَاءَ ذلكَ مَغْمَلا

وقد أخبرني ببعض هذه القصّة أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة فجاء بها مُختلِطة، وهذا أوضح وأصحّ.

[أخبار من أيام العرب]

قال أبو عمرو: فَأَمَّا ما فَخَرَ به النَّابغةُ من الأيام، فمنها يوم عَلْقمةَ الجُعْفيّ، فإنَّه غَدَا في مَذْحِج ومعه زُهَير الجعفيّ، فأتى بني عُقيل بنِ كعب فأغار عليهم، وفي بني عقيل بطون من سُلَيم يقال لهم بنو بَجْلة، فأصاب سَبْياً وإبلاً كثيرة، ثم انصرف راجعاً بما أصاب، فاتّبعه بنو كعب، ولم يلحَق به من بني عُقيل إلا عِقَالُ بن خُوَيلد ابن عامر بن عُقَيل، فجعل يأخُذ أبعار إبِل الجُعفيّين فيبُول عليها حتى يُنَدِّيَها، ثم يلحَقُ ببني كعب فيقول: إيهِ فِدًى لكم أبَواي، قد لَحِقْتُمُ القومَ؛ حتى ورَدوا عليهم النخيلَ في يوم قائظ، ورأسُ زهير في حِجْر جارية من سُلَيم من بني بَجْلة سباها يومئذ وهي تَفْليه، وهو مُتَوسِّدٌ قطيفةً حمراءَ وهي تَضفِرُ سَعَفَاتِه ـ أي أعلى رأسه ـ بِهُدْبِ القطيفة؛ فلم يشعُروا إلا بالخيل؛ فكان أوّلُ من لَحِقَ زُهيراً ابنَ النهّاضة، فضربَ وجهَ زهير بقوسه حتى كسَرَ أنفَه، ثم لَحِقَهُ عِقالُ بنُ خُوَيلد، فبعَجَ بطنَه، فسال من بطنه بَرِيرٌ وحَلَب ـ والبرير: ثمر الأراك، والحَلَبُ: لبن كان قد اصطبحه ـ فذلك يوم يقول أبو حَرْب أخو عقال بن خُوَيلد: والله لا أَصْطَبِحُ لبناً حتى آمَنَ من الصَّبَاح[1]. قال: وهذا اليوم هو يوم وادي نِساح وهو باليمامة.

قال: وأمّا يوم شَرَاحيلَ بن الأَصْهب الجُعْفيّ فإنه يوم مذكور تفتخر به مُضَرُ كلُّها. وكان شَراحيلُ خرج مُغِيراً في جمع عظيم من اليمن، وكان قد طال عمرهُ وكثُر تَبَعُه وبعُد صِيتُه واتصل ظَفَرُه، وكان قد صالح بني عامر على أن يَغزُوَ العرب مارًّا بهم في بدأته وعودته لا يَعْرِضُ أحدٌ منهم لصاحبه؛ فخرج غازياً في بعض غَزَواته فأبعد، ثم رجَعَ إليهم فمرّ على بني جَعْدة فَقَرَتْه ونحرتْ له؛ فعمدَ ناسٌ من أصحابه سفهاءُ فتناولوا إبلاً لبني جعدة فنحروها؛ فشَكَتْ ذلك بنو جعدة إلى شَراحيل، فقالوا: قَرَيْناك وأَحْسَنَّا ضِيافَتَكَ ثم لم تمنعْ أصحابَكَ مما يصنعون! فقال: إنهم قوم مُغيرون، وقد أساؤوا لَعَمْري! وإنّما يُقيمون عندكم يوماً أو يومين

---

(١) الصَّباح: الغارة صُبحاً.

ثم يرتحلون عنكم. فقال الرُّقاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة لأخيه ورد بن عمرو ـ وقيل: بل قال ذلك لابن أخيه الجعد بن وَرْد ـ: دَعْني أذهب إلى بني قُشَير ـ قال: وجَعْدة وقُشَير أخوان لأمّ وأب، أمّهما رَيْطة بنت قُنْفُذ بن مالك بن عوف بن ٱمرىء القيس بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور ـ فٱدعوهم، وٱصنعَ أنت يا هذا لِشَراحيل طعاماً حسَناً كثيراً، وٱدْعُهُ وأدخِلْهُ إليكَ فاقْتُلْهُ، فإن احتجت إلينا فدَخِّنْ، فإني إذا رأيتُ الدُّخَان أتيتك بهم فوضعنا سيوفنا على القوم. فعمَد وردٌ هذا إلى طعام فأصلحه، ودعا شَراحيلَ وناساً من أصحابه وأهله وبني عَمِّهِ، فجعلوا كلّما دخل البيتَ رجلٌ قتله وردٌ، حتى انتصف النهار؛ فجاء أصحاب شَراحيل يُتْبِعُونه، فقال لهم وردٌ: تَروَّحُوا[1] فإنَّ صاحبكم قد شَرِبَ وَثَمِلَ وسيرُوح فرجعوا؛ ودَخَّنَ وردٌ، وجاءت قُشير، فقتلوا من أدركوا من أصحابه، وسار سائرهُم؛ وبلغَهم قَتْلُ شَراحيل؛ فمرّوا على بني عُقَيل، وهم إخوتهم، فقالوا: لنقتلَنَّ مالكَ بن المُنتفِق؛ فقال لهم مالك: أنا آتيكم بورد؛ فركِبَ ببني عُقيل إلى بني جَعْدة وقُشَير ليُعطوهم ورداً؛ فامتنعوا من ذلك وساروا بأجمعهم فذَبُّوا عن عُقَيل، حتى تَفَرَّقَ من كان مع شَراحيل، فقال في ذلك بَحِيرُ بن عبد الله بن سَلَمة[2]: [الوافر]

أَحَيٌّ يتبعونَ العِيرَ نَحْراً ... أَحَبُّ إليكَ أَمْ حَيًّا هِلالِ
لَعَلَّكَ قاتِلٌ وَرْداً ولَمَّا ... تَسَاقَ الخيلُ بِالأَسَلِ النِّهَالِ[3]
أَلاَ يا مَالِ وَيْحَ سِواكَ أَقْصِرَ ... أَمَا يَنْهَاكَ حِلْمُكَ عَنْ ضَلالِ

وأمّا يوما رَحْرحان، فأحدُهما مشهور قد ذُكر في موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار الحارث بن ظالم، وهذا اليوم الثاني، فكان الطمّاح الحنفيّ أغار في بني حَنيفة وبني قَيس بن ثَعْلبة على بني الحَريش بن كعب وبني عُبادة بن عُقيل وطوائفَ من بني عَبْس يقال لهم بنو حُذَيفة؛ فركبت بنو جَعْدة وبنو أبي بكر بنِ كلاب، ولم يشهَد ذلك من بني كِلاب غيرُ بني أبي بكر، فأدركوا الطمّاحَ من يومهم، فاستنقذوا ما أخذه وأصابوا ما كان معه، وقتلوا عدداً من أصحابه وهزموهم.

---

(١) تَرَوَّح: سار في الرَّوَاح أي العشيّ.
(٢) بَحِير بن عبد الله: من بني عامر بن صعصعة شاعر جاهلي من فرسان العرب المشهورين.
(٣) تَساقَ: تتساقى: وهو مجزوم. والأسَل: الرماح. والنِّهال: الرِّيّانة والنِّهال: العطشى وهو من الأضداد.

قال: وأما ما ذكره من إدراكهم بثأر كعب الفوارس، فإن كعب الفوارس - وهو ابن معاوية بن عُبَادة بن البَكّاء - مَرَّ على بني نَهْد وعليه سلاحه، فحمَلَ عليه رجلٌ من نَهْد يقال له خُلَيف فقتله وأخذ فرسَه وسلاحه؛ ثم إن خُليفاً بعد ذلك بدَهْر مرّ على بني جَعْدة، فرآه مالك بن عبد الله بن جعدة وعليه جُبّة كعب وفيها أثر الطعنة، وكان مُحْرِماً فلم يقدِر على قتله، فقال: يا هذا! ألاَ رقَعتَ هذا الخَرْق الذي في جُبّتك! وجعل يترصّده بعد ذلك، حتى بلَغه بعد دهرٍ أنه مرّ ببني جَعْدة، فركِب مالكُ بن عبد الله بن جعدة فرساً له وقد أُخبر أن خُليفاً مَرَّ بجَنَباتهم، فأدركه فقتله، ثم قال: بُؤْ بكعب. ثم غزا نواحيَهم عبدُ الله بن ثَور بن معاوية بن عُبادة بن البَكّاء: جَرْماً ونَهْداً، وهم يومئذ في بني الحارث، فناداهم بنو البَكّاء: ليس معنا أحدٌ من قومنا غيرنا وإنّ النهديّ قتل صاحبَنا مُحْرِماً؛ فقاتلهم نَهْد وجَرْم جميعاً يومئذ، وكان عبد الله بن ثَوْر يومئذ على فرسٍ وَرْدٍ، فأصابوا من نَهْدٍ يومئذ غنيمة عظيمة، وقتلوا قَتلى كثيرة. فقال عبد الله في ذلك: [الطويل]

فَسَائِلْ بَنِي جَرمٍ إذا ما لَقِيتَهُمْ ... ونَهْداً إذا حَجَّتْ عليكَ بَنُو نَهْدِ

فإنْ يُخبِرُوكَ الحَقَّ عَنَّا تَجِدْهُمُ ... يقولونَ أَبْلَى صَاحِبُ الفَرَسِ الوَرْدِ

قال: وأما يوم الفَلَج، فإنَّ بكر بن وائل بَعَثَتْ عَيْناً على بني كعب بن رَبيعة حتى جاء الفَلَجَ - وهو ماء - فوجد النَّعَمَ بعضَه قريباً من بعض، ووجد الناس قد ٱحتملوا، فليس في النَّعَمِ إلاَّ مَنْ لا طَبَاخ[1] به من راعٍ أو ضعيف؛ فجاءهم عَيْنُهم بذلك، فركبت بكر بنَ وائل يريدونهم، حتى إذا كانوا منهم بحيثُ يسمعون أصواتهم، سمِعوا الصّهيل وأصواتَ الرجال؛ فقالوا لعينهم: ما هذا ويلك؟! قال: والله ما أدري، وإن هذا لمما لم أعهد، فأرسلوا من يعلَم عِلمَهم؛ فرجَع فأخبرهم أن الرجال قد رجَعوا، ورأى جمعاً عظيماً وخيولاً كثيرة؛ فكَرّوا راجعين من ليلتهم؛ وأصبحت بنو كعب فرأَوا الأثر فاتّبعوهم، فأصابوا من أُخرياتهم رجالاً وخيلاً، فرجعوا بها.

قال: وأما قوله: [البسيط]

لو تستطيعونَ أَنْ تُلْقُوا جُلُودَكُمُ ... وتَجعَلوا جِلْدَ عَبْدِ الله سِرْبَالا

(١) الطَّبَاخ: السّمن والقوة.

فإنَّ السبب في ذلك أن هُبَيرة بن عامر بن سَلَمة بن قُشير، لَقِيَ خِدَاش بن زهير البَكّائيّ، فتنافرا على مائة من الإبل، وقال كلٌّ منهما لصاحبه: أنا أكرمُ وأعزُّ منكَ؛ فحَكَّما في ذلك رجلاً من بني ذي الجَدَّيْن، فقضى بينهما أنّ أَعَزَّهما وأكرمَهُما أَقْربُهما من عبد الله بن جعدةَ نَسَباً؛ فقال خِداشُ بن زُهَير: أنا أقرب إليه، أمّ عبد الله بن جَعدة عمّتي ـ وهي أُميمة بنت عمرو بن عامر ـ وإنما أنتَ أدنى إليه مِنّي منزلةً بأب؛ فلم يزالا يختصمان في القرابة لعبد الله دون المُكاثرة بآبائهما إقراراً له بذلك، حتى فَلَجَ[1] هبيرةُ القُشَيريُّ وظَفِرَ.

[خبر عبد الله بن جعدة]

قال أبو عمرو: وكان عبد الله بن جَعْدة سَيِّداً مُطاعاً، وكانت له إتاوةٌ[2] بعكاظ يُؤْتَى بها، يأتيه بها هذا الحيُّ من الأَزْد وغيرُهم، فجاء سُمَيْرُ بن سَلَمة القُشَيريّ وعبدُ الله جالسٌ على ثياب قد جُمِعَتْ له من إتاوته، فأنزله عنها وجلسَ مكانَه؛ فجاء رِياح بن عمرو بن رَبيعة بن عُقَيل ـ وهو الخليع، سُمِّيَ بذلك لِتَخَلُّعِهِ عن الملوك لا يُعطِيهم الطّاعة ـ فقال للقشيريّ: ما لَكَ ولِشيخنا تُنزله عن إتاوته ونحن ها هنا حولَه! فقال القشيريّ: كذبْتَ، ما هي له! ثم مَدَّ القشيريُّ رِجْلَهُ فقال: هذه رِجلي فاْضربها إن كنتَ عزيزاً؛ قال: لا! لَعَمْرِي لا أضرِبُ رِجْلَكَ؛ فقال له القُشَيريّ: فامْدُدْ لي رِجْلَكَ حتى تعلم أَأَضْرِبُها أم لا؛ فقال: ولا أَمُدُّ لكَ رِجلي، ولكن أفعلُ ما تُنكره العشيرة وما هو أعزُّ لي وأذَلُّ لكَ؛ ثم أَهْوَى إلى رِجل القشيريّ فسحَبَهُ على قفاه ونَحّاه، وأقعدَ عبدَ الله بنَ جَعْدَة مكانَه.

قال: وعبد الله بن جعدة أوّل من صنع الدَّبّابة[3]؛ وكان السبب في ذلك أنهم انتجعُوا[4] ناحيةَ البحرين، فهجموا على عبدٍ لرجل يقال له كَوْذَن في قصر حَصين، فدخَّنَ العبدُ ودعا النّساءَ والصّبيانَ، فظنّوا أنه يُطعمهم ثريداً، حتى إذا امتلأ القصر منهم أغلقه عليهم، فصاح النساء والصبيان، وقام العبد ومَنْ معه على شُرَفِ

(١) فلج: انتصر وغلب.
(٢) الإتاوة: الخراج.
(٣) الدبّابة: آلة تُتَّخذ من جلودٍ وخشب للحروب، يدخل فيها الرجال فتُدْفَع في أصل الحصن المحاصَرِ فينقبون وهم في جوفها، وهي تقيهم ما يُرمَون به من فوقهم.
(٤) انتجعوا: طلبوا الكلأ ومساقط المطر.

القصر، فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رماه؛ فلما رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دَبَّابة على جذوع النّخل وألبسها جلودَ الإبل، ثم جاء بها والقومُ يحملونها حتى أسندوها إلى القصر، ثم حفروا حتى خرقوه؛ فَقُتِلَ العبدُ ومَنْ كان معه وٱستنقذ صبيانَهم ونساءهم؛ فذلك قول النابغة: [الطويل]

ويـومَ دعـا ولِـدَانَـكُـمْ عَـبْـدُ كَـوْدَنٍ فخالُوا لَدَى الدَّاعِي ثَرِيداً مُفَلْفَلا
وَقَى ابنَ زِياد وهو عُقبةُ خَيْرِكُمْ هُبَيْرَةُ يَنْزُو في الحَدِيدِ مُكَبَّلا

يعني هبيرةَ بن عامر بن سَلَمة بن قُشير، وكان عبد الله بن مالك بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة خرج ومعه مالك بن عبد الله بن جعدة، حتى مرّوا على بني زياد العبسيّين والرجال غَيَبٌ، فأخذوا ٱبناً لأَنَس بن زياد وٱنطلقوا به يرجون الفِداء؛ وٱنطلق عمُّه عُمارة بن زِياد حتى أتى بني كعب، فلقي هُبَيرةَ بن عامر بن سَلَمة بن قشير، فقال له: يا هبيرة إن الناس يقولون: إنك بخيل؛ قال: مَعَاذَ الله! قال: فهَبْ لي جُبّتك هذه؛ فأَهْوَى لِيخْلَعها، فلما وقعَتْ في رأسه وَثَبَ عليه فأسره، ثم بعث إلى بني قُشير: عَلَيَّ وعَلَيَّ إن قَبِلْتُ من هُبَيْرة أقلّ من فِدية حاجبٍ[1] إلا أن يأتوني بابن أخي الذي في أيدي بني جَعْدة؛ فمشَتْ بنو قُشير إلى بني جعدة، فٱستوهبوه منهم فوهبوه لهم، فٱفتدَوْا به هُبَيْرَةَ.

وأما خبرُ وحوح أخي النابغة الذي تقدّم ذكره مع نسب أخيه النابغة، فإن أبا عمرو ذكر أن بني كعب أغارت على بني أسد فأصابوا سَبْياً وأَسْرى، فرَكِبتْ بنو أسد في آثارهم حتى لحِقوهم بالشُّرَيف[2]، فعطفت بنو عُدَس بن ربيعة بن جعدة، فذادوا بني أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلاً وردُّوهم؛ ولم يظفَروا منهم بشيء. وتعلّقت ٱمرأة من بني أسد بِالحَكَم بن عمرو بن عبد الله بن جعدة وقد أردفها خَلْفَهُ، فأخذت بضفيرته ومالت به فصرعته، فعطَفَ عليه عبدُ الله بن مالك بن عُدَس وهو أبو صَفْوان، فضرب يدها بالسيف فقطعها وتَخَلّصه. وطُعِن يومئذ وحوح بن قيس أخو النابغة الجعديّ، فارتُثَّ[3] في معركة القوم، فأخذه خالد بن نَضْلة الأسدي؛ وعطَفَ عليه يومئذ أخوه النابغة، فقال له خالد بن نَضْلة: هَلُمَّ إليَّ وأنتَ

(١) هو حاجب بن زرارة وهو ممن يُضرَب المثل بفدائه في الوفرة وسيأتي خبر فدائه في الجزء العاشر من الأغاني.
(٢) الشُّرَيف: ماء لبني نمير، وقيل وادٍ بنجد (معجم البلدان ٣: ٣٤١).
(٣) ارتُثَّ: أُصيب في المعركة فأثخنته الجراح وبقي به رَمَقٌ.

آمِنٌ؛ فقال له النابغة: لا حاجةَ لي في أمانِكَ، أنا على فرسي ومعي سلاحي وأصحابي قريب، ولكنّي أُوصيك بما في العَوْسجة[١] (يعني أخاه وحوح بن قيس)؛ فعدَلَ إليه خالد فأخذه وضمّه إليه ومنَعَ مِنْ قتله ودَاواه حتى فُدِيَ بعد ذلك. قال: ففي ذلك يقول مُدْرِك العَبْسيّ: [الوافر]

أَقَـمْـتُ عـلـى الـحِـفـاظِ وغَـابَ فَـرْجٌ ... وفـي فَـرْجٍ عَـنِ الـحَـسَـبِ انْـفِـرَاجُ
كـذلـكَ فِـعْـلُـنَـا وحِـبَـالُ عَـمِّـي ... وَرَدْنَ بِـوَحْـوَح فَـلَـجَ الـفِـلاَجِ[٢]

ومما قاله النابغة في هذه المفاخرة وغُنِّيَ فيه قولُه وقد جُمِعَ معه كلّ ما يغنّى فيه من القصيدة:

صوت [المنسرح]

هـل بِـالـدّيـارِ الـغَـدَاةَ مِـنْ صَـمَـمِ ... أم هَـلْ بِـرَبْـعِ الأنـيـس مـن قِـدَمِ
أم مـا تُـنـادِي مِـنْ مـاثـلٍ دَرَجَ الـسّـ ... ـيلُ عـلـيـه كـالـحَـوْضِ مُـنْـهَـدِمِ[٣]
غَـرّاءُ كـالـلّـيْـلـةِ الـمُـبَـارَكَـةِ الـقَـمْـ ... ـراءِ تَـهْـدِي أَوَائِـلَ الـظُّـلَـمِ[٤]
أَكْـنـي بِـغَـيْـرِ اسْـمِـهـا وقـد عَـلِـمَ الـ ... ـلّـهُ خَـفِـيَّـاتِ كُـلّ مُـكْـتَـتَـمِ
كَـأَنَّ فَـاهَـا إذا تَـبَـسَّـمَ مِـنْ ... طِـيـبِ مَـشَـمٍّ وطِـيـبِ مُـبْـتَـسَـمِ[٥]
يُـسَـنُّ بِـالـضّـرْوِ مِـنْ بَـراقِـشَ أو ... هَـيْـلانَ أو ضَـامـرٍ مِـنَ الـعُـتُـمِ[٦]

عُرُوضه من المنسرِح، وفي الأوّل والثاني والثالث من الأبيات خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر في مجرى البنصر، ذكره إسحاق ولم ينسبهُ إلى أحد، وذكر ابن المكيّ والهشاميّ أنه لمعبد، وأظنّه من منحول يحيى، وذكر حبش أنه لإبراهيم،

---

(١) العوسجة: واحدة العوسج: الشجرة الشائكة، وربما أراد الحظيرة المتّخذة من العوسج.
(٢) فَلَج: مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وهي أيضاً مدينة قيس بن عيلان بن مضر (معجم البلدان ٤: ٣٧٠).
(٣) الماثل: الدارس. ودرج عليه: انحدر. والحوض: مجتمع الماء.
(٤) الغرّاء: في الأصل هي شجرة زهرتها شديدة البياض طيّبة الريح، وهي هنا صفة للمرأة.
(٥) في شرح المعلقات السبع للأنباري: «إذا تَوَسَّنَ» بدل «إذا تَبَسَّم»، وتَوَسَّنَ: قُبِّلَ بعد الوَسَن، وهو النوم. وفي رواية الديوان: «وحُسْنِ مبتسم» بدل «وطِيب مبتسم».
(٦) يُسَنُّ: يُسَوَّكُ. والضَرو: شجرة الكمكام، وهو شجر طيب الريح يُستاك به ويُجعل ورقه في العطر، وأكثر منابته في اليمن. وبراقش: وادٍ باليمن شجير وكذلك هيلان. والعُتم: شجر الزيتون البريّ الذي لا يحمل شيئاً، وقيل: هو ما ينبت منه في الجبال.

وفي الثالث وما بعده لابن سريج رمل بالبنصر، وذكر حبش أنّ فيها لإسحاق رملاً آخر؛ ولابن مِسْجَح فيها ثقيل أوّل بالبنصر.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: أوّلُ مَنْ سَبَقَ إلى الكناية عن اسم من يَعْنِي بغيره في الشعر الجعديُّ، فإنه قال:

أَكْنِي بِغَيْرِ اسْمِها وقد عَلِمَ الـ ... لَّـهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتَمِ

فسبَقَ النَّاسَ جميعاً إليه واتّبعوه فيه، وأحسنُ من أخذه وألطفُه فيه أبو نُوَاس حيث يقول: [الخفيف]

أَسْأَلُ القادمينَ مِنْ حَكَمَانِ ... كيف خَلَّفْتُمُ أَبَا عثمانِ[1]

فيقولونَ لي جِنانٌ كما سَرَّ ... كَ في حَالِها فَسَلْ عن جنانِ

ما لَهُمْ لا يُبارِكُ اللهُ فيهمْ ... كيفَ لم يُغْنِ عِنْدَهُمْ كِتمانِي

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثني أبو بكر الباهليّ قال: حَدّثني الأصمعيّ قال: ذكر الفرزدقُ نابغةَ بني جعدة فقال: كان صاحبَ خُلْقان عنده مُطْرَفٌ بألفٍ، وخِمارٌ بِوَافٍ[2]، (يعني درهماً).

[مَدْحُهُ للزبير وإكرام الزبير له]

وحَدَّثني خبره مع ابن الزبير جماعةٌ، منهم حبيبُ بن نصر المهلَّبيّ وعمر بن عبد العزيز بن أحمد والحرميّ بن أبي العلاء ووَكيع ومحمد بن جرير الطبري حدّثنيه مِنْ حِفْظِه، قالوا: حَدّثنا الزبير بن بكّار قال: حَدّثنا أخي هارون بن أبي بكر عن يحيى بن إبراهيم عن سليمان بن محمد بن يحيى بن عُروة عن أبيه عن عمّه عبد الله ابن عُروة قال: أَقْحَمَتِ السَّنَةُ[3] نابغةَ بني جعدة، فدخل على ابن الزبير المسجدَ الحرام، فأنشده: [الطويل]

حَكَيْتَ لَنَا الصِّدِّيقَ لَمَّا وَلِيتَنَا ... وعُثْمَانَ والفاروقَ فارتاحَ مُعْدِمُ

---

(١) حَكَمان: اسم لضياع بالبصرة سمّيت باسم الحكم بن أبي العاص (معجم البلدان ٢: ٢٨٠).

(٢) المطرف: كساء من خزّ ذو أعلام. والخمار: ما تغطّي به المرأة رأسها وكذلك يطلق على العمامة. والوافي: الدرهم.

(٣) أقحمته السنة: رماه الجَدْبُ وأصابه.

أتـاكَ أبـو لـيـلـى يَـجُـوبُ بـه الـدُّجَـى دُجَى اللَّيْلِ جَوَّابُ الفَلاَةِ عَثَمْثَمُ(١)
لِـتَـجْـبُـرَ مـنـه جَـانـبـاً زَعْـزَعَـتْ بِـهِ صُرُوفُ اللَّيالي والزَّمَانُ المُصَمِّمُ(٢)

فقال له ٱبن الزبير: هَوِّنْ عليكَ أبا ليلى، فإنّ الشِّعْرَ أهونُ وسائِلك عندنا، أمّا صفوةُ مالنا فلآلِ الزبير، وأما عَفوته(٣) فإنّ بني أسد بن عبد العُزَّى تشغلُها عنكَ وتَيْماً معها، ولكن لكَ في مال الله حَقَّان: حَقٌّ برؤيتك رسولَ اللهﷺ، وحَقٌّ بشِرْكَتِكَ أهلَ الإسلام في فَيْئهم؛ ثم أخذ بيده فدخل به دار النَّعَم، فأعطاه قلائص(٤) سبعاً وجَملاً رَجيلاً(٥)؛ وأَوْقَرَ(٦) له الإبلَ بُرًّا وتمراً وثياباً، فجَعل النابغة يستعجلُ فيأكلُ الحَبَّ صِرْفاً؛ فقال ٱبن الزبير: ويح أبي ليلى! لقد بلغَ به الجَهْدُ؛ فقال النابغة: أشهدُ أنّي سَمِعْتُ رسول اللهﷺ يقول: **«ما وَلِيَتْ قريشٌ فَعَدَلَتْ وٱسْتُرْحِمَتْ فرَحِمَتْ وحَدَّثَتْ فصَدَقَتْ ووعدَتْ خيراً فأنجزَتْ فأنا والنبيّون فُرَّاطُ القاصفينَ»**(٧) وقال الحرميّ: «فُرَّاطٌ لها ضُمُنٌ». قال الزُّبَيريّ: كتب يحيى بن مَعين هذا الحديث عن أخي.

[يهجو أبا موسى الأشعري بعد أن ضربه أسواطاً]

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح وهاشم بن محمد الخُزَاعيّ أبو دُلَف قالا: حدّثنا الرِّيَاشيّ قال: قال أبو سليمان عن الهَيْثم بن عديّ قال: رَعَتْ بنو عامر بالبَصرة في الزرع، فبعث أبو موسى الأشعريّ في طلبهم، فتصارخوا: يا آلَ عامر، يا آل عامر! فخرج النابغة الجعديّ ومعه عُصبة له؛ فأُتِيَ به إلى أبي موسى الأشعريّ، فقال له: ما أخرجَكَ؟ قال: سَمِعْتُ داعيةَ قومي؛ قال: فضربه أسواطاً؛ فقال النابغة: [الوافر]

رَأَيْـتُ الـبَـكْـرَ بَـكْـرَ بَـنِـي ثَـمُـودٍ وأَنْـتَ أراكَ بَـكْـرَ الأَشْـعَـرِيـنـا

---

(١) الجَوْبُ: خَرْقُ الشيء، والعثمثم: الجمل القوي الشديد.
(٢) رواية الديوان «ذعذعت» وهي بمعنى زعزعت أي أذهبت ماله وفرّقت حاله.
(٣) عفوة المال: خياره وما صفا منه وكَثُرَ.
(٤) القلائص: جمع القلوص: الإبل الشابّة.
(٥) الرَّجيل: القويّ على السَّيْر.
(٦) أوقرَ له الإبلَ: حَمَّلَها.
(٧) الحديث في: المعجم الكبير للطبراني ١٨: ٣٦٥، ومجمع الزوائد ١٠: ٢٥، والمطالب العالية لابن حجر ٢٠٥٦، وفي كنز العمال ٣٣٨٢٧.

فَإنْ يَكُنِ ٱبْنُ عَفّانٍ أَمِيناً فلم يَبْعَثْ بك البَرَّ الأَمِينَا
فيا قَبْرَ النَّبِيِّ وصاحِبَيْهِ ألاَ يا غَوْثَنا لو تَسْمَعُونا
ألاَ صَلَّى إلَهُكُمُ عَلَيْكُمْ ولا صَلَّى على الأُمَرَاءِ فِينَا

[خبره مع عليّ ومعاوية]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حَدّثنا بعض أصحابنا عن ٱبن دَأْب قال: لما خرجَ عليٌّ رضي الله تعالى عنه إلى صِفِّين خرجَ معه نابغةُ بني جَعْدة؛ فساق به يوماً فقال: [الرجز]

قد عَلِمَ المِصْرَانِ والعِرَاقُ أَنَّ عَلِيًّا فَحْلُها العُتَاقُ[1]
أَبْيَضُ جَحْجَاحٌ لهُ رُواقُ وأُمُّهُ غَالَى بِهَا الصَّدَاقُ[2]
أَكْرَمُ مَنْ شُدَّ بِهِ نِطَاقُ إنَّ الأُلَى جَارَوْكَ لا أفاقُوا
لهم سِيَاقٌ ولَكُمْ سِيَاقُ قد عَلِمَتْ ذَلِكُمُ الرِّفَاقُ
سُقْتُمْ إلى نَهْجِ الهُدَى وسَاقُوا إلى الّتي لَيسَ لها عِرَاقُ[3]

* في مِلَّةٍ عَادَتُها النِّفَاقُ *

فلما قَدِمَ معاويةُ بن أبي سفيان الكوفَة، قام النابغةُ بين يديه فقال: [الطويل]

أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ المَشْرِقَيْنِ رِسالتي وَأَيُّ نَصِيح لا يَبِيتُ على عَتْبِ[4]
مَلَكْتُمْ فكان الشَّرُّ آخِرَ عَهْدِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَدَارَكْكُمْ حُلُومُ بَنِي حَرْبِ

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهلَ النابغة ومالَه؛ فدخل النَّابغةُ على معاوية، وعنده عبدُ الله بنُ عامر[5] ومروان، فأنشده: [الطويل]

مَنْ رَاكِبٌ يأتي ٱبْنَ هِنْدٍ بِحَاجَتِي عَلَى النَّأْيِ والأَنْبَاءُ تُنْمَى وتُجْلَبُ[6]

---

(١) المِصران: الكوفة والبصرة. والعتاق: الكريم.

(٢) الجحجاح: السيّد.

(٣) يريد إلى مضلّة لا نهاية لها ولا غاية.

(٤) العَتْب: الموجدة.

(٥) عبد الله بن عامر بن كريز: قال فيه علي بن أبي طالب (رض) هو سيد فتيان قريش غير مدافع.

(٦) في الديوان «تنمي» يعني: تزيد. وتُنْمَى: من نميتُ الحديثَ إلى غيري نمياً: إذا أسندته ورفعته. وتُجلَب: تُحمل من بلد إلى بلد.

ويُخْبِرُ عَنِّي ما أقولُ ابنَ عامرٍ ونِعْمَ الفَتَى يَأْوِي إليه المُعَصَّبُ[١]
فإنْ تأخذوا أهلِي ومَالِي بظِنَّةٍ فَإِنِّي لَحَرَّابُ الرِّجالِ مُحَرَّبُ[٢]
صَبورٌ على ما يَكْرَهُ المَرْءُ كُلِّهُ سِوَى الظُّلْمِ إنّي إنْ ظُلِمْتُ سَأَغْضَبُ

فالتفت معاويةُ إلى مروان فقال: ما ترى؟ قال: أرى ألاّ تردّ عليه شيئاً؛ فقال: ما أهونَ والله عليكَ أن ينجحرَ هذا في غار ثم يقطع عرضي عَلَيَّ ثم تأخذه العربُ فتَرويه، أمَا والله إنْ كُنْتَ لممن يرويه! أُرْدُدْ عليه كلَّ شيءٍ أخذْتَهُ منه. وهذا الشعر يقوله النابغةُ الجعديُّ لِعقَال بن خُوَيلد العُقَيليّ يُحذِّرُهُ غِبَّ الظُّلْم لَمَّا أجار بني وائل بن مَعْن، وكانوا قتلوا رجلاً من جَعْدَة، فحذّرهم مثلَ حرب البَسوس إن أقاموا على ذلك فيهم.

قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: كان السببُ في قول الجعديّ هذه القصيدة أن المُنتشِر الباهليّ خرج فأغار على اليمن ثم رجعَ مُظَفَّراً، فوجد بني جعدة قد قتلوا ابناً له يقال له سِيدان، وكانت باهلة في بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ثم في بني جعدة، فلمّا أن علم ذلك المُنتشر وأتاه الخبرُ أغار على بني جعدة ثم على بني سُبيع في وَجْهه ذلك، فقتل منهم ثلاثةَ نفَر؛ فلما فعل ذلك تصدّعت باهلةُ فلحِقتْ فرقة منهم يقال لهم بنو وائل بعِقال بن خويلد العقيليّ، ولَحِقَتْ فرقةٌ أُخرى يقال لهم بنو قُتَيْبَة وعليهم حَجْلٌ الباهليّ بيزيد بن عمرو بن الصَّعِق الكلابيّ، فأجارهم يزيد، وأجار عِقالٌ وائلاً. فلما رأت ذلك بنو جَعدة أرادوا قِتالَهُمْ، فقال لهم عقالٌ: لا تقاتلوهم فقد أَجَرْتُهُمْ؛ فأمَّا أحدُ الثلاثة القَتلى منكم فهو بالمقتول، وأمّا الآخران فَعَلَيَّ عَقْلُهما[٣]؛ فقالوا: لا نقبل إلا القتالَ ولا نُريد من وائل غِيَراً (يعني الدّية)؛ فقال: لا تفعلوا فقد أَجَرْتُ القومَ؛ فلم يَزَلْ بهم حتى قَبِلوا الدِّية، وأنتقلتْ وائل إلى قومهم، فقال النابغة في ذلك قصيدتَه التي ذكر فيها عقالاً:

---

(١) ابن عامر: هو عبد الله بن عامر ويأوي إليه: يلجأ إليه ويعتصم به. والمُعَصَّب: هو الذي عصبته السنون أي أكلت ماله.

(٢) الحرّاب: مبالغة من الحارب: هو الذي يسلب أموالَ أعدائه في الحرب والغارة. والمحرَّب: من قولهم: حَرَبْتُهُ أي أغضبته. والظِّنّة: التُّهمة. وفي رواية الديوان «فإنّي لجرّابُ الرجالِ مجرِّب». والجرّاب: الكثير الاختبار لهم والاحتكاك بهم.

(٣) العقل: الدِّية.

[الطويل]

فَـأَبْـلِـغْ عِـقَـالاً أَنَّ غَـايَـةَ دَاحِـسٍ ... بِـكَـفَّـيْـكَ فَـاسْـتَـأْخِـرْ لـهـا أَوْ تَـقَـدَّمِ[1]

تُـجِـيـرُ عـلـيـنـا وَائِـلاً فـي دِمَـائِـنَـا ... كَـأَنَّـكَ عَـمَّـا نَـابَ أَشْـيَـاعَـنـا عَـمِ[2]

كُـلَـيْـبٌ لَـعَـمْـرِي كـانَ أَكْـثَـرَ نَـاصِـراً ... وأَيْـسَـرَ جُـرْماً مِـنـكَ ضُـرِّجَ بِـالـدَّمِ[3]

رَمَـى ضَـرْعَ نَـابٍ فَـاسْـتَـمَـرَّ بِـطَـعْـنَـةٍ ... كـحـاشـيـةِ الـبُـرْدِ الـيَـمَـانِـي الـمُـسَـهَّـمِ[4]

ومـا يَـشْـعُـرُ الـرُّمْـحُ الأَصَـمُّ كُـعُـوبُـهُ ... بِـثَـرْوةِ رَهْـطِ الأَبْـلَـخِ الـمُـتَـظَـلَّـمِ[5]

وقـال لِـجَـسَّـاس أَغِـثْـنِـي بِـشَـرْبَـةٍ ... تَـفَـضَّـلْ بـهـا طَـوْلاً عَـلَـيَّ وأَنْـعِـمِ[6]

فـقـال تَـجَـاوَزْتَ الأَحَـصَّ ومَـاءَهُ ... وبَـطْـنَ شُـبَـيْـثٍ وهـو ذو مُـتَـرَسَّـمِ[7]

---

(١) في رواية الديوان «وبَلِّغْ». وداحس: اسم فرس أضيفت إليه حرب كانت بين عبس وذبيان وهي حرب داحس واستمرت أربعين سنة.

(٢) في رواية الديوان «بدمائنا».

(٣) كُلَيْب: هو كليب بن وائل بن ربيعة.

(٤) النّاب: الناقة المسنّة. والبرد المسهّم: المخطّط بصور على شكل السهام. وناب: وهي ناقة خالة جساس.

(٥) الأصَمّ: الصّلب. والكعوب: العقد الفاصلة بين أنابيب القناة وإذا صلبت كعوبُها صلبَ سائرها. والثروة: كثرة العدد وأيضاً كثرة المال. والأبلخ: المتطاول كِبراً والشامخ بأنفه، والمتظلّم: الظالم.

(٦) الشطر الثاني في رواية الديوان:

«تَمَنَّ بها فضلاً عَلَيَّ وأَنْعِمِ».

(٧) الأحصّ: موضع بنجد (معجم البلدان ١:١١٣)، وشُبيث: اسم ماء لبني تغلب. والمترسَّم: موضع الماء لمن طلبه. وقيل إن قوله: «تجاوزت الأحصّ وشبيثاً» صار مثلاً يُضرَب لطالب الشيء بعد فوته.

حرب البسوس
وما قيل فيها من الشعر

وكان السببُ في قتل كُليبٍ[١] بن رَبيعة ـ فيما ذكره أبو عُبيدةَ عن مُقاتل الأحول بن سِنَان بن مَرْثَد بن عَبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مَرْثَد أخي بني قيس ابن ثَعْلبةَ، ونسختُ بعضَه من رواية الكَلْبيّ، وأخبرنا به محمدُ بن العباس اليزَيديّ عن عمّه عبيدِ الله عن ابن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل، فجمعتُ من روايتهم ما احتِيجَ إلى ذكره مختصرَ اللّفظ كاملَ المعنى ـ أَنَّ كُلَيْباً كان قد عَزَّ وسادَ في رَبيعة فبَغَى بَغْياً شديداً، وكان هو الذي يُنزِلُهم منازلَهم ويُرَحِّلُهم، ولا يَنزِلُون ولا يرحَلُون إلاّ بأمره. فبلغ من عِزِّه وبغيه أنه اتَّخَذَ جِرْوَ كلبٍ، فكان إذا نزل منزلاً به كَلأ قذف ذلك الجِرْوَ فيه فَيعْوِي، فلا يَرعَى أحدٌ ذلك الكلأ إلا بإذنه، وكان يَفعل هذا بحِياض الماء، فلا يَرِدُها أحدٌ إلا بإذنه أو مَنْ آذَنَ بِحَرْبٍ؛ فضرِب به المثلُ في العزّ فقيل: «أعزُّ من كُلَيبِ وائلٍ». وكان يَحمِي الصَّيْدَ، ويقولُ: صيدُ ناحية كذا وكذا في جِوَاري؛ فلا يَصيدُ أحدٌ منه شيئاً؛ وكان لا يَمُرُّ بين يديه أحدٌ إذا جلس، ولا يحتبي أحدٌ في مجلسه غيرهُ؛ فقتله جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ.

وقال أبو عُبيدةَ: قال أبو بَرْزَةَ القَيْسيّ وهو من ولد عمرو بن مَرْثَد: وكان كليبُ بنُ ربيعة ليس على الأرض بَكْريّ ولا تَغْلَبِيّ أجار رجلاً ولا بعيراً إلا بإذنه، ولا يحمي حِمًى إلا بأمره، وكان إذا حَمَى حِمًى لا يُقْرَبُ؛ وكان لِمُرّةَ بنِ ذُهْلِ بنِ شَيْبان بن ثَعْلبةَ عشرةُ بنينَ جَسَّاسٌ أصغرهُم، وكانت أختُهم عند كليب. وقال مُقاتِلٌ وفِرَاسٌ: وأمُّ جسَّاسٍ هَيْلَةُ بنتُ مُنقِذِ بن سليمانَ بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد

---

(١) اسم كُلَيْب هو «وائل» وإنّما كليب لقب غلب عليه لأنه كان عنده كلب صغير وكان يُضْرَبُ به المثل في العِزّ (مجمع الأمثال للميداني)

مَنَاةَ، ثم خلَف عليها سعد بن ضُبيعةَ بنِ قيس بن ثَعْلَبَةَ بعد مرّة بنِ ذُهْل، فولدتْ له مالكاً وعَوْفاً وثعلبةَ. قال فِراسُ بن خَنْدَق البَسُوسيّ: فهي أُمّنا. وخالة جسَّاس البَسُوس ـ وقال أبو بَرْزَةَ: البَسُوسِيّةُ ـ وهي التي يُقال لها: «أشْأَمُ من البَسُوسِ». فجاءت فنزلتْ على ٱبن أختها جَسّاس فكانت جارةً لبني مُرَّة ومعها ٱبنٌ لها، ولهم ناقةٌ خَوَّارةٌ[1] من نَعَم بني سعد ومعها فَصيل.

أخبرني عليّ بنُ سليمان قال قال أبو بَرْزَةَ: وقد كان كُليب قبل ذلك قال لصاحبته أُختِ جَسّاس: هل تَعْلَمِينَ على الأرض عربيًّا أمنعَ مِنّي ذِمَّةً؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتَتْ ثم أعاد عليها الثالثة، فقالت: نعم أخي جساسٌ ونَدْمَانُهُ ٱبن عمّه عمرو المُزْدَلِفُ بنُ أبي رَبيعة بن ذُهْل بن شَيْبان. وزعم مقاتِل أن امرأتَه كانت أختَ جَسّاسٍ، فبينا هي تَغسِلُ رأسَ كليب وتُسَرِّحُهُ ذاتَ يوم إذ قال: مَنْ أَعَزُّ وائل؟ فصمَتَتْ، فأعاد عليها؛ فلما أكثر عليها قالت: أَخَوَايَ جَسَّاسٌ وهَمَّامٌ؛ فنزَع رأسَه من يدها وأخذ القوسَ فرمى فصيلَ ناقةِ البَسُوس خالة جَسَّاس وجارة بني مُرّة فقتله؛ فأغمضُوا على ما فيه وسكتوا على ذلك. ثم لَقِيَ كُليبٌ ابن البَسُوس فقال: ما فعل فصيلُ ناقَتِكُمْ؟ قال: قَتَلْتَهُ وأخليْتَ لنا لبنَ أُمّه؛ فأغمضوا على هذه أيضاً. ثم إن كُلَيْباً أعاد على ٱمرأته فقال: مَنْ أعَزُّ وائل؟ فقالت: أخواي؛ فأضمرَها وأَسَرَّها في نفسه وسكتَ، حتى مَرَّتْ به إبلُ جَسَّاسٍ، فرأى الناقةَ فأنكرها، فقال: ما هذه الناقةُ؟ قالوا: لِخالة جَسَّاسٍ؛ قال: أو قد بلَغ من أمر ٱبن السَّعْديّة أن يُجيرَ عَلَيَّ بغيرِ إذني! إرْمِ ضَرْعَها يا غلامُ. قال فِرَاسٌ: فأخذ القوسَ فرمى ضَرْعَ النَّاقة فٱختلطَ دَمُها بلبنها؛ وراحت الرُّعاة على جسّاس فأخبروه بالأمر؛ فقال: احْلُبوا لها مِكيالَيْ لبنٍ بِمحلَبها ولا تَذكُروا لها من هذا شيئاً؛ ثم أغمضوا عليها أيضاً. قال مُقاتِلٌ: حتى أصابتهم سَمَاءٌ، فغدا في غِبِّها يَتمطّرُ[2]، ورَكِبَ جَسَّاسُ بن مُرَّةَ وٱبنُ عمّه عمرُو بن الحارث بن ذُهْل ـ وقال أبو بَرْزَةَ: بل عمرو بن أبي رَبيعة ـ وطعن عمرٌو كُليباً فحطَمَ صُلْبَهُ؛ وقال أبو بَرْزَةَ: فسكتَ جَسَّاسٌ، حتى ظَعَنَ ٱبنا وائل؛ فمرَّتْ بَكْرُ بن وائل على نِهْيٍ[3] يقال له شُبَيثٌ فنفاهم كُلَيْبٌ عنه وقال: لا يذوقون منه قطرةً، ثم مرُّوا على نِهْيٍ آخر يقال له الأَحَصُّ فنفاهم عنه وقال: لا يذوقون منه

---

(١) ناقة خَوَّارة: رقيقة حَسَنَة.
(٢) يتمطّر: يتنزّه.
(٣) النِّهي: الغدير.

قطرةً؛ ثم مرّوا على بطن الجَرِيب[1] فمنعهم إيّاه؛ فمضَوْا حتى نزلوا الذَّنائب[2]، وٱتّبعهم كليبٌ وحَيُّه حتى نزلوا عليه؛ ثم مَرَّ عليه جَسّاس وهو واقفٌ على غدير الذَّنائب فقال: طَرَدْتَ أهلَنا عن المياه حتى كِدْتَ تقتلُهم عَطَشاً! فقال كليبٌ: ما منعناهم من ماءٍ إلا ونحن له شاغلون؛ فمضى جَسّاسٌ ومعه ٱبنُ عمه المزدلِفُ. وقال بعضُهم: بل جَسّاسٌ ناداه فقال: هذا كَفِعْلِكَ بناقة خالتي؛ فقال له: أوَ قد ذكرتَها! أمَا إنّي لو وَجَدْتُها في غير إبل مُرّة لاستحللْتُ تلك الإبل بها. فعطفَ عليه جَسّاسٌ فرسَه فطعنه برمح فأنفذَ حِضْنيه[3]؛ فلما تَداءَمَهُ[4] الموتُ قال: يا جسّاس ٱسْقِني من الماء؛ قال: ما عَقَلْتُ ٱستسقاءَكَ الماءَ منذُ ولَدَتْكَ أُمُّكَ إلا ساعتَك هذه!. قال أبو بَرْزة: فعطَفَ عليه المُزدلف عمرو بن أبي ربيعةَ فٱحتزّ رأسَه. وأمّا مقاتلٌ فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذُهل الذي طعنه فقصَم صُلبَه. قال: وفيه يقول مُهلهِلٌ. [الوافر]

قَتيلٌ ما قتيلُ المَرْءِ عَمْرٍو ... وجَسّاسِ بنِ مُرّةَ ذو ضَريرِ[5]

وقال العباسُ بن مِرْداسٍ السُّلَميّ يُحَذّرُ كُلَيبَ بن عَهْمَةَ السُّلَميّ ثم الظَّفَريّ لما مات حربُ بنُ أُميةَ وخَنَقتِ الجنُّ مِرداساً وكانوا شركاءَ في القرية فجحَدَهم كُليبٌ حَظَّهم منها ـ وسنذكر خبرَ ذلك في آخر هذه الأخبار إن شاء الله تعالى ـ فحذَّره غِبَّ الظُّلم فقال: [الكامل]

أكُلَيبُ ما لَكَ كُلَّ يوم ظالماً ... والظُّلمُ أنْكَدُ وَجْهُهُ مَلعونُ
فٱفْعَلْ بِقَوْمِكَ ما أرَادَ بِوائلٍ ... يَوْمَ الغَديرِ سَمِيُّكَ المَطْعُونُ

وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام وهي تُنْحَلُ للأعشى: [الطويل]

ونحن قَهَرْنا تَغْلِبَ ٱبْنَةَ وائلٍ ... بِقَتْلِ كُلَيْبٍ إذ طَغَى وتَخَيَّلاَ
أبَأْنَاهُ بِالنَّابِ الّتي شَقَّ ضَرْعها ... فأصبحَ مَوْطُوءَ الحِمَى مُتَذَلِّلا[6]

---

(١) الجريب: اسم وادٍ عظيم يصبّ في بطن الرمّة من أرض نجد (معجم البلدان ٢: ١٣١).
(٢) الذنائب: ثلاث هضبات بنجد وسوق الذنائب: قرية من أرض اليمن بها قبر كليب.
(٣) الحِضن: ما دون الإبط إلى الكشح.
(٤) تداءمه: دَهَمَهُ.
(٥) الضرير: الشدّة، وذو ضرير: ذو شدة وصبر على المصاعب.
(٦) أباء القاتل بالقتيل: قتله به.

قال: ومَقتلُ كُلَيب بالذّنائب عن يسار فَلْجَةَ[1] مُصعِداً إلى مكّة، وقبرهُ بالذنائب، وفيه يقول المهلهلُ: [الوافر]

ولـو نُـبِـشَ الـمَـقَـابِـرُ عَـنْ كُـلَـيْـبٍ ... فَـيُـخْـبَـرَ بِـالـذَّنَـائـبِ أيُّ زِيـرِ

قال أبو بَرْزَةَ: فلما قتله أمالَ يَدَه بالفرس حتى أنتهى إلى أهله. قال: وتقول أخته حين رأته لأبيها: إنّ ذا لَجَسَّاسٌ أتى خارجاً ركبتاه؛ قال: والله ما خرجت ركبتاه إلا لأمر عظيم!. قال: فلما جاء قال: ما وراءكَ يا بُنَيَّ؟ قال: ورائي أني قد طَعَنْتُ طعنةً لَتُشْغَلَنَّ بها شيوخُ وائل زمناً؛ قال: أقتلتَ كُليباً؟ قال: نعم، قال: وَدِدْتُ أنكَ وإخوتَكَ كنتم مُتّم قبل هذا، ما بي إلا أن تتشاءمَ بي أبناءُ وائل. وزعم مُقاتلٌ أن جسّاساً قال لأخيه نَضْلَةَ بن مرّة ـ وكان يُقال له عَضُدُ الحمار ـ: [الوافر]

وإنّـي قـد جَـنَـيْـتُ عـلـيـكَ حَـرْبـاً ... تُـغِـصُ الـشَّـيْـخَ بِـالـمَـاءِ الـقَـرَاح
مُـذَكَّـرةً مـتـى مـا يَـصْـحُ عـنـهـا ... فَـتًـى نَـشِـبَـتْ بِـآخَـرَ غـيـرِ صَـاحِ[2]
تُـنَـكِّـلُ عَـنْ ذُبَـابِ الـغَـيِّ قَـوْمـاً ... وتَـدْعُـو آخَـرِيـنَ إلـى الـصَّـلاحِ[3]

فأجابه نَضْلَةُ: [الوافر]

فـإنْ تَـكُ قـد جَـنَـيْـتَ عَـلَـيَّ حَـرْبـاً ... فـلا وَانٍ ولا رَثُّ الـسِّـلاَحِ

قال أبو بَرْزَةَ:

وكان همّامُ بن مُرة آخَى مُهَلْهِلاً وعَاقَدَهُ ألاّ يَكْتُمَه شيئاً؛ فجاءت إليه أَمَةٌ له فأسرَّتْ إليه قَتْلَ جسّاس كليباً؛ فقال له مُهلهِلٌ: ما قالت؟ فلم يُخْبِرْهُ؛ فذكَّرَهُ العَهْدَ بينهما؛ فقال: أخبرتْ أنّ جسّاساً قتلَ كليباً؛ فقال: ٱسْتُ أخيكَ أضيقُ من ذلك؛ وزعم مُقاتلٌ أنّ همّاماً كان آخَى مُهَلْهِلاً وكان عاقده ألاّ يكتمَه شيئاً؛ فكانا جالسَيْنِ، فمرَّ جسّاسٌ يَركُضُ به فرسُه مُخرِجاً فَخذيه؛ فقال همّام: إنّ له لأمراً، والله ما رأيتُه كاشفاً فَخذيه قطُّ في رَكْضٍ؛ فلم يلبَثْ إلا قليلاً حتى جاءته الخادم فسارَّتْهُ أَنَّ جَسَّاساً قَتَل كليباً؛ فقال له مُهلهلٌ: ما أخبرَتْكَ؟ قال: أخبرتْنِي أن أخي قتلَ أخاك؛ قال: هو أضيقُ ٱستاً من ذلك. وتَحَمَّلَ القومُ، وغدا مُهلهلٌ بالخيل.

---

(١) فلجة: منزل على طريق مكة (معجم البلدان ٤ : ٢٧٢).
(٢) مذكّرة: شديدة صعبة.
(٣) الذُّباب: الشرّ والأذى.

وقال المُفَضَّلُ في خبره: فلما قُتِلَ كليبٌ قالت بنو تَغلِبَ بعضُهم لبعض: لا تَعجَلُوا على إخوتكم حتى تُعْذِرُوا بينكم وبينهم؛ فأنطلق رهطٌ من أشرافهم وذوي أسنانهم حتى أتَوْا مُرَّةَ بنَ ذُهْل، فعظَّمُوا ما بينهم وبينه، وقالوا له: اختَرْ منّا خِصَالاً: إمّا أن تَدْفَعَ إلينا جَسَّاساً فنقتلَه بصاحبنا فلم يَظْلِمْ مَنْ قَتلَ قاتلَه، وإمّا أن تدفعَ إلينا همّاماً، وإمّا أن تُقِيدَنا من نفسك؛ فسكتَ، وقد حَضَرَتْهُ وجُوه بني بكر ابن وائل فقالوا: تكلَّمْ غيرَ مخذول؛ فقال: أمّا جسَّاسٌ فغلامٌ حديثُ السنّ رَكِبَ رأسَهُ فهَربَ حين خاف فلا عِلْمَ لي به، وأمّا همّامٌ فأَبُو عَشرةٍ وأخو عشرة، ولو دفعتُه إليكم لَصَيَّحَ بنوه في وجهي وقالوا: دفعتَ أبانا للقتل بجَرِيرة غيره؛ وأمّا أنا فلا أتعَجّلُ الموتَ، وهل تَزِيدُ الخيلُ على أن تجولَ جولَةً فأكونَ أوّلَ قتيل! ولكن هل لكم في غير ذلك؟ هؤلاء بنيّ، فدُونَكُمْ أحدَهم فاقتلُوه به، وإن شئتُم فلكم ألفُ ناقةٍ تَضْمَنُها لكم بكرُ بنُ وائل؛ فغَضِبوا وقالوا: إنّا لم نأتِكَ لِتُرذِلَ[1] لنا بنيكَ ولا لِتَسُومَنا اللّبن؛ فتفرَّقوا، ووقعت الحربُ. وتُكُلِّمَ في ذلك عند الحارث بن عُبَادٍ، فقال: «لا ناقة لي في هذا ولا جمل»، وهو أوّل من قالها وأرسلها مثلاً. قالوا جميعاً: كانت حربهم أربعين سنة، فيهنّ خمسُ وقَعات مُزاحَفات، وكانت تكون بينهم مُغَاورات[2]، وكان الرَّجُلُ يلقى الرَّجلَ والرَّجلانِ الرَّجلين ونحو هذا. وكان أوّلُ تلك الأيام يوم عُنَيزةَ[3]، وهي عند فَلْجةَ، فتكافأُوا فيه لا لبكر ولا لِتَغْلِبَ؛ وتصديق ذلك قولُ مُهَلْهِلٍ: [الوافر]

كَأنّا غُدْوَةً وَبَني أَبِينا ... بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ رَحَيَا مُدِيرِ[4]
ولولا الرِّيحُ أُسْمِعُ مَنْ بِحَجْرٍ ... صَلِيلَ البِيضِ تُقْرَعُ بِالذُّكورِ[5]

فتفرّقوا، ثم غبروا زماناً، ثم التقَوْا يوم وارِدَات[6]، وكان لتغلِبَ على بكر، وقتلوا بكراً أشدَّ القتل، وقتلوا بُجيراً؛ وذلك قولُ مُهلهِلٍ: [الوافر]

فَإنّي قد تَرَكْتُ بِوارِداتٍ ... بُجَيْراً في دَمٍ مِثْلِ العَبِيرِ

(١) لترذل: لتعطينا رذال بنيك، ورذال الشيء: أردؤه.
(٢) مغاورات: غارات متبادلة.
(٣) عنيزة: من أودية اليمامة قرب سُواج، وقُرى عنيزة بالبحرين (معجم البلدان ٤: ١٦٣).
(٤) رَحَيان: مثنى الرَّحَا: الحجر العظيم المستدير الذي يطحن عليه.
(٥) حَجْر: مدينة باليمامة (معجم البلدان ٢: ٢٢١). والصليل: الصوت. والذكور: السيوف.
(٦) واردات: موضع عن يسار طريق مكة (معجم البلدان ٥: ٣٤٧).

هَـتَـكْـتُ بِـه بـيـوتَ بَـنِـي عُـبَـادٍ ... وبَـعْـضُ الـغَـشْـمِ أَشْـفَـى لِـلـصُّـدورِ

قال مُقاتِلٌ: إنه إنما التُقِطَ تَوًّا، وسيجيء حديثُه أسفلَ من هذا. التوّ: الفرد، يقال: وجدته تَوًّا، أي وحده.

قال أبو بَرْزَةَ: ثم انصرفوا بعد يوم واردات غيرَ بني ثَعْلبة بن عُكَابةَ ورَأَسُوا على أنفسهم الحارثَ بن عُبَادٍ، فأتّبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة، حتى التقوْا بالحِنْوِ[1]، فظهرت بنو ثعلبة على تَغْلِبَ.

قال مقاتل: ثم التقوْا يومَ بطن السَّرْو، وهو يوم القُصَيبات[2]، وربما قبل يوم القُصَيبة، وكان لبني تَغْلِب على بَكْر، حتى ظنّت بكرٌ أن سيقتلونها ـ قال مقاتل: وقتلوا يَومئذٍ همّامَ بن مرّة ـ. ثم التقوْا يومَ قِضَةَ وهو يومُ التحالُقِ ويومُ الثَّنِيّة. ويومُ قِضَة ويومُ الفَصيلِ لِبَكْر على تَغْلِب، قال أبو برزة: إتّبَعَتْ تغلب بكراً فقطعوا رمَلاتِ خَزَازَى[3] والرَّغَامَ[4] ثم مالوا لبطن الحِمارة[5]؛ فوردت بكرٌ قِضَةَ فسقَتْ وأَسْقَتْ ثم صدَرتْ وَحَلأُوا[6] تغلِبَ، ونهضوا في نُجْعَةٍ[7] يقال لها مُوَيبة لا يجوز فيها إلا بعير بعير؛ فلحِقَ رجل من الأَوْس بن تغلب بِغُلَيِّم من بني تَيْم اللاّت بن ثَعْلبة يطردُ ذَوْداً[8] له، فطعَنَ في بطنِه بالرمح ثم رفعه فقال: تَحَدَّ بِي أُمَّ البَوِّ على بَوِّكَ[9]. فرآه عَوْف بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة، فقال: أَنفِذوا جملَ أسماءَ (ابنته) فإنه أمضى جِمالِكم وأجودُها مَنْفَذاً، فإذا نَفِذَ تَبِعَتْهُ النَّعَمُ؛ فوثب الجمل في المُوَيبة، حتى إذا نهضَ على يديه وأرتفعت رجلاه ضرب عُرْقوبيه وقطع بِطانَ الظَّعِينةِ فوقع فَسَدَّ الثَّنيةَ ـ ثم قال عوف: أنا البُرَكُ أَبْرُكُ حيث أُدرِكُ، فَسُمِّيَ البُرَك ـ ووقع النَّاس إلى الأرض لا يرون مَجازاً، وتحالقوا لتعرفهم النساء؛ فقال جَحْدر بن ضُبَيعة بن قيس أبو المَسَامعة ـ وأسمه رَبيعة؛ قال: وإنما سُمِّيَ جحدراً

---

(١) الحِنْو: موضع في ديار بكر وتغلب ويوم الحنو مشهور من أيام العرب (معجم البلدان ٢ : ٣١٢).
(٢) القصيبات: موضع في ديار بكر وتغلب.
(٣) خزازى: جبل في ناحية منعج على يسار طريق البصرة إلى المدينة (معجم البلدان ٢ : ٣٦٥).
(٤) الرغام: من نواحي اليمامة (معجم البلدان ٣ : ٥٤).
(٥) الحمارة: اسم حَرَّة، والحمادة: ناحية باليمامة لبني عدي بن مناة (معجم البلدان ٢ : ٢٩٨).
(٦) حلأوا تغلب: طردوها عن الماء ومنعوها من الورود.
(٧) النُّجعَة: طلب الكلأ ومساقط المطر.
(٨) الذَّوْد: البعير من الإناث ويكون عدده بين الثلاثة والعشرة.
(٩) البَوّ: ولدُ الناقةِ.

لِقِصَرِه ـ: لا تحلقوا رأسي فإني رجلٌ قصير، لا تَشِينوني، ولكنّي أشترِيه منكم بأوّلِ فارس يطلعُ عليكم من القوم؛ فطلع ٱبن عَنَاق فشَدَّ عليه فقتله، فقال رجل من بكر ابن وائل يمدح مِسْمَع بن مالك بذلك: [الرجز]

يـاَبنَ الَّـذي لَـمَّـا حَـلَـقْـنَـا الـلِّـمَـمَـا ابْـتَـاعَ مِـنَّـا رَأْسَـهُ تَـكَـرُّمَـا[1]
* بِـفَـارسٍ أَوَّلِ مَـنْ تَـقَـدَّمَـا *

وقال البكريّ: [الطويل]

ومـنَّـا الَّـذي فَـادَى مِـنَ الـقَـوْمِ رَأْسَـهُ بِـمُسْتَلْئِمٍ مِنْ جَمْعِهِمْ غيرِ أَعْزَلا[2]
فَـأَدَّى إلـيـنـا بَـزَّهُ وسِـلاحَـهُ ومُـنْـفَـصِلاً مِنْ عُنْقِهِ قد تَـزَيَّـلا[3]

قال: وكان جَحْدَرٌ يرتجِزُ يومئذ ويقول: [الرجز]

رُدُّوا عَـلَـيَّ الـخَـيْـلَ إنْ أَلَـمَّـتِ إنْ لـم أُقَـاتِـلْـهُـمْ فَـجُـزُّوا لِـمَّـتـي

وزعم عامر بن عبد الملك المِسْمَعيّ أنه لم يَقُلْها، وأن صخر بن عمرو السُّلَميّ قائلُها؛ فقال مِسْمَع: كَرْدِين (كذب) عامر. وقال البَكْريّ: [الطويل]

ومِـنَّـا الَّـذي سَـدَّ الـثَّـنِـيَّـةَ غُـدْوةً عـلـى حَـلْـفَـةٍ لـم يُبْقِ فيـهـا تَـحَـلُّـلاَ
بِـجَـهْـدِ يـمـيـنِ اللهِ لايَـطْـلُـعُـونَـهـا . ولَـمَّـا نُقَاتِلْ جَمْعَهُمْ حِينَ أَسْهَلاَ

وأمّا مقاتل فزعم أنهم قالوا: اتَّخِذوا عَلَماً يَعْرِفُ به بعضُكم بعضاً، فتحالقوا. وفيه يقول طرفة:

صوت

[الرمل]

سَـائِـلُـوا عَـنَّـا الَّـذي يَـعْـرِفُـنَـا بِـقُـوَانـا يَـوْمَ تَـحْـلاَقِ الـلِّـمَـمْ
يَـومَ تُـبْـدِي الـبِـيـضُ عـن أَسْؤُقِـهـا وتَـلُـفُّ الـخَـيْـلُ أَعْـرَاجَ الـنَّـعَـمْ[4]

غنّى في هذين البيتين ٱبن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن الهِشاميّ، وذكر أحمد بن المكيّ أنه لمعبد.

---

(١) اللِّمّة: الشَّعر يجاوز شحمة الأذن.

(٢) المستلئم: لابس اللأمة: وهي السلاح الكامل من رمح وبيضة وسيف ونبل ودرع.

(٣) البَزّ: نوع من الثياب.

(٤) الأسؤق: جمع الساق، والبيض صفة للنساء، أي يوم تكشف النساء البيض عن أرجلها من الفزع استعداداً للهرب. والأعراج جمع العَرج: القطيع من الإبل. والنَّعَم: الإبل.

[أحداث متفرّقة]

وزعم مقاتل أنّ هَمّام بن مُرّة بنِ ذُهْل بن شَيْبان، لم يَزَلْ قائدَ بكر حتى قُتل يوم القُصَيبات، وهو قبل يوم قِضَة، ويوم قِضَة على أثَره. وكان من حديث مقتلِ هَمّام أنه وجَد غلاماً مطروحاً، فالتقطه وربّاه وسمّاه ناشِرةَ فكان عنده لَقِيطاً؛ فلما شَبَّ تَبَيَّنَ أنه من بني تَغْلِب؛ فلمّا التقَوْا يومَ القُصَيبات جعل هَمّام يقاتل، فإذا عَطِشَ رجع إلى قِرْبةٍ فشرِبَ منها ثم وضع سلاحَه؛ فوجد ناشرةُ من هَمَّام غفلةً، فشَدّ عليه بالعَنَزَة(1) فأقْصَدَهُ فقتله، ولَحِقَ بقومه تغلِبَ. فقال باكي هَمّام: [الرجز]

لـقـد عَـيَّـلَ الأقـوامَ طَـعْـنَـةُ نَـاشِـرَهْ أَنَـاشِـرُ لا زَالَـتْ يَـمِـيـنُـكَ آشِـرَهْ(2)

ثم قَتَلَ ناشِرةَ رجلٌ من بَنِي يَشْكُر. فلمّا كان يومُ قِضَة وتجمَّعَتْ إليهم بكر، جاء إليهم الفِنْد الزِّمَّانِيّ أحد بني زِمّان بن مالك بن صَعْب بن عليّ بن بَكْر بن وائل من اليمامة، قال عامر بن عبد الملك المِسْمَعيّ: فَرَأَسوه عليهم؛ فقلت أنا لِفراس ابن خَنْدَق: إن عامراً يزعم أن الفِنْدَ كان رئيس بكر يوم قِضَةَ؛ فقال: رَحِمَ الله أبا عبد الله! كان أَقَلَّ النَّاسِ حَظّاً في عِلْم قومه. وقال فِراس: كان رئيسَ بكر بعد همّام الحارثُ بن عُبَاد. قال مقاتل: وكان الحارث بن عُبَاد قد اعتزلَ يوم قتل كُلَيْب، وقال: لا أنا من هذا ولا ناقتي ولا جملي ولا عِدْلي، وربما قال: لست من هذا ولا جملي ولا رَحْلي، وخذَّل بكراً عن تَغلِبَ، واستعظم قتلَ كُلَيب لسؤدده في ناقة. فقال سعد بن مالك يحضّض الحارثَ بن عُبَاد: [مجزوء الكامل]

يـا بُـؤْسَ لِـلْـحَـرْبِ الَّـتـي وَضَـعَـتْ أَرَاهِـطَ فـاسْـتَـرَاحُـوا(3)
والـحَـرْبُ لا يَـبْـقَـى لِـجَـا حِـمِـهـا الـتَّـخَـيُّـلُ والـمِـرَاحُ(4)
إلاّ الـفَـتَـى الـصَّـبَّـارُ فـي الـنَّـ جَـدَاتِ والـفَـرَسُ الـوَقَـاحُ(5)

---

(1) العَنَزة: عصاً تشبه العكّازة وتستخدم لنفس الغرض وفي طرفها سنان مثل سنان الرمح.
(2) عيّلتهم الطعنةُ: أفقرتهم وأحوجتهم إلى الغير لأن القتيل كان مسؤولاً عنهم. وآشرة: مشقوقة.
(3) أراهط: جمع أَرْهُط، ورَهْطُ القوم: قومُه وقبيلته، والرَّهْطُ: ما دون العشرة من الرجال، ولا تكون بينهم امرأة.
(4) التخيّل: التكبر، والمراح: البطر.
(5) الفرس الوَقّاح: الصلب القوي.

فلمّا أُخذ بُجَيْرُ بن الحارث بن عُبَاد تَوًّا بوارِدات - وإنما سُلَّ ولم يؤخذ في مُزَاحَفة - قال له مُهَلْهِل: مَن خالُك يا غلام؟!. قال آمرؤ القيس بن أَبَان التَّغْلبيّ لمهلهل: إني أرى غلاماً لَيُقْتَلَنَّ به رجل لا يُسْأَلُ عن خاله، وربما قال عن حاله - قال: فكان والله آمرؤ القيس هو المقتول به، قتله الحارث بن عُبَاد يوم قِضَة بيده - فقتله مهلهل. قال: فلمّا قتَل مهلهل بُجَيْراً قال: بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ[1] كُلَيْبٍ؛ فقال له الغلام: إن رَضِيَتْ بذلك بنو ضُبَيعة بن قيس رَضِيتُ. فلما بلغ الحارثَ قتلُ بُجَير ابنِ أخيه - وقال أبو بَرْزَة: بل بجير بن الحارث بن عُبَاد نفسِه - قال نِعْمَ الغلامُ غلامٌ أصلح بين آبْني وائلٍ وباء بِكُلَيب. فلما سمعوا قول الحارث: قالوا له: إنّ مهلهلاً لمّا قتله قال له: بُؤْ بِشِسْعِ نعل كليب - وقال مهلهل: [الرجز]

كُلُّ قَتيلٍ في كُلَيْبٍ حُلاّمْ ... حتى ينالَ القَتْلُ آلَ هَمّامْ[2]

وقال أيضاً: [الرجز]

كلُّ قتيلٍ في كُلَيبٍ غُرَّهْ ... حتى يَنَالَ القَتْلُ آلَ مُرَّهْ[3]

فغضِبَ الحارث عند ذلك فنادى بِالرَّحيل، قال مقاتل: وقال الحارث بن عُبَاد: [الخفيف]

قَرِّبا مَرْبَطَ النَّعامةِ مِنّي ... لَقِحَتْ حَرْبُ وَائلٍ عن حِيالِ[4]

لا بُجَيرٌ أَغْنَى قَتِيلاً ولا رَهْـ ... ـطُ كُلَيبٍ تَزَاجَرُوا عن ضَلالِ

لم أَكُنْ من جُنَاتِها عَلِمَ اللّـ ... ـهُ وإنّي بِحَرِّها اليومَ صَالِ

قال: ولم يُصَحِّحْ عامر ولا مِسْمَع غير هذه الثلاثة الأبيات، وزعم أبو بَرْزة قال: كان أوّل فارس لقي مهلهلاً يوم وارِدات بُجَير بن الحارث بن عُبَاد، فقال: مَنْ خالُك يا غلام، وبوّأ نحوَه الرمحَ؛ فقال له آمرؤ القيس بن أَبَان التَّغْلِبيّ - وكان على مقدِّمتهم في حروبهم -: مهلاً يا مهلهل! فإنّ عمّ هذا وأهلَ بيته قد آعتزلوا حربنَا ولم يدخلوا في شيء مما نكره، ووالله لئن قتلتَه لَيُقْتَلَنَّ به رجلٌ لا يُسْأَلُ عن

---

(١) باء فلان بفلان: قُتِلَ به. وشِسع النعل: قِبالها الذي يُشَدُّ به الزمام.

(٢) حُلاّم: أي كلّ مَنْ قُتِلَ في كليب ناقص عن الوفاء به إلا آل همام أو شيبان.

(٣) الغُرّة: العبد أو الأمَة.

(٤) النعامة: اسم فرس الحارث بن عبّاد. واللِّقاح: الحامل. وحرب لاقحٌ على المجاز: شبّهها بالأنثى الحامل التي لا يدرى متى تلد. وحالت الأنثى: لم تحمل.

نَسَبِهِ؛ فلم يَلتفِتْ مهلهل إلى قوله وشَدّ عليه فقتله، وقال: بُؤْ بِشِسْع نعل كليب؛ فقال الغلام: إن رَضِيَتْ بهذا بنو تَغْلبة فقد رَضِيتُه. قال: ثم غَبروا زماناً، ثم لَقِيَ هَمّامَ بن مرّة فقتله أيضاً. فأتى الحارثَ بن عُبَاد فقيل له: قتل مهلهل هماماً؛ فغضِبَ وقال: رُدُّوا الجِمَالَ على عَكَرِها[1] «الأمرُ مخلوجةٌ ليسَ بِسُلْكَى»[2]؛ وجَدَّ في قتالهم. قالَ مقاتل: فكان حَكَمَ بكر بن وائل يومَ قِضَةَ الحارثُ بن عُبَاد؛ وكان الرئيسَ الفِنْدُ، وكان فارسَهم جَحْدَرٌ، وكان شاعرَهم سعدُ بن مالك بن ضُبَيعة، وكان الذي سدّ الثنيَّةَ عوفُ بن مالك بن ضُبَيعة؛ وكان عوفٌ أنْبه من أخيه سعد.

[أسر المهلهل ثم نجاته]

وقال فِرَاس بن خَنْدَق: بل كان رئيسَهم يوم قِضَةَ الحارثُ بن عُبَاد. قال مقاتل: فأسَرَ الحارثُ بن عباد عَدِيًّا ـ وهو مهلهل ـ بعد ٱنهزام الناس وهو لا يعرفه؛ فقال له: دُلَّني على المهلهل؛ قال: ولي دَمِي؟ قال: ولكَ دَمُكَ؛ قال: ولي ذِمّتُك وذمّةُ أبيك؟ قال: نعم، ذلك لك؛ قال: فأنا مُهَلْهِل. قال: دُلَّني على كُفءٍ لِبُجَيْر؛ قال: لا أعلمه إلا ٱمرأَ القيس بن أَبَان، هذاك عَلَمُه؛ فَجزّ ناصيته وقصَدَ قَصْدَ ٱمرىء القيس فشَدَّ عليه فقتله، فقال الحارث في ذلك: [الخفيف]

لَهْفَ نفسي على عَدِيٍّ ولم أعـ ... ـرِفْ عَدِيًّا إذ أَمكَنَتْنِي اليَدَانِ
طُلَّ مَنْ طُلَّ في الحروبِ ولم أو ... تِرْ بُجَيراً أَبَأْتُه ٱبنَ أبانِ[3]
فارسٌ يَضرِبُ الكَتِيبةَ بالسَّيْـ ... ـفِ وتَسمُو أَمَامَهُ العَيْنانِ

وزعم حُجْر أنّ مُهَلْهِلاً قال: لا والله أوْ يَعْهَدَ لي غيرُكَ؛ قال الحارث: ٱخترْ مَنْ شِئْتَ؛ قال: أختار الشيخَ القاعد عَوْفَ بن مُحَلِّم؛ قال الحارث: يا عوفُ أَجِرْهُ؛ قال: لا! حتى يقعدَ خَلْفي؛ فأمره فقعد خلفه؛ فقال: أنا مُهَلهِل. وأمّا مقاتل فقال: إنما أخذه في دَوْرِ الرَّحَى وحَوْمة القتال ولم يقعد أحد بعدُ، فكيف يقول الشيخَ القاعدَ!.. قال مقاتل: وشدّ عليهم جَحْدَرٌ، فٱعتوره عمرو وعامر،

---

(١) العَكَر: جمع العكرة: القطيع الكبير من الإبل.

(٢) المخلوجة: الطعنة ذات اليمين وذات الشمال. والسُّلْكى: المستقيمة. وورد في تاج العروس (خلج): «يقال في الأمثال: الرّأيُ مخلوجةٌ وليست بِسُلْكَى، أي يُصْرَف مَرّةً كذا ومرّةً كذا حتى يَصِحَّ صوابُه.

(٣) طُلَّ دم القتيل: ذهب هدراً. والوِتْرُ: الثأر.

فطعن عمراً بعالية الرمح وطعن عامراً بسافِلته[١] فقتلهما عِدَاءً[٢] وجاء بِبَزِّهما. قال عامر بن عبد الملك المِسْمَعِي: فحدّثني رجلٌ عالم قال: سألني الوليدُ بن يزيد: مَنْ قتلَ عَمْراً وأخاه عامراً؟ قلت: جَحْدَر؛ قال: صدقتَ، فهل تدرِي كيف قتلهما؟ قلت: نعم، قتل عمراً بسِنَان الرمح، وقتل عامراً بزُجِّهِ. قال: وقتل جحدرٌ أيضاً أبا مِكْنَفٍ. قال مقاتل: فلمّا رجع مُهلهِل بعد الوَقْعَة والأَسْرِ إلى أهله، جعل النساء والولدانُ يستخبرونه: تسأل المرأة عن زوجها وٱبنها وأخيها، والغلامُ عن أبيه وأخيه؛ فقال: [الخفيف]

لَيس مِثلي يُخَبِّرُ النَّاسَ عَنْ آ ... بائِهم قُتِّلوا ويَنْسَى القِتالاَ
لَمْ أَرِمْ عَرْصَةَ الكَتيبةِ حَتّى ٱنـ ... ـتَعلَ الوَرْدُ مِنْ دماءٍ نِعالا[٣]
عَرَفَتْهُ رِمَاحُ بَكْرٍ فما يأ ... خُذنَ إلا لَبَانَهُ والقَذَالا[٤]
غَلَبُونا، ولا مَحَالَةَ يَوْماً ... يَتَقَلَّبُ الدَّهرُ ذاكَ حالاً فحالاَ

ثم خرج حتّى لَحِقَ بأرض اليمن، فكان في جَنْبٍ[٥]، فخطب إليه أحدُهم ٱبنتَه فأبى أن يفعل، فأكرهوه فأنكحها إياه؛ فقال في ذلك مهلهِل:

أَنْكَحَها فَقْدُها الأَرَاقِمَ في ... جَنْبٍ وكان الحِبَاءُ مِنْ أَدَمِ[٦]
لو بِأَبَانَيْنِ جاءَ يَخْطُبُها ... ضُرِّجَ ما أَنْفُ خاطبٍ بِدَمِ[٧]
أَصْبَحْتُ لا مُنْفِساً أَصَبْتُ ولا ... أُبْتُ كريماً حُرًّا مِنَ النَّدَمِ[٨]
هَانَ على تَغْلِبٍ بِمَا لَقِيتْ ... أُخْتُ بَنِي المالِكِينَ مِنْ جُشَمِ
لَيْسُوا بِأَكْفَائِنَا الكِرَامِ ولا ... يُغْنُونَ مِنْ عَيْلَةٍ ولا عَدَمِ

ثمَّ إنَّ مهلهِلاً ٱنحدرَ، فأخذه عمرو بن مالك بن ضُبَيعة، فطلب إليهِ أخوالُه بنو

---

(١) عالية الرمح: سنانه، وسافلته: الحديدة التي في أسفله.
(٢) عِدَاءً: أي بطعنتين متواليتين.
(٣) لم أَرِمْ: لم أبرح. والعرصة: الساحة. والورد من الخيل: الذي لونه بين الكميت والأشقر أو هو اللون الأحمر الضارب إلى الصفرة.
(٤) اللّبَان: الصدر. والقَذَال: جماع مؤخَّر الرأس وهو مَعْقِدُ العِذار من الفَرَس خلفَ الناصية.
(٥) جَنْب: حيّ باليمن من مذحج (معجم البلدان ٢: ١٦٧).
(٦) الأراقم: حيّ من تغلب. والحِباء: العطاء.
(٧) أبانان: جبلان بنواحي البحرين يقال لأحدهما أبان الأبيض وللثاني أبان الأسود (معجم البلدان ١: ٦٢).
(٨) المنفِس: المال الكثير.

يَشْكُر - وأُمّ مهلهلٍ المرادة بنت ثَعْلبة بن جُشَم بن غُبَر اليَشْكُريّة، وأُختها مَنَّة بنت ثَعْلبة أمّ حُيَيّ بن وائلٍ، وكان المحَلّل بن ثَعْلبة خالَهما - فطلب إلى عمرو أن يدفعه إليه فيكون عنده ففعل؛ فسقاه خمراً، فلما طابت نفسهُ تَغَنَّى: [الخفيف]

طَفْلَةٌ ما ٱبْنَةُ المُحَلَّلِ بيضا ءُ لَعُوبٌ لَذِيذَةٌ في العِنَاقِ[1]

حتى فرغ من القصيدة، فأدّى ذلك مَنْ سَمِعَهُ من المُهلهِل إلى عمرو، فحوّله إليه وأقسم ألاّ يذوق عنده خمراً ولا ماءً ولا لبناً حتى يَرِدَ رِبيبٌ الهِضَابَ (جمل له كان أقلَّ ورودِه في الصيف الخِمْسَ[2])؛ فقالوا له: يا خير الفتيان، أَرسِلْ إلى ربيبٍ فَلْتُؤتَ به قبل وروده، ففعل فأَوْجَرَهُ ذَنُوباً[3] من ماء؛ فلما تَحَلّل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة، وهو أوبأ ماءٍ رأيته، فمات. فتلك الهِضَاب التي كان يرعاها ربيبٌ يقال لها هِضاب ربيب، طالما رعيتُهنّ ورأيتهنّ. قال مقاتل: ولم يُقاتلْ معنا من بني يَشْكُرَ ولا من بني لُجَيم ولا ذُهْلِ بنِ ثَعْلبة غيرُ ناس من بني يَشْكر وذُهْلٍ قاتلتْ بأَخَرَةٍ[4]، ثم جاء ناس من بني لُجَيم يوم قِضَةَ مع الفِنْدِ، وفي ذلك يقول سَعْد بن مالك: [السريع]

إنَّ لُجَيماً قد أَبَتْ كُلُّها أَنْ يُرْفِدُونا رَجُلاً واحِدَا
ويَشْكُرٌ أَضْحَتْ على نَأْيِهَا لم تَسْمَعِ الآنَ لها حَامِدَا
ولا بَنُو ذُهْلٍ وقد أَصْبَحُوا بها حُلُولاً خَلَفاً ماجِدَا
القَائِدِي الخَيْلِ لأَرضِ العِدَا والضَّارِبِينَ الكَوْكَبَ الوَافِدَا[5]

وقال البَكْريّ: [الطويل]

وصَدَّتْ لُجَيمٌ لِلبراءةِ إذْ رَأَتْ أَهَاضِيبَ مَوْتٍ تُمْطِرُ الموتَ مُعْضِلاَ[6]
وَيَشْكُرُ قد مَالَتْ قديماً وأَرْتَعَتْ ومَنَّتْ بِقُرْبَاها إليهم لِتُوصَلاَ

وقالوا جميعاً: مات جَسَّاسٌ حَتْفَ أنفه ولم يُقْتَلْ.

---

(١) الطَّفلة: الرَّخْصَة الناعمة.
(٢) الخِمس: هو أن تَرِدَ الإبل الماء في اليوم الخامس.
(٣) الذَّنوب الدّلو الملأى بالماء ولها ذَنَب. وأوجره ذَنوباً: جعله في فمه.
(٤) بأَخَرَةٍ: أي أخيراً.
(٥) الكوكب: هو سيّد القوم والرجل بسلاحه كاملاً.
(٦) الأهاضيب: جمع الأهضوبة: الدفعة من المطر.

قال عامر بن عبد الملك: لم يكنْ بينهم مِن قَتْلى تعدّ ولا تذكر إلا ثمانيةَ نفرٍ من تَغْلِب وأربعةً من بَكْر عدّدهم مُهلهِلٌ في شِعرَيْهِ، يعني قصيدتَيْهِ: [الوافر]

أَلَيْلَتَنا بِذِي حُسُمٍ أَنِيري ... إذا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فلا تَحُورِي[1]
فإنْ يَكُ بالذَّنائِبِ طالَ لَيْلِي ... فقد أَبْكِي مِنَ اللَّيلِ القَصِيرِ
فلو نُبِشَ المقابِرُ عَنْ كُلَيبٍ ... فيَعْلَمَ بالذَّنائبِ أَيُّ زِيرِ
بِيَومِ الشَّعْثَمَينِ أَقِرُّ عَيْناً ... وكيفَ لِقاءُ مَنْ تحتَ القُبورِ[2]
وإنِّي قد تَرَكْتُ بِوارِداتٍ ... بُجَيْراً في دَمٍ مِثْلِ العَبِيرِ
هَتَكْتُ به بيوتَ بَنِي عُبَادٍ ... وبَعْضُ الغَشْمِ أَشْفَى لِلصُّدورِ
على أنْ ليسَ يُوفي مِنْ كُلَيْبٍ ... إذَا بَرَزَتْ مُخَبَّأَةُ الخُدورِ
وهَمَّامَ بْنَ مُرَّةَ قد تَرَكْنَا ... عليه القَشْعمانِ مِنَ النُّسورِ[3]
يَنُوءُ بِصَدْرِهِ والرُّمْحُ فيه ... وَيَخْلِجُهُ خِدَبٌّ كالبعيرِ[4]
فلولا الرِّيحُ أُسْمِعَ مَنْ بِحَجْرٍ ... صَليلَ البِيضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ
فِدًى لِبَني شَقِيقَةَ يومَ جاؤوا ... كأُسْدِ الغابِ لَجَّتْ في الزَّئيرِ
كأنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطانُ بِئْرٍ ... بَعيدٍ بينَ جالَيْها جَرُورِ[5]
غَداةَ كأنَّنا وبَنِي أَبِينا ... بِجَنْبِ عُنَيزةٍ رَحَيَا مُدِيرِ
تَظَلُّ الخَيْلُ عاكِفةً عليهِمْ ... كأنَّ الخيلَ تُرْحَضُ في غَدِيرِ[6]

فهؤلاء أربعة من بني بكر بن وائل. وقال أيضاً: [الخفيف]

طَفْلةٌ ما ابْنَةُ المُحَلِّلِ بَيْضا ... ءُ لَعُوبٌ لَذيذةٌ في العِناقِ
فاذْهَبِي ما إليكِ غيرَ بعيدٍ ... لا يُؤاتي العِناقُ مَنْ في الوَثاقِ

---

(١) ذو حُسُم: موضع بالبادية ذكره النابغة ولبيد في شعرهما. (معجم البلدان ٢:٢٥٨). ولا تحوري: لا ترجعي.

(٢) يوم الشَّعثمين: جاء في تاج العروس: «جاء في أمالي القالي: الشَّعثمان شعثم وشعيث ابنا معاوية بن عامر بن ذُهْل بن ثعلبة، واسم شعثم حارثة. والظاهر أن هذا اليوم نسب إلى هذين الأخوين لاختصاصهما بالغلبة فيه. واختار صاحب كتاب شواهد المغني اثناء شرح الشاهد أربعمائة وثلاث وعشرين أنّه اسم لرجلين وأنه على حَذْفِ مضافٍ أي بيوم قَتْلِ الشعثمين. وصَوَّبه جماعة.

(٣) القشعم: ذكر النسر العظيم.

(٤) يخلجه: يجذبه، والخِدَبّ: الضخم.

(٥) الأشطان: الحبال الشديدة الفتل. وجال البئر: ناحيتها. والجرور: البعيدة القعر.

(٦) تُرْحَض: تُغْسَل.

ضَـرَبَـتْ نَـحْـرَهـا إلَـيَّ وقـالَـتْ يـا عَـدِيًّـا لَـقَـد وَقَـتْـكَ الأَوَاقِـي
مـا أُرَجِّـي فـي الـعيـشِ بعـدَ نَـدَامَـا يَ أَرَاهُـمْ سُـقُـوا بِـكَـأْسِ حَـلاَقِ(١)
بـعـد عَـمْـرو وعَـامـرٍ وحُـيَـيٍّ ورَبِـيـعِ الـصَّـدُوفِ وابْـنَـيْ عَـنَـاقِ
وامْـرِىءِ الـقَـيْـسِ مَـيِّـت يـومَ أَوْدَى ثـم خَـلَّـى عَـلَـيَّ ذَاتَ الـعَـرَاقِـي(٢)
وكُـلَـيْـبٍ سُـمِّ الـفـوارسِ إذ حُـ ـمَّ رَمَـاهُ الـكُـمَـاةُ بـالإيـفـاقِ(٣)
إنّ تـحـتَ الأحـجـارِ حَـدًّا ولِـيـنـاً وخَـصِـيـمـاً أَلَـدَّ ذا مِـغْـلاقِ(٤)
حـيَّـةٌ فـي الـوِجَـارِ أَرْبَـدُ لا تَـنْـ ـفَـعُ مـنـه الـسَّـلِـيـمَ نَـفْـثَـةُ رَاقِ(٥)

فهؤلاء ثمانية من تغلب. قال عامر: والدليل على أنّ القَتْلى كانوا قليلاً أنّ آباء القبائل هم الذين شَهِدوا تلك الحروبَ، فعُدُّوهم وعُدُّوا بنيهم وبني بنيهم، فإن كانوا خمسَمائةٍ فقد صَدقوا، فكم عسى أن يبلغ عددُ القتلى والقبائل. قال مِسْمَع: إنّ أخي مجنون، وكيف يُحْتَجُّ بِشعْرِ المهَلهِل، وقد قتل جَحْدرٌ أبا مِكْنَف يوم قِضَةَ فلم يذكره في شعره، وقَتل اليشكريُّ ناشِرةَ فلم يذكره في الشعر، وقُتِل حَبيبٌ يومَ وارِدات، وقَتل سعدُ بن مالك يوم قِضَةَ أبنَ الْقَبيحة فلم يُذْكر، فهؤلاء أربعة. وقال البَكْريّ: [الطويل]

تَـرَكْـنـا حَـبـيـبـاً يـوم أَزْجـفَ جَـمْـعُـهُ صَـرِيـعـاً بِـأَعْـلـى واردات مُـجَـدَّلا

وقال مُهَلهِل أيضاً: [المديد]

لَـسْـتُ أَرْجـو لَـذَّةَ الـعَـيْـشِ مـا أَزَمَـتْ أَجْـلادُ قِـدٍّ بِـسـاقِـي(٦)
جَـلَّـلـونـي جِـلْـدَ حَـوْبٍ فَـقَـدْ جَـعَـلُـوا نَـفْـسِـيَ عِـنْـدَ الـتَّـراقِـي(٧)

وقال آخر يَفْخَر بيوم واردات: [الوافر]

ومُـهْـرَاقُ الـدِّمَـاءِ بِـوَارِداتٍ تَـبِـيـدُ الـمُـخْـزِيـاتُ ومـا تَـبِـيـدُ

(١) حَلاَق: معدولة عن الحالقة: المنيّة.
(٢) ذات العراقي: الداهية.
(٣) الإيفاق: جعل السهم في الوتر ليرمى به.
(٤) الحدّ: الحِدّة. والمعلاق: اللسان البليغ.
(٥) الوجار: حجر الضبع أو غيره. والأربد: الضارب لونه إلى السواد.
(٦) أزمت: انضمّت. والقِدُّ: سَيْرٌ يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ.
(٧) الحَوْب: الجمل الضخم. والتراقي: مفردها الترقوة: مقدّم الحلق في أعلى الصدر حيث يترقّى فيه النَّفس. وصارت النفس عند التراقي أي قاربت الموت.

فقلتُ لعامر: ما بالُ مِسْمَع وما احتجَّ به من هؤلاء الأربعة؟ فقال عامر: وما أربعةٌ إن كنتُ أغفلتُهم فيما يقولون! إنّهم قتلوا يوم كذا ثلاثةَ آلاف، ويوم كذا أربعةَ آلاف، والله ما أظنّ جميع القوم كانوا يومئذٍ ألفاً! فهاتوا فعُدُّوا أسماءَ القبائل وأبناءهم وأنْزِلوا معهم إلى أبناء أبنائهم، فكم عسى أن يكونوا!.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت [الخفيف]

أَزْجُرِ العَيْنَ أَنْ تُبَكِّي الطُّلولاَ — إنّ في الصَّدْرِ من كُلَيبٍ غَلِيلاَ
إنّ في الصَّدْرِ حَاجةً لَنْ تَقَضَّى — ما دَعَا في الغُصونِ دَاعٍ هَدِيلاَ
كيفَ أَنْسَاكَ يا كُلَيْبُ ولَمَّا — أَقْضِ حُزْناً يَنُوبُني وَغَلِيلاَ
أَيّها القَلْبُ أَنْجِزِ اليومَ نَحْباً — مِنْ بَنِي الحِصْنِ إذ غَدَوْا وذُحُولاَ[1]
كيف يَبكي الطُّلُولَ مَنْ هو رَهْنٌ — بِطِعَانِ الأَنَام جِيلاً فَجِيلاَ
أَنْبَضُوا مَعْجِسَ القِسِيِّ وأَبْرَقْـ — ـنا كما تُوعِدُ الفُحُولُ الفحولاَ[2]
وصَبَرْنا تحتَ البَوَارِقِ حَتَّى — رَكَدَتْ فِيهِمُ السُّيوفُ طَويلاَ
لم يُطِيقُوا أَنْ يَنْزِلوا ونَزَلْنا — وأَخُو الحَرْبِ مَنْ أطاقَ النُّزولاَ

الشّعر لمهلهِل ـ قال أبو عُبيدة: اسمه عَدِيّ، وقال يعقوب بن السِّكِّيت: اسمه آمرؤ القيس ـ وهو ابن رَبيعة بن الحارث بن زُهَير بن جُشَم بن بَكْر بن حَبيب ابن عمرو بن غَنْم بن تَغْلب؛ وإنما لُقِّب مُهَلهِلاً لِطيبِ شِعره ورِقّته، وكان أحدَ مَنْ غُنِّيَ من العرب في شعره. وقيل: إنه أوّل مَنْ قَصَّد القصائدَ وقال الغزلَ؛ فقيل: قد هَلْهَلَ الشّعرَ، أي أَرَقَّهُ. وهو أوّل مَنْ كذَب في شعره، وهو خال آمرىء القيس بن حُجْر الكِنْديّ. وكان فيه خُنْثٌ ولِين، وكان كثيرَ المحادثة للنّساء، فكان كُلَيب يسمّيه «زيرَ النِّساء»؛ فذلك قوله:

ولو نُبِشَ المَقَابِرُ عن كُلَيْبٍ — فيَعلَمَ بالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرِ

الغناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني من الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالسبَّابة في مجرى الوسطى. وللغَريض فيهما لحنٌ في هذه الطريقة والإصبع والمجرى، والذي فيه

(١) النَّحْب: النذر. الحصن: هو ثعلبة بن عكابة بن صعب. والذُّحول: جمع الذحل: الثأر.
(٢) أنبض الرامي بالوتر: جذبه ثم أرسله ليَرِنَّ. والمَعْجِس: مقبض القوس.

سَجْحةٌ منها لابن مُحرز، ولمعْبَد لحنان أحدهما في الأوّل والسادس ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر، والآخر خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر. ولإبراهيم في الأوّل والرابع ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى، ولإسحاق في الأوّل والثالث ماخُورِيّ. ولعَلُّويه في الأوّل والثاني خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر، ولمالك فيهما خفيف رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى، ولابن سُرَيج في السادس والسابع خفيفُ رملٍ بالسبّابة في مجرى البنصر، ولابن سُرَيج أيضاً في الأوّل والثامن خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر، وللغَرِيض في الأوّل والثاني خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر، وللهُذَلِيّ في الأوّل والثاني والسابع خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى من رواية حماد عن أبيه. ولمالك في الأوّل والثاني والخامس خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو بن بانة. ومنها:

صوت [الخفيف]

ثَكِلَتْنِي عِنْدَ الثَّنِيَّةِ أُمِّي ... وأَتَاهَا نَعِيُّ عَمِّي وخَالِي
إنْ لَمَ اَشْفِ النُّفوسَ مِنْ حَيِّ بَكْرِ ... وعَدِيّ تَطَاهُ بُزْلُ الجِمَالِ

غنّاه اْبن سُرَيج ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من رواية إسحاق، وغنّاه الغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. ومنها:

صوت [الخفيف]

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي ... لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حِيَالِ
قَرِّبَاهَا فِي مُقْرَبَاتٍ عِجَالِ ... عابساتٍ يَثِبْنَ وَثْبَ السَّعَالِي[1]
لم أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ الـ ... لَّهُ وإنِّي بِحَرِّهَا اليومَ صَالِ

الشعر للحارث بن عُبَاد، والغناء للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر، وفيه لحن آخر يقال إنه لابن سُرَيج. ومنها:

---

(١) السعالي: جمع السعلاة: الغيلان.

صوت

[الرمل]

يـا لَـبَـكْـرٍ أَنْـشِـروا لـي كُـلَـيـبـاً ... يـا لَـبَـكْـرٍ أيـنَ أيـنَ الـفِـرارُ

يـا لَـبَـكْـرٍ فـاظْـعَـنُـوا أو فَـحُـلُّـوا ... صَـرَّحَ الـشَّـرُّ وبـانَ الـسِّـرَارُ[١]

الشعر لمهَلهِل، والغناء لابن سُرَيج، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسّبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق، وغنّاه الأَبْجر خفيف رملٍ بالوسطى من رواية عمرو. ومنها:

صوت

[الوافر]

أَلَـيْـلَـتَـنـا بِـذِي حُـسُـمٍ أَنِـيـرِي ... إذا أَنْـتِ انْـقَـضَـيْـتِ فـلا تَـحُـورِي

فـإنْ يَـكُ بِـالـذَّنَـائِـبِ طـالَ لَـيـلِـي ... فـقـد أبـكـي مِـنَ الـلَّـيْـلِ الـقـصـيـر

كـأنَّ الـجَـدْيَ جَـدْيَ بَـنَـاتِ نَـعْـشٍ ... يُـكِـبُّ عـلـى الـيَـدَيْـنِ بِـمُـسْـتَـدِيـرِ[٢]

وتَـخْـبُـو الـشِّـعْـرَيـانِ إلـى سُـهَـيْـلٍ ... يَـلُـوحُ كَـقِـمَّـةِ الـجَـمَـلِ الـكـبـيـرِ[٣]

فـلـولا الـرِّيـحُ أُسْـمِـعَ أَهْـلُ حَـجْـرٍ ... صَـلِـيـلَ الـبِـيـضِ تُـقْـرَعُ بِـالـذُّكُـورِ

الشعر لمهَلْهِل، والغناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وله في الأبيات كلها خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلقٌ في مجرى الوسطى، عن إسحاق جميعاً، وفي الأبيات كلِّها على الوِلاَء للأَبْجر ثاني ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق من روايةِ عمرو، ويقال: إنَّ فيها لحناً للغَريض أيضاً.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا الحسن بن الحسين السُّكَّريّ قال: حَدّثنا محمد بن حَبِيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل عن أبي عُبَيدة: أنَّ آخِرَ مَنْ قُتِلَ في حرب بكر وتغلِب جَسَّاسُ بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيبان، وهو قاتلُ كُلَيب ابن ربيعة، وكانت أخته تحت كُلَيب، فقتله جَسّاس وهي حامل، فرجعتْ إلى أهلها

---

(١) السِّرار: السّرّ.

(٢) الجدي: نجم إلى جنب القطب أو هو برج في السماء. وبنات نعش: سبعة كواكب. ويكبّ: ينكسر.

(٣) تخبو: تدنو. والشِّعْرَى: كوكبٌ نَيِّرٌ يقال له المِرْزَم يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدّة الحرّ، وهما الشِّعْرَيان: العَبُور التي في الجوزاء، والشِّعْرَى الغميصاء التي في الذراع وتزعم العرب أنهما أختا سهيل.

ووقعت الحربُ، فكان من الفريقين ما كان؛ ثم صاروا إلى الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان؛ فولدت أختُ جَسّاس غلاماً فسمّته الهِجْرِسَ وربّاه جساس، فكان لا يعرف أباً غيره، وزوّجه ابنتَه. فوقع بين الهِجْرِس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلامٌ؛ فقال له البكريّ: ما أنتَ بِمُنْتَهٍ حتى نُلْحِقَكَ بأبيك؛ فأمسك عنه ودخل إلى أمه كئيباً، فسألته عما به فأخبرها الخبر؛ فلما أَوَى إلى فِراشِه ونام إلى جنب آمرأته وضع أنفَه بين ثدييها، فتنفّسَ تَنَفُّسة تَنفّط[١] ما بين ثدييها من حرارتها؛ فقامت الجارية فَزِعةً قد أَقَلَّتْها رِعْدَةٌ حتى دخلتْ على أبيها، فقصَّتْ عليه قصّةَ الهِجْرِس؛ فقال جسّاس: ثائرٌ ورَبِّ الكَعْبة! وبات جسّاس على مثل الرَّضْفِ[٢] حتى أصبح؛ فأرسل إلى الهِجْرِس فأتاه، فقال له: إنما أنت ولدي ومنّي بالمكان الذي قد عَلِمْتَ، وقد زَوّجْتُكَ ابنتي وأنت معي، وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً حتى كِدْنا نتفانى، وقد اصطلَحْنا وتحاجَزْنا، وقد رأيتُ أن تدخلَ فيما دخل فيه الناسُ من الصّلح، وأن تنطلقَ حتى نأخذ عليك مثل ما أُخِذَ علينا وعلى قومنا؛ فقال الهِجْرسُ: أنا فاعل، ولكنّ مثلي لا يأتي قومَه إلاَ بِلأْمَتِهِ[٣] وفَرَسِهِ؛ فحمله جَسَّاس على فرس وأعطاه لأمةً ودِرْعاً؛ فخرجا حتى أَتَيَا جماعةً من قومهما، فقَصَّ عليهم جسّاس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية، ثم قال: وهذا الفتى ابن أختي قد جاء ليدخلَ فيما دخلتم فيه ويَعْقِدَ ما عَقَدْتُم؛ فلما قَرَّبوا الدَّمَ[٤] وقاموا إلى العَقْد أخذ الهِجْرِسُ بِوَسَطِ رُمحِه، ثم قال: وفَرَسي وأُذُنَيْه، ورُمْحي ونَصْلَيْه، وسيفي وغِرَارَيْه، لا يترك الرجلُ قاتلَ أبيه وهو ينظر إليه؛ ثم طعنَ جسّاساً فقتله، ثم لَحِقَ بقومه؛ فكان آخرَ قتيلٍ في بكر بن وائل.

قال أبو الفرج: أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: حَدّثني عمّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه عن الشَّرْقِيّ بن القُطَاميّ قال: لمّا قتل جسّاسُ بن مُرّة كُلَيبَ بنَ ربيعة، وكانت جليلةُ بنت مُرّة أختُ جساس تحت كليب، اجتمع نساء الحيّ للمأتم، فقلن لأُخت كُليب: رحِّلي جَليلةَ عن مأتمك، فإنّ قيامها فيه شماتةٌ

---

(١) تَنَفَّط: احترق.

(٢) الرَّضْفِ: الحجارة المحماة تستعمل لتسخين اللبن.

(٣) اللأمَة: عدة السلاح الكاملة.

(٤) تقريب الدم: كان من عادات العرب عند عقد الصلح أن يحضروا جفنة فيها طِيبٌ أو دم أو رماد فيدخلوا فيها أيديهم عند التحالف ليتمّ الصلح وذلك دليل على اشتراكهم في أمر واحد.

وعارٌ علينا عند العرب؛ فقالت لها: يا هذه اُخرُجي عن مأتمنا، فأنتِ أُختُ وَاترِنا وشقيقةُ قاتِلنا؛ فخرجت وهي تَجُرُّ أعطافَها؛ فلَقِيَها أبوها مُرَّة، فقال لها: ما وراءكِ يا جليلة؟ فقالت: ثُكلُ العَدَدِ، وحُزْنُ الأَبَدِ؛ وفَقْدُ حَليلٍ، وقَتْلُ أخٍ عن قليل؛ وبين ذينِ غرسُ الأحقاد، وتَفَتُّتُ الأكبادِ؛ فقال لها: أو يَكُفُّ ذلك كَرَمُ الصَّفْحِ وإغلاءُ الدِّياتِ. فقالت جليلة: أُمْنِيَّةُ مخدوعٍ وربِّ الكعبة! أبالبُدْنِ تَدَعُ لك تَغْلِبُ دمَ رَبِّها! . قال: ولمّا رَحَلَتْ جليلةُ قالت أُخت كُلَيب: رِحلةُ المُعتدِي وفِراقُ الشَّامتِ، وَيْلٌ غداً لآلِ مُرَّة، من الكَرَّة بعد الكرَّة! . فبلغ قَوْلُها جليلةَ، فقالت: وكيف تَشْمَتُ الحُرَّةُ بِهَتْكِ سِتْرِها وتَرَقُّبِ وِتْرِها! أسعدَ اللهُ جَدَّ أُختي، أفَلاَ قالت: نَفْرةُ الحياء، وخوف الاعتداء! . ثم أَنْشَأَتْ تقول: [الرمل]

يَـابْـنَـةَ الأَقْـوامِ إنْ شِـئْـتِ فـلا ... تَـعْـجلِـي بِـالـلَّـوْم حـتّـى تَـسْـأَلِـي
فـإذا أَنـتِ تَـبَـيَّـنْـتِ الَّـذي ... يُـوجِـبُ الـلَّـومَ فَـلُـومِـي واَعْـذُلِـي
إنْ تَـكُـنْ أُخـتُ امْـرِىءٍ لِـيـمَـتْ عـلى ... شَـفَـقٍ مـنـهـا عَـلـيـه فـاَفْـعَـلِـي
جَـلَّ عِـنـدي فِـعْـلُ جَـسَّـاسٍ فَـيَـا ... حَـسْـرتِـي عَـمَّـا اَنْـجَلَـتْ أو تَـنْـجَلِـي
فِـعْـلُ جَـسَّـاسٍ عـلـى وَجْـدِي بـه ... قـاطِـعٌ ظَـهْـرِي ومُـدْنٍ أَجَـلِـي
لَـوْ بِـعَـيْـنٍ فُـقِـئَـتْ عَـيْـنِـي سِـوَى ... أُخْـتِـهـا فـاَنْـفَـقَـأَتْ لـم أَحْـفِـلِ
تَـحْـمِـلُ الـعـيـنُ قَـذَى الـعَـيْـنِ كـمـا ... تَـحْـمِـلُ الأُمُّ أَذَى مـا تَـفْـتَـلِـي[1]
يـا قـتـيـلاً قَـوَّضَ الـدَّهْـرُ بـه ... سَـقْـفَ بَـيْـتَـيَّ جـمـيـعاً مِـنْ عَـلِ
هَـدَمَ الـبَـيْـتَ الَّـذي اَسْـتَـحْـدَثْـتُـهُ ... واَنْـثَـنَـى فـي هَـدْمِ بَـيْـتِـي الأَوَّلِ
ورَمَـانِـي قَـتْـلُـهُ مِـنْ كَـثَـبٍ ... رميـةَ الـمُـصْـمِـي بـه الـمُـسْـتَـأْصِـلِ
يـا نِـسـائـي دُونَـكُـنَّ الـيـومَ قـد ... خَـصَّـنـي الـدَّهْـرُ بِـرُزْءٍ مُـعْـضِـلِ
خَـصَّـنِـي قَـتْـلُ كُـلَـيْـبٍ بِـلَـظَـى ... مِـنْ ورائـي ولَـظَـى مُـسْـتَـقْـبِـلِـي
لـيـس مَـنْ يَـبـكِـي لِـيَـوْمَـيْـنِ كَـمَـنْ ... إنَّـمَـا يَـبْـكِـي لِـيَـوم يَـنْـجَـلِـي
يَـشْـتَـفِـي الـمُـدْرِكُ بِـالـثَّـأْرِ وفـي ... دَرَكِـي ثَـأْرِيَ ثُـكْـلُ الـمُـثْـكِـلِ
لَـيْـتَـهُ كـانَ دَمِـي فـاَحْـتَـلَـبُـوا ... بَـدَلاً مـنـه دَمـاً مِـنْ أَكْـحَـلِـي[2]
إنَّـنِـي قَـاتِـلَـةٌ مَـقْـتُـولَـةٌ ... ولَـعَـلَّ الـلَّـهَ أنْ يَـرْتَـاحَ لِـي

(١) تفتلي: تربّي.
(٢) الأكحل: هو عرق في الذراع يُفصد.

ذكر الهُذَلِيّ وأخباره

[توفي نحو ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م]

[نسبه وعمله وزواجه من ابنة ابن سريج]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: حَدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حَدَّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: الهُذَلِيّان أَخَوَانِ يقال لهما سعيد وعبد آل ابنا مسعود؛ فالأكبر منهما يقال له سَعيد، ويُكنى أبا مسعود، وأمه ٱمرأة يقال لها أمّ فَيْعل، وكان كثيراً ما يُنسب إليها، وكان ينقش الحجارة بأبي قُبَيسٍ، وكان فتيانٌ من قريش يَرُوحون إليه كلَّ عشيّة فيأتون بَطْحاء يقال لها بطحاء قريش فيجلسون عليها، ويأتيهم فيُغَنِّي لهم ويكون معهم. . وقد قيل: إن الأكبر هو عبد آل، والأصغر سعيد.

قال هارون وحدّثني الزبير بن بَكّار قال: حَدّثني حمزة بن عُتْبة اللهبيّ أنّ الهذليّ كان نَقَّاشاً يعمل البُرَمَ[1] من حجارة الجبل، وكان يُكنى أبا عبد الرحمن، وكان إذا أَمْسى راح فأَشْرفَ على المسجد ثم غَنَّى، فلا يلبث أن يُرى الجبل كَقُرْصِ الخَبيص[2] صُفْرةً وحُمْرَةً من أَرْدِية قريش؛ فيقولون: يا أبا عبد الرحمن، أَعِدْ؛ فيقول: أَمّا والله وها هنا حجر أحتاج إليه لم يَرِدِ الأَبْطَحَ فلا؛ فيضعون أيدِيَهُمْ في الحجارة حتى يقطعوها له ويَحْدُروها إلى الأبطحِ، وينزل معهم حتى يجلس على أعظمها حجراً ويُغَنِّي لهم.

قال هارون وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبي مسعود بن أبي جَنَاح قال:

(١) البُرَم: جمع البُرْمة: قِدْرٌ تُصْنَعُ من الحجارة.

(٢) الخبيص: نوع من الحلوى يصنع من التمر والسمن.

أخبرني أبو لَطِيف وعُمارة قالا: تَغَنَّى الهُذَلِيُّ الأكبرُ، وكان من أنفسِهم، وكان فِتْيَانُ قريش يَرُوحون كلَّ عشيَّةٍ حتى يأتوا بَطْحاءَ يُقال لها بطحاءُ قريش قريباً من داره، فيجلِسون عليها ويأتيهم فيُغنّيهم.

قال: وأخبرني ابن أبي طَرَفة عن الحسن بن عَبَّاد الكاتِب مولى آل الزُّبَير قال: هجمَ الحارثُ بن خالد، وهو يومئذٍ أمير مكة، على الهذليّ وهو مع فتيان قريش بالمَفْجَر[1] يُغنّيهم وعليه جُبَّةُ صوفٍ، فطرح عليه مُقَطَّعاتِ خَزٍّ، فكانت هذه أوّلَ ما تحرّك لها.

قال هارون: وحدّثني حماد عن أبيه قال: ذكر ابن جامع عن ابن عَبّاد أن ٱبن سُرَيج لما حضَرته الوفاةُ نظر إلى ٱبنته فبكى، فقالت له: ما يُبكِيكَ؟ قال: أخشى عليكِ الضّيعةَ بعدي! فقالت له: لا تَخَفْ فما من غِنائِكَ شيءٌ إلاّ وقد أَخَذْتُهُ؛ قال: فغنّيني فغَنَّتْه، فقال: قد طابَتْ نفسي، ثم دعا بالهذليّ فزوَّجَها منه؛ فأخذ الهذليّ غناء أبيها كلَّه عنها فٱنتحلَ أكثرَه، فعامّة غناء الهذليّ لابن سُرَيج مما أخذه عن ابنته وهي زوجتُه.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدّثني عمر بن شَبّة قال: حَدّثني محمد بن يحيى أبو غَسّان قال: كان الهذليّ منزلهُ بِمِنًى، وكان فِتيان قريش يأتونه فيُغنّيهم هناك، ثم أقبل مرّة حتى جلس على جمرة العقبة فغَنّى هناك، فحدَره الحارثُ من مِنىً، وكان عاملاً على مكة، ثم أَذِنَ له فرجع إلى مِنى.

قال هارون: وحَدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال: حَدّثني أبي قال: كان الهذليّ النَّقّاشُ يغدو إليه فتيان قريش وقد عَمِلَ عملَه باللّيل، ومعهم الطعامُ والشراب والدراهم، فيقولون له: غَنِّنا؛ فيقول لهم: الوظيفةَ[2]، فيقولون: قد جِئْنا بها؛ فيقول: الوظيفةَ الأُخرى، أنزِلُوا أحجاري، فيُلقون ثيابهم ويأتزِرون بِأُزُرِهِمْ ويَنْقُلون الحجارةَ ويُنزِلونها، ثم يجلِسُ على شُنْخُوبٍ[3] من شَنَاخيب الجبل فيجلسون تحته في السَّهْل فيشربون وهو يُغنّيهم حتى المساءِ، وكانوا كذلك مدّة؛ فقال له يوماً ثلاثةُ فتيةٍ من قريش: قد جاءَكَ كُلُّ واحد منا بمثلِ وظيفتك على

---

(١) المَفْجر: موضع بمكة ما بين الثنية إلى خلف دار يزيد بن منصور (معجم البلدان ٥:١٦٣).

(٢) الوظيفة: ما يُقَدَّرُ لكَ في اليوم وكذا في السنة والزمان المعيّن من طعام أو رِزقٍ أو شراب ونحوه.

(٣) الشُّنخوب: رأس الجبل وأعلاه.

الجماعة من غير أن تُنقَصَ وظيفتُك عليهم، وقد اختار كلٌّ واحد منا صوتاً من غِنائِكَ ليجعلَهُ حَظَّهُ اليومَ، فإن وافقتِ الجماعةُ هوانَا كان ذلك مُشْتَرَكاً بيننا، وإن أَبَوْا غَنَّيْتَ لهم ما أرادوا وجعلتَ هذه الثلاثةَ الأصواتِ لنا بقيَّةَ يومنا؛ قال: هاتوا، فاختار أحدُهم:

* عَفَتْ عَرَفَاتٌ فالمصايفُ مِنْ هِندِ *

واختار الآخرُ:

* أَلَمَّ بنا طَيْفُ الخَيالِ المُهَجِّدُ *

واختار الآخر:

* هَجَرَتْ سُعْدَى فَزَادَنِي كَلَفَا *

فغنّاهم إياها، فما سَمِعَ السَّامعون شيئاً كان أحسنَ من ذلك؛ فلما أرادوا الانصراف قال لهم: إني قد صنعتُ صوتاً البارحة ما سَمِعَهُ أحدٌ، فهل لكم فيه؟ قالوا: هَاتِهِ مُنْعِماً بذلك؛ فاندفعَ فغَنّاهم: [الطويل]

أَأَنْ هَتَفَتْ وَرْقاءُ ظَلْتَ سَفَاهَةً تُبَكِّي على جُمْلٍ لِوَرْقاءَ تَهْتِفُ

فقالوا: أحسنتَ والله، لا جَرَمَ لا يكون صَبُوحُنا[1] في غدٍ إلا عليه، فعادوا وغَنّاهم إياه وأعطَوْه وظيفتَه؛ ولم يزالوا يستعيدونه إيّاه باقيَ يومهم.

نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات

من ذلك:

صوت

[الطويل]

عَفَتْ عَرَفاتٌ فالمَصَايفُ مِنْ هِندِ فَأَوْحَشَ ما بين الجَرِيبَيْنِ فَالنَّهْدِ[2]

(١) الصَّبُوح: شراب الصباح.

(٢) عرفات: وعَرَفَة اسم لموضع واحد، وحدّ عرفةَ من الجبل المشرف على بطن عُرَنة إلى جبالها إلى قصر آل مالك ووادي عرفة (معجم البلدان ٤: ١٠٤) والجريب: اسم يطلق على مواضع عديدة ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٢: ١٣١). والنَّهْد: اسم موضع بالفرع على الطريق من مكة إلى المدينة (معجم ما استعجم ص ١٣٣٦).

وغَـيَّـرَهـا طُـولُ الـتَّـقَـادُمِ والـبِـلَـى فَلَيْسَتْ كما كانتْ تكونُ على العَهْدِ

الشّعر لِلأَحْوص، وقيل: إنه لعمر، والغناء للهذليّ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر. ومنها:

صوت
من المائة المختارة

أَلَمَّ بِنا طَيْفُ الخَيالِ المُهَجِّدُ وقد كَادَتِ الجَوْزاءُ في الجَوِّ تَصْعَدُ
ألَمّ يُحَيِّينا ومن دُونِ أَهْلِها فَيَافٍ تَغُورُ الرِّيحُ فيها وتُنْجِدُ

عَروضه من الطويل، لم يَقَعْ لنا اسم شاعره ونسبه، والغناء للهُذَليّ ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وهو اللّحن المختار، وفيه ليحيى المَكّيّ هَزَجٌ، ولحنُ الهذليّ هذا مما آختير للرشيد والواثقِ بعده من المائة الصوت المذكورة. ومنها:

صوت
[المنسرح]

هَجَرْتُ سُعْدَى فَزَادَنِي كَلَفَا هِجْرَانُ سُعْدَى وأَزْمَعَتْ خُلُفَا
وقَدْ عَلاَ حُبُّهَا حَلَفْتُ لها لَوَ آنَّ سُعْدَى تُصَدِّقُ الحِلَفَا
ما عَلِقَ القَلْبُ غَيْرَها بَشَراً ولا سِوَاها مِنْ مَعْلَقٍ عَرَفَا
فلم تُجِبْنِي وأَعْرَضَتْ صَلَفاً وغَادَرَتْنِي بِحُبِّها كَلِفَا

الغناء للهذليّ ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال: زَوَّجَ آبنُ سريج لما حَضَرَتْهُ الوفاةُ الهُذَليَّ الأكبر بابنته، فأخذ عنها أكثرَ غناء أبيها، وادّعاه فغلَب عليه. قال: وولدَتْ منه آبناً؛ فلما أَيْفعَ جاز يوماً بأشعبَ وهو جالسٌ في فِتْيةٍ من قريش، فوثَبَ فحمله على كتفه وجعل يُرَقِّصُهُ ويقول: هذا آبن دفَّتَي المصحف وهذا آبنُ مزامير داود؛ فقيل له: وَيْلَكَ! ما تقول ومَنْ هذا الصَّبيُّ؟ فقال: أوَ ما تعرفونه! هذا آبن الهذليّ من آبنة آبن سُرَيج، وُلِدَ على عُودٍ وآسْتَهَلَّ[1]

(١) استهلّ الصبي: بكى عند ولادته.

بغناءٍ، وحُنِّكَ بملوى[١]، وقُطِعَتْ سرّته بوتر، وخُتِنَ بِمِضْرَابٍ.

وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن عيسى الماهَانيّ قال:

دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجة، فرأيت عليه مُطْرَفَ خَزٍّ أسود ما رأيت قطّ أحسن منه؛ فتحدّثنا إلى أن أخَذْنا في أمر المِطرف، فقال: لقد كان لكم أيّامٌ حسنة ودولة عجيبة؛ فكيف ترى هذا؟ فقلت له: ما رأيتُ مثلَه؛ فقال: إنّ قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب؛ فقلت: ما أُقوّمه إلا بنحو مائة دينار؛ فقال إسحاق: شَرِبنا يوماً من الأيام فبِتُّ وأنا مُثْخَن، فأنتبهت لرسول محمد الأمين، فدخل عَلَيَّ فقال: يقول لك أمير المؤمنين: عَجِّلْ؛ وكان بخيلاً على الطعام، فكنتُ آكل قبل أن أذهب إليه؛ فقمتُ فتسوّكْتُ وأصلحتُ شأني، وأعجلني الرسولُ عن الغداء فقمتُ معه فدخلت عليه، وإبراهيم بن المهديّ قاعد عن يمينه وعليه هذا المِطرف وجُبَّة خَزٍّ دَكْناء؛ فقال لي محمد: يا إسحاق، أتغدَّيْتَ؟ قلت: نعم يا سيّدي؛ قال: إنك لَنَهِمٌ، أهذا وقتُ غداء! فقلت: أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبي خُمَار فكان ذلك مما حداني على الأكل؛ فقال لهم: كم شربنا؟ فقالوا: ثلاثةَ أرطال، فقال: اسقُوه إياها؛ فقلت: إن رأيتَ أن تُفَرِّقَ عَلَيَّ!؛ فقال: يُسْقَى رِطلين ورِطلاً؛ فدُفِعَ إليّ رطلان فجعلت أشربهما وأنا أتوهم أن نفسي تسيل معهما، ثم دُفِعَ إليّ رِطلٌ آخر فشربته، فكأنّ شيئاً انجلى عني؛ فقال غَنِّني:

* كُلَيْبُ لَعَمْرِي كان أكثر ناصراً *

فغنَّيته، فقال: أحسنتَ وطَرِبَ؛ ثم قام فدخل ـ وكان كثيراً ما يدخل إلى النساء ويَدَعُنا ـ فقمتُ في إثْر قيامه، فدعوت غلاماً لي، فقلت: اذهب إلى بيتي وجِئني بِبِزْمَاوَرْدَتَيْن[٢] ولُفَّهما في مِنديل وأذهب رَكْضاً وعَجِّلْ، فمضى الغلام وجاءني بهما، فلما وافى البابَ ونزل عن دابّته أنقطِعَ فنفقَ[٣] من شدّة ما ركضَ عليه، وأدخل إليّ البِزْمَاوَرْدَتَيْن، فأكلْتُهما ورجَعَتْ نفسي إليّ وعُدْتُ إلى مجلسي؛ فقال لي إبراهيم: لي إليكَ حاجة أُحِبُّ أن تقضيهَا لي؛ فقلت: إنما أنا عبدك وأبن

(١) حُنّكَ: دُلِكَ حنكه، والعادة أن يدلك حنك الصبي عندما يولد بالتمر الممضوغ. والملوى: من أجزاء العود من آلات الطرب.

(٢) بزماورد: نوع من العجين المحشو باللحم والمقلي بالزبد والبيض.

(٣) نفق: مات، والكلام هنا عن الدّابة.

عبدك، فقل ما شئت؛ قال: تُرَدِّدُ عَليَّ: «كليب لعمري» وهذا المِطْرَفُ لك؛ فقلت: أنا لا آخذ منك مطرفاً على هذا، ولكنني أصير إلى منزلك فأُلقيه على الجواري وأردّده عليك مِراراً؛ فقال: أُحبّ أن تردّده عليّ الساعةَ وأن تأخذ هذا فإنه من لُبْسِكَ وهو من حاله كذا وكذا؛ فردّدت عليه الصوت مراراً حتى أخذه، ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء وجلس، ثم قعدنا فشربَ وتحدّثنا؛ فغنّاه إبراهيم: «كليب لعمري»، فكأني والله لم أسمعه قبلَ ذلك حُسْناً؛ وطَرِبَ محمد طرباً شديداً وقال: أحسنت والله! يا غلام، عَشْرَ بِدَر[1] لعَمّي السّاعةَ! فجاؤوا بها؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ لي فيها شريكاً؛ قال: مَنْ هو؟ قال: إسحاق؛ قال: وكيف؟ فقال: إنما أخذتُه منه لمّا قُمْتَ؛ فقلت أنا: ولِمَ! أضاقت الأموالُ على أمير المؤمنين حتى تُريد أن تُشرِكَ فيما يُعطِي! قال: أمّا أنا فأُشْرِكُكَ وأمير المؤمنين أعلم؛ فلما انصرفنا من المجلس أعطاني ثمانين ألفاً، وأعطاني هذا المِطْرَف، فهذا أُخِذَ به مائةُ ألف درهم، وهي قيمتُه.

صوت

من المائة المختارة

[مجزوء الخفيف]

عَلِّلِ القَوْمَ يَشْرَبُوا ... كي يَلَذُّوا ويَطْرَبُوا

إنّما ضَلَّلَ الفُؤا ... دَ غَزَالٌ مُرَبَّبُ

فَرَشَتْهُ على النّما ... رِقِ سُغْدَى وزينبُ

حَالَ دُونَ الهَوَى ودُو ... نَ سُرَى اللّيلِ مُصْعَبُ[2]

وسِيَاطٌ على أَكُـ ... ـفٌ رِجَالٍ تُقَلَّبُ

الشعر لعُبَيد الله بن قيس الرُّقَيّات، والغناء في اللّحن المختار لمالك بن أبي السَّمْح، ولحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى، وفيه لإسحاقَ ثقيلٌ أوّل مطلق في مجرى البنصر، ولابن سُرَيج في الرابع والخامس والأوّل ثاني ثقيل في مجرى الوسطى، ولمعبد في الثاني وما بعده خفيفُ ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى.

---

(١) البِدَر: جمع البدرة: عشرة آلاف درهم أو الكمية العظيمة من المال.

(٢) مصعب: هو مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري.

ذكر عبيد الله بن قَيس الرُّقَيَّات ونسبه وأخباره

[توفي نحو ٨٥ هـ/ نحو ٧٠٤ م]

[نسبه وسبب لقبه بالرقيات وهواه الزبيري]

هو عُبَيد الله بن قيس بن شُرَيح بن مالك بن رَبيعة بن أُهَيب بن ضِبَاب بن حُجير بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لؤيّ بن غالب، وأُمُّه قتيلة بنتُ وَهْب بن عبد الله بن رَبيعة بن طَرِيف بن عَدِيّ بن سَعْد بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة بن كِنَانة.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزبير بن بكار قال: حَدّثني محمد ابن محمد بن أبي قُلاَمَةَ العُمَريّ قال: حَدّثني محمد بن طَلْحة، قال الزبير وحَدَّثنيه أيضاً محمد بن الحسن المخزوميّ، قالا جميعاً: كان يقالُ لبني مَعِيص بن عامر بن لؤيّ وبني مُحارِب بن فِهْر: الأَجْرَبان من أهل تِهَامة، وكانا متحالفين، وإنما قيل لهما الأجربان من شدّة بأسِهما وعَرِّهما[1] مَنْ ناوأهما كما يُعِرُّ الجربُ.

وإنما لُقِّبَ عبيدُ الله بنُ قيسِ الرُّقَيّاتِ لأنه شَبَّبَ بثلاث نسوة سُمِّينَ جميعاً رُقَيَّةَ، منهنّ رقيّة بنت عبد الواحد بن أبي سعد بن قيس بن وهب بن أُهْبان بن ضِبَاب بن حُجَير بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لُؤيّ، وأبنة عمّ لها يقال لها رُقَيّة، وامرأة من بني أميّة يقال لها رقيّة. وكان هواه في رقيّة بنت عبد الواحد؛ وكان عبد الواحد ـ فيما أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير ـ ينزل الرَّقّة. وإياه عَنَى ٱبنُ قيس بقوله: [الكامل]

ما خَيْرُ عَيْشٍ بالجزيرةِ بَعْدَمَا ... عَثَرَ الزَّمَانُ ومَاتَ عَبدُ الوَاحِدِ

وله في الرقيّات عدّة أشعار يُغَنَّى فيها تُذكر بعقب هذا الخبر، والأبيات الثانية

---

(١) العَرُّ: إلحاق الشَّرِّ بالأعداء كما يلحق الجرب الشرّ بمن يصيبه.

التي فيها اللحن المختار يقولها في مُصْعَب بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُّهْريّ، وكان صاحبَ شُرْطة مروانَ بن الحَكَم بالمدينة.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حَدّثني عمي قال: لما وَلِيَ مروانُ بن الحكم المدينةَ وَلَّى مصعبَ بنَ عبد الرحمن بن عوف شُرْطتَه؛ فقال: إني لا أَضبط المدينةَ بِحَرَسِ المدينة، فأبْغِني رجالاً من غيرها، فأعانه بمائتي رجل من أهل أَيْلَة[1]، فضبطها ضبطاً شديداً. فدخل المِسْوَرُ بنُ مَخْرمةَ على مروانَ فقال: أَمَا ترى ما يشكوه الناسُ من مصعَب! فقال: [الرجز]

لـيـسَ بِـهـذا مـن سِـيَـاقٍ عَـتْـبُ يَـمـشـي القَـطُـوفُ وَيَـنَـامُ الرَّكْـبُ[2]

وقال غيرُ مُصعَب في هذا الخبر وليس من رواية الحرميّ: إنه بقي إلى أن وَلِي عمرو بن سعيد المدينةَ وخرج الحسينُ رضي الله تعالى عنه وعبد الله بن الزبير؛ فقال له عمرو: إهْدِمْ دورَ بني هاشم وآلِ الزّبير؛ فقال: لا أفعل؛ فقال: انْتَفَخَ سَحْرُكَ[3] يابنَ أُمِّ حُرَيْثٍ! أَلْقِ سَيْفَنا! فألقاه ولَحِقَ بابن الزبير. وولّى عمرُو ابن سعيد شُرْطتَه عمرو بن الزبير بن العوّام وأمره بهدم دُور بني هاشم وآل الزبير، ففعل وبلغ منهم كلَّ مبلغ، وهدَم دار ابن مُطِيع التي يقال لها العَنْقاءُ، وضرَبَ محمدَ بن المنذر بن الزبير مائةَ سوط؛ ثم دعا بعُروة بن الزبير لِيضربَهُ؛ فقال له محمد: أتضرِبُ عُروةَ! فقال: نعم يا سَبَلان إلاّ أن تحتمِلَ ذلك عنه؛ فقال: أنا أحتمِلُهُ، فضربَه مائةَ سوط أخرى؛ ولحِقَ عُرْوةُ بأخيه. وضرب عَمْرُو الناسَ ضَرْباً شديداً، فهرَبوا منه إلى ابن الزبير، وكان المِسْور بنُ مَخْرَمة أحد مَنْ هَرَبَ منه؛ ولما أَفْضَى الأمرُ إلى ابن الزُّبَير أقاد منه وضرَبَهُ بالسوط ضَرْباً مُبَرِّحا فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين، وقال للناس، فيما ذُكر عنه: إنَّ عَمْراً مات مُرْتَدًّا عن الإسلام.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثني الزُّبَيْرُ قال: سألتُ عَمّي مُصعَباً ومحمدَ بن الضحّاك ومحمدَ بن حسن عن شاعر قريش في الإسلام، فكلّهم قالوا: ابنُ قيس الرقيّات؛ وحُكِيَ ذلك عن عديّ وعن الضحاك بن عثمان؛ وحكاه محمد بن الحسن

(١) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام (معجم البلدان ١: ٢٩٢).

(٢) السِياقُ: السَّوْقُ. والقَطوف: المشي البطيء.

(٣) السَّحر: الرئة، ومن المجاز: انتفخ سَحْرُه: إذا جَبُنَ.

عن عثمان بن عبد الرحمن اليَرْبُوعيّ. قال الزبير: وحدّثني بمثله غَمَامَةُ بن عمرو السَّهْميّ عن مِسْوَر بن عبد الملك اليَرْبوعيّ.

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ والحرميّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا: حَدَّثنا الزبير بن بكار قال: حَدَّثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْريّ عن عَمّه محمد ابن عبد العزيز: أنّ ٱبنَ قيس الرّقيّات أتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهريّ فقال له: يا عَمّي، إنّي قد قُلْتُ شِعراً فٱسمعه فإنك ناصحٌ لِقَومِكَ، فإن كان جيِّداً قلتُ، وإن كان رديئاً كَفَفْتُ؛ فقال له: أنشِدْ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

[مجزوء الخفيف]

مَنَعَ اللَّهْوَ والهَوَى | وسُرَى اللَّيْلِ مُصْعَبُ
وسِيَاطٌ على أكُفِّ رِجالٍ تَقَلَّبُ

فقال: قُلْ يابنَ أخي فإنك شاعر.

وكان عُبيد الله بن قيس الرقيّات زُبيرِيَّ الهوى، وخرج مع مُصعَب بن الزبير على عبد الملك؛ فلما قُتِلَ مصعب وقُتل عبدُ الله هرَب فلجأ إلى عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب، فسأل عبدَ الملك في أمره فأمّنه.

وأخبرنا محمدُ بن العبّاس اليَزيديّ والحرميّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا: حدّثنا الزُّبَيريّ قال: حَدّثني عبد الله بن البَصير البَرْبَريّ مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال عبيدُ الله بن قيس الرقيّات: خَرَجْتُ مع مصعب بن الزبير حين بلغه شُخوصُ عبد الملك بن مروان إليه، فلما نزلَ مصعب بن الزبير بِمَسْكِنٍ[1]، ورأى معالمَ الغَدْرِ ممّن معه، دعاني ودعا بمالٍ ومناطقَ، فملأ المناطقَ من ذلك المال وألبسني منها، وقال لي: ٱنطلِق حيثُ شئت فإني مقتول؛ فقلت له: لا والله لا أرِيمُ[2] حتى أرَى سبيلَكَ؛ فأقمتُ معه حتى قُتِلَ؛ ثم مضيتُ إلى الكوفة، فأوّلُ بيتٍ صِرتُ إليه دخلته، فإذا فيه ٱمرأةٌ لها ٱبنتانِ كأنهما ظَبيتانِ، فَرَقِيتُ في درجةٍ لها إلى مشربة[3] فقعدتُ فيها، فأمرتْ لي المرأةُ بما أحتاجُ إليه من الطعام

(١) مسكن: موضع على نهر دجيل قريب من أوانا، حصلت فيه وقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب ابن الزبير سنة ٧٢ هـ وقُتِلَ فيه مصعب (معجم البلدان ٥: ١٢٧).
(٢) لا أريم: لا أبرح.
(٣) المشربة: العليّة والغرفة.

والشراب والفَرْش والماءِ للوُضوء، فأقمتُ كذلك عندها أكثرَ من حولٍ، تقيم لي ما يُصلِحُني وتغدو عَلَيَّ في كلّ صباح فتسألني بالصَّباح والحاجة، ولا تسألني مَنْ أنا ولا أسألُها مَنْ هي، وأنا في ذلك أسمَعُ الصِّيَاحَ فيّ والجُعْل[١]؛ فلما طال بي المُقام وفقدتُ الصِّياحَ فِيَّ وغَرِضتُ[٢] بمكاني غدتْ عليّ تسألني بالصباح والحاجةِ، فعرّفتها أني قد غَرِضت وأحببت الشُّخوصَ إلى أهلي؛ فقالت لي: نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى؛ فلمّا أمسيتُ وضرَب الليل بأرواقِه رَقِيتْ إليّ وقالت: إذا شئتَ! فنزلتُ وقد أعدّتْ راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ومعهما عبد، وأعطتِ العبدَ نفقةَ الطريق، وقالت: العبدُ والراحلتان لك؛ فركِبتُ وركب العبدُ معي حتى طَرَقتُ أهلَ مكة، فدقّقتُ منزلي؛ فقالوا لي: من هذا؟ فقلت: عُبيد الله بن قيس الرقيّات؛ فوَلْوَلوا وبَكَوْا، وقالوا: ما فارقَنا طلبُك إلا في هذا الوقت؛ فأقمتُ عندهم حتّى أسْحَرتُ، ثم نهضتُ ومعي العبدُ حتى قَدِمتُ المدينةَ، فجئتُ عبدَ الله بن جعفر بن أبي طالب عند المساء وهو يُعشّي أصحابَه، فجلستُ معهم وجعلتُ أتعاجَمُ وأقول: يار يار[٣] ٱبن طيّار[٤]؛ فلما خرج أصحابُه كشفتُ له عن وجهي، فقال: ٱبنُ قيس؟ فقلت: ٱبنُ قيس، جِئتُكَ عائذاً بك؛ قال: وَيْحَكَ! ما أَجَدَّهم في طلبك وأَحْرَصَهم على الظَّفَرِ بكَ! ولكني سأكتب إلى أمّ البنين بنتِ عبد العزيز بن مروان فهي زوجةُ الوليد بنِ عبد الملك، وعبدُ الملك أَرَقُّ شيءٍ عليها. فكتب إليها يَسألُها أن تشفع له إلى عمّها، وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتاباً يسألها الشفاعةَ؛ فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها: هل من حاجة؟ فقالت: نعم لي حاجةٌ؛ فقال: قد قضيتُ كلّ حاجةٍ لكِ إلا ٱبنَ قيس الرقيّات؛ فقالت: لا تَسْتثْنِ عَلَيَّ شيئاً! فنفَحَ[٥] بيده فأصاب خَدَّها، فوضعتْ يدَها على خَدّها؛ فقال لها: يأبنتي ارفعي يدَك، فقد قضيتُ كلّ حاجة لكِ وإن كانت ٱبنَ قيس الرقيّات؛ فقالت: إنّ حاجتي ٱبنُ قيس الرقيات تُؤمّنه، فقد كتب إليّ أبي يسألني أن

---

(١) الجُعْل: العَطِيّة.

(٢) غَرِضْتُ: ضجرتُ.

(٣) يار: كلمة فارسية معناها الصاحب والمعين.

(٤) طيّار: لقب جعفر بن أبي طالب وكانت قد قطعت يداه في غزوة مؤتة فاحتضن الراية إلى صدره وصبر حتى وقع شهيداً، فقيل إن الله قد أثابه جناحين في الجنة يطير بهما.

(٥) نفح بيده: ضربها ضربة خفيفة.

أسألك ذلك؛ قال: فهو آمِن، فمُرِيهِ يَحْضُرْ مجلسي العَشِيّة؛ فحضر ٱبنُ قيس وحضر النّاسُ حين بلغهم مجلسُ عبد الملك، فأخّرَ الإذنَ، ثم أَذِنَ للناس، وأخّرَ إذنَ ٱبن قيس الرقيّات حتى أخذوا مجالسهم، ثم أذِنَ له؛ فلما دخل عليه قال عبد الملك: يا أهل الشأم، أتعرفون هذا؟ قالوا: لا؛ فقال: هذا عُبَيدُ الله بنُ قيس الرقيّات الذي يقول: [الخفيف]

كيف نَومِي على الفِراشِ ولَمّا ... تَشْمَلِ الشأمَ غارةٌ شَعْواءُ
تُذهِلُ الشَّيْخَ عن بَنِيهِ وتُبْدِي ... عَنْ خِدَامِ العَقِيلةُ العَذْراءُ(١)

فقالوا: يا أمير المؤمنين أَسْقِنا دَمَ هذا المنافق! قال: الآن وقد أمّنتُه وصار في منزلي وعلى بساطي! قد أَخّرْتُ الإذنَ له لتقتلوه فلم تفعلوا. فاستأذنه ٱبنُ قيس الرقيّات أن يُنْشِدَهُ مديحَه فأَذِنَ له، فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها: [المنسرح]

عادَ له من كَثِيرةَ الطَّرَبُ ... فَعَيْنُهُ بالدُّمُوعِ تَنْسَكِبُ
كُوفِيَّةٌ نازِحٌ مَحَلَّتُها ... لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ
واللهِ ما إنْ صَبَتْ إلَيَّ ولا ... إنْ كانَ بَيني وبينها سَبَبُ
إلاّ الّذي أَوْرَثَتْ كثيرةُ في الـ ... ـقَلْبِ ولِلْحُبِّ سَوْرَةٌ عَجَبُ

حتى قال فيها:

إنّ الأَغَرَّ الّذي أَبُوه أبو الـ ... ـعاصي عليه الوَقارُ والحُجُبُ
يَعْتَدِلُ التّاجُ فوقَ مَفْرِقِهِ ... على جَبِينٍ كأنّهُ الذَّهَبُ

فقال له عبد الملك: يأبنَ قيس تمدحني بالتّاج كأني من العجم وتقول في مُصْعَب: [الخفيف]

إنّما مُصْعَبٌ شِهابٌ مِنَ الـ ... ـلّهِ تَجلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْماءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ عِزَّةٍ ليسَ فيه ... جَبَرُوتٌ مِنهُ ولا كِبرياءُ

أمّا الأمانُ فقد سبَقَ لكَ، ولكن والله لا تأخذُ مع المسلمين عطاءً أبداً!

قال: وقال ٱبن قيس الرقيّات لعبد الله بن جعفر: ما نفعني أماني، تُرِكْتُ حيًّا

(١) الخِدام: جمع الخَدَمَة: الخلخال. وتُبدي: تُظهر.

كميتٍ لا آخذُ مع الناس عطاءً أبداً؛ فقال له عبد الله بن جعفر: كم بلغتَ مِنَ السِّنِّ؟ قال: ستين سنة؛ قال: فعَمِّرْ نفسَكَ؛ قال: عشرين سنة من ذي قِبَلٍ؛ فذلك ثمانون سنة؛ قال: كم عطاؤك؟ قال: ألفا درهم؛ فأمر له بأربعين ألف درهم، وقال: ذلك لكَ عَلَيَّ إلى أن تموت على تعميرك نفسَكَ؛ فعند ذلك قال عبيد الله بن قيس الرقيّات يمدح عبد الله بن جعفر: [الطويل]

تَقَدَّتْ بِيَ الشَّهْباءُ نحوَ ٱبنِ جَعْفَرٍ ... سَوَاءٌ عليها لَيْلُها وَنَهارُها
تَزُورُ ٱمْرَأً قد يَعْلَمُ اللَّهُ أنَّهُ ... تَجُودُ له كَفٌّ قَليلٌ غِرَارُها
أتيناكَ نُثْنِي بِالَّذي أنتَ أهْلُهُ ... عليكَ كما يُثْني على الرَّوْضِ جَارُها
فواللهِ لولا أنْ تَزُورَ ٱبنَ جعفرٍ ... لَكَانَ قَليلاً في دِمَشْقَ قَرَارُها
إذا مُتَّ لم يُوصَلْ صديقٌ ولم تُقَمْ ... طريقٌ مِنَ المعروفِ أنتَ منارُها
ذَكَرْتُكَ أنْ فاضَ الفُرَاتُ بأرضِنا ... وفاضَ بِأعْلى الرَّقَّتَيْنِ بِحارُها
وَعِنْدِيَ مِمَّا خَوَّلَ اللَّهُ هَجْمَةٌ ... عَطَاؤكَ منها شَوْلُها وعِشَارُها
مُبَارَكَةٌ كانَتْ عَطَاءَ مُبَارَكٍ ... تُمَانِحُ كُبْرَاهَا وتَنْمِي صِغَارُها

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزبير قال: حَدَّثنا مُصْعَب بن عبد الملك قال: قال عبد الملك بن مروان لِعُبيد الله بن قيس الرقيّات: وَيْحَكَ يا ٱبنَ قيس! أمَا ٱتّقيتَ اللّهَ حين تقول لابن جعفر: [الطويل]

تَزُورُ ٱمْرَأً قد يَعْلَمُ اللَّهُ أنَّهُ ... تَجُودُ له كَفٌّ قَليلٌ غِرَارُها

ألاَ قُلْتَ: قد يعلمُ النَّاسُ ولم تَقُلْ: قد يعلمُ الله! فقال ٱبن قيس: قد والله عَلِمَهُ اللَّهُ وعَلِمْتَهُ أنتَ وعَلِمْتُه أنا وعَلِمَهُ النَّاسُ.

أخبرنا الحسين بن يحيى قال: قال حَمّاد بن إسحاق: قرأتُ على أبي أن عُبيدَ الله بن قيس الرقيّات منعه عبدُ الملك بن مروانَ عطاءَه من بيت المال وطلبه ليقتلَه، فٱستجار بعبد الله بن جعفر، وقصده فألفاه نائماً، وكان صديقاً لسائب خاثر، فطلبَ الإذنَ على ٱبن جعفر فتعذّر، فجاء سائب خاثر ليستأذنَ له عليه؛ قال سائبٌ: فجئت من قِبَلِ رِجْلِ عبدِ الله بن جعفر فنَبَحْتُ نُبَاحَ الجِرْوِ الصغير، فٱنتبهَ ولم يَفْتَحْ عينيه، وركَلني برجْله، فَدُرْتُ إلى عند رأسه، فنبَحْتُ نُبَاحَ الكلبِ الهَرِمِ، فٱنتبهَ وفتحَ عينيه فرآني؛ فقال: ما لكَ؟ وَيْحَكَ! فقلت: ٱبنُ قيس الرقيّات بالبابِ؛ قال: ٱئذنْ له، فأذِنْتُ له، فدخل إليه فرحّبَ ابنُ جعفر به وقرّبَهُ؛ فعرّفه ٱبن قيس خبره،

فدعا بظَبيةٍ[(١)] فيها دنانيرُ، وقال: عُدَّ له منها؛ فجعلتُ أَعُدُّ وأترنّم وأُحَسِّنُ صوتي بِجُهدي حتى عددتُ ثلاثمائة دينار، فسكتُّ؛ فقال لي عبد الله: ما لَكَ وَيْلَكَ سَكَتَّ! ما هذا وقتُ قطع الصوت الحسنِ، فجعلتُ أَعُدُّ حتى نَفِدَ ما كان في الظّبية، وفيها ثمانُمائة دينار، فدفعتُها إليه؛ فلما قبضها قال لابن جعفر: اسأل أميرَ المؤمنين في أمري؛ قال: نعم، فإذا دخلتَ إليه معي ودعا بالطعام، فكُلْ أكْلاً فاحشاً. فرَكِبَ آبنُ جعفر، فدخل معه إلى عبد الملك؛ فلما قُدِّمَ الطعامُ جعل يُسِيءُ الأكلَ؛ فقال عبدُ الملك لابن جعفر: مَنْ هذا؟ فقال: هذا إنسان لا يجوز إلا أن يكون صادقاً إن آسْتُبْقِيَ، وإن قُتِلَ كان أكذبَ الناس؛ قال: وكيف ذلك! قال: لأنه يقول: [المنسرح]

مـا نَـقَـمُـوا مِـنْ بَـنِـي أُمَـيَّـةَ إلاّ ... أَنَّـهـم يَـحْـلُـمُـونَ إنْ غَـضِـبُـوا

فإن قتلتَه لِغضبِكَ عليه أكذبْتَهُ فيما مدحكم به؛ قال: فهو آمنٌ، ولكن لا أُعطِيه عطاءً من بيت المال؛ قال: ولم وقد وهبتَه لي؟ فأُحِبُّ أن تَهَبَ لي عطاءَهُ أيضاً كما وهبتَ لي دَمَه وعفوتَ لي عن ذنبه؛ قال: قد فعلتُ، قال: وتُعطيه ما فاته من العطاء؛ قال: قد فعلتُ، وأمرتُ له بذلك.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني عمّي قال: كان آبن قيس الرقيّات منقطعاً إلى آبن جعفر، وكان يَصِلُه ويَقضِي عنه دَينَه، ثم آستأمنَ له عبدَ الملك فأمّنه، وحرَمَهُ عطاءَه؛ فأمره عبدُ الله أن يُقدِّرَ لنفسه ما يَكفيه أيامَ حياته ففعل ذلك، فأعطاه عبدُ الله ما سأل وعوّضه من عطائه أكثر منه؛ ثم جاءت عبدَ الله صِلةٌ من عبد الملك وآبنُ قيسٍ غائبٌ، فأمر عبدُ الله خازنَه فخبأ له صِلتَه، فلما قدِمَ دفَعها إليه؛ وأعطاه جاريةً حسناءَ؛ فقال آبنُ قيس: [الطويل]

إذا زُرْتُ عَـبْـدَ الله نَـفْـسِـي فِـدَاؤُهُ ... رَجَـعْـتُ بِـفَـضْـلٍ مِـنْ نَـدَاهُ وَنَـائِـلِ
وإنْ غِبْـتُ عـنـه كـان لِـلْـوُدِّ حَـافـظـاً ... ولـم يَـكُ عَـنِّي في الـمَـغِيـبِ بِـغافِـلِ
تَـدَارَكَـنِـي عَـبْـدُ الإلٰـهِ وقـد بَـدَتْ ... لِـذِي الحِـقْـدِ والشَّـنَـآن مِـنّي مَـقَـاتـلي
فـأنْقَـذَنِـي مِـنْ غَـمْـرَةِ الـموتِ بَـعْـدَمـا ... رَأَيْـتُ حِـيـاضَ الـمَـوتِ جَـمَّ الـمَـناهِـلِ
حَـبَـانِـيَ لَـمَّـا جِـئْـتُـهُ بِـعَـطِـيَّـةٍ ... وجَـارِيَـةٍ حَـسْـنَـاءَ ذَاتِ خَـلاخِـلِ

---

(١) الظبية: الجراب الصغير.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

منها:

عــادَ لــه مــن كَـثِـيــرةَ الـطَّـرَبُ ... فَـعَـيـنُـهُ بِـالـدُّمـوعِ تَـنْـسَـكِـبُ
كُـوفِـيَّـةٌ نَـازِحٌ مَـحَـلَّـتُـهـا ... لاَ أَمَـمٌ دَارُهـا ولاَ صَـقَـبُ
واللهِ مـا إنْ صَـبَـتْ إِلَـيَّ ولا ... يُـعْـرَفُ بـيـنـي وبـيـنـهـا سَـبَـبُ
إلاّ الَّـذي أَوْرَثَـتْ كـثـيـرةُ فـي الـ ... قَـلْـبِ ولِـلْـحُـبِّ سَـوْرةٌ عَـجَـبُ

عَروضه من المنسرح، غنّاه معبدٌ ثقيلاً أوّلَ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، قوله: «لا أَمَمٌ دارُها» يعني أنها ليست بقريبة، ويقال: ما كَلَّفْتَني أَمَماً من الأمر فأفعَلَه: أي قريباً من الإمكان؛ ويقال: إنَّ فلاناً لأَمَمٌ من أن يكون فعل كذا وكذا. قال الشاعر: [المنسرح]

أَطَـرَقَـتْـهُ أَسْـمـاءُ أَمْ حَـلَـمَـا ... بـل لـم تَـكُـنْ مـن رِحَـالِـنـا أَمَـمَـا

أي قريبةً.. وقال الراجز: [الرجز]

كَـلَّـفَـهـا عَـمْـرٌو نِـقَـالَ الـضِّـبْـعَـانْ ... مـا كُـلِّـفَـتْ مِـنْ أَمـمٍ ولا دَانْ[١]

وقال آخر:

إنَّـكَ إنْ سَـأَلْـتَ شَـيـئـاً أَمَـمَـا ... جَـاءَ بـه الـكَـرِيُّ أو تَـجَـشَّـمَـا[٢]

والصَّقَبُ: الملاصقة، تقول: واللهِ ما صاقَبْتُ فلاناً ولا صاقبني، ودارُ فلانٍ مصاقِبةٌ لدار فلان؛ وفي الحديث: «**الجارُ أَحَقُّ بصَقَبِه**»[٣] أي بما لاصقه، أي إنّه أَحَقُّ بشفعته، والسَّورَةُ: شِدّة الأمر؛ ومنه يقال: ساور فلان فلاناً، وتَساوَرَ الرجلان إذا تَغالبا وتَشادّا؛ وقيل إن السَّوْرَةَ: البقيَّةُ أيضاً. ومنها:

---

(١) الضِّبعان: ذَكَر الضبع.

(٢) الكَرِيّ: الذي يكري الدواب.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٩: ٣٥، ٣٦، وأحمد في مسنده ٦: ٣٩٠، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٦٧١٧، و١٧٧٠٠، و١٧٧١٥.

صوت

[المنسرح]

مـا نَـقَـمُـوا مِـنْ بَـنِـي أُمَـيَّـةَ إلاّ أَنَّـهُـمْ يَـحـلُـمُـون إنْ غَـضِـبـوا
وأَنَّـهُـم سَـادةُ الـمـلـوكِ فَـمَـا تَـصْـلُـحُ إلاّ عَـلَـيـهِـمُ الـعَـرَبُ

غنّت في هذين البيتين حَبَابةُ، وهما من القصيدة التي أوّلُها:

* عـاد لـه مـن كَـثِـيـرةَ الـطَّـرَبُ *

قال الأصمعيّ: كَثِيرةُ هذه آمرأة نزل بها بالكوفة فآوته. قال آبنُ قيس فأقمتُ عندها سنةً تَرُوحُ وتَغْدُو عَلَيَّ بما أحتاج إليه، ولا تسألُني عن حالي ولا نسبي؛ فبينا أنا بعد سنةٍ مُشْرِفٌ من جَنَاح إلى الطريق، إذا أنا بمُنادِي عبدِ الملك يُنادِي ببراءة الذمّة مِمَّنْ أُصِبْتُ عنده؛ فأعلمتُ المرأةَ أني راحلٌ؛ فقالت: لا يَرُوعَنَّكَ ما سَمِعْتَ، فإنَّ هذا نداءٌ شائعٌ منذُ نزلتَ بنا، فإن أردتَ المقَام ففي الرُّحْبِ والسَّعَة، وإنْ أردتَ الانصرافَ أعلمتَني؛ فقلتُ لها: لا بدَّ لي من الانصراف؛ فلمّا كان اللّيلُ، قَدَّمَتْ إليَّ راحلةً عليها جميعُ ما أحتاجُ إليه في سفري؛ فقلتُ لها: مَن أنتِ - جُعِلْتُ فِدَاءَكِ - لأُكَافِئَكِ؟ قالت: ما فَعَلْتُ هذا لِتُكافِئَني؛ فآنصرفْتُ ولا والله ما عرفتُها إلا أني سمعتُها تُدعى بآسمها «كَثِيرة»، فذكرتُها في شعري.

وذكر الزبيرُ بن بكّار عن عَمِّه مصعب أن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس صاحِبَ بني أمَية بنهر أبي فُطْرُس، إنما بعثه على قتلهم أنه أنشده بعضُ الشعراء ذاتَ يوم مديحاً مدَح به بني هاشم، فقال لبعضهم: أين هذا مما كنتم تُمدَحُون به! فقال: هيهات أن يُمْدَحَ أحدٌ بمثل قول آبن قيس فينا:

مـا نَـقَـمُـوا مـن بَـنِـي أُمَـيَّـةَ إلاّ أنـهـم يَـحـلُـمُـون إن غَـضِـبُـوا

البيتين؛ فقال له عبدُ الله بن عليّ: ألاَ أرى المطمعَ في الملك في نفسك بعدُ يا ماصَّ كذا من أُمّه! ثم أوْقعَ بهم.

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: حَدّثنا أحمد بن زُهَير قال: حَدّثنا الزبير بن بكّار قال: حَدّثني عمّي عن جدّي عبد الله بن مُصعَب قال: اعترض هارونُ الرشيد قَيْنةً فَغَنَّتْ:

[المنسرح]

مـا نَـقَـمُـوا مـن بَـنِـي أُمَـيَّـةَ إلاّ أَنَّـهُـمْ يَـحْـلُـمُـونَ إنْ غَـضِـبُـوا

فلما ٱبتدأَتْ به تَغَيَّرَ وجهُ الرّشيد، وعَلِمَتْ أنها قد غَلِطَتْ وأنها إن مرَّت فيه قُتِلتْ، فغنّت:

مـا نَـقَـمُـوا مـن بـنـي أمـيّـة إلاّ ... أنـهـم يَـجْـهَـلُـون إن غَـضِـبـوا

وأنّـهـم مَـعْـدِنُ الـنِّـفـاقِ فـمـا ... تَـفْـسُـدُ إلا عـلـيـهـم الـعَـرَبُ

فقال الرشيد ليحيى بن خالد: أَسَمِعْتَ يَا أبا عليّ؟ فقال: يا أمير المؤمنين تُبتَاعُ وتُسْنَى[1] لها الجائزةُ ويُعَجَّلُ لها الإذنُ لِيَسْكُنَ قلبُها؛ قال: ذلك جزاؤها، قُومِي فأنتِ منّي بحيث تُحِبّين. قال: فأُغْمِيَ على الجارية، فقال يحيى بن خالد:

[الطويل]

جُـزِيـتَ أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـنَ بِـأَمْـنِـهـا ... مِـنَ اللهِ جَـنَّـاتٍ تـفـوزُ بِـعَـدْنِـهـا

ومنها:

صوت

تَـقَـدَّتْ بِـيَ الـشَّـهْـبـاءُ نَـحْـوَ ٱبـنِ جَـعْـفَـرٍ ... سَـوَاءٌ عَـلَـيْـهـا لَـيْـلُـهـا ونَـهَـارُهـا

تَـزُورُ ٱمْـرَأً قـد يَـعْـلَـمُ اللهُ أنَّـه ... تَـجـودُ لـه كَـفٌّ بَـطِـيءٌ غِـرَارُهـا

وواللهِ لـولا أنْ تـزورَ ٱبـنَ جـعـفـرٍ ... لَـكَـانَ قـلـيـلاً فـي دِمَـشْـقَ قَـرَارُهـا

عَروضُه من الطويل، غنّاه مَعْبَدٌ ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر، قوله: «تَقَدّتْ» أي سارت سيراً ليس بعَجِلٍ ولا مُبطِىء، فيقال: تَقَدّى فلانٌ إذا سار سيرَ مَنْ لا يخاف فوتَ مَقْصِده فلم يَعْجَل، وقوله: «بطيء غِرَارُها» يعني أن منعَها المعروفَ بطيءٌ، وأصل الغِرَار: أن تمنعَ الناقةُ دِرَّتَها، ثم يُستعارُ في كلّ ما أشبه ذلك؛ ومنه قول الراجز:

[الرجز]

إنَّ لِـكُـلِّ نَـهَـلاَتٍ شِـرَّهْ ... ثُـمَّ غِـرَاراً كَـغِـرارِ الـدِّرَّهْ

وقال جَميلٌ في مثل ذلك: [الكامل]

لاَحَـتْ لِـعَـيْـنِـكَ مِـنْ بُـثَـيْـنَـةَ نَـارُ ... فَـدُمُـوعُ عَـيْـنِـكَ دِرَّةٌ وغِـرَارُ

(١) تُسْنَى: تُجزَلُ حتى تكون سَنِيّة.

[شيء مما عِيبَ عليه في شعره]

قال الزّبيرُ: وهذا البيتُ مما عِيبَ على ٱبن قيسٍ، لأنه نَقَضَ صدرَه بِعَجُزِه، فقال في أوّله: إنه سار سيراً بغير عَجَلٍ، ثم قال:

* سَـوَاءٌ عـلـيـهـا لَـيْـلُـهـا ونَـهَـارُهـا *

وهذا غايةُ الدَّأبِ في السَّيرِ، فناقض معناه في بيت واحد. ومما عِيبَ على ٱبن قيس الرّقيّات قولُه ـ وفي هذين البيتين غناء ـ:

صوت [المنسرح]

تُـرْضِـعُ شِـبْـلَـيْـنِ وَسْـطَ غِـيـلِـهِـمـا قـد نَـاهَـزَا لِـلـفِـطَـام أو فُـطِـمـا[1]
مـا مَـرَّ يَـوْمٌ إلاّ وعِـنْـدَهُـمـا لَـحْـمُ رِجـالٍ أَوْ يَـوْلَـغـانِ دَمَـا[2]

ـ غَنَّاه الغريضُ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاقَ من رواية عمرو بن بانةَ ـ وهي قصيدة مدح بها عبدَ العزيز بن مروانَ، وفيها يقول:

أَغْـنـي ٱبْـنَ لـيـلَـى عَـبْـدَ الـعـزيـزِ بِـبَـا بِـلْـيُـونَ تَـغْـدُو جِـفَـانُـهُ رُذُمَـا[3]
الـوَاهِـبَ الـنُّـجْـبَ والـوَلائـدَ كـالـ ـغِـزلانِ والـخَـيْـلَ تَـعْـلُـكُ الـلُّـجُـمَـا

وكان قال في قصيدته هذه: «أو يالغان دما» بالألف، وكذلك رُوِي عنه، ثم غَيَّرَتْهُ الرّواة.

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: حَدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز قال: سَمِعْتُ ٱبن الأعرابيّ يقول: سُئِلَ يونسُ عن قول ٱبن قيس الرقيّات:

[المنسرح]

مـا مَـرَّ يـومٌ إلاّ وَعِـنْـدَهُـمـا لَـحْـمُ رِجـالٍ أو يَـوْلَـغـانِ دَمَـا

فقال يونس: يجوز يولغانِ ولا يجوز يالغان، فقيل له: فقد قال ذلك ٱبن قيس الرقيّات وهو حجازيّ فصيح؛ فقال: ليس بفصيح ولا ثقةٍ شَغَل نفسَه بالشرب بتَكرِيتَ[4].

---

(١) الغِيل: موضع الأسد.

(٢) الولغ: هو شُرْبُ السباع والكلاب وكلّ ذي خَطْم.

(٣) بابليون: اسم لمصر عامّة، أو هو حصن بناه الفرس أيام تملّكهم لمصر (معجم البلدان ١: ٣١١). والرُّذُم: السائل من كل شيء.

(٤) تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حمّاد: قرأت على أبي: أوَ بلغك أن ٱبن أبي عتيق أُنشد قولَ ٱبن قيس:

* سَـوَاءٌ عَـلَـيْـهـا لَـيْـلُـهـا ونَـهـارُهـا *

فقال: كانت هذه يأبنَ أمَّ فيما أرى عَمْياءَ.

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال: حَدّثنا الزبير بن بكار قال: حَدّثني عمي مصعب عن جدّي عن هشام بن سليمان المخزوميّ قال: قال ٱبنُ أبي عتيق لِعُبَيد الله بن قيس وقد مَرَّ به فسلّم عليه فقال: وعليك السَّلاَم يا فارسَ العمياء؛ فقال له: ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد! بأبي أنت! قال: أنت سَمّيتَ نفسَك حيث تقول:

* سَـوَاءٌ عَـلَـيْـهَـا لَـيْـلُـهـا وَنَـهَـارُهـا *

فما يستوي اللَّيلُ والنهارُ إلا على عَمْياء؛ قال: إنما عنيتُ التعبَ، قال: فبيتك هذا يحتاج إلى تَرْجُمان يترجم عنه. ومنها:

صوت

ذَكَـرْتُـكَ أَنْ فَـاضَ الـفُـراتُ بِـأَرضِـنـا ... وفاضَـتْ بِأَعْـلـى الرَّقَّـتَيْن بِـحَارُهـا[1]

وحَـوْلِـيَ مِـمَّـا خَـوَّلَ الـلـهُ هَـجْـمَـةٌ ... عَـطَـاؤُكَ مـنـهـا شَـوْلُـهـا وعِـشَـارُهـا

فـجِـئْـنَـاكَ نُـثْـنِـي بِـالَّـذي أنـتَ أَهْـلُـه ... عليكَ كـمـا أَثْنَى على الرَّوْضِ جَارُهـا

إذا مـتَّ لـم يُـوصَـلْ صَـدِيـقٌ ولـم تُـقَـمْ ... طَـرِيـقٌ مِـنَ الـمـعـروفِ أنـتَ مَـنَـارُهـا

ـ الشَّوْلُ: النُّوق التي شالت بِأذنابها وكَرِهَت الفحلَ، وذلك حين تلقح، واحدتها شائل ـ غنّاه حَكَم الوادِي ثقيلاً أوّلَ بالوسطى.

[حكم الوادي يعلّم دنانير صوتاً]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال: حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال: حَدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال: قال لي أبي: قال حكم الوادي: دخلتُ يوماً على يحيى

(١) الرقّتان: يراد بهما الرقّة والرافقة، والرقّة: مدينة مشهورة على الفرات، والرافقة: بلد متّصل البناء بالرقة يقع على الفرات أيضاً.

ابن خالد فقال لي: يا أبا يحيى، ما رأيُكَ في خمسمائة دينار قد حَضَرَتْ؟ قلت: ومَنْ لي بها؟ قال: تلقِي لحنكَ في:

* ذَكَـرْتُـكَ أَنْ فَـاضَ الـفُـرَاتُ بِـأَرْضِـنـا *

على دنانير فها هي ذِه، وهذا سَلامٌ واقف معك ومُخرِجها إليك، وأنا راكب إلى أمير المؤمنين، ولستُ أنصرفُ من مجلس المظالم إلى وقت الظهر، فكُدَّها[1] فيه، فإذا أَحْكَمَتْه فلك خَمسمائة؛ فقالت دنانير: يا سيِّدي، أبو يحيى يأخذ خمسمائة دينار وينصرف وأنا أبقى معك أُقاسِيكَ عُمري كلَّه! فقال لها: إن حفِظتيهِ فلكِ ألف دينار، وقام فمضى؛ فقلت لها: يا سيِّدتي اشغَلِي نفسكِ بذا، فإنك أنتِ تَهبين لي الخمسَمائة الدينار بحفظِك إيّاه وتفوزين بالألف الدينار، وإلا بطَل هذا، فلم أزلْ معها أَكُدُّهَا ونفسي وتُغنّيني حتى انصرف يحيى، فدعا بماء وطَسْتٍ، ثم قال: يا أبا يحيى، غَنِّ الصوتَ كما كنتَ تُغنّيه ـ فقلتُ: هلكتُ! يسمعهُ منّي، وليس هو بمن يَخْفَى عليه، ثم يَسمعهُ منها فلا يرضاه ـ فلم أجدْ بُدًّا من الغناء؛ ثم قال: غَنّيه أنتِ الآن؛ فغنّتْ؛ فقال: والله ما أرى إلا خيراً؛ فقلتُ: جُعِلْتُ فداءَكَ! أنا أَمضُغ هذا منذ أكثرَ من خمسين سنةً كما أَمضُغ الخبز، وهذه أخذتْه الساعةَ وهو يَذِلُّ لها بعدي وتَجترىء عليه ويزدادُ حسناً في صوتها؛ فقال: صدقتَ، هاتِ يا سَلامُ خمسَمائةِ دينار ولها ألفَ دينار، ففعل؛ فقالت له: وحياتِكَ يا سيِّدي لأُشاطِرَنّ أستاذي الألفَ الدينار؛ قال: ذلك إليكِ، ففعلَتْ؛ فانصرفتُ وقد أخذتُ بهذا الصوتِ ألف دينار.

رجع الحديث إلى عبيد الله بن قيس الرقيّات.

قال الزبير بن بكار: حدّثني عبد الله بن النَّضِير عن أبيه أن ابن قيس الرقيّات قال في الكوفيّة التي نزل عليها: [مجزوء الكامل]

بَـانَـتْ لِـتَـحْـزُنَـنَـا كَـثِـيـرَهْ وَلَـقَـدْ تَـكُـونُ لَـنَـا أَمِـيـرَهْ
حَـلَّـتْ فَـلالِـيـجَ الـسَّـوَا دِ وحَـلَّ أَهْـلِـي بِـالـجَـزِيـرَهْ[2]

قال: ولقد رحَلَ من عندها وما يتعارفان.

(١) كَدَّ: أَلَحَّ في طلب الشيء.

(٢) الفلاليج: جمع الفلوجة: القرى. والسواد: في العراق وسُمّي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار.

قال: وقال فيها أيضاً ـ وفيه لحنٌ من خفيف الثقيل لابن المكّي ـ:

صوت

[المتقارب]

لَـجِـجْـتَ بِـحُـبِّـكَ أَهْـلَ الـعِـراقِ ... ولَـولا كُـثَـيِّـرةُ لـم تَـلْـجَـجِ

فـلَـيـتَ كُـثَـيِّـرةَ لـم تَـلْـقَـنـي ... كـثـيـرةَ أُخْـتَ بَـنِـي الـخَـزْرَجِ

أخبرنا الحرميّ قال: حَدّثنا الزبير بن بكّار قال: حَدّثني عبد الله بن عاصم القَحْطَانيّ قال: حَدّثني أبي عن عبد الرحيم بن حَرْمَلةَ قال: كنتُ عند سعيد بن المسيَّب، فجاء ٱبنُ قيس الرقيّات، فهَشَّ وقال: مَرْحباً بِظُفْرٍ من أظفار العَشِيرة، ما أحدَثْتَ بعدي؟ قال: قد قلتُ أبياتاً وأستَفتيكَ في بيت منها فٱسمعها؛ قال: هات؛ فأنشده:

[الكامل]

هَـلْ لِـلـدِّيـارِ بـأَهْـلِـهـا عِـلْـمُ ... أم هَـلْ تُـبِـيـنُ فَـيَـنْـطِـقَ الـرَّسْـمُ

قـالَـتْ رُقَـيَّـةُ فِـيـمَ تَـصْـرِمُـنـا ... أَرُقَـيّ لـيـسَ لِـوَجْـهِـكِ الـصَّـرْمُ

تَـخـطُـو بِـخَـلْـخَـالَـيْـنِ حَـشْـوُهُـمـا ... سَـاقَـانِ مَـارَ عـلـيـهـمـا الـلَّـحْـمُ[1]

يـا صَـاحِ هـل أَبْـكَـاكَ مَـوْقِـفُـنـا ... . أَمْ هَـلْ عَـلَـيْـنـا فـي الـبُـكـا إِثْـمُ

فقال سعيد: لا والله ما أبكاني؛ قال ٱبنُ قيس الرقيّات:

بَـلْ مَـا بُـكَـاؤُكَ مَـنْـزِلاً خَـلَـقـاً ... قَـفْـراً يَـلُـوحُ كـأَنَّـهُ الـوَشْـمُ[2]

فقال سعيد: اعتذر الرجل، ثم أنشد:

[الطويل]

أَتَـلْـبَـثُ فـي تَـكْـرِيـتَ لا فـي عَـشـيـرةٍ ... شُـهـودٍ ولا الـسُّـلْـطـانُ مِـنْـكَ قـريـبُ

وأنـت ٱمْـرُؤٌ لِـلْـحَـزْمِ عِـنْـدَكَ مَـنْـزِلٌ ... ولِـلـدِّيـنِ والإسلامِ مِـنـكَ نَـصِـيـبُ

فقال سعيدٌ: لا مُقَامَ على ذلك، فٱخْرُجْ منها؛ قال: قد فعلتُ؛ قال: قد أصبتَ أصابَ الله بكَ.

---

(١) مار: اضطرب وتحرّك.

(٢) الخَلَق: البالي المتهدِّم. والقفر: الخالي.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[الكامل]

قَـامَـتْ بِـخَـلْـخَـالَـيـنِ حَـشْـوُهُـمـا ... سـاقـانِ مَـارَ عـلـيـهـمـا الـلَّـحـمُ

يـا صَـاحِ هـل أبـكـاكَ مَـوْقِـفُـنـا ... أم هـلْ عـلـيـنـا فـي الـبُـكَـا إثـمُ

غَنَّى فيهما ٱبنُ سُرَيج رملاً بالبنصر.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حَدّثنا محمد ابن عبد الله البَكْريّ وهارونُ بن أبي بكر عن عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقيّ عن أبيه عن سعيد بن مُسْلِم بن وَهْب مولى بني عامر بن لؤيّ عن أبيه قال: دخلتُ مسجدَ رسول اللهﷺ مع نَوْفَل بن مُسَاحِقٍ وإنه لمُعتَمِدٌ على يدي إذ مررنا بسعيد بن المسيّب في مجلسه فسلّمنا عليه فردَّ سلامَنا؛ ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد مَنْ أشعرُ، أصَاحبُنا أم صاحبُكم؟ يعني: عبيدُ الله بن قيس الرقيّات أو عمرُ بن أبي ربيعة؛ فقال نوفل: حين يقولان ماذا؟ فقال: حين يقول صاحبنا:

خَـلِـيـلَـيَّ مـا بَـالُ الـمَـطِـيِّ كَـأنَّـمـا ... نَـراهـا عـلـى الأدبارِ بِـالـقـوم تَـنْـكُـصُ

وقـد أَبْـعَـدَ الـحَـادِي سُـرَاهُـنَّ وٱنْـتَـحَـى ... بِـهِـنَّ فـمـا يَـألُـو عَـجُـولٌ مُـقَـلِّـصُ

وقـد قُـطِّـعَـتْ أعْـنَـاقُـهُـنَّ صَـبـابـةً ... فَـأنْـفُـسُـنـا مِـمَّـا تُـكَـلَّـفُ شُـخَّـصُ

يَـزِدْنَ بـنـا قُـرْبـاً فـيـزدَادُ شَـوْقُـنـا ... إذا زادَ طُـولُ الـعَـهْـدِ والـبُـعْـدُ يَـنْـقُـصُ

ويقول صاحبُكم ما شئتَ؛ قال: فقال له نوفلٌ: صاحبكم أشهر بالقول في الغزل أمتع الله بك، وصاحبُنا أكثر أفانين شعرٍ؛ قال: صدقتَ؛ فلما ٱنقضى ما بينهما من ذكر الشعر، جعل سعيدٌ يستغفر الله ويَعْقِد بيده ويَعُدُّه بالخمسِ كلِّها حتى وفّى مائةً.

قال البكريّ في حديثه عن عبد الجبَّار: فقال مُسْلِمُ بن وَهْب: فلما فارقناه قلتُ لنوفل: أتُراه ٱستغفرَ الله من إنشاده الشعرَ في مسجد رسول اللهﷺ؟ قال: كلاَّ! هو كثيرُ الإنشاد والاستنشاد للشعر، ولكنّي أحسَبُه للفخر بصاحبه.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزبير قال: حَدَّثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال: استأذنَ عُبيدُ الله بن قيس الرقيات على حمزةَ بن عبد الله بن الزبير؛ فقالت له الجاريةُ: ليس عليه إذنٌ الآنَ؛ فقال: أمَا إنه لو علم بمكاني ما

ٱحتجب عنّي! قال: فدخلتِ الجاريةُ على حمزةَ فأخبرتْه، فقال: ينبغي أن يكونَ هذا ٱبنَ قيس الرقيّات، إئذَنِي له، فأذِنَتْ له؛ فقال: مَرْحباً بك يأبنَ قيس، هل من حاجةٍ نزَعَتْ بكَ؟ قال: نعم، زوّجتُ بنينَ لي ثلاثةً ببناتِ أخ لي ثلاثٍ، وزوّجتُ ثلاثة من بني أخ لي بثلاثِ بناتٍ لي؛ قال: فلبنيكَ الثلاثةِ أربعُمائةِ دينارٍ أربعُمائةِ دينارٍ، ولبني أخيك الثلاثةِ أربعُمائةِ دينارٍ أربعُمائةِ دينار، ولبناتك الثلاثِ ثلاثمائة دينارٍ ثلاثمائة دينارٍ، ولبنات أخيك الثلاثِ ثلاثمائة دينارٍ ثلاثمائة دينارٍ، هل بَقِيَتْ لكَ من حاجة يأبنَ قيس؟ قال: لا والله إلاّ مؤونة السفر؛ فأمر له بما يُصْلِحُه لِسفره حتى رِقاعِ أخْفافِ الإبل.

ذكر ما قاله أبن قيس الرقيات وغُنِّي فيه

صوت

[الكامل]

أَمْسَتْ رُقَيَّةُ دُونَها البِشْرُ فَٱلرَّقَّةُ السَّوْداءُ فَالغَمْرُ[1]

غناه يونس ثقيلاً أوّلَ بالوسطى، وفيه لعَزّةَ الْمَيلاءِ ثاني ثقيلٍ. ومنها:

صوت

رُقَيَّ بِعَيْشِكُمْ لا تَهْجُرِينَا ومَنِّينَا المُنَى ثم ٱمْطُلِينَا

عِدِينَا في غَدٍ ما شِئْتِه إنَّا نُحِبُّ وإن مَطَلْتِ الوَاعِدِينا

أَغَرَّكِ أَنَّني لا صَبْرَ عِندي على هَجْرٍ وأَنَّكِ تَصْبِرِينَا

ويومَ تَبِعتُكم وتَرَكْتُ أَهْلِي حَنِينَ العَوْدِ يَتَّبِعُ القَرِينا[2]

عَرُوضُه من الوافر، غنّاه ٱبنُ مُحْرِز ثانيَ ثقيلٍ بالسّبابة في مجرى الوسطى. ومنها:

---

(١) البشر: جبل يمتدّ من عرض إلى الفرات من أرض الشام (معجم البلدان ١: ٤٢٦). والرّقة السوداء: قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة (معجم البلدان ٣: ٦٠). والغمر: اسم يطلق على عدة مواضع (معجم البلدان ٤: ٢١١).

(٢) العَوْد: الجمل المسنّ وفيه بَقية.

صوت

[مجزوء الوافر]

رُقَيَّةُ تَيَّمَتْ قَلْبِي فَوَاكَبِدِي مِنَ الحُبِّ
نَهَانِي إِخْوَتِي عَنْهَا وَمَا بِالقَلْبِ مِنْ عَتْبِ

غنّاه مالكٌ ثانِي ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة، وقد ذكَرتْ بَذْلُ أنّ فيه لابن المكيّ لحناً.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزبير قال: حَدّثني سعيد بن عمرو ابن الزُّبَير قال: حَدّثني إبراهيم بن عبد الله قال: أَنْشَدَ كُثيِّرُ ٱبنَ أبي عَتيق كلمَته التي يقول فيها: [الطويل]

ولَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَليلٍ بِنَائلٍ قَليلٍ ولا أَرْضَى له بِقَليلِ

فقال له: هذا كلامُ مكافِىءٍ ليس بعاشقٍ، القُرَشيّان أَقنعُ وأصدقُ منك: ابنُ أبي ربيعة حيث يقول: [الخفيف]

لَيْتَ حَظِّي كَلَحْظَةِ العَيْنِ مِنها وكَثِيرٌ منها القَليلُ المُهَنَّا

وقولُه أيضاً: [الخفيف]

فَعِدِي نَائلاً وإنْ لَمْ تُنِيلِي إنَّهُ يُقْنِعُ المُحِبَّ الرَّجَاءُ

وٱبنُ قيس الرقيّات حيث يقول:

رُقَيَّ بِعَيْشِكُمْ لا تَهْجُرِينَا ومَنِّينا المُنَى ثُمَّ ٱمْطُلِينَا
عِدِينَا في غَدٍ ما شِئْتِ إنَّا نُحِبُّ وإنْ مَطَلْتِ الواعِدِينَا
فَإمَّا تُنْجِزِي عِدَتِي وإمَّا نَعِيشُ بما نُؤَمِّلُ مِنكِ حِينَا

قال: فذكرتُ ذلك لأبي السّائب المخزوميّ ومعه ٱبنُ المولَى، فقال: صدقَ ٱبن أبي عتيق وفّقه الله، ألا قال المديون كثيّر كما قال هذا حيث يقول: [الطويل]

وأَبْكِي فلا لَيْلَى بَكَتْ من صَبَابةٍ لِبَاكٍ ولا لَيْلَى لِذِي الوُدِّ تَبْذُلُ
وأَخْنَعُ بِالعُتْبَى إذا كُنْتُ مُذنِباً وإنْ أَذْنَبَتْ كُنْتُ الَّذي أَتَنَصَّلُ

أخبرني الحرميّ قال: حَدَّثنا الزُّبير قال: سمعتُ عُبيدةَ بنَ أَشْعب بن جُبيرَ قال: حَدَّثني أبي قال: حَدَّثني فِنْدٌ مولى عائشةَ بنت سعد بن أبي وَقّاص قال: حَجَّتْ رُقيةُ بنتُ عبد الواحد بن أبي سعد العامريّةُ، فكنتُ آتيها وأُحَدِّثُها فتَستَظرِفُ

حديثي وتَضحكُ منّي؛ فطافتْ ليلةً بالبيت ثم أهوَتْ لِتستَلمَ الركنَ الأسودَ وقبّلَتْه، وقد طُفْتُ مع عُبَيد الله بن قيس الرّقيَّات، فصادف فراغُنا فراغَها ولم أشعُرْ بها، فأهوى أبنُ قيس يستلمُ الرُّكْنَ الأسودَ ويُقبّله، فصادفها قد سبقتْ إليه، فنفحَتْه برُدْنِها فأرتدَع؛ وقال لي: مَن هذه؟ فقلتُ: أوَ لا تعرفُها! هذه رقيّةُ بنتُ عبد الواحد بن أبي سعد؛ فعند ذلك قال: [الخفيف]

مَنْ عَذِيري مِمَّنْ يَضِنُّ بِمَبْذُو ... لِ لِغَيرِي عَلَيَّ عِنْدَ الطَّوَافِ

يريد أنها تُقَبِّل الحجَر الأسودَ وَتضَنُّ عنه بقبلتها. وقال في ذلك: [المديد]

حَدِّثوني هل على رَجُلٍ ... عاشقٍ في قُبْلةٍ حَرَجُ

وفيه غِناءٌ يُنسب بعد هذا الخبر، قال: ولما نَفَحَتْهُ بِرُدْنِها فاحَتْ منه رائحةُ المسك حتى عَجِبَ مَنْ في المسجد، وكأنما فُتِحَتْ بين أهل المسجد لَطِيمةُ[1] عَطّارٍ، فسبَّحَ مَنْ حولَ البيت. قال: وقال فِنْدٌ: فقلتُ بعد انصرافها لابن قيسٍ: هل وجدْتَ رائحةَ رُدْنها لشيءٍ طيباً؟ فعند ذلك قال أبياتَه التي يقول فيها:

صوت

[مجزوء الرمل]

سَائِلا فِنْداً خليلي ... كيفَ أَرْدَانُ رُقَيَّهْ
إنَّني عُلِّقْتُ خَوْداً ... ذاتَ دَلٍّ بَخْتَرِيَّهْ[2]

غنّاه فِنْدٌ ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش.

نسبة هذا الصوت الذي في الخبر المتقدّم وخبره
وهو أيضاً مما قاله ابن قيس في رقيّة

صوت

[المديد]

حَبَّ ذَاكَ الدَّلُّ والغُنُجُ ... والّتي في عَيْنِها دَعَجُ[3]

---

(١) اللّطيمة: وعاء المسك.

(٢) الخَوْد: الفتاة الحسنة الخلق الشابة، والدّلّ: الدلال والغنج. والبخترية: المتبخترة في مشيها والمعجبة بنفسها.

(٣) الدَّعَج: شدة سواد العين مع سِعتها.

والَّـتـي إنْ حَـدَّثَـتْ كَـذَبَـتْ والَّـتـي فـي وَعْـدِهـا خَـلَـجُ[١]
وتَـرَى فـي الـبـيـتِ صُـورَتَـهـا مِـثْـلَـمـا فـي الـبِـيـعَـةِ الـسُّـرُجُ[٢]
خَـبِّـرُونـي هـل عـلـى رَجُـلٍ عَـاشـقٍ فـي قُـبْـلَـةٍ حَـرَجُ

الشعر لابن قيس الرقيّات يقوله في رقيّة بنت عبد الواحد، والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلقٌ في مجرى البنصر، وفيه خفيفُ ثقيلٍ آخر لابن مُحْرِز من رواية عمرو بن بانة، وقيل: بل هو هذا.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزبير بن بكار قال: حَدَّثني سليمان بن عَيّاش السَّعْديّ قال: حدّثني سائبٌ راويةُ كثيِّر قال: كان كُثَيِّر مديوناً، فقال لي يوماً ونحن بالمدينة: اذهب بنا إلى ابن أبي عَتيق نتحدّث عنده؛ قال: فذهبت إليه معه؛ فاستنشده ابنُ أبي عَتيق، فأنشده قولَه:

* أبـائـنـةٌ سُـعْـدَى نـعـم سـتَـبـيـنُ *

حتى بلغ إلى قوله: [الطويل]

وأَخْـلَـفْـنَ مِـيـعـادي وخُـنَّ أَمَـانـتـي ولـيـسَ لِـمَـنْ خَـانَ الأَمـانـةَ دِيـنُ

فقال له ابن أبي عَتيق: أَعَلى الأَمانة تَبِعْتَها! فٱنكفَّ وٱستغضبَ نفسه وصاح وقال:

كَـذَبْـنَ صَـفـاءَ الـوُدِّ يـومَ مَـحِـلِّـهِ وأَنْـكَـدْنَـنـي مِـنْ وَعْـدِهِـنَّ ديـونُ

فقال له ابن أبي عَتيق: وَيْلَكَ! هذا أملح لهنّ وأدعى للقلوب إليهنّ، سيِّدُكَ ابن قيس الرقيّات كان أعلمَ منك وأوضعَ للصواب موضعَه فيهنّ؛ أمَا سمعتَ قوله:

حَـبَّ ذاكَ الـدَّلُّ والـغُـنُـجُ والَّـتـي فـي عَـيْـنِـهـا دَعَـجُ
والَّـتـي إنْ حَـدَّثَـتْ كَـذَبَـتْ والَّـتـي فـي وَعْـدِهـا خَـلَـجُ
وتَـرى فـي الـبـيـتِ صُـورَتَـهـا مِـثـلـمـا فـي الـبِـيـعَـةِ الـسُّـرُجُ
خَـبِّـرُونـي هـل عـلـى رَجُـلٍ عَـاشـقٍ فـي قُـبْـلَـةٍ حَـرَجُ

قال: فسكن كُثَيِّر وٱستحلى ذلك، وقال: لا! إن شاء الله؛ فضحك ٱبن أبي عَتيق حتى ذُهِبَ به.

---

(١) الخَلَج: عدم الوفاء بالوعد.

(٢) البِيعة: بيت العبادة للنصارى أو لليهود.

أخبرنا الحرميّ قال: حَدَّثنا الزبير قال: حَدَّثنا عبد الرحمن بن غُرَير الزُّهْريّ قال: أنشدتُ أبا السائب المخزومي قولَ ٱبن قيس الرقيّات:

صوت

[الخفيف]

قـد أَتَـانـا مِـنْ آلِ سُـعْـدَى رَسُـولُ حَـبَّـذَا مـا يـقـولُ لـي وأَقـولُ
مِـنْ فـتـاةٍ كـأنَّـهَـا قَـرْنُ شَـمْـسٍ ضَـاقَ عـنـهـا دَمَـالِجٌ وحُـجُـولُ[1]
حَـبَّـذا لَـيْـلَـتِـي بِـمِـزَّةِ كَـلْـبٍ غـالَ عَـنِّـي بـهـا الـكَـوَانـيـنَ غُـولُ[2]

فقال لي: يأبنَ الأمير ما تُرَاه كان يقول وتقول؟ فقلت: [الطويل]

حَدِيثاً كما يَسْرِي النَّدَى لو سَمِعْتَهُ شَـفَـاكَ مِـنَ أدْواءٍ كـثـيـرٍ وأَسْـقَـمَـا

فطَرِبَ وقال: بأبي أنت وأمي! ما زلتُ أُحِبُّكَ، ولقد أُضعِف حبِّي إياك حين تفهم عني هذا الفهم.

غَنَّى في هذه الأبيات ٱبن سُرَيج ثقيلاً أوّلَ بالوسطى، ولمالكٍ فيها ثاني ثقيلٍ، كلاهما عن الهِشَاميّ.

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدَلاَنيّ النحويّ صهرُ المبرّد قال: حَدّثني طلحة ابن عبد الله أبو إسحاق الطَّلْحيّ قال: حدّثنا الزبير بن بَكّار قال: حَدَّثني عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان قال: أَنشَد أَشْعبُ بن جُبَير أبي أبياتَ عُبيد الله بن قيس الرقيّات التي يقول فيها:

قـد أتـانـا مِـنْ آلِ سُـعْـدَى رَسـولُ حَـبَّـذَا مـا يـقـولُ لـي وأقـولُ

فقال أبي: وَيْحَكَ يا أشعب! ما تُرَاه قال وقالت له؟ فقال: [الطويل]

حَـدِيـثـاً لَـوَ ٱنَّ الـلَّـحْـمَ يَـصْـلَـى بِـحَـرِّهِ غَـرِيـضـاً أتـى أصحابَهُ وهـو مُـنْـضَـجُ[3]

---

(١) قرن الشمس: أوّل ما يبدو منها عند طلوعها. والدمالج: جمع الدُمْلُج: الحلية التي تحيط بمعصم اليد. والحجول: جمع الحجل: الخلخال.

(٢) المِزّة: قرية كبيرة غنّاء وسط بساتين دمشق وفيها قبر دحية الكلبي صاحب رسول الله ﷺ. والكوانين: الثقلاء من الناس والغول: الداهية.

(٣) الغريض: الطري.

ذكر شوقاً ووصف تَوْقاً، ووعَد ووفَى، وٱلتقيا بِمزَّة كَلْب فشفَى وٱشتفى، فذلك قوله:

حَـبَّـذَا لـيـلـتـي بِـمـزّة كـلـبِ غـالَ عَـنّـي بـهـا الـكَـوَانـيـنَ غُـولُ

فقال له: إنَّكَ لَعَلاّمة بهذه الأحوال؛ قال أجلْ! بأبي أنت! فاسأل عالماً عن علمه.

ومما في المائة الصوت المختارة من شعر عبيد الله بن قيس الرقيّات:

صوت

من المائة المختارة

[البسيط]

يا قَلْبُ وَيْحَك لا تَذْهَبْ بِكِ الحُرَقُ إنَّ الأُلَى كُنْتَ تَهْوَاهُمْ قَدِ انْطَلقُوا

وذُكر أنه لِوَضّاح، وقد أُخْرِجَ في موضع آخر.

ذكر مالك بن أبي السَّمْح وأخباره ونسبه

[توفي نحو ١٤٠ هـ/ نحو ٧٥٧ م]

[نسبه وكنيته وبعض صفاته]

هو مالك بن أبي السَّمْح واسم أبي السَّمْح جابر بن ثعلبة الطَّائي أحد بني ثُعَل ثم أحدُ بني عمرو بن دَرْماء، ويكنى أبا الوليد، وأمّه قرشيّة من بني مخزوم، وقيل: بل أمّ أبيه منهم، وهو الصّحيح.

وقال ابن الكلبي: هو مالك بن أبي السَّمْح بن سليمان بن أوْس بن سِمَاك بن سعد بن أوس بن عمرو بن دَرْماء أحد بني ثُعَل. . وأمّ أبيه بنت مُدْرِك بن عوف بن عُبَيد بن عمرو بن مخزوم؛ وكان أبوه منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويتيماً في حِجْرِه أوصى به أبوه إليه، فكان ابن جعفر يكفُله ويَمُونُه، وأدخله وسائِرَ إخوته في دعوة بني هاشم، فهم معهم إلى اليوم. وكان أحولَ طويلاً أَحْنَى. قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسينَ بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المطلب في قوله فيه: [المنسرح]

أَبْيَضُ كالبَدْرِ أو كما يَلْمَعُ الـ ... سَّارقُ في حَالِكِ مِنَ الظُّلَمِ

فقال له الوليد: بل أنت:

أَحْوَلُ كَالقِرْدِ أو كما يَرْقُبُ الـ ... سارقُ في حَالِكِ مِنَ الظُّلَمِ

[تَعَلُّمه الغناء على يدِ معبد بتوجيه من حمزة بن عبد الله بن الزبير]

وأخذ الغناءَ عن جَميلة ومَعْبد وعُمَر حتى أدرك الدولة العباسيّة، وكان منقطعاً إلى بني سليمان بن عليّ، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: نسخت من كتاب حَمّاد: قرأت على أبي أنّ

السبب في انقطاع أبي السَّمْح إلى ابن جعفر أنّ السَّنةَ أقْحَمَتْ[١] طَيِّئاً، فكان ثَعْلبةُ جَدُّ مالك أحدَهم، فوُلِدَ أبو السَّمْح بالمدينة؛ وكان صديقاً للحسين بن عبد الله الهاشميّ، وكان سببُ ذلك مودّةٌ كانت بينه وبين آل شُعَيب السَّهْميّين؛ فلما تزوّجَ حسين عابِدة بنت شُعَيب السَّهْمِيّة خاصمهم بسببها؛ وكان جدُّ مالك معه وعوناً له مع مَنْ عاونه، فنَشِبَتْ[٢] بذلك حالٌ بينه وبين بني هاشم، حتى وُلِدَ مالك في دُورهم، فصارت دِعْوَتُه[٣] فيهم.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حمّاد: قرأت على أبي:

وعُمِّرَ مالك حتى أدرك دولةَ بني العباس، وقَدِمَ على سليمان بن عليّ بالبصرة، فمَتَّ إليه بِخُؤولَتِهِ في قريش، ودِعْوَتِهِ لبني هاشم، وانقطاعِه إلى ابن جعفر، فعجّلَ له سليمانُ صِلَتَهُ وكساه وكتبَ له بأوْساقٍ[٤] من تمر.

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال: حَدَّثني مَيْمون بن هارون قال: حَدّثني القاسم ابن يوسف قال: أخبرني الوَرْدانيّ قال: كان مالك بن أبي السَّمْح المُغَنِّي من طَيِّىء، فأصابتهم حَطْمَةٌ[٥] في بلادهم بالجبلين[٦]، فقَدِمَتْ به أمُّه وبإخوةٍ له وأخَواتٍ أيتامٍ لا شيء لهم؛ فكان يسأل الناسَ على باب حمزة بن عبد الله بن الزُّبَير، وكان معبدٌ منقطعاً إلى حمزة يكون عنده في كل يوم يُغَنّيه؛ فسمع مالك غناءه فأعجبه واشتهاه، فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى اللّيل، فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يَرِيم[٧] موضِعَهُ، فينصرف إلى أمه ولم يكتسب شيئاً، فتضربه، وهو مع ذلك يترنّمُ بألحان معبد ويُؤَدِّيها دَوْراً دوراً في مواضع صَيْحاته وإسجاحاته ونَبَرَاته نَغَماً بغير لفظ ولا روايةِ شيء من الشعر؛ وجعل حمزةُ كلّما غدا وراح رآه ملازماً لِبَابِه؛ فقال لغلامه يوماً: أدخِلْ هذا الغلامَ

---

(١) أقحمت السنة: كانت شديدة مُجدِبة.

(٢) نَشِبَ الشيء في الشيء: عَلِقَ به.

(٣) الدِّعوة، في النسب: أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته.

(٤) الأوساق: جمع الوسق: هو ثلاثمائة وعشرون رطلاً عند أهل الحجاز وأربعمائة وثمانون عند أهل العراق.

(٥) الحطمة: الجَدْب.

(٦) الجبلان: هما جبلا أجأ وسلمى.

(٧) لا يريم: لا يبرح.

فأدخله، فقال له: مَنْ أنتَ؟ فقال: أنا غلام من طيّىء أصابَتْنا حَطْمةٌ بالجبلين فحَطَّتْنا إليكم ومعي أمّ لي وإخوةٌ، وإني لَزِمْتُ بابَكَ فسمعت من دارك صوتاً أعجبني، فلَزِمْتُ بابَكَ من أجله؛ قال: فهل تعرف منه شيئاً؟ قال: أعرف لحنَه كلَّه ولا أعرف الشعرَ؛ فقال: إن كنتَ صادقاً إنك لَفَهِمٌ. ودعا بمَعْبَد فأمره أن يُغَنِّيَ صوتاً فغَنَّاه، ثم قال لمالك: هل تستطيع أن تقوله؟ قال: نعم؛ قال: هاته؛ فاندفع فغنّاه فأدّى نَغَمَه بغير شعر، يؤدّي مَدَّاتِه ولَيَّاتِه وعَطَفَاتِهِ ونَبَراتِهِ وتعليقاتِه لا يَخْرِمُ حَرْفاً؛ فقال لمعبد: خُذْ هذا الغلام إليك وخَرِّجْهُ، فَلَيكونَنَّ له شأن؛ قال معبد: ولِمَ أفعل ذلك؟ قال: لتكون محاسنهُ منسوبة إليك، وإلاّ عدَلَ إلى غيرك فكانت محاسنهُ منسوبة إليه؛ فقال: صدقَ الأميرُ، وأنا أفعل ما أمرتَني به. ثم قال حمزة لمالكٍ: كيف وجدتَ ملازمَتَكَ لِبابنا؟ قال: أرأيتَ لو قلتُ فيك غيرَ الذي أنت له مستحِقٌّ من الباطل أكنتَ ترضى بذلك؟ قال: لا؛ قال: وكذلك لا يسرُّكَ أن تُحْمَدَ بما لم تفعل؛ قال: نعم؛ قال: فوالله ما شَبِعْتُ على بابك شَبْعةً قطُّ ولا انقلبتُ منه إلى أهلي بخير؛ فأمر له ولأُمِّه ولإخوته بمنزل، وأَجْرى لهم رزقاً وكسوةً، وأمر لهم بخادم يخدمُهم وعبد يسقيهم الماء، وأجلس مالكاً معه في مجالسه، وأمر معبداً أن يطارحه، فلم يَنْشَبْ[1] أن مَهَرَ وحذَقَ؛ وكان ذلك بعقب مقتل هُدْبَةَ بن خَشْرَم؛ فخرج مالك يوماً فسمع امرأة تنوحُ على زِيَادةَ الذي قتله هُدْبةُ بن خَشْرَم بشعر أخي زِيَادة: [الطويل]

أَبَعْدَ الَّذي بِالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكبٍ ... رَهِينَةَ رَمْسٍ ذِي تُرَابٍ وجَنْدلِ[2]
أُذَكَّرُ بِالبُقْيَا على مَنْ أَصَابَنِي ... وبُقْيَايَ أنِّي جَاهِدٌ غيرُ مُؤْتَلِي
فلا يَدْعُنِي قومي لِزَيْدِ بن مالكٍ ... لَئِنْ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أو أُعَجَّلِ
وإلاَّ أَنَلْ ثَأْرِي مِنَ اليومِ أو غَدٍ ... بَنِي عَمِّنا فالدَّهْرُ ذو مُتَطَوَّلِ
أَنَخْتُمْ علينا كَلْكَلَ الحَرْبِ مَرَّةً ... فنحنُ مُنِيخُوها عَلَيْكُمْ بِكَلْكَلِ[3]

فغنّى في هذا الشعر لَحْنَيْنِ، أحدهما نَحَا فيه نحو المرأة في نَوْحِها ورَقَّقَهُ وأصلحه وزاد فيه، والآخر نَحَا فيه نحو معبد في غنائه؛ ثم دخل على حمزة فقال له: أيُّها الأمير، إنّي قد صَنَعْتُ غِناءً في شعرٍ سمعت بعضَ أهل المدينة يُنْشِدُهُ وقد

(١) لم يَنْشَبْ: لم يلبث.
(٢) النَّعف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل. والجندل: الصخر الضخم.
(٣) الكلكل: الصدر.

أعجبني، فإنْ أَذِنَ الأميرُ غَنَّيْتُه فيه؛ قال: هَاتِهِ، فغنّاه اللّحنَ الذي نحا فيه نحو معبد؛ فطَرِبَ حمزة وقال له: أحسنتَ يا غلام، هذا الغناء غناء معبد وطريقتُه؛ فقال: لا تَعْجَل أيها الأمير واَسمعْ مِنّي شيئاً ليس من غناء معبد ولا طريقتِهِ؛ قال: هات فغنّاه اللّحنَ الذي تَشَبَّهَ فيه بِنَوْحِ المرأة، فطَرِبَ حمزةُ حتى ألقى عليه حُلَّةً كانت عليه قيمتها مائتا دينار؛ ودخل معبد فرأى حُلّة حَمْزة عليه فأنكرَها؛ وعَلِمَ حمزةُ بذلك فأخبر معبداً بالسبب، وأمر مالكاً فغنّاه الصّوتيْن؛ فغضِبَ معبد لما سمع الصوت الأوّل وقال: قد كَرِهْتُ أن آخُذَ هذا الغلام فيتعلَّمَ غنائي فيدَّعِيَه لنفسه؛ فقال له حمزة: لا تَعْجَلْ واسمعْ غناءً صَنَعَهُ ليس من شأنِكَ ولا غنائِكَ، وأمره أن يغنّي الصوت الآخر فغنّاه؛ فأطرق معبد؛ فقال له حمزة: والله لو انفردَ بهذا لَضَاهاكَ ثم يتزايدُ على الأيام، وكلّما كبرَ وزادَ شِخْتَ أنتَ ونقصتَ، فَلأَنْ يكون منسوباً إليك أجملُ؛ فقال له معبد وهو منكسر: صَدَقَ الأميرُ. فأمر حمزةُ لمعبدٍ بِخلْعةٍ من ثيابه وجائزةٍ حتى سكَنَ وطابت نفسُه؛ فقام مالك على رجله فقبّلَ رأس معبد، وقال له: يا أبا عَبّاد أساءكَ ما سَمِعْتَ منّي؟ والله لا أُغَنّي لنفسي شيئاً أبداً ما دُمْتَ حَيًّا، وإن غَلَبَتْني نفسي فغنَّيْتُ في شعر استحسنتُه لا نسبتُه إلا إليك، فطِبْ نفساً وارضَ عنّي؛ فقال له معبد: أوَ تفعل هذا وتَفِي به؟ قال: إي والله وأزيدُ فكان مالك بعد ذلك إذا غنّى صوتاً وسُئِلَ عنه قال: هذا لِمعبد، ما غَنَّيْتُ لنفسي شيئاً قطّ، وإنما آخُذُ غناءَ معبد فأنقله إلى الأشعار وأُحَسِّنُهُ وأزيدُ فيه وأُنْقِصُ منه.

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حَدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حَدَّثنا الحسن بن عُتْبة اللهبيّ عن عبد الرحمن بن محمد بن عُبيد الله أحدِ بني الحارث بن عبد المطّلب قال: خرجتُ من مكة أريد العراق، فحملتُ معي مالكَ بن أبي السَّمْح من المدينة، وذلك في أيام أبي العبّاس السّفاح، فكان إذا كانت عَشيّةُ الخميس قال لنا: يا معشر الرُّفْقَةِ إن اللّيلة ليلةُ الجمعة وأنا أعلم أنكم تسألوني الغناءَ، وعَلَيَّ وعَلَيَّ إن غَنَّيْتُ ليلة الجمعة، فإن أردتم شيئاً فالساعةَ اقترحوا ما أحببتم؛ فنسأله فيغنّينا، حتى إذا كادت الشمس أن تغيبَ طَرِبَ ثم صاح: الحريق في دار شَلْمَغَانَ، ثم يمرّ في الغناء فما يكون في ليلة أكثرَ غناءً منه في تلك الليلة بعد الأيمان المُغَلَّظَة.

[بعضُ أخباره]

أخبرني محمد بن مَزيَد قال: حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان سليمان بن عليّ يسمع من مالك بن أبي السَّمْحِ بالسَّرَاةِ، لأنه كان إذا قَدِمَ الشَّأمَ على الوليد بن يزيد، عدَلَ إليهم في بَدْأَتِهِ وعَوْدَتِهِ لانقطاعه إليهم، فَيَبَرُّونه ويَصِلُونه؛ فلما أَفْضَى إليهم الأمرُ رأى سليمانُ مالكاً على باب ٱبنه جعفر؛ فقال له: يا بنيّ، لقد رأيتُ بِبابِكَ أشبهَ الناس بمالكٍ؛ فقال له جعفر: ومَنْ مالكٌ؟ ـ يُوهمه أنه لا يعرفه ـ فتغافَلَ عنه سليمانُ لئلا ينبّهه عليه فيطلبه، وتوهَّمَ أنه لم يعرفه ولا سَمِعَ غناءه.

قال حمّاد: وحدّثني أبي عن جدّي إبراهيم أنه أخبره أنه رأى مالكاً بالبصرة على باب جعفر بن سليمان، أو أخيه محمد، ولم يعرفه، فسأل عنه بعد ذلك فعرفه وقد كان خرج عن البصرة؛ قال: فما لي حسرةٌ مثل حسرتي بأني ما سمعتُ غناءه.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدَّثنا أبو غَسّان محمد بن يحيى قال: كان مالك بن أبي السَّمْح يتيماً في حِجْرِ عبد الله بن جعفر، وكان أبوه أبو السّمح صار إلى عبد الله بن جعفر وٱنقطع إليه، فلما ٱحْتُضِرَ أَوْصَى بمالكٍ إليه، فكفَلَهُ وعاله وربّاه، وأدخله في دِعْوة بني هاشم، فهو فيهم إلى اليوم. ثم خطبَ حسينُ بن عبد الله بن عُبَيد الله بن العبّاس العابدةَ بنتَ شُعَيب بن محمد ابن عبد الله بن عمرو بن العاص، فمنعه بعضُ أهلها منها وخطَبها لنفسه، فعاون مالكٌ حُسَيناً، وكانت العابدةُ تستنصحه، وكانت بين أبيها شعيبٍ وبينه مودّةٌ، فأجابت حُسَيناً وتزوّجته، فانقطع مالكٌ إلى حسين؛ فلما أفضى الأمرُ إلى بني هاشم قَدِمَ البصرةَ على سليمان بن عليّ، فلما دخل إليه مَتَّ بِصحبته عبدَ الله بن جعفر ودِعْوتِهِ في بني هاشم وٱنقطاعِهِ إلى حسين؛ فقال له سليمان: أنا عارفٌ بكلّ ما قلته يا مالك، ولكنك كما تعلم، وأخاف أن تُفسِدَ عَلَيَّ أولادي، وأنا وَاصِلُكَ ومُعطيكَ ما تريد وجاعلٌ لك شيئاً أبعثُ به إليك ما دمتَ حيًّا في كلّ عام، على أن تخرج عن البصرة وترجع إلى بلدك؛ قال: أفعلُ جعلني الله فِدَاكَ؛ فأمر له بجائزة وكُسْوة وحمله وزوّده إلى المدينة.

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال: حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حَدّثني محمد بن هارون بن جَنَاح قال: أخبرني يعقوب بن إبراهيم الكُوفيّ عَمَّنْ أخبره قال: دخلتُ المدينةَ حَاجًّا فدخلتُ الحمّام، فبينا أنا فيه إذ دخل

صاحب الحمام فغسله ونظّفه، ثم دخل شيخ أعمى له هيئةٌ، مُؤْتَزِرٌ بمنديل أبيض؛ فلما جلس خرجْتُ إلى صاحب الحمّام فقلت له: من هذا الشيخ؟ قال: هذا مالك ابن أبي السمح المغنّي، فدخلتُ عليه فقلت له: يا عَمّاه، مَنْ أحسنُ الناس غِناءً؟ فقال: يأبن أخي، «على الخَبير سَقَطْتَ»[١]، أحسنُ الناسِ غناءً أحسنُهم صوتاً.

أخبرني عمّي قال: حَدّثني أبو أيوبَ المَدينيّ قال: حَدّثني أبو يحيى العِبَاديّ عن إسحاق قال: كان فتيةٌ من قريش جلوساً في مجلس، فَمَرَّ بهم مالك بن أبي السّمْح، فقال بعضهم لبعض: لو سَأَلْنا مالكاً فغنّانا صوتاً! فقام إليه بعضهم فسأله النزولَ عندهم، فعدَلَ إليهم؛ فسألوه أن يُغَنّيهم؛ فقال: نَعَمْ واللّهِ بالحُبِّ والكرامةِ، ثم ٱندفعَ يغنّي، وأوقع بِالمِقْرَعة على قَرَبُوس[٢] سَرْجه، فرفع صوتَه فلم يقدِر، ثم خفَضه فلم يَقْدِرْ، فجعل يبكي ويقول: وَاشَبَاباه.

أخبرني عمّي قال: حَدَّثني هارون بن محمد عن الزّبير بن بكّار عن عمّه عن جدّه أنه كان في هؤلاء الفِتْية الذين كانوا سألوه الغناء؛ وذكر باقيَ الخبر مثل ما ذكره إسحاق.

[خبره مع عجاجة المخنّث وكاتب يزيد بن عبد الملك]

أخبرني عمّي قال: حَدّثني أبو أيوبَ المَدِينيّ قال: حَدَّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال: حَدّثني صالح بن أبي الصَّقْر قال: قَدِمَ مالك بن أبي السَّمْح المُغَنّي البصرةَ، فلَقِيَهُ عَجَاجَةُ المُخَنَّثُ، وكان أشهرَ مَنْ بها من المخنّثين، وقال له: فَدَيْتُكَ يا أبا الوليد، إني كنتُ أُحِبُّ أن ألقاكَ وأن أَعرِضَ عليك صوتاً من غنائك أخذتُه عن بعض المخنّثين، فإن رأيتَ أن تنزلَ عندي فعلتَ؛ فنزل مالك عنده فبسط له المخنّثُ جَرْدَ[٣] قطيفةٍ كانت عنده فجلس، ثم أخذ عَجَاجةُ الدَّفَّ فغَنَّى:

[الخفيف]

حَبَّ إنّ الخِمارَ كان عليها ... شَاهِداً يوم زَارَتِ الجَوْشَنِيَّه

قد سَبَتْه بِدَلِّها حين جَاءَتْ ... تَتَهَادَى في مِشْيةٍ بَخْتَرِيَّه

---

(١) مثل يُضرَب حين يقع السائل على الخبير بالأمر.

(٢) القَرَبوس: جانب السرج وهو الخشبة التي بها اعوجاج ولكلّ سرج أربعة قرابيس.

(٣) الجَرْد: الخلق البالي من الثياب.

فجعل مالك يقول له: وَيْلَكَ! مَنْ قال هذا! لعنه اللَّهُ! وَيْحَك مَن غَنَّى هذا! قَبَّحَهُ الله! وَيْحَكَ مَنْ روى عَنّي هذا! أخزاه اللَّهُ! ثم قام فركب وهو يضحك عجباً من عَجَاجةَ.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: أخبرني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ٱبن جَنَاح قال: حَدّثني مصعب بن عثمان قال: حَدّثني عبد الله بن محمد بن يحيى بن عُرْوة بن الزُّبَير قال: حَدّثني مالك بن أبي السَّمْح قال: قَدِمنا على يزيدَ بن عبد الملك أوّلَ قُدومنا عليه مع معبد وٱبنِ عائشةَ، فغنّيناه ليلةً فأطربْناه، فأمر لكل واحد منّا بألف دينار وكتب لنا بها إلى كاتبه، فغدَوْنا عليه بالكتاب؛ فلما رآه أنكره وقال: أَيُؤْمَرُ لِمثلكم بألف دينار ألف دينار! لا والله ولا حُبًّا ولا كرامةَ!. فرجعنا إلى يزيدَ فأخبرناه بمقالته وكررنا عليه؛ فقال: كأنه ٱستنكر ذلك؟ فقلنا: نعم؛ فقال: مثله والله يستنكره ودعاه؛ فلما حضر ورآنا عنده ٱستأمره فيها، فأطرق مُسْتَحيِياً؛ وقال له: إني قد قلتها لهم ولا يَجْمُلُ أن أرجعَ عَمَّا قلت، ولكن قَطِّعْها عليهم. قال مالك: فمات والله يزيد، وقد بَقِيَ لكل واحد منا أربعُمائة دينار.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: نسختُ من كتاب حمّاد قال: قرأت على أبي، وحدّثنا الحسن بن محمد قال: لمّا ٱنهزم عبد الله بن عليّ من أبي مسلم قَدِمَ البصرةَ، وكان عند سليمان بن عليّ، وكان مالك بن أبي السمح يومئذ بها، فٱستزاره جعفر ومحمد فزارهما، وغنّاهما مالك في جوْف الليل في دار سليمانَ بن عليّ، وبلغ الخبرُ سليمانَ، فدخلَ عليهم فعذَلَ جعفراً ومحمداً، وقال: نحن نتوقّعُ الطامّة الكبرى وأنتم تسمعون الغناء! فقالا: ألاَ تجلسُ وتسمع! ففعل، فغنّاهم مالك:

صوت

[البسيط]

ما كنتُ أوّلَ مَنْ خَاسَ الزّمَانُ به	قد كُنتُ ذا نَجدةٍ أُخْشَى وذَا بَاسِ
أَبلِغْ أبا معبدٍ عَنّي وإخْوَتَهُ	شَوْقِي إليهم وأَحْزانِي ووَسْوَاسِي

فخرج وتركهم ولم يُنكِرْ عليهم شيئاً.

[مدحُ الحسين بن عبد الله لمالك]

وفي مالك بن أبي السمح يقول الحسين بن عبد الله بن عُبَيد الله بن العبّاس:

صوت

[المنسرح]

لا عَيْشَ إلا بِمَالِكِ بنِ أبي الـ ـسَّمْحِ فلا تَلْحَنِي ولا تَلُمِ
أبيضُ كالْبَدرِ أو كَمَا يَلْمَعُ الـ ـبَارقُ في حَالِكٍ مِنَ الظُّلَمِ
مَنْ ليسَ يَعصِيكَ إن رَشَدْتَ ولا يَهتِكُ حَقَّ الإسلام والحُرَمِ
يُصِيبُ من لَذَّةِ الكريم ولا يَجْهَلُ آيَ التَّرخيص في اللَّمَمِ
يا رُبَّ ليلٍ لنا كحاشيةِ الـ ـبُرْدِ ويوم كَذَاكَ لم يَدُمِ
نَعِمْتُ فيه ومالكَ بنَ أبي الـ ـسمحِ الكريمَ الأخلاقِ والشِّيَمِ

ـ غنّاه مالكٌ في الأوّل والثاني والثالث رملاً بالبنصر في مجراها ـ فيقال: إن مالكاً قال له: لا والله ولا إن غَوَيْتَ أيضاً أَعصِيكَ؛ ذكر ذلك الزبير عن عمّه مصعب، ويقال: إنه قال هذه المقالةَ للوليد بن يزيدَ، فسُرَّ بذلك وأجزلَ صِلَتَهُ.

[الوليد بن يزيد يجزل له العطاء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: نسخت من كتاب حمّاد قال: حَدّثني أبي قال: قال ابن الكلبيّ: قال الوليد بن يزيد لِمَعْبد: قد آذَيْتَنِي وَلْوَلَتُكَ هذه، وقال لابن عائشة: قد آذاني آستِهْلاَلُكَ هذا، فآنْظُرا لي رجلاً يكون مذهبه متوسّطاً بين مذهبَيْكما؛ فقالا له: مالكُ بن أبي السّمح؛ فكتب في إشخاصه إليه وسائرِ مُغَنّي الحجاز المذكورين؛ فلمّا قَدِمَ مالكٌ على الوليد بن يزيد فيمن معه من المغنّين نزل على الغَمْر بن يزيد، فأدخله على الوليد فغنّاه فلم يُعجِبْهُ؛ فلما آنصرف الغَمْر قال له: إن أمير المؤمنين لم يُعجِبْهُ شيءٌ من غنائك؛ فقال له: جعلني الله فداك! اطلُبْ لي الإذنَ عليه مرّةً واحدةً، فإن أعجبه شيء مما أُغنّيه وإلا آنصرفتُ إلى بلادي. فلما جلس الوليدُ في مجلس اللهو ذكره الغَمْر وطلب له الإذنَ، وقال له: إنه هابك فَحَضَرَ؛ قال: فأْذَنْ له، فبعث إليه؛ فأمر مالكٌ الغلامَ فسقاه ثلاثَ صُرَاحِيّات صِرْفاً؛ فخرجَ حتى دخل عليه يَخْطِرُ في مِشْيته، وقال غير ابن الكلْبيّ: إنه قال لفَرّاشِ للوليد: آسْقِني عُسًّا من شراب ولك دينار، فسقاه إيّاه وأعطاه الدينار؛ ثم قال له: زِدْني آخرَ فأزيدَكَ آخرَ، ففعل حتى شربَ ثلاثةً، ثم دخل على الوليد يخطِرُ في مِشيته؛ فلما بلغ بابَ المجلس وقف ولم يُسَلِّمْ، وأخذ بِحَلْقَةِ الباب فقَعْقَعَها، ثم رفع صوتَه فغَنَّى:

[المنسرح]

لا عَـيْـشَ إلا بِـمَـالِـكِ بـنِ أبـي الـ ــسـمْـح فـلا تَـلْـحَـنِـي ولا تَـلُـمِ

فطَرِبَ الوليد، ورفع يديه، حتى بدا إبطَاه إليه مَادًّا لهما، وقام فأعتنقه قائماً، وقال له: أدْنُ يأبنَ أخي، فدنا حتى اعتنقه؛ ثم أخذ في صوته ذلك، فلم يزالوا فيه أياماً، وأجزلَ صِلَتَهُ حين أراد الانصرافَ. قال: ولما أتى مالكٌ على قوله:

[المنسرح]

أَبْـيـضُ كـالـسَّـيْـفِ أو كـمـا يَـلْـمَـعُ الـ ـبـارقُ فـي حَـالِـكٍ مِـنَ الـظُّـلَـمِ

قال له الوليد: [المنسرح]

أَحْـوَلُ كـالـقِـرْدِ أو كـمـا يَـرْقُـبُ الـ ـسـارقُ فـي حَـالِـكٍ مِـنَ الـظُّـلَـمِ

[مالك يأخذ أغاني غيره ويغيّرها]

وكان مالك طويلاً أَجْنَى فيه حَولٌ.. وقد قال قوم: إنّ مالكاً لم يصنع لحناً قَطُّ غيرَ هذا ـ أعني: «لا عَيْشَ إلاّ بمالك بن أبي السّمح» ـ وإنه كان يأخذ غناءَ الناسِ فيزيدُ فيه وينقُصُ منه وينسُبه الناسُ إليه، وكان إسحاق يُنكِرُ ذلك غايةَ الإنكار، ويقول: غناءُ مالكٍ كلُّه مَذْهبٌ واحد لا تَبايُنَ فيه، ولو كان كما يقول النَّاس لاختلف غِناؤه، وإنما كان إذا غَنَّى ألحانَ مَعْبَدٍ الطِّوَالَ خَفَّفها وحَذَفَ بعض نَغَمِها، وقال: أطاله مَعْبَد ومطَّطَه، وحذفتُه أنا وحسّنْتُه، فأمّا ألاّ يكونَ صنع شيئاً فلا.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: نسختُ من كتاب حَمّاد: قرأتُ على أبي وذكر بكّار بن النبال: أن الوليد قال لمالك: هل تصنعُ الغناءَ؟ قال: لا، ولكنّي أَزيدُ فيه وأَنْقُصُ منه؛ فقال له: فأنت المُحَلِّي إذاً.

قال إسحاق وذكر الحسن بن عُتبة اللّهبي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الهاشميّ الحارثيّ الذي يقال له سَنَابِل ـ وفيه يقول الشاعر: [الطويل]

فـإنْ هِـيَ ضَـنَّـتْ عـنـكَ أو حِـيـلَ دُونَـهـا فَـدَعْـهـا وقُـلْ فـي أبْـنِ الـكِـرَامِ سَـنَـابِـلِ

قال: خرجتُ من مكّة أريد أبا العبّاس أميرَ المؤمنين، فمررت على المدينة فحملت معي مالكَ بن أبي السَّمح، فسألته يوماً عن بعض ما يُنْسَبُ إليه من الغناء؛ فقال: يا أبا الفضل، عليه وعليه إن كان غنّى صوتاً قطّ، ولكني آخذُه وأُحَسِّنُه وأُهيّئه وأُطيّبه، فأُصيب ويخطئون فيُنسَبُ إليّ. قال إسحاق: وليس الأمرُ هكذا،

لمالكٍ صنعةٌ كثيرة حسنة، وصنعته تَجْري في أسلوب واحد، ويُشبِه بعضُها بعضاً ولو كان كما قيل لاختَلَف غناؤه. وقد قيل: إنّ مالكاً كان يَنتفِي من الصنعة لأن أكثر الأشراف هناك كانوا يُنكرون عليه، فكان يَتَبَذَّلُ به عند من يراه، ويُنكره عند من يذُمّه، لِمَحَلِّه في بني هاشم.

وأخبرني بخبر سَنَابِلَ هذا محمدُ بن مَزْيَد قال: حَدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حَدّثني حمزة بن عتْبة اللّهبي عن سَنَابِلَ، فذكر الخبر وخالف ما رواه إسحاق أنّ الحسن بن عتبة حدّثه وحكاه عن حمزةَ بن عُتْبة أخيه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه عن محمد بن يَزيد اللَّيْثيّ قال: سُئِلَ مالك بن أبي السَّمْح عن صنعته في:

* لاحَ بِالدَّيْرِ من أُمامةَ نارُ *

فقال: أخذتُه والله من خَرْبَنْده[1] بِالشّام يَسُوقُ أَحْمِرَةً، فكان يترنَّمُ بهذا اللّحن بلا كلام، فأخذتُه فكسوتُه هذا الشعر.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: نزل مالكُ بن أبي السَّمْح عند رجل بمكةَ مخزوميٍّ، وكان له غلامٌ حائك، فأتاه آتٍ فقال: أمَا سَمِعْتَ غناءَ غلامك الحائك؟ قال: لا! أَوَيُغَنِّي؟ قال: نعم بشعر لأبي دَهْبَل الجُمَحِيّ؛ فبعث إليه فأتاه، فقال: تَغَنَّه؛ فقال: ما أُحسِنُ ذاك إلاّ على حَفِّي[2]؛ فخرج مولاه ومعه مالكٌ إلى بيته، فلما جلس على حَفِّه تَغَنَّى:

* تطاولَ هذا اللّيلُ ما يَتَبَلَّجُ *

فأخذه مالكٌ عنه وغنّاه فنسَبه الناس إليه؛ وكان يقول: والله ما غنّيته قطّ ولا غنّاه إلاّ الحائك.

نسبة هذين الصوتين

صوت

[الخفيف]

لاحَ بِالدَّيْرِ مِنْ أُمَامَةَ نَارُ لِمُحِبٍّ لَهُ بِيَثْرِبَ دارُ

---

(١) الخربنده: كلمة فارسية مركّبة ومعناها: المكاري.

(٢) الحفّ: المنوال والمنسج.

قـد تـراهـا ولـو تـشـاءُ مِـنَ الـقُـرْ ... بِ لأَغْـنَـاكَ عَـنْ نَـدَاهـا الـسِّـرَارُ[١]

الشعر للأحوص، ويقال: إنه لعبد الرحمن بن حسّان بن ثابت. والغناء لمالك بن أبي السَّمْح ثقيل أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وفيه لحن لمعبد ذكره إسحاق.

صوت

[الطويل]

تَـطَـاوَلَ هـذا الـلَّـيْـلُ مـا يَـتَـبَـلَّـجُ ... وأَعْـيَـتْ غَـوَاشِـي سَـكْـرتِـي مـا تَـفَـرَّجُ

أَبِـيـتُ بِـهَـمٍّ مـا أَنَـامُ كَـأَنَّـمـا ... خِـلالَ ضُـلـوعِـي جَـمْـرَةٌ تَـتَـوهَّـجُ

فَطَوْراً أُمَنِّي النَّفْسَ مِنْ تُكْتَمَ المنَى ... وطَوْراً إذا ما لَجَّ بي الحُبُّ أَنْشِجُ[٢]

عروضه من الطويل، الشعر لأبي دَهْبَل، والغناء لمالك بن أبي السَّمح ثقيل أوّلُ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جدّه قال: قال ٱبن عائشة: حضرتُ الوليدَ بن يزيد يوم قُتِلَ، وكان معنا مالك بن أبي السَّمْح وكان من أحمقِ الناس، فلما قُتِلَ الوليد قال: اهْرُبْ بنا؛ فقلت: وما يريدون مِنّا؟ قال: وما يؤمّنك أن يأخذوا رَأْسَيْنا فيجعلوا رأسه بينهما لِيُحَسِّنوا أمرَهم بذلك! قال ابن عائشة: فما رأيتُ منه عقلاً قَطّ قبل ذلك اليوم.

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال: قال الزبير بن بكار: حَدَّثتني ظَبْيَةُ قالت: رأيتُ مالكَ بن أبي السّمح وهو على مَنَامته يُلْقي على ٱبنه وقد كَبِرَ وٱنقطع:

صوت

[السريع]

إعْـتَـادَ هَـذَا الـقَـلْـبَ بَـلْـبَـالُـهُ ... إذْ قُـرِّبَـتْ لِـلْـبَـيْـنِ أَجْـمَـالُـهُ

خَـوْدٌ إذا قَـامَـتْ إلـى خِـدْرِهـا ... قـامَـتْ قَـطُـوفُ الـمَـشْـيِ مِـكْـسَـالُـهُ[٣]

(١) الندى: الجود والفضل. والسِّرَار: المسارّة.

(٢) تُكْتَم: اسم المرأة التي يُشَبّب بها.

(٣) قطوف المشي: بطيئته.

تَــفْــتَــرُّ عَــن ذِي أُشُــرٍ بَــارِدٍ عَــذْبٍ إذا مــا ذِيــقَ سَــلْــسَــالُــهُ[1]

الشّعرُ لعمرَ بن أبي رَبيعة، ولمالك بن أبي السَّمْح فيه ثلاثة ألحان: خفيفُ ثقيل مطلق في مجرى الوسطى، وثقيل أوّل بالوسطى في مجراها جميعاً عن إسحاق، وخفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وقيل: إنه لابن سُرَيج، وفيه رَمَلٌ يُنسب إلى ابن جامع وابن سريج.

[شعر في رثائه]

أخبرني وَكيع قال: حَدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: قال أبو عُبَيدة: سَمِعْتُ مُنشِداً يُنشدُ لنفسه يَرثي مالكاً بهذه القصيدة: [البسيط]

يا مالُ إنّي قَضَتْ نفسي عَلَيْكَ وما بيـنـي وبيـنَـكَ مِـنْ قُـرْبَـى ولا رَحِـمِ
إلا الّذي لكَ في قَلْبي خُصِصْتَ به مِـنَ الـمَـوَدَّةِ فـي سِـتْـرٍ وفـي كَـرَمِ

قال إسحاق: قال أبو عُبَيدة: هو مالك بن أبي السمح.. انقضت أخباره.

صوت
من المائة المختارة

من رواية هارون بن الحسن بن سَهْل وابن المَكّيّ وأبي العُبَيس ومن روَى جَحْظةُ عنه: [الطويل]

فَـإلاَّ تَـجَـلَّـلَـهـا يُـعَـالُـوكَ فَـوْقَـهـا وكـيـفَ تَـوَقَّـى ظَـهْـرَ مـا أنـتَ رَاكِـبُـهْ[2]
هُـمُ قَـتَـلُـوه كـي يـكـونُـوا مَـكَـانَـهُ كـمـا غَـدَرَتْ يـومـاً بِـكِـسْـرَى مَـرَازِبُـهْ[3]
بَـنِـي هـاشـمٍ رُدُّوا سِـلاحَ ٱبـنِ أُخْـتِـكُـمْ ولا تَـنْـهَـبُـوه لا تَـحِـلُّ مَـنَـاهِـبُـهْ

عروضه من الطويل، البيت الأوّل من الشعر لرجلٍ من بني نَهْد جاهليّ، وباقي الأبيات للوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط، والغناء لابن مُحرِز، ولحنه من الثقيل

(١) الأُشُر: حِدّة ورقّة في طرف الأسنان. والسَّلْسَال: الماء العَذب الصافي.
(٢) تجلّلها: تتجَلّلها: تعلوها.
(٣) المرازبة: جمع المَرْزُبان: الرئيس عند الفرس.

الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن يونس وإسحاق، وهو اللحن المختار، وفيه لِلغَرِيض ثقيل أوّلُ بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لِمَعْبد ثقيل أوّلُ آخرُ مطلق في مجرى الوسطى عن عمرو وعن الهشاميّ، وفيه لِسَلْسَل في الثاني والثالث ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش، وفيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل.

خبر النَّهديّ في هذا الشعر

وخبر الوليد بن عُقبة وقد مضى نسبه في أوّل الكتاب

[مقتلُ وَلَديه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: أخبرني عَمِّي عن ابن الكَلْبي عن أبيه عن عبد الرحمن المَدَائني، وكان عالماً بأخبار قومه، قال: وحدّثنيه أبو مِسْكِين أيضاً، قالا: كان الحارث بن مَارِيَةَ الغَسّاني الجَفْنِيّ مُكرِماً لزهير بن جَنَاب الكَلْبيّ يُنادمه ويحادثه، فقَدِمَ على المِلِكَ رجلان من بني نَهْد بنِ زيد يقال لهما حَزْنٌ وسَهْلٌ ابنا رِزَاح، وكان عندهما حديثٌ من أحاديث العرب، فاْجتباهما[1] الملكُ ونزلا بالمكان الأثير منه، فحسدهما زُهير بن جَنَاب، فقال: أيها الملك، هما والله عَيْنٌ لِذي القَرْنين عليك (يعني المُنذِرَ الأكبر جدَّ النعمان بن المنذر)، وهما يكتبان إليه بعَوْرَتِكَ وخَلَلِ ما يريان منك؛ قال: كلاّ! فلم يزل به زهير حتى أَوْغَر صدرَه، وكان إذا ركِبَ يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه، فبعَثَ إليهما بناقة واحدة؛ فعرَفا الشَّرَّ فلم يركب أحدهما وتوقّف؛ فقال له الآخر: [الطويل]

فـإلاّ تَـجَـلَّـلْـهـا يُـعـالُـوكَ فَـوْقَـهـا ... وكـيـف تَـوَقَّـى ظَـهْـرَ مـا أَنْـتَ رَاكِـبُـهْ

فركبها مع أخيه، ومَضى بهما فقُتِلا، ثم بحَثَ عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلاً فشتَم زُهيراً وطرده، فاْنصرف إلى بلاد قومه؛ وقَدِمَ رِزَاحٌ أبو الغلامين إلى الملك، وكان شيخاً عالماً مُجَرِّباً، فأكرمه الملك وأعطاه دِيَةَ اْبنيه؛ وبلغ زهيراً مكانُه، فدعا اْبناً له يقال له عامر، وكان من فِتيان العرب لساناً وبياناً، فقال له: إنّ رِزَاحاً قد قَدِمَ على الملك، فاْلحَقْ به واْحتَلْ في أن تكفِيَنِيه، وقال له: اذْمُمْنِي عند

---

(١) اجتباهما: اصطفاهما.

الملك ونَلْ مِنّي، وأثِّر به آثاراً؛ فخرج الغلام حتى قَدِمَ الشأم، فتلطّف للدخول على الملكِ حتى وصل إليه؛ فأعجبه ما رأى منه؛ فقال له: من أنت؟ قال: أنا عامرُ بنُ زُهَير بن جَنَاب؛ قال: فلا حيّاك الله ولا حيّا أباك الغادرَ الكذوبَ السّاعيَ! فقال الغلام: نعم، فلا حيّاه الله! أُنظُر أيها الملك ما صنَعَ بِظهري! وأراه آثارَ الضرب؛ فقَبِلَ ذلك منه وأدخله في نُدمائِه؛ فبَيْنا هو يحدّثه يوماً إذ قال له: أيها الملك، إنّ أبي وإن كان مُسيئاً فلستُ أدَعُ أن أقول الحقّ، قد والله نصحك أبي، ثم أنشأ يقول: [الوافر]

فـيـا لَـكِ نَـصْـحَـةً لَـمَّـا نَـذُقْـهـا … أراهـا نَـصْـحَـةً ذَهَـبَـتْ ضَـلالاَ

ثم تركه أيّاماً، وقال له بعد ذلك: أيها الملك، ما تقول في حيّة قد قُطِعَ ذَنَبُها وبَقِيَ رأسُها؟ قال: ذاك أبوك وصَنِيعُه بالرجُلين ما صَنَع؛ قال: أبيتَ اللّعنَ! والله ما قَدِمَ رِزاحٌ إلا لِيثأرَ بهما؛ فقال له: وما آيةُ ذلك؟ قال: اسقِهِ الخمر ثم ابْعَث إليه عَيْناً يَأتِكَ بخبره؛ فلما انْتَشى صَرَفَهُ إلى قُبَّته ومعه بنتٌ له، وبعث عليه عيوناً؛ فلما دخل قُبّته قامت إليه ابنته تُسانده فقال: [الوافر]

دَعِـيـنـي مـن سِـنـادِكِ إنَّ حَـزْنـاً … وسَـهْـلاً لـيـس بَـعْـدَهُـمـا رُقـودُ
أَلا تَـسَـلِـيـنِ عـن شِـبْـلَـيَّ مـاذا … أصـابَـهُـمـا إذا اهْـتَـرشَ الأُسُـودُ
فـإنّـي لـو ثَـأَرْتُ الـمَـرْءَ حَـزْنـاً … وسَـهْـلاً قـد بـدا لـكِ مـا أُريـد

فرجع القومُ إلى الملك فأخبروه بما سمعوا، فأمر بقتل النَّهْديّ رِزاح، وردّ زُهيراً إلى موضعه.

وقد أنشدني محمد بن العباس اليَزيديّ قال: أنشدنا محمد بن حَبِيب أبياتَ الوليد هذه على الوِلاء[١]، وهي: [الطويل]

أَلاَ مَـن لِـلَـيْـلٍ لا تَـغُـورُ كـواكِـبُـهْ … إذا لاحَ نَـجْـمٌ لاحَ نَـجْـمٌ يُـراقِـبُـهْ
بَـنِـي هـاشـم رُدُّوا سِلاحَ ابنِ أُخْتِكُمْ … ولا تَـنْـهَـبـوه لا تَـحِـلُّ مَـنَـاهِـبُـهْ
بَـنِـي هـاشـم لا تَـعْـجَـلـوا بِـإقَـادةٍ … سَـوَاءٌ عـلـيـنـا قَـاتِـلُـوه وسَـالِـبُـهْ
فقـد يُـجْـبَـرُ الـعَـظْـمُ الـكَـسيـرُ ويَـنْـبري … لِـذِي الـحَـقِّ يـومـاً حَـقُّـهُ فَـيُـطَـالِـبُـهْ
وإنَّـا وإيَّـاكـم ومـا كـانَ مِـنْـكُـمُ … كَصَدْعِ الصَّفا لا يَرْأَبُ الصَّدْعَ شَاعِبُهْ[٢]

(١) على الوِلاء: على التتابع.
(٢) الصّفا: جمع الصَّفاة: الصخرة العريضة الملساء.

بنِي هاشمٍ كيف التَّعاقُدُ بيننا — وعِنْدَ عَلِيٍّ سَيْفُهُ وحَرَائِبُهْ[١]
لعَمْرُكَ لا أنسى ابنَ أرْوَى وقَتْلَهُ — وهل يَنْسَيَنَّ المَاءَ ما عاشَ شارِبُهْ
هُمُ قَتَلُوه كي يكونوا مَكَانَه — كما غَدَرَتْ يوماً بِكِسْرَى مَرازِبُهْ
وإنِّي لَمُجْتَابٌ إليكمْ بِجَحْفَلٍ — يُصِمُّ السَّمِيعَ جَرْسُهُ وجَلاَئِبُهْ[٢]

وقد أجاب الفضلُ بن عبّاس بن عُتْبة بن أبي لَهَب الوليدَ عن هذه الأبيات، وقيل: بل أبوه العبّاس بن عُتبة المجيبُ له أيضاً. والجواب:

صوت

[الطويل]

فلا يسألونا بالسِّلاحِ فإنَّهُ — أُضِيعَ وألْقَاهُ لَدَى الرَّوْعِ صَاحِبُهْ
وشَبَّهْتَهُ كِسْرى وقد كانَ مِثْلُهُ — شَبِيهاً بِكِسْرَى هَدْيُهُ وعَصَائِبُهْ

ذكر أحمد بن المكيّ أنّ لابن مِسْجَح فيه لحناً وأن لحنه من الثقيل الأوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى، وقال غيره: إنّه من منحول أبيه يحيى إلى ابن مسجح.

---

(١) الحرائب: جمع الحريبة: هي مال الرجل الذي يعيش به، أو هو ما يُسلَب منه.
(٢) الجحفل: الجيش الضخم. والجَرْس: الصوت.

ذكر باقي خبر الوليد بن عُقبَة ونسبه

[توفي ٦١ هـ/ ٦٨٠ م]

[قرابته لعثمان بن عفان ومنزلته عنده]

الوليدُ بنُ عقبة بن أبي مُعَيط، وقد مضى نسبه مع أخبار ابنه أبي قَطِيفة، ويكنى الوليدُ أبا وَهْب، وهو أخو عثمان بن عفّان لأُمّه، أُمّهما أرْوَى بنت كُرَيز، وأمّها البَيْضاء بنت عبد المطلب. وكان من فتيان قريش وشعرائهم وشُجعانهم وأجوادِهم، وكان فاسقاً، ووَلِيَ لعثمان رضي الله عنه الكوفة بعد سعد بن أبي وَقّاص، فشرِب الخمرَ وشُهِدَ عليه بذلك، فحَدَّهُ وعزَلَهُ؛ وهو الذي يقول يَرثي عثمانَ رضي الله عنه ويُحرِّضُ معاوية: [الطويل]

واللهِ مـا هِـنْـدٌ بِـأُمِّـكَ إنْ مَـضَـى الـ ... ـنَّـهَـارُ ولـم يَـثْـأرْ لِـعُـثْـمَـانَ ثَـائِـرُ
أَيَـقْـتُـلُ عَـبْـدُ الـقَـوْمِ سَـيِّـدَ أَهْـلِـهِ ... ولـم تَـقْـتُـلُـوه لَـيْـتَ أُمَّـكَ عَـاقِـرُ
وإنّـا مـتـى نَـقْـتُـلْـهُـمُ لا يُـقِـدْ بِـهِـم ... مُـقِـيـدٌ فـقـد دَارَتْ عَـلـيـكَ الـدَّوَائِـرُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال: لم يكن يجلس مع عثمان رضي الله عنه على سريره إلا العباسُ بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حَرْب والحَكَم بن أبي العاصي والوليد بن عُقْبة، فأقبل الوليدُ يوماً فجلس، ثم أقبل الحكم، فلما رآه عثمان زَحَلَ له عن مجلسه، فلما قام الحكم قال له الوليد: والله يا أمير المؤمنين، لقد تَلَجْلج في صدري بيتان قُلْتُهما حين رأيتكَ آثَرْتَ عَمَّكَ على ابنِ أُمِّكَ؛ فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه: إنه شيخُ قريش، فما البيتان اللّذان قلتَهما؟ قال قلت: [الطويل]

رَأَيْـتُ لِـعَـمِّ الـمَـرْءِ زُلْـفَـى قَـرَابَـةٍ ... دُوَيْـنَ أَخِـيـهِ حَـادِثـاً لـم يَـكُـنْ قِـدَمَـا

فَأَمَّلْتُ عَمْراً أَنْ يَشِبَّ وخَالِدَا ... لكي يَدْعُوَانِي يومَ مَزْحَمَةٍ عَمَّا

يعني عمراً وخالداً ٱبني عثمان، قال: فرَقَّ له عثمان، وقال له: قد وَلَّيْتُكَ العراقَ (يعني الكوفة).

[بعضٌ من أخباره]

أخبرني أحمد قال: حَدَّثني عمر بن شَبّة قال: حَدّثني بعضُ أصحابنا عن ٱبن دَأْب قال: لما وَلّى عثمانُ رَضِيَ الله عنه الوليدَ بن عقبة الكوفةَ قَدِمَها وعليها سعد بن أبي وَقّاص، فأُخبِرَ بقدومه؛ فقال: وما صنعَ؟ قال: وقف في السوق فهو يحدّثُ الناس هناك ولسنا نُنكرُ شيئاً من شأنه؛ فلم يلبث أن جاءه نصفَ النهار، فاستأذن على سعد فأذِنَ له، فسلَّمَ عليه بالإمرة وجلس معه؛ فقال له سعد: ما أقدمكَ أبا وهب؟ قال: أَحْبَبْتُ زيارتَكَ؛ قال: وعلى ذلك، أجئْتَ بريداً؟ قال: أنا أَرْزَنُ من ذلك، ولكن القوم ٱحتاجوا إلى عملهم فسَرّحوني إليه، وقد ٱستعملني أمير المؤمنين على الكوفة؛ فمكثَ طويلاً ثم قال: لا والله ما أدري أَصَلَحْتَ بعدَنا أم فَسَدْنا بعدَكَ! ثم قال: [الطويل]

خُذِيني فَجُرِّيني ضِبَاعُ وأَبْشِرِي ... بِلَحْمِ ٱمْرِىءٍ لم يَشْهَدِ اليومَ نَاصِرُهْ

فقال: أَمَا والله لأَنَا أَقْوَلُ لِلشّعر وأَرْوى له منكَ، ولو شِئتُ لأَجَبْتُكَ، ولكنّي أَدَعُ ذلك لما تعلم؛ نعم والله قد أُمِرْتُ بِمحاسبتك والنظرِ في أمر عُمَّالِكَ، ثم بعث إلى عمّاله فحبَسهم وضَيَّقَ عليهم، فكتبوا إلى سعد يستغيثون، فكلّمه فيهم؛ فقال له: أَوَ للمعروف عندكَ موضعٌ؟ قال: نعم والله! فخَلَّى سبيلَهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدثني عمر قال: حَدَّثنا جَنّاد بن بِشْر قال: حَدَّثني جَرير عن مُغِيرة بنحوه.

قال أبو زيد عمر بن شَبّة: أخبرنا أبو بكر الباهليّ قال: حَدّثنا هُشَيم عن العَوّام بن حَوْشَب: أنه لمّا قَدِمَ على سعد قال له سعد: ما أدري أَكِسْتَ[1] بعدنا أم حَمُقْنا بعدَكَ؟ فقال: لا تَجْزَعَنَّ أبا إسحاق، فإنما هو المُلْكُ يتغدَّاهُ قومٌ ويَتَعشَّاه آخرون؛ فقال له سعد: أراكم والله ستجعلونه مُلْكاً.

---

(١) كِسْتَ: أصبحت أكثر ظرفاً وفطنةً.

أخبرني أحمد قال: حَدَّثني عمر قال: حَدَّثني المدائني عن بشر بن عاصم عن الأعمش عن شَقِيق بن سَلَمة قال: قَدِمَ الوليد بن عقبة عاملاً لعثمان على الكوفة وعبد الله بن مسعود على بيت المال، وكان سعد قد أخذ مالاً، فقال الوليد لعبد الله: خُذْه بالمال، فكلَّمَه عبد الله بمحضر من الوليد في ذلك؛ فقال سعد: آتي أميرَ المؤمنين، فإن أخذني به أَدَّيْتُهُ. فغمزَ الوليدُ عبدَ الله، ونظر إليهما سعد فنهض وقال: فعلتماها! ودعا الله أن يُغرِيَ بينهما وأدّى المال.

أخبرني أحمد قال: حَدّثني عمر بن شَبّة قال: حَدّثنا هارون بن معروف قال: حَدَّثنا ضَمْرة بن رَبيعة عن ابن شَوْذب قال: صَلَّى الوليدُ بن عُقْبة بأهل الكوفة الغداةَ أربعَ ركعات، ثم التفت إليهم فقال: أأزيدكم؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذُ اليوم.

أخبرني أحمد قال: حَدَّثني عمر بن شَبَّة قال: حَدّثنا محمد بن حُمَيد قال: حَدَّثنا جَرِير عن الأَجْلح عن الشَّعْبيّ في حديث الوَليد بن عُقْبة حين شهدوا عليه قال: قال الحطيئة: [الكامل]

شَهِدَ الحُطَيْئَةُ يومَ يَلْقى رَبَّهُ ... أَنَّ الوَلِيدَ أَحَقُّ بِالعُذْرِ
نَادَى وقد تَمَّتْ صَلاتُهُمُ ... أَأَزِيدُكُمْ - سُكْراً - وما يَدْري
فَأَبَوْا أَبَا وَهْبٍ ولو أَذِنُوا ... لَقَرَنْتَ بين الشَّفْعِ والوَتْرِ[1]
كَفُّوا عِنَانَكَ إذ جَرَيْتَ ولو ... تَرَكُوا عِنَانَكَ لم تَزَلْ تَجْرِي[2]

وقال الحطيئة أيضاً: [الوافر]

تَكَلَّمَ في الصَّلاةِ وزادَ فيها ... عَلانِيَةً وجَاهَرَ بِالنِّفَاقِ
ومَجَّ الخَمْرَ في سَنَنِ المُصَلَّى ... ونَادَى والجميعُ إلى افتراقِ[3]
أزيدُكُم على أَنْ تَحْمَدُوني ... وما لَكُمُ ومَا لِي مِنْ خَلاقِ

[شرب الخمر في المسجد فأقاموا عليه الحدّ]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: قال حماد بن إسحاق: حَدَّثني أبي قال:

(١) الشَّفع: الزوج من العدد. والوتر: المفرد.
(٢) العِنان: هو سير اللجام الذي تُمْسَكُ به الدابة.
(٣) مَجَّ الشراب أو الرِّيق من فمه: رمى به.

ذكر أبو عُبَيدة وهشام بن الكلبيّ والأصمعي قالوا: كان الوليد بن عقبة زانياً شِرِّيبَ خَمْرٍ، فشربَ الخمرَ بالكوفة وقام لِيُصَلّي بهم الصّبحَ في المسجد الجامع، فصَلّى بهم أربع رَكَعات، ثم التفت إليهم وقال لهم: أزِيدكم؟ وتَقَيَّأَ في المِحْرَابِ، وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته: [مجزوء الرمل]

عَلِقَ القَلْبُ الرَّبَابَا ... بَعْدَما شَابَتْ وشَابَا

فشخَصَ أهلُ الكوفة إلى عثمان، فأخبروه خبرَه وشَهِدُوا عليه بِشُربه الخمرَ، فأُتِيَ به، فأمر رجلاً بضربه الحَدَّ؛ فلما دنا منه قال له: نَشَدْتُكَ اللّهَ وقَرَابتي من أمير المؤمنين فتركه؛ فخاف عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يُعطَّلَ الحَدُّ، فقام إليه فحَدَّه؛ فقال له الوليد: نَشَدْتُك بالله وبالقرابة؛ فقال له عليّ: اسكتْ أبا وَهْب فإنّما هلكَتْ بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدودَ، فضربه وقال: لَتَدْعُوَنِّي قريشٌ بعد هذا جَلاَّدَها. قال إسحاق: فأخبرني مُصْعَب الزُّبيريّ قال: قال الوليد بن عُقْبة بعدما جُلِدَ: اللّهم إنهم شَهِدُوا عَلَيَّ بزور، فلا تُرْضِهِم عن أمير ولا تُرْضِ عنهم أميراً. فقال الحطيئة يُكَذِّبُ عنه: [الكامل]

شَهِدَ الحُطَيئةُ يومَ يَلْقَى رَبَّهُ ... أَنَّ الوليدَ أَحَقُّ بالعُذْرِ
خَلَعُوا عِنَانَكَ إذ جَرَيْتَ ولو ... تركوا عِنانَكَ لم تَزَلْ تَجْري
وَرأَوْا شَمَائِلَ مَاجِدٍ أَنِفٍ ... يُعْطِي على المَيسورِ والعُسْرِ
فَنُزِعْتَ مَكذوباً عليكَ ولم ... تَنْزِعْ إلى طَمَعٍ ولا فَقْرِ

فقال رجل من بني عِجْل يردّ على الحطيئة: [الكامل]

نَادَى وقد تَمَّتْ صَلاتُهُمُ ... أَأَزِيدُكُمْ - ثَمِلاً - وما يَدْرِي
لِيَزِيدَهُمْ خَيْراً ولو قَبِلوا ... لَقَرَنْتَ بينَ الشَّفْعِ والوِتْرِ
فأَبَوْا أبا وَهْبٍ ولو فعلوا ... وَصَلَتْ صَلاتُهُمُ إلى العَشْرِ

وروى العبّاس بن مَيْمون طائع عن ابن عائشةَ قال: حَدّثني أبي قال: لما أحضر عثمان رضي الله عنه الوليدَ لأهل الكوفة في شُرْب الخمر، حضر الحُطَيْئةُ فاستأذن على عثمان وعنده بنو أمية متوافِرون، فطَمِعوا أن يأتيَ الوليدَ بعذر، فقال:

شَهِدَ الحُطَيئةُ يوم يلقى رَبَّه ... أنّ الوليدَ أحقُّ بالعذرِ
خلعوا عِنانَكَ إذ جَرَيْتَ ولو ... تركوا عِنانكَ لم تزلْ تجري
ورأَوْا شمائلَ ماجدٍ أَنِفٍ ... يُعطي على الميسورِ والعُسرِ

فنُزِعتَ مكذوباً عليكَ ولم تُنزَعْ إلى طَمَعٍ ولا فقرِ

فقال: فَسُرُّوا بذلك وظنّوا أن قد قام بعذره؛ فقال رجل من بَني عِجْل يردّ على الحُطَيئة:

نادى وقد تَمّتْ صَلاتُهمُ أأزيدكم - ثَمِلاً - وما يَدرِي

فأبَوْا أبا وَهْبٍ ولو فعلوا وصلتْ صلاتُهمُ إلى العَشْر

فوجَمَ القومُ وأطرقوا، فأمر به عثمانُ رضي الله تعالى عنه فحُدَّ.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدَّثني محمد بن الفَضْل مِنْ حِفْظه قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة من حفظه، ونسخت من كتاب لهارون بنِ الزيات بِخطّه عن عمر بن شبة، وروايتُه أتمّ، فحكيتُ لفظه، قال: شَهِدَ رجلٌ عند أبي العَجّاج، وكان على البصرة، على رجل من المُعَيْطيّين شهادة، وكان الرجل الشاهد سكرانَ؛ فقال المشهودُ عليه وهو المُعَيْطيّ: أعزَّكَ الله إنّه لا يُحْسِنُ أن يقرأ من السُّكْرِ؛ فقال الشّاهد: بلى إني لأُحْسِنُ؛ فقال: اقرأْ؛ فقال: [مجزوء الرمل]

عَلِقَ القَلْبُ الرَّبَابا بعدما شابَتْ وشَابَا

قال: وإنما تَمَاجن بذلك على المُعَيطِيّ، لِيَحكي به ما صنع الوليدُ بن عُقْبة في مِحْرابِ الكوفة وقد تقدّمَ للصلاة وهو سكرانُ فأنشد في صلاته هذا الشّعر؛ وكان أبو العجّاج مُحمَّقاً فظنّ أن هذا قرآن، فقال: صدق الله ورسوله، وَيْلَكم! فلِمَ تعلمون ولا تعملون!. ولقد رُوِيَ أيضاً في الشهادة على الوليد في السُّكر غيرُ ما ذُكِرَ من زيادته في الصلاة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: عرضت على المَدَائنيّ عن مبارك بن سَلاّم عن فِطْر بن خَلِيفة عن أبي الضُّحَى قال: كان أبو زَيْنب الأَزْدِيّ وأبو مُوَرِّع يطلبان عَثْرَةَ الوليد بن عُقْبة، فجاءا يوماً فلم يَحْضُرِ الصَّلاةَ، فسألا عنه وتلطّفا حتى عَلِما أنه يشربُ، فاقتحما عليه الدَّارَ فوجداه يَقِيءُ، فاحتملاه وهو سكرانُ فوضعاه على سريره وأخذا خاتَمَه من يده، فأفاقَ فافتقدَ خاتَمَه فسأل عنه؛ فقالوا: لا ندري وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك؛ فقال: صِفُوهما لي؛ فقالوا: أحدهما آدَمُ[1] طويلٌ حسنُ الوجه، والآخرُ

(١) الأَدَم: السُّمْرَة.

عريض مربوع عليه خَمِيصة[١]؛ فقال: هذا أبو زَينب وأبو مُوَرِّع. ولَقِيَ أبو زينب وصاحبُه عبدَ الله بن حُبَيش الأسدي وعَلْقمة بن يَزيد البَكْريّ وغيرهما فأخبرَاهم، فقالوا: اشخَصوا إلى أمير المؤمنين فأَعْلِموه؛ فقال بعضهم: لا يَقبلُ قولَنا في أخيه؛ فشخَصوا إليه وقالوا: إنا جئناكَ في أمرٍ ونحن مُخرجوه إليك من أعناقنا، وقد قلنا: إنك لا تقبلُه، قال: وما هو؟ قالوا: رأينا الوليدَ وهو سكرانُ من خمر قد شَربَها وهذا خاتَمُه أخذناه وهو لا يَعْقِلُ؛ فأرسل إلى عليّ رضي الله تعالى عنه فشاوره؛ فقال: أرى أن تُشْخِصَهُ، فإن شَهِدُوا عليه بِمَحْضَرٍ منه حَدَدْتَهُ؛ فكتب عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الوليد بن عُقبة فقدِمَ عليه، فشهد عليه أبو زينبَ وأبو مُوَرِّع وجُنْدَب الأسْديّ وسعد بن مالك الأشعريّ، ولم يَشْهَدْ عليه إلاّ يَمَانٍ[٢]؛ فقال عثمان لعليّ: قُمْ فاَضربه؛ فقال عليّ للحسن: قم فاَضربه؛ فقال الحسن: ما لك ولهذا! يكفيك غيرُك؛ فقال عليّ لعبد الله بن جعفر: قم فاَضربه، فضربه بِمِخْصَرَةٍ[٣] فيها سيرٌ له رأسان، فلما بلغ أربعين قال له عليٌّ: حَسْبُكَ.

[عثمان بن عفّان يلين له فيقع في المشاكل بسببه]

أخبرنا أحمد قال: حَدَّثنا عمر قال: حَدَّثنا المَدَائنيّ عن الوَقَّاصيّ عن الزُّهْريّ قال: خرجَ رهطٌ من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد، فقال: أكلّما غضِبَ رجلٌ منكم على أميره رماه بالباطل! لَئِنْ أصبحْتُ لكم لأُنكِّلنّ بكم؛ فاَستجاروا بعائشة؛ وأصبحَ عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعضُ الغِلْظَة، فقال: أما يَجِدُ مُرَّاقُ أهلِ العراق وفُسَّاقُهم ملجأً إلا بيتَ عائشة! فسَمِعَتْ فرفَعَتْ نعلَ رسول الله ﷺ وقالت: تركتَ سنّةَ رسول الله ﷺ صاحب هذه النعل؛ فتسامَعَ الناسُ فجاءُوا حتى ملأُوا المسجدَ، فمِن قائل: أحسنَتْ، ومِنْ قائل: ما للنساء ولهذا! حتى تحاصَبوا وتَضاربوا بالنّعال؛ ودخل رَهْطٌ من أصحاب رسول الله ﷺ على عثمان، فقالوا له: اتّق الله ولا تُعطِّل الحدَّ، واَعْزِلْ أخاك عنهم؛ فعزَلَهُ عنهم.

أخبرني أحمد قال: حَدّثنا عمر قال: حَدَّثنا المَدَائنيّ عن أبي محمد النَّاجي عن مَطَر الوَرّاق قال: قَدِمَ رجل المدينةَ فقال لعثمان رضي الله عنه: إنّي صَلَّيْتُ

---

(١) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان.

(٢) يمانٍ: نسبة إلى اليمن.

(٣) المخصرة: العصا أو العكّازة التي يأخذها الملك بيده ويشير بها إذا خاطب الآخرين.

الغداةَ خَلْف الوليد بن عُقْبة، فالتفتَ إلينا فقال: أأزيدكم؟ إنّي أَجِدُ اليومَ نشاطاً، وأنا أَشَمُّ منه رائحةَ الخمر؛ فضربَ عثمانُ الرَّجُلَ؛ فقال الناس: عُطِّلَتِ الحدودُ وضُرِبَتِ الشّهودُ.

أخبرني أحمد قال: حَدَّثني عُمر قال: حَدَّثنا أبو بكر البَاهِلِيّ عن بعض من حدَّثه قال: لما شُهِدَ على الوليد عند عثمان بِشُرْبِ الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص، فخرج وخرج معه قوم يَعْذِرونه، فيهم عدِيّ بن حاتم، فنزل الوليدُ يوماً يَسُوق بهم، فقال يرتجز: [الرجز]

لا تَحْسَبَنَّا قد نَسِينا الإيجافْ والنَّشَوَاتِ مِنْ عَتيقٍ أو صَافْ[1]

* وعَزْفَ قَيْناتٍ علينا عُزَّافْ *

فقال عَدِيّ: إلى أين تذهب بنا! أَقِمْ!.

أخبرني أحمد قال: حَدَّثنا عمر قال: عَرَضْتُ على المَدَائنيّ عن قَيْس بن الرَّبيع عن الأَجْلَح عن الشَّعْبيّ عن جُنْدَب قال: كنتُ فيمن شَهِدَ على الوليد، فلما استَتْمَمْنا عليه الشهادةَ حبسه عثمان، ثم ذكر باقيَ خبره وضَرْبَ عَليٍّ عليه السلام إيّاه، وقولَ الحسن: «ما لَكَ ولهذا!»، فزاد فيه: فقال له عليّ: لست إذاً مسلماً، أو من المسلمين.

حدّثنا إبراهيم بن عبد الله المخزوميّ قال: حَدَّثنا سَعيد بن محمد المخزوميّ قال: حَدَّثنا ٱبنُ عُليّة قال: حَدّثنا سَعيد بن أبي عَرُوبة عن عبد الله الدَّاناج قال: سمعت الحُضَين بن المُنْذِر أبا ساسانَ يُحَدِّث، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدَّثنا محمد بن حاتم قال: حَدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيَّة قال: حَدَّثنا سعيد بن أبي عَرُوبة قال: حَدَّثنا عبد الله الدَّاناج عن حُضَين أبي ساسانَ قال: لما جِيءَ بالوليد بن عُقْبة إلى عثمان بن عفّان وقد شَهِدُوا عليه بشرب الخمر، قال لِعليّ: دونَكَ ابنَ عَمِّكَ فَأَقِمْ عليه الحَدَّ؛ فأمَر به فجُلِدَ أربعين. ثم ذكر نحوَ هذا الحديث وقال فيه: فقال عليّ للحسن: بل ضَعُفْتَ وَوَهَنْتَ وعَجَزْتَ، قُمْ يا عبدَ الله بنَ جعفر، فقام فَجَلده وعليّ يَعُدُّ حتى بَلَغَ أربعين، فقال عليّ: أَمْسِكْ، جلدَ رسولُ الله ﷺ أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وأتمّها عمرُ ثمانين، وكُلٌّ سُنّة.

---

(١) الإيجاف: السير السريع.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمرُ قال: حَدَّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد قال: لما ضربَ عثمانُ الوليدَ الحَدَّ قال: إنكَ لَتَضرِبُني اليومَ بشهادة قوم لَيَقْتُلُنَّكَ عاماً قابلاً.

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ عن عَمِّه عبيد الله قال: أخبرني محمد بن حَبِيبَ عن أبن الأعرابيّ قال، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدَّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد، وأخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال: حَدَّثنا عبد الله بن مُسْلِم، قالوا جميعاً: كان أبو زُبَيد الطّائي نديماً للوليد بن عُقْبة أيّامَ ولايته الكوفةَ، فلما شُهِدَ عليه بالسُّكْرِ من الخمر وخرج من الكوفة قال أبو زُبَيد ـ واللفظ في القصيدة لليَزيديّ لأنها في روايته أتمّ ـ: [الخفيف]

مَنْ يَرَى العِيرَ لابْنِ أَرْوَى على ظَهْـ ... ـرِ المَرَوْرَى حُداتُهُنَّ عِجَالُ
مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبي وَهْـ ... ـبٍ خَلاءٌ تَحِنُّ فيه الشَّمَالُ
يَعْرِفُ الجاهِلُ المُضَلَّلُ أَنَّ الـ ... ـدَّهْرَ فيه النَّكْراءُ والزِّلْزالُ
ليت شِعْرِي كذاكُمُ العَهْدِ أَمْ كا ... نُوا أُناساً كَمَنْ يزولُ فزَالوا
بعدما تَعْلَمينَ يا أُمَّ زَيْدٍ ... كان فيهم عِزٌّ لنا وجَمالُ
ووجوهٌ بِوُدِّنا، مُشْرِقاتٌ ... ونَوَالٌ إذا أُرِيدَ النَّوَالُ
أَصْبَحَ البيتُ قد تَبَدَّلَ بالحَـ ... ـيِّ وجوهاً كأنَّها الأَقْتَالُ[١]
كلُّ شيءٍ يَحْتالُ فيه الرِّجالُ ... غيرَ أَنْ ليسَ لِلْمَنايا احْتِيالُ
ولَعَمْرُ الإلهِ لو كانَ لِلسَّيْـ ... ـفِ مَصَالٌ أو لِلِّسَانِ مَقَالُ[٢]
ما تَناسَيْتُكَ الصَّفَاءَ ولا الوُ ... دَّ ولا حالَ دُونَكَ الأَشْغَالُ
ولَحَرَّمْتُ لَحْمَكَ المُتَعَضَّى ... ضَلَّةً ضَلَّ حِلْمُهُمْ ما اغْتَالُوا[٣]
قولُهم شُرْبُكَ الحَرَامَ وقد كا ... نَ شَرَابٌ سِوَى الحرام حَلالُ
وأَبَى الظّاهِرُ العَدَاوةِ إلاّ ... شَنَآناً وقولَ ما لا يُقَالُ
مِنْ رجالٍ تَقارضوا مُنْكَرَاتٍ ... لِيَنالوا الّذي أرادوا فنالُوا

(١) الأقتال: جمع قِتل: من أسماء الأضداد ويطلق على الصديق والعدوّ.
(٢) مصال: اسم مكان من صال: أي وثب واستطال وغلب.
(٣) المتعضّى: المتقطِّع.

غيرَ ما طَالِبينَ ذَحْلاً ولكنْ ... مالَ دَهْرٌ على أُناس فمالوا[١]
مَنْ يَخُنْكَ الصَّفاءَ أو يَتَبَدَّلْ ... أو يَزُلْ مِثْلَ ما تَزُولُ الظِّلالُ
فاْعْلَمنْ أنَّني أخوكَ أخُو الوُ ... دّ حياتي حتى تَزُولَ الجِبالُ
ليس بُخْلاً عليكَ عِندي بِمالٍ ... أَبَداً ما أَقَلَّ نَعْلاً قِبالُ[٢]
ولكَ النَّصْرُ بِاْللِّسانِ وبِالكَـ ... ـفِّ إذا كان لِلْيَدَيْنِ مَصَالُ

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

صوت

مَنْ يَرَى العِيرَ لاِبْنِ أَرْوَى على ظَهْـ ... ـرِ المَرَوْرَى حُداتُهنَ عِجالُ
مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبي وَهْـ ... ـبٍ خَلاءٌ تَحِنُّ فيه الشَّمالُ

عَرُوضه من الخفيف، المَرْورَى: جمع مَرْوْراة وهي الصحراء، غَنَّى الدَّلال فيه خفيفَ ثقيل بإطلاق الوتر في مَجرى البِنْصر عن إسحاق وغيره.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: لما قَدِمَ الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ قَدِم عليه أبو زُبَيد، فأنزله دارَ عَقِيل بن أبي طالب على باب المسجد وهي دارُ القِبْطيّ، فكان مما اْحْتَجّ به عليه أهلُ الكوفة أنّ أبا زُبَيد كان يخرج إليه من داره يخترق المسجدَ وهو نصرانيّ فيجعلُه طريقاً.

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: حَدّثني عَمّي عُبيد الله عن أبي حَبِيب ابن جَبَلة عن اْبن الأعرابيّ: أن أبا زُبَيد وفَدَ على الوليد حين استعمله عثمانُ على الكوفة، فأنزله الوليد داراً لعَقِيل بن أبي طالب على باب المسجد، فاْستَوْهَبَها منه فوَهَبها له، فكان ذلك أوّلَ الطَّعْن عليه من أهل الكوفة؛ لأن أبا زُبيد كان يخرج من منزله حتى يَشُقَّ الجامعَ إلى الوليد، فيَسْمُرُ عنده ويشرب معه ويخرج فيَشُقّ المسجدَ وهو سكران، فذلك نَبَّههم عليه.

[عمر يوليه صدقات بني تغلب ثم يعزله لبيت شعر قاله]

قال: وقد كان عمرُ بن الخطّاب رَضِيَ الله تعالى عنه وَلَّى الوليدَ بن عُقْبة

(١) الذَّحل: الثأر.
(٢) أقلّ: حَمَلَ. وقِبال النعل: السير يكون بين الإصبعين.

صَدَقاتِ بني تَغْلِب، فبلَغَه عنه بيتٌ قاله وهو: [الطويل]

إذا ما شَدَدْتُ الرَّأسَ مِنّي بِمِشْوَذٍ فَغَيَّكِ مِنّي تَغْلِبَ بْنَةَ وَائِلِ[1]

فعزَلَه.

وكان أبو زُبَيد قد ٱستودع بَنِي كنانَة بن تَيْم بن أُسَامة بنِ مالك بن بَكْر بن حَبيب بن غَنْم بن تَغْلب إبلاً فلم يردّوها عليه حين طلبها، وكانت بنو تغلب أخوالَ أبي زُبَيد، فوجد الوليدُ بني تغلبَ ظالمين لأبي زُبَيد، فأخذ له الوليدُ بِحَقِّه؛ فقال يمدح الوليد:

يَا لَيْتَ شِعري بِأَنْبَاءٍ أُنَبَّؤهَا قد كانَ يَغْيا بها صَدْري وتَقْديري

عَنِ ٱمْرِئٍ ما يَزِدْهُ اللَّهُ مِنْ شَرَفٍ أَفْرَحْ بهِ ومُرَيٌّ غيرُ مسرورِ

(يعني مُرَيّ بن أَوْس بن حارِثة بن لأْم). وهي طويلة يقول فيها:

إنَّ الوليدَ له عِندي - وحُقَّ له - وُدُّ الخَليلِ ونُصْحٌ غيرُ مَذْخورِ

لقد رعاني وأدْناني وأظهرني على الأعَادِي بِنَصْرٍ غيرِ تَغْذيرِ[2]

فشَذَّبَ القومَ عَنّي غير مُكتَرِثٍ حَتَّى تَنَاهَوْا على رغمٍ وتَصْغيرِ[3]

نفسي فِداءُ أبي وَهْبٍ وقلَّ له يَا أُمَّ عَمْرو فَحُلّي اليَومَ أو سِيري

وفي رواية ٱبن حَبيب: «يا أمّ زيد»، يعني: يا أم أبي زُبَيْد.

أخبرني محمد بن العبّاس عن عَمّه عن محمد بن حَبيب عن ٱبن الأعرابيّ قال: كان الوليد بن عُقْبة قد ٱستعمل الرَّبيع بن مُرَيّ بن أَوْس بن حارثة بن لأْم الطائيّ على الحِمَى فيما بين الجزيرة وظَهْر الحِيرة، فأجْدَبَتِ الجزيرةُ، وكان أبو زبيد في تَغْلِبَ، فخرجَ بهم لِيُرعِيَهم؛ فأبى عليه الأوْسِي وقال: إن شِئتَ أن أُرْعِيَكَ وَحْدَكَ فَعَلْتُ وإلاّ فلا؛ فأتى أبو زُبَيد الوليدَ بن عُقْبة، فأعطاه ما بين القصور الحُمْر من الشأم إلى القصور الحُمْر من الحِيرة وجعله له حِمًى، وأخذها من الآخر، هكذا روى ٱبن حبيب. وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: كانت الجُنَيْنَة[4] في يد مُرَيّ بن أَوْس، فلمّا قَدِمَ الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ ٱنتزعها منه ودفعها

(١) المِشوَذ: العَمامة.

(٢) غير تغذير: غير تقصير.

(٣) شَذَّبَ القومَ: طردهم ودفعهم.

(٤) الجنينة: اسم يطلق على مواضع عديدة (معجم البلدان ٢: ١٧٣).

إلى أبي زُبَيْد. والقول الأوّل أصح، وشِعْرُ أبي زُبَيد يدلُّ عليه في قوله في الوليد بن عُقْبة يمدحه: [الوافر]

لَعَمْرُ أبيكَ يَاٱبْنَ أبي مُرَيٍّ ... لَغَيْرُكَ مَنْ أباحَ لها الدِّيارا
أَباحَ لها أَبارِقَ ذات نَوْرٍ ... تَرَعَّى القَفَّ منها والعَرارَا[1]
بِحَمْدِ اللهِ ثمّ فَتَى قُرَيْشٍ ... أَبي وهبٍ غَدَتْ بُطْناً غِزَارا
أَباحَ لها ولا يُحْمَى عليها ... إذا ما كُنْتُمُ سَنَةً جزارا

يريد جزراً من الجدب والشدّة.

فَتَى طالَتْ يَدَاهُ إلى المَعالي ... وطَحْطَحَتا المُقَطَّعَةَ القِصارا[2]

وهي أبيات.

قال عمر بن شَبَّة في خبره خاصّة: فلما عُزِلَ الوليدُ ووَلِيَها سعيد ٱنتزعها منه وأخرجها من يده؛ فقال: [الخفيف]

ولقد مُتُّ غيرَ أنِّيَ حَيٌّ ... يومَ بَانَتْ بِوُدِّها خَنْسَاءُ
مِنْ بَنِي عَامِرٍ لها شِقُّ نَفْسي ... قسمةٌ مثلَ ما يُشَقُّ الرِّدَاءُ
أُشْرِبَتْ لونَ صُفْرَةٍ في بَيَاضٍ ... وهي في ذاكَ لَدْنَةٌ غَيْدَاءُ[3]
كُلُّ عَيْنٍ مِمَّنْ يَرَاها مِنَ النَّا ... سِ إليها مُدِيمَةٌ حَوْلاءُ
فٱنْتَهُوا إنَّ لِلشَّدائِدِ أَهْلاً ... وذَرُوا ما تُزَيِّنُ الأهواءُ
ليت شِعْرِي وأينَ مِنِّيَ لَيْتٌ ... إنَّ لَيْتاً وإنَّ لَوًّا عَنَاءُ
أيَّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبِي ... حِينَ لاَحَتْ لِلصَّابِحِ الجَوْزاءُ[4]
وٱسْتَظَلَّ العُصفورُ كَرْهاً مع الضَّـ ... ـبِّ وأَوْفَى في عُودِهِ الحِرْبَاءُ
ونَفَى الجُنْدُبُ الحَصَا بِكُراعَيْـ ... ـهِ وأَذْكَتْ نِيرَانَها المَعْزَاءُ[5]
مِنْ سَمُومٍ كَأَنَّها حَرُّ نَارٍ ... سَفَعَتْها ظَهِيرَةٌ غَرَّاءُ

---

(١) الأبارق: جمع الأبرق: الأرض الغليظة فيها حجارة ورمل وطين مختلطة، وهو اسم يطلق على مناطق كثيرة (معجم البلدان ١: ٥٩). والقَفّ: ما يبس من البقول وتناثر حبّه. والعرار: نبات أصفر طيب الرائحة.

(٢) المقطّعة: هي الثياب القصيرة أو البرود الموشّاة.

(٣) اللّدنة: الناعمة، والغيداء: الطويلة العنق.

(٤) الشِّرْب: المورد. والصّابح: الذي يسقي إبله في الصباح.

(٥) الكراعان: الرجلان. والمعزاء: الأرض الغليظة.

وإذا أَهْـلُ بَـلْـدَةٍ أَنْـكَـرونـي عَـرَفَـتْـنـي الـدَّوِّيَّـةُ الـمَـلْـسَـاءُ[١]
عَـرَفَـتْ نَـاقَـتِـي الـشَّـمَـائِـلَ مِـنِّـي فَـهْـيَ إلاّ بُـغَـامَـهـا خَـرْسـاءُ[٢]
عَـرَفَـتْ لَـيْـلَـهـا الـطَّـوِيـلَ ولَـيْـلِـي إنَّ ذَا الـلَّـيْـلَ لِـلـعـيـونِ غِـطَـاءُ

نسبة ما يغنّى فيه من هذا الشعر

صوت

أيُّ سَـاعٍ سَـعَـى لِـيَـقْـطَـعَ شِـرْبِـي حـيـن لاَحَـتْ لِـلـصَّـابِـحِ الـجَـوْزاءُ
واَسْـتَـكَـنَّ الـعـصـفـورُ كَـرْهـاً مع الضَّـ بُّ وأوْفَـى فـي عُـودِهِ الـحِـرْبـاءُ
وإذا الـدَّارُ أَهْـلُـهـا أنْـكَـرونـي عَـرَفَـتْـنِـي الـدَّوِّيَّـةُ الـمَـلْـسـاءُ
عَـرَفَـتْ نـاقـتـي الـشَّـمَـائِـلَ مِـنّـي فـهـي إلاّ بُـغَـامَـهـا خَـرْسـاءُ
عَـرَفَـتْ لَـيْـلَـهـا الـطَّـويـلَ ولـيـلـي إنّ ذا الـلَّـيـلَ لِـلـعـيـونِ غِـطـاءُ

عروضه من الخفيف، غنّاه أبنُ سُرَيج خفيفَ رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وغنّى داود بن العبّاس الهاشميّ في الخامس ثم الثالث خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو.

قال أبن حبيب في خبره: وقال أبو زُبَيْد يتشوّقُ إلى الوليد لمّا خرج عن الكوفة: [الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ أَمْسَى الوليدُ بِبَلْدَةٍ سِوَايَ لَقَدْ أَمْسَيْتُ لِلدَّهْرِ مُغْوِرَا[٣]

قال أبن حبيب: «ويروى سويّ لقد...» وهي لغة طَيِّىء.

خَـلاَ أَنَّ رِزقَ الـلَّـهِ غَـادٍ ورَائِـحٌ وأَنِّـي لـه رَاجٍ وإنْ سِـرْتُ أَشْـهُـرَا
وكانَ هوَ الحُصْنَ الَّذي ليسَ مُسْلِمِي إذا أنـا بِـالـنَّـكْـرَاءِ هَـيَّـجْـتُ مَـعْـشَـرا
إذا صَـادَفُـوا دُونِـي الـوَلِـيـدَ كـأنَّـمـا يَـرَوْنَ بِـوادِي ذِي حَـمَـاسٍ مُـزَعْـفَـرا[٤]
خَـضِـيـبَ بَـنَـانٍ مـا يَـزَالُ بِـراكِـبٍ يَـخُـبُّ وضَـاحِـي جِـلْـدِهِ قد تَـقَـشَّـرا[٥]

---

(١) الدّوّيّة: القلاة.

(٢) البغام: الصوت غير المفهوم.

(٣) المُغْوِر: الذي لا حافظ له.

(٤) ذو حماس: موضع تلقاء عرعر (معجم ما استعجم ص ٤٦٦). والمزعفر: الأسد الورد لما عليه من آثار الدم.

(٥) ضاحي الجلد: ما ظهر منه.

وهي طويلة.

حدَّثني إسحاق بن بَنَان الأنماطِيّ قال: حَدَّثنا حُبَيْش بن مُبَشِّر قال: حَدَّثنا عُبيد الله بن موسى قال: حَدَّثنا ٱبن أبي لَيْلى عن الحَكَم عن سَعيد بن جُبَيْر عن ٱبن عبّاس قال: قال الوليد بن عُقْبة لِعليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: أنا أَحَدُّ مِنكَ سِناناً، وأبسطُ منك لساناً، وأَمْلأُ لِلكتيبة طِعاناً؛ فقال له عليّ رضي الله تعالى عنه: اسْكُتْ! فإنَّما أنتَ فاسقٌ؛ فنزَل القرآنُ: **﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوُونَ﴾**[1].

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عُمر بن شَبّة قال: حَدَّثني محمد بن حاتم قال: حَدَّثنا يونس بن محمد قال: حدَّثنا شَيْبانُ عن قَتَادة في قوله تعالى: **﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾**[2] قال: هذا ٱبنُ أبي مُعَيْط الوليدُ بن عُقْبة، بعثه النبيّ ﷺ إلى بني المُصْطَلِق مُصَدِّقاً، فلما رأوه أقبلوا نحوَه فهابَهم؛ فرجَعَ إلى النبيّ ﷺ فأخبره أنهم قد ٱرتدّوا عن الإسلام؛ فبعث النبيّ ﷺ خالد بن الوليد وأمره أن يتثبَّتَ ولا يعجَلَ؛ فٱنطلقَ حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونَه؛ فلمّا جاءُوه أخبروه بأنهم متمسّكون بالإسلام وسمعوا أذانَهم وصَلاتَهم؛ فلمّا أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يُعْجِبُهُ، فرجعَ إلى النبيّ ﷺ فأخبره.

[زوجته تشتكيه إلى الرسول ﷺ]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدَّثنا عُبيد الله بن موسى قال: حَدَّثنا نُعَيْم بن حَكيم عن أبي مَرْيَم عن عليّ: أنّ ٱمرأة الوليد بن عُقْبة جاءت إلى النبيّ ﷺ تَشْتَكي الوليدَ وقالت: إنه يَضْرِبُها؛ فقال لها: «**ارجِعي وقولي إن رسول الله - ﷺ - قد أجارني**»، فٱنطلقتْ فمكثَتْ ساعةً، ثم رجعتْ فقالت: ما أَقْلَعَ عَنِّي؛ فقطعَ رسول الله ﷺ هُدْبَةً من ثوبه ثم قال: «**إمضِي بهذا ثم قولي إنّ رسول الله - ﷺ - أجارني**»؛ فٱنطلقت فمكثَتْ ساعةً ثم رجعتْ فقالت: يا رسول الله ما زادني إلاّ ضَرْباً؛ فرفع يديْه وقال: «**اللَّهُمَّ عليكَ الوليدَ**»[3] مرّتين أو ثلاثاً.

---

(١) سورة السجدة، الآية ١٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية ٦.

(٣) الحديث في الجامع الكبير للطبراني ٢: ٤٠٠.

أخبرنا أحمد قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة، وحَدَّثني أبو عُبَيد الصَّيْرفيّ قال: حَدَّثني الفضلُ بن الحسن البصريّ قال: حَدَّثنا عمرُ بن شَبّة قال: حَدَّثنا أيّوب بن عمر قال: حَدَّثنا عمرُ بن أيّوب قال: حَدَّثنا جعفر بن بُرْقان عن ثابت بن الحَجّاج عن أبي موسى عبد الله الهَمْداني أنّ الوليد بن عُقْبة قال: لما فتحَ رسولُ الله ﷺ مكّة، جعل أهلُ مكّة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويَمْسَحُ على رؤوسهم، فَجِيءَ بي إليه وأنا مُخَلَّقٌ فلم يَمْسَسْنِي، وما مَنَعَهُ إلاّ أنَّ أُمِّي خَلَّقَتْنِي بِخَلُوقٍ فلم يَمْسَسْني مِنْ أجل الخَلوق.

أخبرنا أحمد قال: حَدَّثنا عُمَر قال: حَدَّثنا خَلَف بن الوليد قال: حَدَّثنا المُبارَك بن فَضالة عن الحسن: أن الوليد بن عُقْبة كان عنده ساحرٌ يُريهِ كَتِيبَتَيْنِ تَقْتَتِلانِ، فتحمِلُ إحداهما على الأُخرى فتهزِمُها؛ فقال له السّاحر: أَيَسُرُّكَ أن أُرِيَكَ هذه المنهزمةَ تَغْلِبُ الغالبةَ فتهزِمُها؟ قال: نعم؛ وأُخْبِرَ جُنْدَبٌ بذلك، فاشتمل على السَّيفِ ثم جاء فقال: أَفرِجُوا، فضربَهُ حَتَّى قتله، ففزِعَ الناسُ وخرجوا؛ فقال: يا أيها الناس لا عليكم، إنما قتلت هذا الساحر لئلا يَفْتِنَكم في دينكم؛ فحبسه قليلاً ثم تركه.

أخبرنا أحمد قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدَّثنا عمر بن سعيد الدِّمَشْقِيّ؛ وحَدَّثنا سعيد بن عبد العزيز عن الزُّهْرِيّ: أنّ رجلاً من الأنصار نظرَ إلى رجل يَسْتعلِنُ بالسِّحْر، فقال: أوَ إن السِّحْر لَيُعْلَنُ به في دين محمد! فقتله؛ فَأُتِيَ به الوليدَ بن عُقْبة فحبَسه؛ فقال له دينار بن دينار: فيم حُبِسْتَ؟ فأخبره فخَلَّى سبيلَه؛ فأرسل الوليد إلى دينار فقتله.

أخبرنا أحمد قال: حَدَّثنا عمر قال: حَدَّثنا موسى بن إسماعيل قال: حَدَّثنا حَمّاد بن سَلَمة قال: حَدَّثنا أبو عِمْران الجَوْنيّ: أنّ ساحراً كان عند الوليد بن عقبة، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرجُ منه؛ فرآه جُنْدَبٌ، فذهب إلى بيته فاشتملَ على سيف، فلما دخل الساحرُ في جوفِ البقرة، قال: أَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تبصِرُونَ، ثم ضرب وَسَطَ البقرة فقطَعها وقطَع السّاحرَ في البقرة فأنذعرَ النَّاسُ، فسجنه الوليدُ وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه، وكان السجّان يفتح له البابَ بالليل فيذهب إلى أهله فإذا أصبح دخل السّجنَ.

[بعض أخبار جندب بن كعب الأسدي]

أخبرني أحمد قال: حَدَّثنا عمر قال: حَدَّثنا حَجَّاج بن نُصَيْر قال: حَدَّثنا قُرّة عن محمد بن سِيرينَ قال: انطُلِقَ بجُندَب بن كَعب إلى سجنٍ خارج من الكوفة وعلى السّجن رجلٌ نصرانيّ، فلما رأى جندبَ بن كعب يصومُ النَّهارَ ويقومُ اللَّيلَ، قال النّصرانيّ: والله إنّ قوماً هذا شَرُّهم لَقَوْمُ صِدْقٍ؛ فوكَّلَ بالسجن رجلاً ودخل الكوفةَ فسأل عن أفضلِ أهل الكوفة، فقالوا: الأشعث بن قيس؛ فأستضافه، فجعل يَرى أبا محمد ينام اللَّيل ثم يُصبحُ فيدعو بِغَدَائِهِ؛ فخرجَ من عنده فسأل: أيُّ أهل الكوفة أفضل؟ فقالوا: جرير بن عبد الله؛ فوجده ينام اللَّيل ثم يُصبحُ فيدعو بغدائه، فاستقبل القبلةَ ثم قال: رَبِّي رَبُّ جُنْدَب ودِيني على دِين جندب، وأسلم.

حدَّثني عَمّي الحسن بن محمد قال: حَدَّثنا الخزّاز عن المَدَائنيّ عن عليّ بن مُجَاهِد عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رُومَانَ عن الزُّهْريّ وغيره، قالوا: لما أنصرَف رسولُ اللهﷺ من غزوة بني المُصْطَلِق، نزل رجلٌ فساق بالقوم ورجَزَ، ثم نزل آخرُ فساقَ بالقوم ورجَزَ، ثم بدا لِرَسولِ اللهﷺ أن يُواسِيَ أصحابَهُ، فنزلَ فجعل يقول: «**جُنْدَبٌ وما جُنْدَب والأقْطَعُ الخير زيد**»؛ فدنا منه أصحابُه وقالوا: يا رسول الله ما يَنْفَعُنا مَشْيُكَ مخافةَ أن تَلْسَعَكَ دابّةُ الأرضِ أو تُصيبكَ نكبةٌ؛ فركب ودَنَوْا منه فقالوا: لقد قُلْتَ قولاً ما ندري ما هو؟ قال: «**وما ذاك**»؟: قالوا: قولك «**جُنْدَب وما جُنْدَب والأقطع الخير زيد**»؛ فقال: «**رجلان يكونان في هذه الأُمّة يضرب أحدُهما ضربةً يَفْرُقُ بين الحقِّ والباطل وتُقْطَعُ يَدُ الآخر في سبيلِ اللهِ فيُتْبِعُ اللَّهُ آخِرَ جسده بأوّله**»[1]؛ فكان زَيْدَ بن صُوحَان[2]، قُطِعَتْ يدُه يوم جَلُولاءَ وقُتِلَ يومَ الجَمَل مع عليّ. وأما جُنْدَب فإنه رجل دخل على الوليد بن عُقْبة وعنده ساحرٌ يكنى أبا شَيْبان يأخذ أَعْيُنَ الناس فيُخرجُ مَصارينَ بطنه ثم يُعِيدُها فيه؛ فجاء من خلفه فقتلَه، وقال: [الرجز]

إلْعَنْ وَلِيداً وأَبَا شَيْبَانِ وأَبنَ حُبَيْش راكبَ الشَّيطانِ

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٣٢٣٤، و ٣٣٢٣٥، و ٣٦٧٦٤، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٦: ٨٤.

(٢) زيد بن صُوحان: من بني عبد القيس تابعي من أهل الكوفة وأحد الشجعان، شهد وقائع الفتح فقطعت شماله يوم نهاوند (ت ٣٦ هـ/ ٦٥٦ م) ترجمته في طبقات ابن سعد ٦: ٨٥، وتهذيب ابن عساكر ٦: ١٠، وتاريخ بغداد ٨: ٤٣٩.

* رسـولَ فِـرْعـونَ إلـى هَـامَـانِ *

[عثمان يخلعه عن الكوفة]

أخبرني أحمد بنِ عبد العزيز قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثنا إبراهيم بن المُنْذر الحِزَاميّ قال: حَدّثني ابن وَهْب عن يونس عن الزُّهْريّ قال: نزَعَ عثمانُ بن عفّان الوليدَ بن عقبة عن الكوفة وأمّر عليها سَعِيد بن العاص.

قال أبو زيد: فحدّثني عبد الله بن عبد الرحمن قال: حَدّثنا سَعيد بن جامِع الهُجَيْمِيّ قال: لما أقبلَ سعيد من المدينة عامداً للكوفة بعدما خرجَ والياً لعثمان جعل يرتجز في طريقه: [الرجز]

وَيْـلَ نُـسَـيَّـاتِ الـعِـراقِ مِـنّـي كـأنَّـنِـي سَـمَـعْـمَـعٌ مِـنْ جِـنّ[1]

أخبرني أحمد قال: حَدّثني عمر قال: حَدّثني المَدَائنيّ عن أبي عَلْقَمة عن سعيد بن أشْوع قال: قال عديّ بن حاتم: قَدِمَ سعيدُ بن العاص الكوفةَ فقال: اغْسِلوا هذا المنبر، فإنَّ الوليد كان رَجِساً نَجِساً؛ فلم يَصْعَده حتى غُسِلَ، عيباً على الوليد. وكان الوليدُ أسنَّ منه وأسْخى نفساً وألينَ جانباً وأرضى عندهم، فقال بعضُ شعرائهم: [الرجز]

يَـا وَيْـلَـنـا قـد ذهـبَ الـولـيـدُ وجـاءَنـا مِـنْ بَـعْـدِهِ سَـعـيـدُ

* يَـنْـقُـصُ فـي الـصَّـاعِ ولا يَـزيـدُ * [الوافر]

وقال آخر:

فَـرَرْتُ مِـنَ الـولـيـدِ إلـى سَـعـيـدِ كَـأهـلِ الـحِـجْـرِ إذ جَـزِعُـوا فـبَـارُوا[2]
يَـلِـيـنـا مِـنْ قـريـشٍ كُـلَّ عَـامٍ أمِـيـرٌ مُـحْـدَثٌ أو مُـسْـتَـشَـارُ
لـنـا نَـارٌ تُـحَـرِّقُـنَـا فَـنَـخْـشَـى ولَـيْـسَ لـهـم فـلا يَـخْـشَـوْنَ نَـارُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثنا عمر قال: حَدّثنا المَدَائنيّ قال: قَدِمَ الوليدُ بن عقْبة الكوفةَ زائراً للمُغِيرة بن شُعْبة، فأتاه أشرافُ أهل الكوفة يُسَلِّمونَ عليه، فقالوا: والله ما رأينا بَعْدَكَ مِثْلَك؛ فقال: أخَيْراً أم شَرًّا؟ فقالوا: بل خيراً؛

(١) السَّمعمع: السريع الخفيف الخبيث.

(٢) الحِجْر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام (معجم البلدان ٢: ٢٢٠).

قال: ولَكِنّي والله ما رَأَيْتُ بعدَكم شرًّا منكم؛ فأعادوا الثناء عليه؛ فقال: بعضَ ما تُثْنون به، فوالله إنَّ بُغْضَكُمْ لَتَلَف، وإنَّ حُبَّكُمْ لَصَلَف.

قال أبو زيد: وذكروا أن قَبِيصة بن جابر كان مِمَّن كَثَّرَ على الوليد؛ فقال معاوية يوماً والوليدُ وقبيصةُ عنده: يا قَبِيصةُ، ما كانَ شَأْنُكَ وشأنُ الوليد؟ فقال: خيراً يا أميرَ المؤمنين، في أوّلِ وَصَلَ الرَّحِمَ وأحسنَ الكلامَ فلا تَسْأَلَنَّ عَنِ الشُّكْرِ وحُسْنِ الثَّنَاءِ، ثمَّ غَضِبَ على النَّاسِ وغَضِبوا عليه وكُنَّا منهم، فإمَّا ظالمون فنستغفرُ اللهَ، وإمّا مَظْلومون فغفرَ الله له، وخُذْ في غيرِ هذا يا أمير المؤمنين، فإنَّ الحديثَ يُنْسِي القديمَ؛ قال: ولِمَ؟ فواللهِ لقد أحسنَ السِّيرةَ وبَسَطَ الخَيْرَ وكَفَّ الشَّرَّ؛ قال: فأنتَ أقدرُ على ذلك يا أميرَ المؤمنين منه فٱفعلْ؛ قال: اسْكُتْ لا سَكَتَّ، فسكَتَ وسَكَتَ القومُ؛ فقال له: ما لكَ لا تتحدّثُ؟ قال: نَهَيْتَني عما كنتُ أُحِبُّ فسَكَتُّ عما أَكْرَهُ.

أخبرني أحمد قال: حَدَّثني عُمَر قال: حَدَّثني المَدَائنيّ قال: مات الوليدُ بن عُقْبة فُوَيقَ الرَّقة، ومات أبو زُبَيد، فَدُفِنا جميعاً في موضعٍ واحد، فقال في ذلك أَشْجع السُّلَمِيّ وقد مَرَّ بقبريْهما: [الوافر]

مَـرَرْتُ عـلـى عِـظَـامِ أبـي زُبَـيْـدِ ... وقـد لاَحَـتْ بِـبَـلْـقَـعَـةٍ صَـلـودِ[1]
وكـان لـه الـولـيـدُ نَـدِيـمَ صِـدْقٍ ... فـنـادَمَ قَـبْـرُهُ قَـبْـرَ الـولـيـدِ
ومـا أَدْرِي بِـمَـنْ تَـبْـدَا الـمَـنَـايـا ... بِـأَحْـمَـدَ أو بِـأَشْـجَـعَ أو يـزيـدِ

الوليد يغزو الروم ويقول شعراً

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن ٱبن الكلبيّ عن أبيه قال: خرجَ الوليدُ بن عُقْبة غازياً للرُّوم وعلى مُقَدِّمته عُتْبة بن فَرْقَد، فلَقِيَه الرُّومُ فقاتلوه؛ فقال له رجلٌ من العرب نصرانيٌّ: لَسْتُ على دِينكم ولكنّي أنصحكم لِلنَّسَبِ، فالقومُ مقاتِلُوكم إلى نصفِ النَّهارِ، فإنْ رَأَوْكُمْ ضُعَفَاءَ أَفْنَوْكم وإنْ صَبَرْتُمْ هَرَبُوا وتَرَكُوكم؛ فقال سَلْمان بن رَبِيعة: يا مَعْشَرَ المسلمين، ما عُذْرُكم عندَ الله غداً إن أُصِيبَ عُتْبةُ بن فَرْقَد وأصحابُه ولم يُغِنْهُمْ أحدٌ منكم! فركب معه ثلاثةُ آلاف رجل على البغال يَجْنُبون[2] الخيلَ، فلَحِقُوا عُتْبةَ وأصحابَه، فقاتلوا معهم قتالاً شديداً

(١) البلقعة: الأرض الخالية التي لا شيء فيها. والصّلود: الغليظة الصلبة التي لا تنبت شيئاً.
(٢) يجنبون الخيل: يقودونها إلى جنبهم.

حتى هَزمَ الله الرومَ، فقال الوليد بن عُقْبة: [الطويل]

أَتَانِي مِنَ الفَجِّ الَّذي كُنْتُ آمِناً بَقِيَّةُ شُذَّادٍ مِنَ الخَيْلِ ظُلَّعِ[١]
عليها العَبِيدُ يَضْرِبون جُنُوبَها ونَازَلَ مِنَّا كُلُّ خِرْقٍ سَمَيْذَعِ[٢]
فإنِّي زَعِيمٌ أَنْ تَصِيحَ نِسَاؤُهُمْ صِيَاحَ دَجَاجِ القَرْيَةِ المُتَوَزِّعِ

وقال الحطيئة يمدحُ الوليدَ بذلك، وكان قد وصله وكان الوليد جَوَاداً: [الطويل]

أَرَى لابْنِ أَرْوَى خَلَّتَيْنِ اصْطَفَاهُمَا قِتَالٌ إذا يَلْقَى العَدُوَّ ونَائِلُهْ
فَتًى يملأُ الشِّيزَى ويُرْوِي بِكَفِّهِ سِنَانُ الرُّدَيْنيِّ الأَصَمِّ وعَامِلُهْ[٣]
يَؤُمُّ العَدُوَّ حيثُ كانَ بِجَحْفَلٍ يُصِمُّ السَّمِيعَ جَرْسُهُ وصَوَاهِلُهْ
إذا حانَ منه مَنْزِلُ اللَّيْلِ أُوقِدَتْ لأُخْرَاهُ في أَعْلَى اليَفَاعِ أَوَائِلُهْ[٤]
نَفَيْتَ الجِعَادَ البِيضَ عن حُرِّ دارِهم فلم يَبْقَ إلا حَيَّةٌ أنتَ قاتِلُهْ[٥]

فقال الحُلَيس بنُ نُعَيم النَّهديّ يُكَذِّبُ الحُطَيئة: [الطويل]

وأَبْلِغْ أبا وَهْبٍ إذا ما لَقِيتَهُ فقد حَارَبَتْكَ الرُّومُ فِيمَنْ تُحارِبُ
وفي الأرضِ حَيَّاتٌ وأُسْدٌ كَثِيرةٌ عَدُوٌّ ولَكِنَّ الحُطَيْئَةَ كاذِبُ

[شعره في مقتل أخيه عثمان بن عفان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثنا عليّ بن محمد عن أبي مِخْنَف عن خالد بن قَطَن عن أبيه قال: لمّا قُتِلَ عثمان أرسل عليّ فأخذ كلّ ما كان في داره من السلاح وإبلاً من إبل الصدقة، فلذلك قال الوليد بن عُقْبة: [الطويل]

---

(١) الفج: الطريق الواسع بين جبلين. والشذاد: المتفرقون القليلو العدد. وظُلّع: جمع ظالع: الذي يغمز في مشيته.

(٢) الخِرق: الظريف من الفتيان، والسميذع: السيد الكريم السخي والشجاع.

(٣) الشِّيزى: خشب أسود تعمل منه القصاع. والرديني: هو الرمح المنسوب إلى ردينة وهي امرأة سمهر الذي كان يبيع الرماح بموضع اسمه الخط، فإذا غاب باعت ردينة وكانت تعمل معه بتثقيف الرماح. وعامل الرمح: صدره.

(٤) اليفاع: التلّ.

(٥) الجعاد: جمع الجعد: أراد بهم هنا الروم، والجعد في الأصل من أسماء الأضداد: البخيل والكريم.

بَنِي هاشِمٍ رُدُّوا سِلاحَ ابْنِ أُخْتِكُمْ ولا تَنْهَبُوهُ لا تَحِلُّ مَنَاهِبُهْ

ويُروى:

* ولا تَهَبُوهُ لا تَحِلُّ مَوَاهِبُهْ *

بَنِي هاشمٍ كيف الهَوَادَةُ بيننا وعِنْدَ عَلِيٍّ سَيْفُهُ ونَجَائِبُهْ

قَتَلْتُمْ أَخِيَ كَيْمَا تَكونوا مَكَانَهُ كما فَعَلَتْ يوماً بِكِسْرَى مَرَازِبُهْ

هكذا في الخبر:

* ولا تهبوه لا تحِلُّ مواهبه *

أخبرني الطُّوسِيّ قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حَدّثني عبد الله بن إسحاق الجَعْفَرِيّ: أنَّ الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط لَقِيَ بِجَاداً مولى عثمان، فأخبره أنّ عثمان قد قُتِلَ؛ فقال: [الخفيف]

لَيْتَ أَنّي هَلَكْتُ قَبْلَ حَدِيثٍ سَلَّ جِسْمِي ورِيعَ مِنْهُ فؤادِي

يومَ لاقَيْتُ بالبَلاَطِ بِجَاداً لَيْتَ أَنّي هَلَكْتُ قَبْلَ بِجَادِ[1]

وقد زِيدَ في هذا الشّعر بيتٌ ونُقِصَ منه آخرُ مكانَه وغُنِّيَ فيه، وهو:

صوت

طالَ لَيْلِي ومَلَّنِي عُوَّادِي وتَجَافَى عَنِ الضُّلوعِ مِهَادي

مِنْ حَدِيثٍ نُمِي إلَيَّ فَمَا يَرْ قَأُ دَمْعِي ولا أُحِسُّ رُقادي

يومَ لاقَيْتُ بالبَلاَطِ بِجاداً لَيْتَ أَنّي هَلَكْتُ قَبْلَ بِجادِ

وبِنَفْسِي الَّتي أُحِبُّ وأَهْلِي وبِمالي وطَارِفي وتِلاَدِي[2]

قُلْتُ لا تَغْضَبي فذلكَ قَوْلي بِلِسَانِي وما يُجِنُّ فؤادي

غَنَّى فيه ابن عَبّاد ثانيَ ثقيل مُطْلَق في مجرى البنصر في الأوّل والرابع من الأبيات، وذكر عمرو بن بانة أنه لابن مُحْرِز، ومن النَّاس من يَنْسُبه إلى ابن سُرَيج في هذه الطريقة في الأوّل والثاني، وذكر ابن المَكّي أنه للغَرِيض ثاني ثقيل بالخنصر

(١) البلاط: هو موضع بين مسجد الرسولﷺ وبين المدينة مبلّط بالحجارة (معجم البلدان ١ :٤٧٧).

(٢) الطارف والتليد: الجديد والقديم.

في مجرى البنصر، ووافقه يونس. وذكر أنّ في هذا الشعر لابن سُرَيج والغريض لَحْنين في الخمسة الأبيات، وذكر حَبَش أنّ فيها لِمَعْبد ثقيلاً أوّل بالوُسطى، ولعبد الله بن العباس الرَّبيعيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى، ولِلغَريض خفيف رملٍ بالوسطى، ولِسُلَيم ثقيلٌ أوّل بالوسطى. وذكر أحمد بن عُبَيد أن فيه رَمَلاً لابن جامِع في البيت الأوّل وحده، وأنّ فيه هَزَجاً لا يُعرَف صانعه.

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال: حَدَّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال: حَدَّثني أبي قال: أرسل إلَيَّ محمد بن زُبَيدة في ليلةٍ من ليالي الصيف مُقْمِرَة: يا عمّ إنّ الحرب بيني وبين طاهر بن الحسين قد سَكَنَتْ، فَصِرْ إليَّ، فإني إليك مشتاقٌ؛ فجِئْتُهُ وقد بُسِطَ له على سطح زُبَيدة، وعنده سليمان بن جعفر عليه كِساءٌ رُوذَبارِيّ وقَلَنْسُوَةٌ طويلة، وجَوَاريه بين يديه، «وضَعْفُ» جاريتُه عنده، فقال لها: غَنِّيني فقد سُرِرتُ بعمومتي؛ فاندفعتْ تغنّيه: [الطويل]

هُمُ قَتَلُوهُ كَيْ يَكونوا مَكَانَهُ ... كما فَعَلَتْ يَوْماً بِكِسرى مَرَازِبُهْ
بَنِي هاشمٍ كيف التَّوَاصُلُ بيننا ... وعِنْدَ أخيه سَيْفُهُ ونَجَائِبُهْ

هكذا غَنَّت؛ وإنما هو:

* وعِنْدَ عَلِيٍّ سَيْفُهُ ونَجَائِبُهْ *

فغضِبَ وتَطَيَّرَ وقال لها: ما قِصَّتُكِ وَيْحَكِ! إنْثَني وٱنْتَهِي وغنِّيني ما يَسُرُّني! فٱندفَعَتْ وغَنَّت: [مجزوء الكامل]

هذا مَقَامُ مُطَرَّدٍ ... هُدِمَتْ مَنَازِلُهُ ودُورُهْ

فازداد تَطَيُّراً، ثم قال لها: وَيْحَكِ! اِنتَهِي، غَنِّيني غيرَ هذا، فغَنَّت: [الطويل]

كُلَيبٌ لَعَمْرِي كان أكثرَ ناصراً ... وأيْسَرَ جُرْماً منك ضُرِّجَ بِالدَّمِ

فقال لها: قومي إلى لعنة الله! فوثَبَتْ وكان بين يديه قَدَحُ بَلُّور وكان لِحُبِّهِ إيّاه سَمَّاه بٱسمه محمداً، فأصابه طَرَفُ ذيلِها فسقطَ على بعضِ الصَّواني فانكسرَ وتَفَتَّتَ؛ فأقبلَ عليّ وقال: أرى والله يا عمّ أن هذا آخرُ أيامنا؛ فقلت: كلاّ! بل يُبْقيكَ الله يا أمير المؤمنين ويسرّك؛ قال: ودِجْلةُ والله يا بنيّ هادئة ما فيها صوتُ مجدافٍ ولا أحدٌ يتحرّكُ وهي كالطَّسْتِ هادئة، فسمِعْتُ هاتفاً يهتف: «قُضِيَ الأمْرُ الَّذي فيهِ تَسْتَفْتِيانِ». قال: فقال لي: أَسَمِعْتَ ما سَمِعْتُ يا عَمّ؟ فقلتُ: وما هو؟ وقد والله

سمعتُه ـ فقال: الصوتُ الذي جاء الساعة من دِجْلة؛ فقلتُ: ما سَمِعتُ شيئاً، وما هذا إلاّ تَوَهُّم؛ فإذا الصوت قد عاد يقول: «قُضِيَ الأمرُ الذي فيه تَسْتَفْتِيَانِ».

فقال: انصرفْ يا عَمِّ بَيَّتَكَ الله بخيرٍ، فمحالٌ ألاّ تكون الآن قد سَمِعْتَ ما سمعتُ؛ فانصرفتُ، وكان آخرَ العهدِ به.

استجدى معاوية فوبّخه فكتب إليه شعراً

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ومحمد بن يحيى الصُّولِيّ واللفظ له، قالا: حَدّثنا محمد بن زكريا الغلابِيّ قال: حَدّثنا عبد الله بن الضَّحّاك عن هشام بن محمد عن أبيه، قال محمد، وحَدَّثنا عبد الله بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن جميعاً عن مُطَرِّف بن عبد الله عن عيسى بن يزيد، قال: وَفَدَ الوليدُ بن عُقْبة، وكان جَوَاداً، على معاوية؛ فقيل له: هذا الوليد بن عُقْبة بالباب؛ فقال: والله لَيَرْجِعَنَّ مُعْطِياً غيرَ مُعطًى، فإنه الآن قد أتانا يقول: عَلَيَّ دَيْنٌ وعَلَيّ كذا وكذا؛ يا غلام ائْذَنْ له، فأذِنَ له؛ فسأله وتحدّث معه، ثم قال: أمَا والله إن كنّا لَنُحِبُّ إيثارَ مالك بالوادي وقد أعجب أميرَ المؤمنين، فإن رأيت أن تَهَبه ليزيد فعلتَ؛ فقال الوليد: هو لِيَزِيدَ، ثم خرج وجعل يختلف إلى معاوية أياماً، فقال له يوماً: انظُر يا أمير المؤمنين في شأني، فإنّ عليّ مؤونةً وقد أرهقني دَيْنٌ؛ فقال له معاوية: ألاَ تستحي لِحَسَبِكَ ونَسَبِكَ! تأخذ ما تأخذ فتُبَذِّرُهُ ثم لا تَنْفكُّ تشكو دَيْناً!؛ فقال له الوليد: أفعل، ثم انطلق مكانَه فصار إلى الجزيرة، فقال: [مجزوء الكامل]

فـإذا سُـئِـلْـتَ تـقـولُ لا ... وإذا سَـأَلْـتَ تـقـولُ هـاتِ
تَـأْبَـى فِـعَـالَ الـخَـيْـرِ لا ... تُـرْوِي وأنـتَ عـلـى الـفُـراتِ
أفَـلاَ تَـمِـيـلُ إلـى نَـعَـمْ ... أو تَـرْكِ «لا» حـتـى الـمـمـاتِ

قال: فبلغ معاويةَ مَقْدَمُه الجزيرةَ، فخافه وكتب إليه: أن أقبِلْ إليّ؛ فكتب إليه: [الطويل]

أَعِـفُّ وأَسْتَـحْـيِـي كـمـا قـد أَمَـرْتَـنـي ... فـأَعْـطِ سِـوايَ مـا بـدا لـك وأنْـحَـلِ[1]
سَـأَحْـدُو ركـابـي عـنـكَ إنَّ عَـزِيـمَـتـي ... إذا نـابَـنـي أمـرٌ كَـسَـلَّـةِ مُـنْـصُـلِ[2]

---

(١) نَحَل: أعطى.
(٢) المُنْصُل: السيف.

وإنّـي آمْـرؤٌ لِـلـرَّأْيِ مِـنّـي تَـطَـرُّفٌ ... ولـيسَ شَـبَـا قُـفْـلٍ عَـلَـيَّ بِـمُـقْـفَـلِ

ورحَل إلى الحجاز، فبعث إليه معاوية بجائزة.

صوت

من المائة المختارة

[مجزوء الرمل]

ربّـمـا نَـبَّـهَـنِـي الإخـ ... ـوانُ والـلَّـيْـلُ بَـهِـيـمْ[1]

حـيـنَ غـارَتْ وتَـدَلَّـتْ ... فـي مَـهـاوِيـهـا الـنُّـجُـومُ

ونُـعَـاسُ الـلَّـيْـلِ فـي عَـيْـ ... ـنَـيَّ كَـالـثَّـاوِي مُـقِـيـمُ

لِـلَّـتِـي تُـغْـضِـرُ لَـمَّـا ... أَيْـنَـعَـتْ مـنـهـا الـكُـرُومُ

أنـا بِـالـرَّيِّ مُـقِـيـمٌ ... فـي قُـرَى الـرَّيِّ أَهِـيـمُ

مـا أُرَانـي عـن قُـرَى الـرَّ ... يِّ مَـدَى دَهْـرِي أَرِيـمُ

الشِّعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصلّي، ولحنُه المختار ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، ولإبراهيم أيضاً فيه خفيفُ ثقيل، وقيل: إنه لابنه إسحاقَ، وفيه لأحمد بن يحيى المكيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن عُبَيد.

(١) الليل البهيم: الذي لا ضوء فيه إلى الصباح.

نسب إبراهيم الموصليّ وأخباره

[١٢٥ ـ ١٨٨ هـ/٧٤٣ ـ ٨٠٤ م]

[نسبه ونشأته ولقبه]

هو ـ فيما أخبرنا به يحيى بن عليّ بن يحيى المُنَجِّم عن حَمّاد عن أبيه، وأخبرني به عبدُ الله بن الرَّبيع عن وَسْوَاسَةَ، وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ عن أبيه عن جدّه وعن حَمّاد عن أبيه إبراهيم بن ميمون أو آبن ماهان بن بَهْمَن بن نسك، وكان سبب نسبه إلى ميمون أنه كتب إلى صديق له فعَنْوَنَ كِتابَه: من إبراهيم بن ماهان؛ فقال له بعضُ فتيان الكوفة: أمَا تَستحي من هذا الاسم! فقال: هو آسم أبي؛ فقال: غَيِّرْهُ؛ فقال: وكيف أُغَيِّرُ! فأخذ الكتابَ فمحا ماهان وكتب ميمونَ، فَبقِيَ إبراهيم بن ميمون.

قال إسحاق عن أبيه: وأَصْلُنا من فارس، ولنا بيت شريفٌ في العجم، وكان جَدُّنا ميمون هَربَ من جَوْر بعض عُمَّال بني أميّة، فنزل بالكوفة في بني عبد الله بن دارِم، فكان بين إبراهيم وبين وَلَدِ نَضْلَة بن نُعَيْم رَضَاع. وأمُّ إبراهيم آمرأةٌ من بنات الدَّهَاقِين[1] الذين هرَبوا من فارسَ لما هرب ميمون أبو إبراهيم، فنزلوا جميعاً بالكوفة في بني عبد الله بن دارِم، فتزوّجها ماهانُ بالكوفة فولَدتْ إبراهيمَ ومات في الطاعون الجارف، وخَلَّفَ إبراهيمَ طفلاً؛ وكان مولدُ إبراهيمَ سنةَ خمس وعشرين ومائة بالكوفة، وتوفِّي ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، وله ثلاثٌ وستون سنة.

قال أحمد بن أحمد بن إسماعيل وَسْوَاسة في خبره: ومات ماهان وخَلَّفَ إبراهيمَ طفلاً، فكفَلَه آلُ خُزَيمة بن خازِم.

---

(١) الدّهاقين: جمع الدُّهقان: رئيس المقاطعة أو الإقليم أو هو التاجر.

وقال يحيى بن عليّ في خبره: إنه كان لإبراهيم لمّا مات أبوه سنتان أو ثلاث، وخلَّفَ معه أخوين له من غير أُمِّه أكبَرَ منه، فأقام إبراهيم مع أمّه وأخواله حتى تَرَعْرع، فكان مع ولد خُزَيمة بن خازم في الكُتّاب، فبهذا السبب صار ولاؤُه لِبَني تَميم. وسأله الرشيدُ فقال: ما السببُ بينك وبين بني تَميم؟ فاْقتصَّ عليه قِصَّتَه، وقال: رَبَّوْنا يا أمير المؤمنين فأحسنوا تربيتنا، ونشأتُ فيهم وكان بيننا رَضَاعٌ، فتولّوْنا بهذا السبب؛ فقال له الرشيد: وَيْحَكَ! فما أُرَاكَ إذاً إلاّ مولاي؛ فقال: فهذه والله قصّتي يا أمير المؤمنين.

قال يحيى بن عليّ في خبره: وكان سببُ قولهم إبراهيمَ الموصليّ أنه لما نشأ واْشتدَّ وأدرك، صَحِبَ الفتيانَ واْشتهى الغناءَ فطلبه، واْشتدّ أخوالُه عليه في ذلك وبلَغوا[1] منه، فهرَبَ منهم إلى المَوْصِل، فأقام بها نحواً من سنة، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانُه من الفتيان: مرحباً بالفتى المَوْصِليّ، فَلُقِّبَ به. وقال أحمدُ في خبره: إن سببَ طلبه الغناءَ أنه خرج إلى الموصل، فصَحِبَ جماعةً من الصعاليك كانوا يُصيبون الطريق ويُصيبه معهم، ويَجمعون ما يُفيدونه فيَقْصِفون[2] ويشربون ويغنّون، فتعلّمَ منهم شيئاً من الغناء وشَدَا، فكان أطيَبهم وأَحْذَقَهم، فلمّا أحسَّ بذلك من نفسه اْشتهى الغناءَ وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه. وذكر اْبنُ خُرْدَاذْبَه ـ وهو قليل التحصيل لما يقوله ويُضَمِّنُه كُتبَه ـ أن سببَ نِسْبَتِه إلى الموصل أنه كان إذا سكِرَ، كثيراً ما يغنّي على سبيل الوَلَع: [وزن عامي]

أنـا جـت مـن طـرق مَـوْصـل أحـمـل قـلـل خَـمْـريـا
مـن شـارب الـمـلـوك فـلا بـدَّ مِـنْ سُـكْـريـا

وما سَمِعْتُ بهذه الحكاية إلا عنه؛ وإنما ذكرتُها على غَثاثَتِها لشهرتها عند الناس، وأنها عندهم كالصحيح من الرواية في نِسْبة إبراهيم إلى الموصل، فذكرتُه دالاً على عَوَاره.

أخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ واْبنُ أبي الأزهر قالا: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أُسْلِمَ أبي إلى الكُتّاب فكان لا يتعلّم شيئاً، ولا يَزالُ يُضرَبُ ويُحْبَس ولا يَنْجَع[3] ذلك فيه، فهربَ إلى المَوْصل وهناك تعلّم الغناءَ، ثم صار إلى

---

(١) بلغوا منه: آذوه.
(٢) يقصفون: يلعبون ويلهون.
(٣) لا ينجع: لا يفيد.

الرَّيّ[١] وتَعَلَّم بها أيضاً، ومهَرَ وتزوَّجَ هناك آمرأتَه دُوشَار ـ وتفسير هذا الاسم أسدان ـ وطال مُقَامُه هناك، وأخذ الغناءَ الفارسيَّ والعربيَّ، وتزوّج بها أيضاً شاهَك أمّ إسحاقَ ٱبنِه وسائرِ ولده. قال: وفي دُوشار هذه يقول إبراهيمُ، وله فيه غِناءٌ من الهَزَج:

دُوشَـــارُ يـــا سَـــيِّـــدَتـــي | يـــا غَـــايَـــتِـــي ومُـــنْـــيَـــتِـــي
ويـــا سُـــروري مِـــنْ جَـــمِـــيـــ | ـعِ الـــنَّـــاسِ رُدِّي سِـــنَـــتـــي

أول مبلغ كسبه من غنائه، واتصاله بالمهدي

قال إسحاقُ وحدّثني أبي قال: أوّلُ شيء أُعْطِيتُه بالغناء أنّي كنتُ بالرَّيّ أُنادم أهلَها بالسَّوِيَّة لا أَرْزَؤُهم شيئاً، ولا أُنْفِقُ إلا من بقيّة مالٍ كان معي ٱنصرفتُ به من الموصل؛ فمرّ بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عمّاله برسالة، فسَمِعَني عند رجل من أهل الرّيّ، فشُغِفَ بي وخلَعَ عليَّ دُوَّاجَ[٢] سَمّور، له قيمة، ومضى بالرسالة ورجع وقد وصَلَه العاملُ بسبعة آلاف درهم وكساه كُسوةً كثيرة، فجاءني إلى منزلي الذي كنتُ أسكنه فأقام عندي ثلاثةَ أيام، ووهَبَ لي نصف الكُسوة التي معه وألفيْ درهم، فكان ذلك أوّلَ ما ٱكتسبتُه بالغناء، فقلتُ: والله لا أُنفقُ هذه الدَّراهم إلا على الصناعة التي أفادَتْنِيها، ووُصِفَ لي رجل بِالأُبُلّة[٣] يقال له جُوانُويه كان حاذقاً، فخرجتُ إليه وصَحِبْتُ فتيانَها، فأخذتُ عنهم وغنّيتهم فشُغِفوا بي.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه قال: لما أتيتُ جُوانُويه لم أصادفه في منزله، فٱنتظرتُه حتى جاء، فلمّا رآني ٱحتَشَمَني وكان مَجُوسيًّا، فأخبرتُه بصناعتي والحالِ التي قَصَدْتُه فيها؛ فرحّبَ بي وأفردَ لي جَنَاحاً في داره، ووكَّلَ بي أُختَه، فقدَّمَتْ إليّ ما أحتاج إليه؛ فلما كان العَشِيُّ عاد إلى منزله ومعه جماعةٌ من الفُرْس ممّن يُغنّي، فنزلْتُ إليه، فجلسنا في مجلس قد صُفِّي لنا فيه نبيذٌ وأُعِدَّتْ لنا فاكهة ورَيَاحِينُ، فجلسنا وأخذوا في شأنهم وضربوا وغنّوْا، فلم أجد عند أحدٍ منهم فائدةً؛ وبَلَغَتِ النَّوْبَةُ إِلَيَّ، فضربْتُ وغَنَّيْتُ، فقاموا كلُّهم إليّ وقبّلوا

(١) الرّيّ: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن وهي محطّ الحاج على طريق السابلة (معجم البلدان ٣: ١١٦).

(٢) الدُوّاج: نوع من الثياب يتّخذ من جلد حيوان يشبه السنّور.

رأسي، وقالوا: سَخِرْتَ منّا، نحن إلى تعليمك لنا أحوجُ منك إلينا؛ فأقمتُ على تلك الحال أيّاماً، حتى بلغَ محمدَ بن سليمان بن عليّ خبري، فوجّه إليّ فأحضرني وأمَرني بملازمته؛ فقلتُ له: أيُّها الأميرُ، إني لستُ أتكسّب بالغناء وإنما ألتذّه فلذلك تعلّمتُه، وأريدالعَوْدَ إلى الكوفة، فَلم أنتفع بذلك عنده وأخذَني بملازمته، وسألني من أين أنا؟ فأنتسبتُ إلى الموصل، فلَزِمَتْني وعُرِفْتُ بها؛ ولم أَزَلْ عنده أثيراً مُكَرَّماً حتى قدمَ عليه خادمٌ من خدَم المهديّ، فلما رآني عنده قال له: أميرُ المؤمنين أحوجُ إلى هذا منك، فدافَعه عَنّي؛ فلما قدِمَ الرسولُ على المهديّ سأله عما رأى في طريقه ومَقْصده، فأخبره بذلك حتى أنتهى إلى ذِكرى فوصَفني له؛ فأمره المهديّ بالرجوع إلى محمد وإشخاصي إليه ففعل ذلك وجاء فأشخصني إلى المهديّ، فَحظِيتُ عنده وقَدّمني.

قال وَسْواسة في خبره عن إسحاق فحدّثني أبي قال: كان أوّلَ هاشميّ صَحِبْته عليُّ بن سليمان بن عليّ أخو جعفر ومحمد، وكان فتاهم ظَرْفاً ولهواً وسماحةً، ووصَفني له جُوانُويه ومضى بي إليه، فوقعتُ من قلبه كلَّ مَوْقِع. وأوّلُ خليفة سَمِعني المهديّ، وُصِفْتُ له فأخذني من عليّ بن سليمان، وما سمِعَ قبلي من المغنّين أحداً سوى فُلَيْح بن أبي العَوْراء وسِيَاط، فإنَّ الفضل بن الرَّبيع وصلهما به.

قال إسحاقُ: فحدّثني أبي قال: كان المهديّ لا يَشربُ فأرادني على مُلازمتهِ وترك الشرب فأبيتُ عليه، وكنتُ أغيبُ عنه الأيامَ، فإذا جِئتُه جِئتُه مُنْتشِياً، فغاظَه ذلك منّي فضرَبني وحبَسني، فحذِقْتُ الكتابةَ والقراءةَ في الحبس، ثم دعاني يوماً فعاتَبني على شربي في منازل الناس والتَّبذُّل معهم؛ فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إنما تَعَلَّمْتُ هذه الصّناعة لِلذّتي وعِشرتي لإخواني، ولو أمكنني تركُها لتركتُها وجميعَ ما أنا فيه لله جلّ وعزّ؛ فغضِبَ غضباً شديداً وقال: لا تَدْخل على موسى وهارون ألبتّةَ، فوالله لَئِنْ دخلتَ عليهما لأفعلنّ ولأصنعنّ؛ فقلتُ: نعم؛ ثم بلغه أني دخلتُ عليهما وشرِبتُ معهما، وكانا مُستهترَيْن بالنبيذ، فضربني ثلاثمائة سوط، وقيّدني وحبَسَني.

قال أحمدُ بن إسماعيل في خبره قال عمّي إسحاق فحدّثني أبي: أنه كان معهما في نزهة لهما ومعهم أَبَان الخادمُ، فسَعَى بهما وبي إلى المهديّ وحدّثه بما كنّا فيه، فدعاني فسألني فأنكرتُ، فأمر بي فَجُرِّدْتُ فضُرِبْتُ ثلاثمائة وستين سوطاً؛ فقلتُ له وهو يضربني: إن جُرْمي ليس من الأجرام التي يحلّ لك بها سَفْكُ دمي،

والله لو كان سرُّ ابنيكَ تحت قدميّ ما رفعتُهما عنه ولو قُطِعتا، ولو فعلتُ ذلك لكنتُ في حالة أَبَانَ السّاعي العبدِ؛ فلمّا قلتُ له هذا ضرَبني بالسّيف في جَفْنه[1] فشجَّني به، وسقطتُ مغشيًّا عليّ ساعةً، ثم فتحتُ عينيَّ فوقعَتا على عينَي المهديّ، فرأيتُهما عَيْنَيْ نادم؛ وقال لعبد الله بن مالك: خُذْهُ إليكَ. قال: وقَبْل ذلك ما تناول عبد الله بن مالكٌ السوط من يد سلاّم الأبرش فضربني، فكان ضربُ عبد الله عندي بعد ضرب سَلاّم عافيةً، ثم أخرجني عبدُ الله إلى داره وأنا أرى الدنيا في عيني صفراءَ وخضراءَ وحمراء من حَرِّ السَّوْطِ، وأَمَره أن يتّخذ لي شبيهاً بالقبر فيُصَيِّرُني فيه؛ فدعا عبدُ الله بكَبْش فذُبِحَ وسُلِخَ وألبسني جلدَه ليسكن الضربُ، ودفَعني إلى خادم له يقال له أبو عثمان سَعيد التركيّ فصيَّرني في ذلك القبر، ووكَّلَ بي جاريةً له يقال لها جَشّة؛ فتأذَّيْتُ بِنَزّ كان في ذلك القبر وبِالبقّ، وكان فيه حَلِيٌّ[2] أستريح إليه، فقلتُ لِجشّة: اطلُبي لي آجُرَّة عليها فحم وكُنْدُر يذهب عنّي هذا البقَّ، فأتتني بذلك، فلما دخّنْتُ أظلم القبرُ عليّ وكادت نفسي تخرُجُ من الغمِّ فاْسترحتُ من أذاه إلى النّزّ فألصقتُ به أنْفِي حتى خَفّ الدُّخَان، فلمّا ظننتُ أني قد اْسترحتُ ممّا كنتُ فيه، إذا حيّتان مقْبلتان نحوي من شقّ القبر تَدُوران حولي بحفيفٍ شديدٍ فهَمَمْتُ أن آخذ واحدةً بيدي اليمنى والأُخرى بيدي اليسرى فإمّا عليّ وإمّا لي، ثم كُفِيتُهما، فدخَلتا من الثَّقْب الذي خرجَتا منه، فمكثتُ في ذلك القبر ما شاء الله، ثم أُخرِجْتُ منه؛ ووَجَّهْتُ إلى أبي عثمان الخادِم أسأله أن يبيعني جَشّةَ لأُكافئها عمّا أولَتْني ففعل، فزوَّجْتُها من حاجبٍ لي، ولم تزل عندنا. قال إسحاق: مكثتْ عندنا حتى ماتت، وبقيتْ بنتٌ لها يقال لها جُمعة، فزوَّجْتُها من مولىً لي في سنة أربع وثلاثين ومائتين.

قال إبراهيم: وقلتُ في الحبس [وأنا مُقَيَّد]: [المتقارب]

أَلاَ طَالَ لَيلِي أُرَاعِي النُّجومَ ... أُعَالِجُ في السَّاقِ كَبْلاً ثقيلاَ

بِدَارِ الهَوَانِ وشَرُّ الدِّيارِ ... أُسَامُ بها الخَسْفَ صَبْراً جَمِيلا

كَثِيرَ الأَخِلاَّءِ عِنْدَ الرَّخَاءِ ... فَلَمَّا حُبِسْتُ أراهُم قَلِيلا

لِطُولِ بَلائيَ مَلَّ الصَّدِيقُ ... فلا يَأْمَنَنَّ خَلِيلٌ خليلا

(١) جفن السيف: غمده.

(٢) الحَلِيّ: نوع من الكلأ اليابس.

قال: ثم أخرجني المهديّ وأَحْلَفني بالطّلاق والعِتاق وكلِّ يمين لا فُسْحَةَ لي فيها ألاّ أدخلَ على ٱبنيه موسى وهارون أبداً ولا أُغَنِّيهما، وخَلَّى سبيلي. قال: وصَنَعْتُ في الحبس لحناً في شعر أبي العتاهية لمّا حبَسه المهديّ بسبب عُتْبة، وهو:

صوت [الطويل]

أَيَا وَيْحَ قَلْبِي من نَجِيِّ البَلاَبِلِ ... ويا ويحَ ساقِي مِنْ قُرُوح السّلاسلِ
ويا ويحَ نفسي وَيْحَها ثم وَيْحَها ... أَلَمْ تَنْجُ يوماً من شِباكِ الحَبَائلِ
ويا وَيْحَ عَيْنِي قد أَضَرَّ بها البُكا ... فلم يُغْنِ عنها طِبُّ ما في المَكاحِلِ
ذَرِيني أُعَلِّلْ نفسيَ اليومَ إنَّها ... رَهِينةُ رَمْسٍ في ثَرًى وجَنادلِ
ذَرِيني أُعَلِّلْ بالشَّرابِ فقد أرَى ... بَقِيَّةَ عَيْشي هذه غيرَ طَائلِ

الشعر لأبي العتاهية، وذكر حَمّاد أنه لَجدّه إبراهيم، والغناء لإبراهيم رَمَلٌ بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأُوَل، وله في البيتين الأخيرين ثقيلٌ أوّل بالوسطى.

طلبه الهادي عند تولّيه الخلافة

قال حمّاد: فلما وَلِيَ موسى الهادي الخلافةَ ٱستترَ جَدِّي منه ولم يظهر له بسبب الأيمان التي حَلَّفَهُ بها المهديّ، فكانت منازلُنا تُكبَسُ في كل وقت وأهلُنا يُروَّعون بطلبه حتى أصابوه فمضوْا به إليه، فلما عاينه قال: يا سيّدي، فارقتُ أمَّ ولدي وأعزَّ خلق الله عليّ، ثم غنّاه لحنَه في شعره:

صوت [الخفيف]

يَاٱبْنَ خَيْرِ الملوكِ لا تَتركَنِّي ... غَرَضاً لِلعَدُوِّ يرمى حِيالي
فلقد في هَوَاكَ فَارَقْتُ أهلي ... ثم عَرَّضْتُ مُهْجَتي لِلزَّوَالِ
ولقد عِفْتُ في هَوَاكَ حَيَاتِي ... وتَغَرَّبْتُ بينَ أَهْلِي ومَالي

الشعرُ والغِناءُ لإبراهيم خفيْفُ رَمَلٍ بالوسطى، قال إسحاق: فموَّلَه والله الهادي وخوَّلَه، ويَحَسْبِكَ أنه أخذ منه في يوم واحد مائةً وخمسين ألفَ دينار، ولو عاشَ لنا لَبَنَيْنا حِيطانَ دُورِنا بالذّهب والفضة.

قال حَمّاد قال لي أبي: نظرتُ إلى ما صار إلى جَدِّكَ من الأموال والغَلاّت

وثمن ما باع من جواريه، فوجدْتُه أربعةً وعشرين ألفَ ألفِ درهم سوى أرزاقِه الجارية، وهي عشرة آلاف درهم في كلّ شهر، وسوى غَلاّت ضِياعه، وسوى الصِّلات النَّزْرَة التي لم يحفظها؛ ولا والله مارأيتُ أكملَ مروءةً منه، كان له طعامٌ مُعَدٌّ في كلّ وقت؛ فقلت لأبي: أكان يُمكنه ذلك؟ فقال: كان له في كلّ يوم ثلاثُ شِيَاهٍ: واحدةٌ مقطَّعةٌ في القدور، وأُخرى مسلوخةٌ ومُعَلَّقة، وأُخرى حَيَّة، فإذا أتاه قومٌ طَعِمُوا ما في القدور، فإذا فرغَتْ قُطِّعَتِ الشَّاةُ المُعَلَّقة، ونُصِبَتِ القدور وذُبِحَت الحَيّة فعلِّقت وأُتِيَ بأُخرى فجُعِلَتْ وهي حَيَّة في المطبخ؛ وكانت وظيفتُه لطعامه وطِيبهِ وما يُتَّخَذُ له في كلّ شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجرِي وسوى كُسْوته؛ ولقد ٱتّفقَ عندنا مَرَّةً من الجواري الودائع لإخوانه ثمانون جارية، ما منهنّ واحدة إلا ويُجْرِي عليها من الطعام والكُسوة والطِّيب مثلَ ما يُجرِي لأَخَصّ جواريه، فإذا رُدَّتْ الواحدة منهنّ إلى مولاها وصَلَها وكساها، ومات وما في مُلْكِه إلا ثلاثة آلاف دينار، وعليه من الدّين سبعمائة دينار قُضِيَتْ منها.

[بعض أخباره مع الرشيد]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيعٌ ويحيى بن عليّ بن يحيى وٱبن المَرْزبان قالوا أخبرنا حَمّاد بن إسحاق قال: كان أبي يُحَدِّثُ أن الرشيد ٱشترى من جَدِّي جاريةً بستة وثلاثين ألفَ دينار، فأقامت عنده ليلةً، ثم أرسل إلى الفضلِ بن الربيع: إنّا ٱشترينا هذه الجاريةَ من إبراهيم، ونحن نحسب أنها من بابَتِنا[١] وليست كما ظَنَنْتُها، وما قَرِبْتُها، وقد ثَقُلَ عَلَيَّ الثمنُ وبينك وبينه ما بينكما، فٱذهبْ إليه فسَلْه أن يَحُطَّنا من ثمنها ستةَ آلاف دينار؛ قال: فصار الفضلُ إليه فٱستأذن عليه فخرج جَدّي فتلقّاه؛ فقال: دَعْني من هذه الكرامة التي لا مُؤْنة بيننا فيها، لستُ مِمَّنْ يُخْدَعُ، وقد جِئتُك في أمرٍ أَصْدُقُكَ عنه، ثم أخبره الخبرَ كلّه؛ فقال له إبراهيم: إنه أراد أن يبلوَ قَدْرَكَ عِندي؛ قال: ذاكَ أرادَ! قال: فمالِي كُلُّه صَدَقَةٌ في المساكين إن لم أُضَعِّفْهُ لكَ، قد حَطَطْتُكَ ٱثني عشر ألف دينار؛ فرجع الفضلُ إليه بالخبر؛ فقال: وَيْلَكَ! ادفعْ إلى هذا مالَه، فما رأيتُ سُوقةً[٢] قطُّ أَنْبَلَ نَفْساً منه. قال أبي: وكنتُ قد أتيتُ جَدَّكَ فقلتُ: ما كان لِحطيطةِ هذا المال مَعْنًى وما هو بقليل، فتغافَلَ عَنّي

(١) من بابتنا: تصلح لنا.
(٢) السُّوقة: أوساط الناس، الرعيّة.

وقال: أنت أحمقُ، أنا أعرَفُ النَّاسِ به، والله لو أخذتُ المالَ منه كَمَلاً[١] ما أخذتُه إلا وهو كاره، ويحقِدُ ذلك عَلَيَّ وكنتُ أكون عنده صغيرَ القَدْر، وقد مَنَنْتُ عليه وعلى الفضل، وٱنبسطَتْ نفسُه ونَشِطَ وعَظُمَ قَدْري عنده، وإنما ٱشتريتُ الجاريةَ بأربعين ألف درهم، وقد أخذتُ بها أربعة وعشرين ألف دينار، فلما حُملَ المالُ إليه بلا حَطيطة دعاني فقال لي: كيف رأيتَ يا إسحاقُ! مَنِ البصيرُ أنا أم أنت؟ فقلتُ: بل أنتَ جعلني الله فداءك.

حدّثني وَكِيع قال: حَدَّثنا حمّاد قال: حَدّثني أبي قال: لَقِيَ الفضل بن يحيى أبي وهو خارج من عند الفضل بن الرَّبيع، وكانا متجاورَيْن في الشَّمّاسيّة[٢]، فقال: من أين يا أبا إسحاق؟ أمن عند الفضل بن الربيع؟ قلت: نعم، غيرَ معتذرٍ من ذلك؛ فقال: خروجٌ من عند الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى! هذان والله أمران لا يجتمعان لك! فقال: والله لَئِنْ لم يكنْ فِيَّ ما يتَّسعُ لكما حتى يكون الوفاءُ لكما جميعاً واحداً ما فيّ خيرٌ، والله لا أترك واحداً منكما لصاحبه، فمَنْ قَبِلَني على هذا قَبِلَني، ومَنْ لم يقبلْني فهو أعلم. فقال له الفضل بن يحيى: أنت عندي غير مُتَّهَم، والأمرُ كما قلتَ، وقد قَبِلْتُكَ على ذلك.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثني إسحاق قال: حَدّثني أبي أن الرشيد غَضِبَ عليه فقيّده وحبسه بالرَّقَّة، ثم جلسَ للشرب يوماً في مجلس قد زيّنه وحسّنه، فقال لعيسى بن جعفر: هل لِمَجلسنا عيبٌ؟ قال: نعم، غَيْبةُ إبراهيمَ الموصليّ عنه؛ فأمر بإحضاري فأُحضِرْتُ في قيودي، ففُكَّتْ عَنّي بين يديه، وأمرهم فناولوني عُوداً وقال: غَنِّي يا إبراهيم؛ فغنّيته: [الطويل]

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ ... بِهِ زينبٌ في نِسْوَةٍ خَفِراتِ[٣]

فٱستعاده وشِربَ وطَرِبَ، وقال: هَنَأْتَني يومي وسأَهْنِئُكَ بِالصِّلة، وقد وهبتُ لك الهَنِيءَ والمَرِيءَ[٤]؛ فٱنصرفتُ، فلما أصبحتُ عُوِّضْتُ منهما مائتي ألف درهم.

(١) كَمَلاً: كاملاً.

(٢) الشماسية: محلّة مجاورة لدار الروم في أعلى مدينة بغداد (معجم البلدان ٣: ٣٦١).

(٣) نَعمان: هو نعمان الأراك بين مكة والطائف (معجم البلدان ٥: ٢٩٣). وزينب: هي أخت الحجاج بن يوسف وكان يشبّب بها. فأهدر الحجاج دمه، والخفر: الحياء.

(٤) الهنيء والمريء: نهران بإزاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما مدينة واسط الرقة (معجم البلدان ٥: ٤١٩).

نسبة هذا الصوت

صوت

تَضَوَّع مِسْكاً بطنُ نَعْمانَ أَنْ مَشَتْ … بـه زَيْـنَـبُ فـي نِـسْـوةٍ خَـفِـراتِ
مَـرَرْنَ بِـفَـخٍّ رَائِـحَـاتٍ عَـشِـيَّـةً … يُـلَـبِّـيـنَ لِـلـرَّحـمـنِ مُـعْـتَـمِـرَاتِ[1]
يُـخَـمِّـرْنَ أطـرافَ الـبَـنَـانِ مِـنَ الـتُّـقَـى … ويَـقْـتُـلْـنَ بـالأَلْـحَـاظِ مُـقْـتَـدِراتِ[2]
ولَـمَّـا رَأَتْ رَكْـبَ الـنُّـمَـيْـرِيِّ أَعْـرَضَـتْ … وكُـنَّ مِـنَ آن يَـلْـقَـيْـنَـهُ حَـذِرَاتِ

الشعر للنُّمَيْريّ الثَّقَفيّ، والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ويحيى المَكّيّ وعمرو بن بانة، وذكر حبشٌ أن فيه لعَزَّةَ المَيْلاءِ لحناً من الثقيل الأوّل.

أخبرني محمد بن مَزْيَد وأحمد بن جعفر جَحْظة قالا: حَدَّثنا حَمّاد بن إسحاق قال: وأخبرني الصُّوليّ قال: حَدّثني عَوْن بن محمد جميعاً عن إسحاق عن أبيه قال: رأيتُ يحيى بن خالد خارجاً من قصره الذي عند باب الشَّمَاسيّة يريد قصرَه الذي بباب البَرَدَان وهو يتمثّل:

صوت

[الوافر]

هَـوًى بِـتِـهَـامَـةٍ وَهـوًى بِـنَـجْـدٍ … فَـأَبْـلَـتْـنِـي الـتَّـهَـائِـمُ والـنُّـجُـودُ

قال أبي: فَزِدْتُه عليه: [الوافر]

أُقِـيـمُ بِـذا وأَذْكُـرُ عَـهْـدَ هـذا … فَـلِـي مـا بـيـن ذَيْـن هَـوًى جَـديـدُ

قال: وصنعتُ فيه لحناً ـ قال الصُّوليّ في خبره؛ وهو من خفيف الثَّقيل ـ ثم صِرتُ إليه فغنيْته إيّاه، فأمر لي بألف دينار وبدابّته التي كانت تحته يومئذٍ بِسَرْجها ولجامها؛ فقلت له: جزاكَ الله من سَيِّدٍ خيراً، فإنك تأتي الأنفُسَ وهي شواردُ فتُقِرُّها، والأهواءَ وهي سَقيمة فتُصِحُّها؛ فأمر لي بألف دينار أُخرى.

---

(١) فخ: موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال.
(٢) يخمّرن: يغطّين.

قال إبراهيم: ثم ضَرب الدَّهرُ من ضَرْبِه[١]، فبينا أنا أسير معه إذ لَقِيَه العبّاس بن الأحنف، وكان ساخطاً عليه لشيء بلغه عنه، فترجَّلَ له وأنشده:

صوت

بِـالله يـا غَـضْـبَـانُ إلاّ رَضِـيـتْ أذَاكِـرٌ لِـلـعَـهْـدِ أم قـد نَـسِـيـتْ

فقال: بل ذاكرٌ يا أبا الفضل؛ فأضفتُ إلى هذا البيت:

لـو كُـنْـتُ أَبْـغـي غَـيـرَ مـا تَـشْـتَـهـي دَعَـوْتُ أَنْ تُـبْـلَـى كـمـا قَـدْ بُـلِـيـتْ

وصنعت فيه لحناً ـ قال الصُّوليّ في خبره: هو ثقيل أوّل ـ قال: وغنّيتُه به، فأمر لي بألفيْ دينار وضحِك؛ فقلت: من أيّ شيء تَضْحك يا سيّدي؟ لا زلتَ ضاحكاً مسروراً! فقال: ذكرتُ ما جرى في الصوت الأوّل وأنه كان مع الجائزة دابّةٌ بِسرجه ولجامه، ولن تنصرف اللّيلةَ إلا على مثله، فقمتُ فقبّلت يدَه؛ فأمر لي بألفيْ دينار آخرين، وقال: تلك الكَرّة شكَرْتَ على الجائزة بكلام فزِدناك، والآن شكرتَ بفعلٍ أوجب الزيادة، ولولا أنّي مُضِيقٌ في هذا الوقت لَضَاعَفْتُها، ولكنّ الدهرَ بيننا مستأنَفٌ جديد.

حدّثني جَحْظة قال: حَدّثني هِبةَ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال: لمّا نَزل الرشيدُ في طريقه إلى طُوس بشِبْداز[٢] جلس يشرب عنده، فكان إبراهيمُ الموصليّ أوّلَ من غنّاه، فابتدأ بهذا الصوت، والشعرُ له:

صوت

[الهزج]

رَأَيْـــتُ الـــدِّيْـــنَ والـــدُّنْـــيَـــا مُـــقِـــيـــمَـــيْـــن بِـــشِـــبْـــدازِ
أقـــامَـــا بـــيـــن حَـــجَّـــاجٍ وغَـــازٍ أَيِّـــمَـــا غَـــازِ[٣]

وهو من الثقيل الأوّل ـ فأمر له بألف دينار، ولم يَستحسن الشعرَ، وقال له:

---

(١) ضرب الدهر من ضَرْبه: مضى بعضٌ منه.

(٢) شبداز: موضعان أحدهما منزل بين حلوان وقرميسين في لحف جبل بيستون، والثاني قصر عظيم بناه المتوكل في سرّ مَنْ رأى (معجم البلدان ٣:٣١٩).

(٣) الحجّاج: الكثير الحجّ.

يا إبراهيم صَنْعتُك فيه أحسن من شعرك؛ فخجِلَ وقال: يا سيّدي شغَل خاطري الغناءُ فقلت لوقتي ما حضَرني؛ فضحك الرشيد من قوله وقال له: صدقتَ.

بعضٌ من صفاته وحُبُّه للأشراف

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال: كان جَدُّك مُحِبًّا للأشراف كثيرَ الأصدقاء منه، حتى إنْ كان الرشيدَ لَيَقولُ كثيراً: ما أعرف أحداً أكثرَ أصدقاءَ من إبراهيم.

قال إسحاق: وما سَمِعْتُ أحسنَ غناءً من أربعة: أبِي، وحَكَم الوادي، وفُلَيْح ابن أبي العَوْراء، وسِيَاط؛ فقلت له: ما بلغ من حِذْقهم؟ قال: كانوا يصنعون فيُحسنون، ويؤدّون غناءَ غيرِهم فيُحسنون؛ فقلت: فأيّهم كان أحذق؟ قال: كانوا بمنزلة خطيب أو كاتب أو شاعر يُحسن صناعته، فإذا أنتقل عنها إلى غيرها لم يَبْلُغْ منها ما يبلُغُ من صناعته، وكان جَدُّك كرجل مُفَوَّه، إن خَطَبَ أَجْزَلَ، وإن كتبَ رسالةً أَحْسنَ، وإن قال شِعراً أَحْسن، ولم يكن فيهم مثلُه.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: حَدّثنا حَمّاد عن أبيه، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبَه، وأخبرني إسماعيل بن يونس عن عُمر بن شَبّة جميعاً عن إسحاق قال: لم يكن الناس يُعَلّمون الجاريةَ الحسناء الغناءَ، وإنما كانوا يعلّمونه الصُّفْرَ والسُّود؛ وأوّل من علَّم الجواريَ المُثَمَّناتِ أبي، فإنه بلغ بالقِيان كلَّ مَبلغ، ورفَعَ من أقدارِهنّ. وفيه يقول أبو عُيَيْنة بن محمد بن أبي عُيَيْنة المهلَّبيّ وقد كان هَوِيَ جاريةً يقال لها أمان فأَغْلَى بها مولاها السَّوْمَ، وجعل يردّدها إلى إبراهيم وإسحاق ابنه فتأخذ عنهما، فكلما زادت في الغناء زاد في سَوْمِه، فقال أبو عُيَيْنة:

[الخفيف]

قُلْتُ لَمَّا رَأَيْتُ مَوْلَى أَمَانِ	قد طَغَى سَوْمُهُ بها طُغيانَا
لا جَزَى اللهُ المَوْصِلِيَّ أبا إسـ	حاقَ عَنَّا خَيْراً ولا إحسانَا
جاءنا مُرسَلاً بِوَحْيٍ مِنَ الشَّيـ	طانِ أَغْلَى به علينا القِيانَا
من غِناءٍ كأنه سَكَرات الـ	حبّ يُصْبِي القُلوبَ والآذانا

وقال فيه أبن سيابة:

صوت

[مجزوء الرمل]

مَـا لإِبْـرَاهِـيـمَ فـي الـعِـلْـ	ـمِ بِـهَـذا الـشَّـأنِ ثَـانِـي
إنَّـمـا عُـمْـرُ أبِـي إسـ	ـحـاقَ زَيْـنٌ لِـلـزَّمَـانِ
جَـنَّـةُ الـدُّنْـيـا أبـو إسـ	ـحـاقَ فـي كُـلِّ مَـكـانِ
فـإذا غَـنَّـى أبـو إسـحـا	قَ أجَـابَـتْـهُ الـمَـثَـانـي[1]
مِـنْـهُ يُـجْـنَـى ثَـمَـرُ الـلَّـهْـ	ـوِ وَرَيْـحَـانُ الـجِـنَـانِ

لإبراهيم في هذا الشعر لحنان: خفيفُ ثقيل بالبنصر، وخفيفُ رَمَل بالوسطى عن عمرو والهِشَاميّ.

أخبرني عَمّي عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعَامةَ قال: كان سَلْم الخاسر عند أبي العتاهية، فأخبره سلم أن الرشيد حبَس إبراهيم الموصلّي في المُطْبِق[2]؛ فأقبل عليه أبو العتاهية فقال:

[الخفيف]

سَلْمُ يا سَلْمُ ليسَ دُونَكَ سِتْرُ	حُبِسَ المَوْصِليُّ فَالعَيْشُ مُرُّ
ما اسْتَطَابَ اللَّذَّاتِ مُذْ سَكَنَ المُطْـ	ـبِقَ رَأسُ اللَّذَّاتِ في النَّاسِ حُرُّ
تَرَكَ المَوْصِلِيُّ مَنْ خَلَقَ الـ	ـلّهُ جميعاً وعَيْشُهُمْ مُقْشَعِرُّ
حُبِسَ اللَّهْوُ والسُّرورُ فَمَا في الـ	ـأرضِ شَيءٌ يُلْهَى بِهِ أو يُسَرُّ

وأنشدني بعضُ أصحابنا عن ابن المَرْزُبان عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن أبي فَنَن لأبي العتاهية يخاطب إبراهيم الموصليّ لمّا حُبِسَ:

[الوافر]

أيا غَمِّي لِغَمِّكَ يا خَلِيلي	ويا وَيْلي عَليكَ ويا عَوِيلي
يَعِزُّ عَلَيَّ أنَّكَ لا تَرَاني	وأنِّي لا أراكَ ولا رَسُولي
وأنَّكَ في مَحَلِّ أذًى وضَنْكٍ	وليس إلى لِقَائِكَ مِنْ سَبيلِ
وأنِّي لَسْتُ أمْلِكُ عَنْكَ دَفْعاً	وقد فُوجِئْتَ بِالخَطْبِ الجَليلِ

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال: حَدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حَدّثنا عبد الله بن عمر قال: حَدّثني أبو تَوْبة صالحُ بن محمد عن القَطِرانيّ المغنّي عن محمد بن جبر، وكان المهديّ رَبَّاهُ، قال: حدّثني إبراهيم بن المهديّ

(١) المثاني: مفردها المثنى: ما بعد الأول من أوتار العود.
(٢) المطبق: السجن تحت الأرض.

قال: انصرفتُ ليلةً من الشَّمّاسيّة فمررتُ بدار إبراهيمَ الموصليّ، وإذا هو في روْشَن[١] له وقد صنَع لحنه: [الطويل]

ألاَ رُبَّ نَـدْمَـانٍ عَـلَـيَّ دُمـوعُـهُ   تَفِيضُ على الخَدَّيْنِ سَحًّا سُجُومُها[٢]

وهو يُعيده ويلعَبُ به بنَغَمه ويُكرِّره لتَسْتَوِي له أجزاؤُه، وجواريه يَضْرِبْنَ عليه، فوقفتُ تحت الرَّوْشَن حتى أخذتُه ثم انصرفت إلى منزلي، فما زلتُ أُعيده حتى بلغتُ فيه الغايةَ، وأصبحتُ فغدوتُ إلى الشَّمّاسيّة وٱجتمعنا عند الرشيد، فٱندفع إبراهيم فغنّاه أوّلَ شيء غَنّى، فلمّا سمعه الرشيد طرِبَ وٱستحسنه وشرب عليه، ثم قال له: لِمَنْ هذا يا إبراهيم؟ قال: لي يا سيِّدي، صنعتُه البارحة؛ فقلت: كذَبَ يا أميرَ المؤمنين، هذا الصَّوت قديمٌ وأنا أُغَنِّيه؛ فقال لي: غَنِّه يا حبيبي، فغنَّيتُه كما غنّاه؛ فبُهِتَ إبراهيمُ وغضِب الرشيد، وقال له: يأبن الفاجرة! أتَكْذِبني وتَدَّعي ما ليس لك!. قال: فظلَّ إبراهيمُ بأسوأ حالٍ؛ فلمّا صَلَّيْتُ العصرَ قلت للرشيد: يا أمير المؤمنين، الصوتُ وحياتِكَ له وما كذَبَ، ولكنّي مررتُ به البارحةَ وهو يردّده على جارية له فوقفْتُ حتى دار لي وٱستوى فأخذتُه منه؛ فدعا به الرشيد ورَضِيَ عنه، وأمر له بخمسة آلاف دينار.

نسبة هذا الصوت

صوت

ألا رُبَّ نَـدْمـانٍ عَـلَـيَّ دُمـوعُـهُ   تَفِيضُ على الخَدَّينِ سَحًّا سُجُومُها
حَـلِـيـمٌ إذا مـا الـكَـأْسُ دَارَتْ وهَـرَّهـا   رِجـالٌ لَـدَيْـهَـا قـد تَـخِـفُّ حُـلـومُـهـا[٣]

الغناء لإبراهيمَ رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حَدّثنا أبي عن طَيّاب بن إبراهيم الموصليّ قال: كان إبراهيم بن المهديّ يُقدِّمُ ابنَ جامع ولا يُفَضِّلُ عليه أحداً، فأخبرني إبراهيم بن المهديّ قال: كنّا في مجلس الرشيد وقد غلَبَ النبيذُ على ابن

(١) الروشن: الشرفة المبنية من خشب.
(٢) النّدمان: المُنادم المُجالِس على الشراب. سجوم الدمع: سيلانه.
(٣) هَرُّ الكأسَ: كرهها. والحلوم: العقول.

جامع، فغَنَّى صوتاً فأخطأ في أقسامه؛ فٱلتفتَ إليّ إبراهيم فقال: قد خَرِيَ[١] قَدْ خَرِيَ أستاذُكَ فيه! وفهمتُ قصدهُ فيما قال؛ قال: فقلت له: انتَبِهْ أيها الشَّيخُ وأَعِدِ الصَّوتَ، ففَطِنَ وأعادَه وتحفّظَ فيه وأصاب؛ فغضب إبراهيم وأقبل عَلَيَّ فقال:

[الوافر]

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فلمَّا ٱستَدّ سَاعِدُه رَمَانِي[٢]

وتَنَكَّرَ لي وحلَفَ ألاّ يُكَلِّمُني؛ فقلت للرشيد بعد أيام: إنَّ لي حاجةً؛ قال: وما هي؟ قلت: تأمرُ إبراهيمَ الموصليّ أن يرضى عَنِّي ويعودَ إلى ما كان عليه؛ فقال: ومَنْ إبراهيم حتى يُطْلَبَ رضاه! فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الَّذي أُريده منه لا يُنَالُ إلاّ برضاه؛ فقال: قُمْ إليه يا إبراهيم فَقَبِّلْ رأسَهُ؛ فقام إِلَيَّ لِيُقَبِّلَ رأسي، فلما أَكَبَّ عَلَيَّ قال: تَعُودُ؟ قلت: لا، قال: قد رَضِيتُ عنكَ رِضاً صحيحاً، وعاد إلى ما كان عليه.

أخبرني أبو الحسن أحمد بن يحيى بن عليّ بن يحيى قال: سمعتُ جَدّي عَلِيًّا يُحَدِّثُ عن إسحاق قال: قال أبي: خرجْتُ مع الرشيد إلى الحِيرَةِ، فساعةَ نَزلَ بها دعا بالغداء فتغدّى ثم نام، فٱغتنمتُ قائلتَه[٣] فذهبتُ فركبتُ أَدُورُ في ظهر الحِيرة، فنظرت إلى بستان فقصدته فإذا على بابه شابٌّ حسن الوجه، فٱستأذنته في الدخول فأذِنَ لي، فدخلت فإذا جَنّة من الجِنان في أحسن تُرْبة وأغزرِها ماءً، فخرجتُ فقلت له: لمن هذا البستان؟ فقال: لبعض الأَشَاعِثة[٤]؛ فقلت له: أَيُبَاعُ؟ فقال: نعم وهو على سَوْم[٥]؛ فقلت: كم بلغَ؟ فقال: أربعةَ عشر ألفَ دينار؛ قلت: وما يُسَمَّى هذا الموضعُ؟ قال: شُمَارَى؛ فقلت:

صوت

[الطويل]

جِنَانَ شُمَارَى لَيْسَ مِثْلَكِ مَنْظَرٌ لِذِي رَمَدٍ أَعْيَا عليه طَبِيبُ

---

(١) في نسخة أُخرى: (خَرِيَ أستاذُكَ). وبدون تكرار.

(٢) استدّ الساعد: استقام، والبيت ينسب إلى معن بن أوس قاله في ابن أخت له. ونسبه ابن دريد لمالك ابن فهم الأزدي، وابن بري نسبه إلى عقيل بن علفة.

(٣) القائلة: النوم منتصف النهار.

(٤) الأشاعثة: نسبة إلى الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي، وفد على النبي وروى عنه وعن عمر.

(٥) سام البضاعة: عرضها للبيع وذكر ثمنها.

تُـرابُـكِ كَـافُـورٌ ونَـوْرُكِ زَهْـرَةٌ لـهـا أَرَجٌ بـعـدَ الـهُـدُوِّ يَـطِـيـبُ[١]

قال: وحَضَرتْني فيه صَنْعةٌ حسنة؛ فلما جلس الرشيد وأمر بالغناء غنّيته إياه أوّلَ ما غنّيتُ؛ فقال: وَيْلكَ! وأين شُمَارَى؟ فأخبرته القصّة؛ فأمر لي بأربعةَ عشرَ ألفَ دينار؛ وغَمَزني جعفر بن يحيى فقال: خذ توقيعَه بها إليّ؛ وتشاغلَ الرّشيدُ عنّي، فأعدتُ الصَّوتَ، فقال: وَيْلَك! أَعْطُوا هذا دنانيره؛ فوثبتُ وقلت: يا سيّدي، وَقِّع لي بها إلى جعفر بن يحيى؛ فقال: أفعلُ، ووقَّعَ لي بها إليه؛ فلمّا حصَلَ التوقيعُ عند جعفر أطلقَ لي المالَ وخمسةَ آلاف دينار من عنده؛ فلما حصَلَ المالُ عندي كان أحبَّ إليّ وأحسنَ في عَيْني من شُمَارَى.

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال: أخبرني أبو العَيْناء قال: خرج الفضلُ بن الرَّبيع يوماً من حضرة الرشيد ومعه رقْعةٌ فيها أربعة أبيات، فقال: إنَّ أمير المؤمنين يأمر كلَّ مَنْ حَضَرَ مِمَّنْ يقولُ الشعر أن يُجِيزها، وهي: [الكامل]

أَهْدَى الحَبِيبُ مع الجَنُوبِ سَلاَمَه فَـأَرْدُدْ إلـيـه مـعَ الـشَّـمَـالِ سَـلاَمَـا[٢]
وٱعْـرِفْ بِـقَـلْـبِـكَ مـا تَـضَـمَّـنَ قَـلْـبُـهُ وتَـدَاولاً بِـهَـواكُـمـا الأَيَّـامـا
وإذا بَـكَـيْـتَ لـه فَـأَيْـقِـنْ أَنَّـه سَـتَـجُـودُ أَدْمُـعُـهُ عـلـيـكَ رِهَـامـا[٣]
فَـٱحْـبِسْ دُمـوعَـكَ رَحْـمَـةً لِـدُمُـوعِـهِ إنْ كـنـتَ تـحـفَـظُ أو تَـحُـوطُ ذِمَـامـا

فلم يوجد مَنْ يُجِيزها، فأمر إبراهيمَ فغنّى فيها لحناً من خفيف الثقيل.

أخبرني محمد بن خَلَف وكَيع قال: حَدّثني أبو العبّاس البصريّ قال: حَدَّثني عبد الله بن الفَضْل بن الرَّبيع قال: سمعتُ أبي يقول: لمّا خرج الرشيدُ إلى الرَّقّة أَخْرَج معه إبراهيمَ الموصليّ، وكان به مشغوفاً، ففقده في بعض المنازل أيّاماً وطلبه فلم يُخْبِرْهُ أحدٌ بِقصّته؛ ثم أتاه، فقال له: وَيْحَكَ! ما خَبَرُكَ وأين كانت غَيْبَتُكَ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، حديثي عجيب، نزلْنا بموضع كذا وكذا، فوُصِفَ لي خَمَّارٌ، من ظَرْفه ومن نظافة منزله كيت وكيت، فتقدَّمْتُ أمام ثَقَلي[٤] وأتيته مُخِفًّا، فوافيتُ أطيبَ منزل وأوسعَ رَحْلٍ وأطيبَ طعام وأسخى نَفْسٍ، من شابٍّ حسن

(١) النَّوْر: الزهر الأبيض.
(٢) الجَنوب: الريح التي تهب من ناحية الجنوب وعكسها الشمال.
(٣) الرِّهام: المطر الضعيف.
(٤) الثَّقَل: متاع المسافر وكل نفيسٍ مَصون.

الوجه ظريف العِشْرة، فأقمتُ عنده، فلمّا أردتُ اللَّحاقَ بأمير المؤمنين أقْسمَ عَلَيّ وأخرج لي من الشراب ما هو أطيبُ وأجود مما رأيت، فأقمت ثلاثاً، ووهبتُ له دنانير كانت معي وكُسوةً، وقلت فيه:

صوت

[البسيط]

سَقْياً لِمَنْزِلِ خَمَّارٍ قَصَفْتُ به ... وَسْطَ الرُّصَافَةِ يَوْماً بَعْدَ يَوْمَيْنِ[1]
ما زِلْتُ أَرْهَنُ أَثْوَابي وأَشْرَبُها ... صَفْرَاءَ قد عُتِّقَتْ في الدَّنِّ حَوْلَيْنِ
حتَّى إذَا نَفِدَتْ مِنِّي بِأَجْمَعِها ... عَاوَدْتُهُ بِالرِّبَا دَنّاً بِدَنَّيْنِ
فقال «إزَلْ بشِين» حين وَدَّعَنِي ... وقد لَعَمْرُكَ زُلْنَا عَنه بِالشَّيْنِ

ـ الشعر والغناء لإبراهيم خفيفُ رمل بالبنصر، قوله: «إزَلْ بشِين» كلمة سريانية، تفسيرها: اِمْضِ بسلام، دعا له بها لما ودّعه ـ قال إبراهيم: فقال لي الرشيد: غَنِّنِي هذا الصوتَ، فغنّيتُه إيَّاه وزَمَر عليه بَرْصُوما، فوهب لي الرشيد مائة ألف درهم وأقطعني ضَيْعة، وبعث إلى الخَمّارِ فأُحْضِر، وأَهْدى إلى الرشيد من ذلك الشراب فوصَله؛ ووهَبَ له إبراهيمُ عشرةَ آلاف درهم.

[ابن جامع ورؤيته إبراهيم الموصلي في المنام]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيَد ووكيع قالوا جميعاً: حَدَّثنا حَمّاد ابن إسحاق قال: حَدّثني أبي قال: قال ابن جامع يوماً لأبي: رأيتُ في منامي كأنّي وإيّاكَ راكبان في مَحْمِلٍ، فَسَفُلْتَ حتى كِدْتَ تَلْصَقُ بالأرض، وعلا الشِّقُّ الذي أنا فيه، فَلأَعْلُونَّكَ في الغناء؛ فقال إبراهيم: الرُّؤيا حَقٌّ والتأويل باطل، إنّي وإيّاك كنّا في ميزان، فرجحتُ بك وشالتْ كِفَّتُكَ وعلوتَ فَلصِقْتُ بالأرض، فَلأَبْقَينَّ بعدَك ولتموتنّ قبلي. قال إسحاق: فكان كما قال أبي، علا عليه وأفاد أكثر من فوائده، ومات ابن جامع قبله وعاش أبي بعده.

أخبرني عبد الله بن الرَّبيع الرَّبيعيّ قال: حَدّثتني خَديجة بنت هارون بن عبد الله بن الرَّبيع قالت: حَدّثتني خمار جارية أبي ـ وكانت قُنْدُهارِيّة[2]، اشتراها جدّي

---

(١) قصفتُ به: لهوتُ ولعبت.

(٢) قندهارية: نسبة إلى قندهار، وهي بلد من بلاد السند (معجم البلدان ٤: ٤٠٢).

عبد الله وهي صَبِيّة رَيِّض[١] من آل يحيى بن مُعَاذ بمائتي ألف درهم ـ قالت: ألقى عليّ إبراهيمُ الموصليّ لحنَه في هذين البيتين:

صوت [الطويل]

إذا سَرَّهـا أَمْـرٌ وفـيـه مَسَـاءَتـي قَضَيْتُ لها فيما تريدُ على نَفْسِي
ومـا مَـرَّ يـومٌ أَرْتَـجِـي فـيـه رَاحَـةً فـأذكُـرَه إلاّ بَـكَـيْـتُ عـلـى أَمْـسِ

الشّعر لأبي حَفْص الشِّطْرَنْجيّ، والغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ـ فسمعني ابن جامع يوماً وأنا أُغَنِّيه، فسألني: ممن أخذتِه؟ فأخبرتُه؛ فقال: أَعِيديه، فأعدتُه مِرَاراً، وما زال ابن جامع يتنغّم به معي حتى ظننت أنه قد أخذه، ثم كان كلما جاءنا قال لي: يا صَبِيّةُ، غنِّي ذلك الصوت، فكان صوتَه عليّ.

[قصته مع مخارق ثم مع موسى الهادي]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدّثني عمر بن شَبّة قال: قال مخارق: أَذِنَ لنا أمير المؤمنين الرشيدُ أن نُقيمَ في منازلنا ثلاثةَ أيّام، وأعلمنا أنه مشتغل فيها مع الحُرَمِ[٢]، فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم ـ وأخبرني وَسْواسة وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ بهذا الخبر فقال: حَدّثني أبي عن أبيه عن مُخارق قال: اشتغلَ الرشيد يوماً واَصطبح مع الحُرَم وقد أصبحتِ السَّماء مُتَغَيِّمة، فانصرفنا إلى منازلنا. ولم يذكر في الخبر ما ذكره عمر بن شَبّة مما قدمتُ ذكره، واتفقا ها هنا في أكثر الحكايات واللفظ فأكثره لرواية اَبن الموصليّ ـ قال مخارق: وأصبحت السماء مُتغيِّمة تَطِشُّ طَشًّا خفيفاً، فقلت: والله لأذهبنَّ إلى أستاذي إبراهيمَ فأعرف خبره ثم أعود، فأمرتُ مَنْ عندي أن يُسَوُّوا مجلساً لنا إلى وقت رجوعي؛ فجئت إلى إبراهيمَ الموصليّ فإذا البابُ مفتوح والدِّهليز قد كُنِسَ والبوّاب قاعدٌ؛ فقلت: ما خبر أستاذي؟ فقال: ادخُلْ، فدخلتُ فإذا هو جالس في رِواقٍ له وبين يديه قُدورٌ تُغَرْغر وأباريق تَزْهَرُ، والستارة منصوبة والجواري خَلْفَها، وإذا قُدَّامَه طَسْتٌ فيه رِطْلِيّة وكوزٌ وكأس، فدخلت أترنّمُ ببعض الأصوات، وقلت له: ما بالُ الستارةِ لستُ أسمع من ورائها صوتاً؟ فقال: اقعُدْ وَيْحَكَ! إني أصبحت على

(١) الرَّيِّض: الدابّة أول ما تُرَاض ويطلق على الذكر والأنثى.
(٢) الحُرَم: جمع الحُرْمة: المرأة. وحُرَمُ الرجل: أهله ونساؤه.

الذي ظننتَ؛ فأتاني خبرُ ضَيْعة تجاورني، قد والله طلبتُها زماناً وتمنّيتها فلم أملكْها، وقد أُعْطِيَ بها مائةُ ألف درهم؛ فقلت: وما يمنعُكَ منها؟ فوالله لقد أعطاك اللهُ أضعافَ هذا المال وأكثر؛ قال: صدقتَ، ولكن لستُ أَطِيبُ نَفْساً أن أُخرِجَ هذا المال؛ فقلت: فمن يُعطيك الساعةَ مائة ألف درهم؟ والله ما أطمع في ذلك من الرشيد، فكيف بمن دونه! فقال: اجلس، خُذْ هذا الصوت، ونَقَرَ بقضيبٍ معه على الدّواة وألقى عليّ:

صوت

[البسيط]

نامَ الخَلِيُّونَ مِنْ هَمٍّ ومِنْ سَقَمِ ... وبِتُّ مِنْ كَثْرَةِ الأحزانِ لَمْ أَنَمِ

يا طَالِبَ الجُودِ والمَعْروفِ مُجْتَهِداً ... إعْمِدْ ليحيى حليفِ الجودِ والكرمِ

ـ الشعر لأبي النضير، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالبنصر ـ قال: فأخذتُه فأحكمتُه؛ ثم قال لي: امْضِ الساعةَ إلى باب الوزير يحيى بن خالد، فإنك تجدُ الناس عليه وتجد الباب قد فُتِحَ ولم يجلسْ بَعْدُ، فاستأذِنْ عليه قبل أن يَصِلَ إليه أحد، فإنه سيُنكِرُ عليك مجيئك ويقول: من أين أقبلتَ في هذا الوقت؟ فحدِّثْهُ بِقَصْدِكَ إيّاي وما ألقيتُ إليك من خبر الضَّيْعة، وأَعْلِمْه أنّي صنعتُ هذا الصوت وأعجبني، ولم أرَ أحداً يستحقّه إلا فلانةَ جاريتَه، وأني ألقيتُه عليك حتى أحكمْتَه لِتطرحَه عليها؛ فسيدعو بها ويأمر بالسِّتارة أن تُنصَب ويُوضَع له كرسيّ ويقول لك: اطْرَحْه عليها بحضرتي، فافعل وأْتِني بالخبر بعد ذلك. قال: فجئتُ بابَ يحيى فوجدتُه كما وصَفَ، وسألني فأعلمْتُه ما أمرني به، ففعل كُلَّ شيء قاله لي إبراهيم، وأحضَرَ الجاريةَ فألقيْتُه عليها؛ ثم قال لي: تُقيمُ عندنا يا أبا المهنّأ[1] أو تنصرف؟ فقلت: أنصرف أطال الله بقاءَكَ فقد علمْتَ ما أُذِنَ لنا فيه، قال: يا غلام، احْمِلْ مع أبي المهنّأ عشرة آلاف درهم، واحملْ إلى أبي إسحاق مائةَ ألف درهم ثمنَ هذه الضَّيْعة، فحُمِلَتِ العشرةُ الآلاف الدرهم إليّ، وأتيتُ منزلي فقلت: أُسَرّ يومي هذا وأَسُرُّ مَنْ عندي، ومضى الرسول إليه بالمال؛ فدخلتُ منزلي ونثَرْتُ على مَنْ عندي من الجوارِي دراهمَ من تلك البَدْرة[2]، وتوسّدتُها وأكلْتُ وشرِبتُ وطرِبتُ وسُرِرت

(١) أبو المهنّأ: هو مخارق بن يحيى الذي يروي الخبر.
(٢) البدرة: الكيس التي توضع فيه الدراهم أو هو الكمية الكبيرة من المال.

يومي كلَّه؛ فلما أصبحتُ قلتُ: والله لآتِينَّ أُستاذي ولأعرِفنَّ خبرَه، فأتيتُه فوجدتُ البابَ كهيئته بالأمس، ودخلتُ فوجدته على مثلِ ما كان عليه، فترنَّمْتُ وطَرِبْتُ فلم يَتَلقَّ ذلك بما يجب؛ فقلت له: ما الخبر؟ ألم يأتك المال؟ قال: بلى! فما كان خبرُكَ أنت بالأمس؟ فأخبرته بما كان وُهِبَ لي وقلت: ما ينتظر من خلف الستارة، فقال: ارفع السَّجْف[1] فرفعتُه فإذا عشر بِدَر؛ فقلت: وأيّ شيء بقي عليك في أمر الضيعة؟ قال: وَيْحَكَ! ما هو والله إلا أن دخلتُ منزلي حتى شَحِحْتُ عليها فصارت مثل ما حويتُ قديماً؛ فقلت: سبحان الله العظيم! فتصنع ماذا! قال: قم حتى أُلقِي عليك صوتاً صنعتُه يفوق ذلك الصوت؛ فقمتُ وجلستُ بين يديه، فألْقَى عليّ:

صوت

[الطويل]

ويَفْرَحُ بالمولود مِنْ آلِ بَرْمَكٍ	بُغَاةُ النَّدَى والسَّيْفُ والرُّمحُ ذو النَّصْلِ
وتَنْبَسِطُ الآمالُ فيه لِفَضْلِهِ	ولا سِيَّمَا إنْ كانَ مِنْ وَلَدِ الفَضْلِ

ـ الشّعر لأبي النَّضير، والغناءُ لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن الهِشَامي، وذكر عمرو بن بانة أنه لإسحاق، وهو الصحيح، وفيه خفيف ثقيلٍ، أظنه لحنَ إبراهيم.

أخبرني إسماعيل بن يونس عن عمر بن شَبّة عن إسحاق أن أباه صنع هذا الصوت في طريقه خفيف الثقيل وعَرَضه على الفَضْل، فأستحسنه وأمر مخارِقاً بإلقائه على جواريه فألقاه على مراقش وقَضِيبَ فأخذتاه عنه ـ قال مُخارِق: فلما ألقى عليّ الصوتَ سمعت ما لم أسمع مثلَه قطُّ، وصَغُرَ عندي الأوّل فأحكمْتُه؛ ثم قال: انهض الساعةَ إلى الفَضْل بن يحيى، فإنّك تَجِدُه لم يأذن لأحد بعدُ، وهو يريد الخَلْوة مع جواريه اليوم، فأستأذِنْ عليه وحدِّثه بحديثنا أمس، وما كان من أبيه إلينا وإليك، وأعلمه أنّي قد صنعتُ هذا الصوتَ وكان عندي أرفعَ منزلةً من الصوت الذي صنعتُه بالأمس، وأني ألقيته عليك حتى أحكمْتَه ووَجَّهْتُ بك قاصداً لتلقيه على فلانَة جاريته؛ فصِرتُ إلى بابِ الفَضْل فوجدتُ الأمر على ما ذكَر، فأستأذنتُ فوصلتُ؛ وسألني: ما الخبر؟ فأعلمتُه بخَبَري في اليوم الماضي وما وصل إليّ وإليه من المال؛ فقال: أخزَى الله إبراهيمَ فما أبخله على نفسه! ثم دعا خادماً فقال:

---

(١) السجف: الستر.

اضرب السِّتارة فضربها، فقال لي: أَلْقِهِ، فلمّا غَنَّيْتُهُ لم أُتِمّه حتى أقبل يَجُرُّ مِطْرفَه، ثم قعدَ على وِسادة دون السّتارة، وقال: أحْسَنَ والله أستاذُك وأحسنتَ أنتَ يا مخارق؛ فلم أخرج حتى أخذَتْهُ الجاريةُ وأحكمَتْهُ، فَسُرَّ بذلك سروراً شديداً، وقال: أقِمْ عِندي اليوم؛ فقلت: يا سيّدي إنما بَقِيَ لنا يومٌ واحد، ولولا أنّي أحبّ سرورَك لم أخرج من منزلي؛ فقال: يا غلام اْحْمِلْ مع أبي المهنأ عشرين ألف درهم واْحمل إلى إبراهيم مائتي ألف درهم؛ فانصرفْتُ إلى منزلي بالمال، ففتحتُ بَدْرةً فنثرت منها على الجواري وشربت وسُرِرْتُ أنا ومَنْ عندي يومَنا؛ فلما أصبحتُ بَكَّرْتُ إلى إبراهيمَ أَتَعَرَّفُ خبَره وأُعَرِّفُهُ خَبَري، فوجدتُه على الحال التي كان عليها أوّلاً وآخِراً، فدخلتُ أترنّم وأُصفِّق؛ فقال لي: اْدْنُ؛ فقلت: ما بقي؟ فقال: اجلسْ واْرفع سَجْفَ هذا الباب فإذا عشرون بَدْرة مع تلك العشر؛ فقلت: ما تنتظر الآن؟ فقال: وَيْحَك! ما هو والله إلا أن حصلتْ حتى جرتْ مجرى ما تقدّم؛ فقلتُ: والله ما أظن أحداً نال في هذه الدولة ما نِلْتَهُ! فلِمَ تَبْخل على نفسك بشيء تمنّيتَه دهراً وقد ملّكَكَ اللّهُ أضعافَه! ثم قال: اجلس فخُذْ هذا الصوتَ؛ وألْقى عَلَيّ صوتاً أنساني واللّهِ صوتَيَّ الأوّلَيْن:

صوت [الطويل]

أَفِي كُلِّ يَومٍ أَنْتَ صَبٌّ ولَيْلَةٍ	إلى أُمِّ بَكْرٍ لا تُفِيقُ فَتُقْصِرُ
أُحِبُّ على الهِجرانِ أكنافَ بَيْتِها	فيا لَكَ من بيتٍ يُحَبُّ ويُهْجَرُ[١]
إلى جَعْفرٍ سارَتْ بنا كُلُّ جَسْرةٍ	طَواهَا سُراها نَحْوَهُ والتَّهَجُّرُ[٢]
إلى وَاسِعٍ لِلْمُجْتَدِينَ فِناؤُهُ	تَروحُ عَطَايَاهُ عليهم وتَبْكُرُ

ـ الشعر لمروان بن أبي حَفْصَة يمدح به جعفر بن يحيى، والغناءُ لإبراهيم، ولم تقع إلينا طريقتُه ـ قال مُخارِق: ثم قال لي إبراهيم: هل سمعتَ مثلَ هذا؟ فقلت: ما سمعتُ قطُّ مثلَه. فلم يَزَلْ يُرَدِّده عليّ حتى أخذتُه، ثم قال لي: امضِ إلى جعفر فاْفعل به كما فعلتَ بأخيه وأبيه؛ قال: فمضيتُ ففعلتُ مثل ذلك وخبّرته ما كان منهما وعرَضْتُ عليه الصوت، فسُرَّ به ودعا خادماً فأمره بضرب الستارة

(١) الأكناف: جمع الكَنَف: الناحية والجانب.

(٢) الجَسْرَة: الناقة العظيمة. والسُّرى: السَّير ليلاً. والتهجُّر: السَّيْر في الهاجرة، أي في حَرّ منتصف النهار.

وأحضرَ الجارية وقعد على كرسيّ، ثم قال: هاتِ يا مُخارِق؛ فآندفعتُ فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذَتْه؛ فقال: أحسنتَ والله يا مُخارق وأحسن أستاذُك، فهل لك في المُقام عندنا اليومَ؟ فقلت: يا سيِّدي هذا آخر أيّامنا، وإنما جئتُ لموقع الصوت منّي حتى ألقيته على الجارية؛ فقال: يا غلام احمِلْ معه ثلاثين ألف درهم وإلى المَوْصليّ ثلاثمائة ألف درهم؛ فصرتُ إلى منزلي بالمال، فأقمتُ ومن معي مسرورين نشرَبُ بقيَّةَ يومنا ونطرَب، ثم بكّرتُ إلى إبراهيم فتلقّاني قائماً وقال لي: أحسنتَ يا مُخارق؛ فقلت: ما الخبر؟ فقال: اجلس، فجلستُ، فقال لمن خلف الستارة: خذوا فيما أنتم فيه، ثم رفع السَّجْف فإذا المال؛ فقلت: ما خبر الضيعة؟ فأدخل يده تحت مِسورة[1] هو مُتَّكِيءٌ عليها فقال: هذا صَكُّ الضيعة، سُئِلَ عن صاحبها فوُجِدَ ببغداد، فآشتراها منه يحيى بن خالد، وكتب إليّ: قد علمتُ أنك لا تسخو نفساً بشراء الضيعة من مال يحصُل لك ولو حيزَتْ لكَ الدّنيا كلُّها، وقد آبتعتُها لك من مالي ووجّهتُ لك بصَكّها؛ ووجَّه إليّ بصكها وهذا المال كما ترى؛ ثم بكى وقال لي: يا مُخارِق إذا عاشرتَ فعاشر مثل هؤلاء ـ وإذا خنكرت[2] فخَنْكِرْ لِمثل هؤلاء؛ هذه ستُّمائة ألف وضَيْعةٌ بمائة ألف وستون ألفَ درهم لك، حصّلنا ذلك أجمعَ وأنا جالس في مجلسي لم أبرحْ منه، فمتى يُدْرَكُ مثل هؤلاء!.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال: أخبرني أبي عن إسحاق قال: كان موسى الهادي شَكِسَ الأخلاق صَعْبَ المِزاجِ، مَنْ تَوَقّاه وعرف أخلاقه أعطاه ما أَمَّلَ، ومن فتَحَ فَاهُ فاتّفقَ له أن يفتحه بغير ما يهواه أقصاه وآطّرَحه، فكان لا يحتجب عن نُدَمائه ولا عن المغنّين، وكان يُكثِرُ جوائزَهم وصِلاَتِهم ويُواتِرها[3]؛ فتغَنّى أبي عنده يوماً؛ فقال له: يا إبراهيم غنِّني جِنْساً من الغناء أَلَذُّ به وأَطْرَبُ له ولكَ حُكْمُكَ؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إن لم يقابلني زُحَلُ بِبَرْده رَجَوْتُ أن أُصيبَ ما في نفسك. . قال: وكنت لا أراه يُصغي إلى شيء من الأغاني إصغاءَه إلى النَّسيب والرَّقيق منه، وكان مذهبُ آبن سُرَيْج عنده أحمدَ من مذهب مَعْبَد، فغنّيته: [الطويل]

وإنّي لَتَعْرُوني لِذِكْرَاكِ هِزَّةٌ   كما آنتفَضَ العُصفورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

---

(١) المِسوَرة: الوسادة المصنوعة من جلد.
(٢) خنكر: لفظة فارسيّة لعلّ معناها غَنّى.
(٣) يواترها: يتابع بعضها بعضاً.

فضربَ بيده إلى جَيْب دُرَّاعته[1] فحَطَّها ذراعاً، ثم قال: أحسنتَ والله! زِدْني، فغنَّيْتُ:

فيـا حُبَّـهـا زِدْنِـي جَـوًى كُـلَّ لَـيْـلَـةٍ ... ويـا سَـلْـوَةَ الأيَّـامِ مَـوْعِـدُكِ الـحَـشْـرُ

فضرب بيده إلى دُرّاعته فحطَّها ذراعاً آخَر أو نحوَه، وقال: زِدْني وَيْلَك! أحسنتَ والله، ووجب حكمُك يا إبراهيم؛ فغنّيت:

هَـجَـرْتُـكِ حَـتَّـى قِـيلَ لاَ يَـعْـرِفُ الـهَـوى ... وزُرْتُـكِ حَـتَّـى قِـيـلَ لـيـسَ لـه صَـبْـرُ

فرفع صوتَه وقال: أحسنتَ، لِلَّهِ أبوكَ! هاتِ ما تريد؛ قلت: يا سيّدي، عَيْن مرْوان بالمدينة؛ فدارتْ عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان، وقال: يأبنَ اللَّخْناء أردتَ أن تَشْهَرني بهذا المجلس فيقول الناس: أطْرَبه فحكّمه، فتجعلني سَمَراً وحديثاً! يا إبراهيم الحَرّاني: خُذْ بيد هذا الجاهل إذا قمتُ، فأَدْخِلْهُ في بيت مال الخاصّة، فإن أخذ كلَّ ما فيه فَخَلِّه وإيّاه؛ فدخلتُ فأخذت خمسين ألفَ دينار.

نسبة هذا الصوت

صوت

[الطويل]

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بيني وبينَها ... فلما انْقَضَى ما بيننا سَكَنَ الدَّهْرُ

فيـا حُبَّـهـا زِدْنِـي جَـوًى كُـلَّ لـيـلـةٍ ... ويـا سَـلْـوَةَ الأيَّـامِ مـوعِـدُكِ الـحَـشْـرُ

ويا هجرَ ليلى قد بَلَغْتَ بِيَ المَدَى ... وزِدْتَ على ما لَيْسَ يَبْلُغُهُ الهَجْرُ

وإنِّـي لَـتَـعْـرونـي لِـذِكْـرَاكِ هِـزَّةٌ ... كما انْتفضَ العُصفورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

هَجَرْتُكِ حتى قِيلَ لا يَعرفُ الهَوَى ... وزُرْتُكِ حَتَّى قِيلَ ليسَ له صَبْرُ

أَمَا والَّذي أَبْكَى وأضحكَ والَّذي ... أماتَ وأَحْيَا والَّذي أَمْرُهُ أَمْرُ

لقد تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ الوَحشَ أنْ أَرَى ... أَلِيفَيْنِ منها لا يَرُوعُهُمَا الذُّعْرُ

ـ الشعر لأبي صَخْر الهُذَليّ، والغناء لمَعْبَد، وأوّل لحنه «ويا هجر ليلى» ويعده الثاني ثم الأوّلُ من الأبيات ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو، ولابن سُرَيْج في السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ، ولعَرِيب في السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أوّلُ أيضاً، وللواثق فيها رَمَل، وهو مما صنعه

(١) الدُّرّاعة: جبّة مشقوقة المقدّم. وجيبها: طوقها.

الواثق قبلها فعارضَتْه بلحنها، وقد نَسَبَ قومٌ لحنَ مَعْبد إلى ابن سُرَيج ولحنَ ابن سريج إلى معبد.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: اشترى جَدّكَ إبراهيمُ لجعفر بن يحيى جارية مغنّية بمال عظيم، فقال جعفر: أيَّ شيء تُحسن هذه الجاريةُ حتى بلغتَ بها هذا المالَ كلَّه؟ قال: لو لم تُحسن شيئاً إلا أنها تَحْكي قولي:

* لِـمَـنِ الـدِّيَـارُ بِـبُـرْقَـةِ الـرَّوْحَـانِ[1] *

لكانت تساويه وزيادةً؛ فضحك جعفر وقال: أفرطتَ!

نسبة هذا الصوت

صوت

[الكامل]

لِـمَـنِ الـدِّيَـارُ بِـبُـرْقَـةِ الـرَّوْحَـانِ   إذ لا نَـبِـيـعُ زَمَـانَـنـا بِـزَمَـانِ
صَـدَعَ الـغَـوَانِـي إذْ رَمَـيْـنَ فُـؤَادَهُ   صَـدْعَ الـزُّجـاجـةِ مـا لِـذَاكَ تَـدَانِ
إنْ زُرْتُ أَهْـلَـكِ لَـمْ أُنَـوَّلْ حَـاجَـةً   وإذا هَـجَـرْتُـكِ شَـفَّـنِـي هِـجْـرَانِـي

الغناء لمَعْبد، فيما ذكره الهشاميّ وأحمد بن المكيّ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى، ونَسَبه غيرهُما إلى حُنَين، وقال آخرون: إنه للغَرِيض، وذكر حَبَش أنه ليَزِيدَ، حَوْرَاء، وفيه لإبراهيمَ خفيفُ رملٍ بالبنصر.

أخبرني الحُسين عن حَمّاد قال: قال لي أبي: صَنَعَ جَدُّكَ تِسعَمائةِ صوتٍ، منها دِيناريّة، ومنها دِرْهَميّة، ومنها فَلْسِيّة، وما رأيت أكثرَ من صنعته؛ فأمّا ثلاثمائة منها فإنه تقدّم الناسَ جميعاً فيها، وأمّا ثلاثمائة فشاركوه وشاركهم فيها، وأمّا الثلاثمائة الباقية، فلَعِبٌ وطَرَب؛ قال: ثم أسقط أبي الثلاثمائة الآخرةَ بعد ذلك من غناء أبيه، فكان إذا سُئِلَ عن صنعة أبيه قال هي سِتُّمائة صوت.

وقال أحمد بن حَمْدون قال لي إسحاق: من غناء أبي الذي أكرهه وأستَزْريه صوتُه في شعر العبّاس بن الأحنف:

(١) برقة الروحان: روحنة باليمامة تنبت شجر يشبه الغضى اسمه الرِّمث (معجم البلدان ١: ٣٩٥).

* أَبْكِي ومِثْلي بَكَى مِنْ حُبِّ جاريةٍ *

فما أعلم له فيه معنًى إلا ٱستحسانَه للشعر، فإن العباس أحسن فيه جدًّا.

نسبة هذا الصوت

صوت

[البسيط]

أبكي ومِثْلي بكى مِنْ حُبِّ جَاريةٍ ... لم يَخلُق اللّهُ لِي في قَلْبِها لِينَا

هل تذكرينَ وُقُوفي عِندَ بَابِكُم ... نِصفَ النَّهارِ وأهلُ الدَّارِ لاهُونا

الشعر للعبّاس بن الأحنف، والغناء لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى.

أخبرني جَحْظة قال: أخبرني حَمّاد بن إسحاق قال: قال رجل لأبي: أَخْبِرْني عنكَ، لمَ طَعَنْتَ على أبيك في صنعته: [المديد]

قال لي فيها عَتِيقٌ مَقَالاً ... فَجَرَتْ مِمَّا يقولُ الدُّمُوعُ

قال: لأنه تعرّضَ لابن عائشةَ وله في هذا الشعر صنعةٌ، وٱبن عائشة ممّن لا يُعارَضُ فلم يقارِبْه، وعلى أن صنعة أبي من جَيّد الغناء لو كان صنَعها في غير هذا الشعر، ولكنها ٱقترنَتْ بِصنعة ٱبن عائشة فلم تقاربْها، فسقط عندي لذلك.

نسبة هذا الصوت

صوت

قال لي فيها عَتِيقٌ مَقالاً ... فَجَرَتْ مِمَّا يقولُ الدُّموعُ

قال لي وَدِّعْ سُلَيمى ودَعْها ... فأجابَ القَلْبُ لا أستطيعُ

الشّعرُ لعمر بن أبي ربيعة، والغناءُ لمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو، وقيل: إنه لابن عائشة، وفيه ثاني ثقيلٍ يُنْسَب إلى الهُذَليّ، وفيه خفيفُ ثقيل يُنسب إلى ٱبن عائشة وإلى إبراهيم.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: أخبرني عبد الله بن أبي سَعْد قال: حَدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: حَدّثني إسحاق عن أبيه قال: دخلتُ الرَّيَّ فكنتُ آلَفُ فِتْياناً من أهل النِّعَم بها وهم لا يعرفونني، فطال ذلك عليّ إلى أن دعاني أحدهم ليلةً إلى منزله فبِتُّ عنده، فأخرج جاريةً له ومدّ لها ستارةً فتغنّتْ خَلْفَها،

فرأيتُها صالحةَ الأداء كثيرةَ الرّواية، فشوّقَتْني إلى العراق وذكّرَتْني أيّامي بها، فدعوتُ بِعُودٍ، فلما جِيءَ به ٱندفعتُ فغنّيتُ صوتي في شعري: [مجزوء الرمل]

أنــا بِــالــرَّيِّ مُــقِــيــمُ فــي قُــرَى الــرَّيِّ أَهِــيــمُ

وقد كنتُ صنعتُ هذا اللّحن قديماً بِالرَّيّ؛ فخرجت الجارية من وراء السّتارة مُبادِرةً إليّ، فأَكَبَّتْ على رأسي وقالت: أستاذي والله!؛ فقال لها مولاها: أيّ أُستاذِيك هذا؟ قالت: إبراهيم الموصليّ؛ فإذا هي إحدى الجواري اللاّتي أَخَذْنَ عني وطال العهدُ بها؛ فأكرمني مولاها وبَرَّني وخلَعَ عليّ، فأقمت مدّة بعد ذلك بالرَّيّ وٱنتشر خبري بها، ثم كتب بحَمْلي إلى والي البلد فأُشْخِصْتُ.

أخبرني الحسن قال: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثني أبو تَوْبة صالحُ بن محمد قال: حَدّثني القَطِرانيّ عن محمد بن جَبْر عن يحيى المَكّي قال: كنّا يوماً بين يدي المهديّ وقد حَبَس إبراهيمَ الموصليّ وضرَبه وأمر بأن يُلْبَسَ جُبَّةَ صوفٍ، وكان يخرج على تلك الحال فيَطْرح على الجواري؛ فكتب إلينا ذاتَ يوم، ونحن مُصْطبِحون وقد جادت السماءُ بمطرٍ صَيِّفٍ، وبحضرتنا شيء من ورد مُبَكّر:

[الهزج]

أَلاَ مَــنْ مُــبْــلِــغٌ قَــوْمــاً مِــنِ ٱخْــوَانــي وجِــيــرَانــي
هَــنِــيــئــاً لَــكُــمُ الــشُّــرْبُ عــلــى وَرْدٍ وتَــهْــتــانِ[1]
وأَنّــي مُــفْــرَدٌ وَحْــدِي بِــأَشْــجَــانِــي وأحــزانِــي
فَــمَــنْ جَــفَّ لــه جَــفْــنٌ فَــجَــفْــنَــايَ يَــسِــيــلانِ

قال: فوقف المهديُّ على رُقعته وقرأها فرَقَّ له وأمر بطلبه في الوقت، ثم أطلقه بعد بأيّام.

أخبرني الحسن قال: حَدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حَدّثني ابن المَكّيّ عن أبيه قال: كانت لِعَليٍّ اليَمَانيّ جاريةٌ مُغَنّية، فهَوِيَها إبراهيم وٱسْتُهِيمَ بها زماناً، وقال فيها:

(١) التهتان: مطرُ ساعةٍ ثم يفترُ ثم يعود. وهتن المطرُ والدمعُ يَهتِنُ تَهتاناً: إذا قَطَرَ متتابعاً.

صوت

[الخفيف]

كنتُ حُرًّا فَصِرْتُ عبدَ اليَمَانِي ... مِنْ هَوَى شَادِنٍ هَوَاهُ بَرَانِي[1]
وهو نِضْفَانِ مِنْ قَضيبٍ ودِعْصٍ ... زانَ صَدْرَ القَضيبِ رُمَّانَتَانِ[2]

اللَّحنُ لإبراهيمَ في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو، وقد زعَم قوم أن الشّعر للحسين بن الضّحاك.

[تعليمه الغناء لأحد بني نهيك]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال: كان بعضُ أهل نَهِيك[3] قد تعاطى الغناء، فلمّا ظنّ أنه قد أحكمه ساورني وأبي حاضرٌ، فقلتُ له: إن قَبِلْتَ منّي فلا تُغنِّ فلستَ فيه كما أرضى؛ فصاح أبي عَلَيَّ صيحةً شديدةً ثم قال لي: وما يُدريكَ يا صبيّ! ثم أقبل على الرجل فقال: أنت يا حبيبي بِضدِّ ما قال، وإن لَزِمْتَ الصِّناعةَ برعتَ فيها؛ فلما خلا بي قال لي: يا أحمق! ما عليك أن يُخْزِي الله مائة ألف مثل هذا! هؤلاء أغنياء ملوك، وهم يُعَيِّروننا بالغناء، فدعهم يتهتّكوا به ويُعَيَّروا ويَفْتَضِحُوا ويحتاجوا إلينا فنَنْتَفِعَ بهم، ويَبين فضلُنا لدى النّاس بأمثالهم. قال: ولَزِمَهُ النَّهيكيّ يأخذ عنه ويَبَرُّه فيُجزل، فكان إذا غَنّى فأحسن قال له: بارك الله فيك، وإذا أساء قال: بارك الله عليك؛ وكَثُرَ ذلك منه حتّى عرَفَ النَّهيكيّ معناه فيه، فغنَّى يوماً وأبي ساهٍ عنه فسكتَ ولم يقل له شيئاً؛ فقال له: جُعِلْتُ فِدَاكَ، يا أستاذي، أهذا الصوت من أصوات «فيك» أم «عليك»؟ فضحك أبي ولم يكن علم أنه قد فَطِنَ لقوله، ثم قال له: والله لأُقْبِلَنَّ عليك حتّى تصيرَ كما تشتهي، فإنك ظريفٌ أديب؛ وعُنِيَ به حتى حَسُنَ غناؤه وتقدّم. وفيه يقول أبي:

[مجزوء الرمل]

أَوْجَبَ اللَّهُ لكَ الحَـ ... ـقَّ على مِثْلِي بِظَرْفِكْ
لَنْ تَرَانِي بعدَ هذا ... نَاطِقاً إلاّ بِوَصْفِكْ

---

(١) الشادن: ولد الظّبية، وتشبّه به المرأة.

(٢) الدِّعص: كثيب الرمل.

(٣) نَهيك: لعلّه يريد أحد أبناء نهيك بن قصيّ بن عوف بن جابر بن عبد نهم.. العامري السلولي، وفدَ على النبيﷺ (الإصابة تر ٨٨٢٠).

وتَــرَى الــقُــوَّةَ فِــيــمَــا تَــشْــتَــهِــيــهِ بــعــدَ ضَــعْــفِــكْ

[حُكْمُهُ لمصلحة إسحاق في صوتٍ بين يديْ الرشيد]

أخبرني إسماعيل قال: حَدّثني عُمر بن شَبّة عن إسحاق، أخبرني به الصُّولِيّ عن عَوْن بن محمد عن إسحاق قال: غَنّى مُخَارِقٌ بين يدَيِ الرشيد صوتاً فأخطأ في قِسْمته؛ فقلت له: أَعِدْ فأعاده، وكان الخطأ خفيًّا، فقلتُ للرّشيد: يا سَيِّدي، قد أخطأ فيه؛ فقال لإبراهيم بن المهديّ: ما تقول فيما ذكره إسحاق؟ قال: ليس الأمرُ كما قال، ولا ها هنا خطأ؛ فقلتُ له: أترضى بأبي؟ قال: إي والله، وكان أبي في بقايا عِلّةٍ؛ فأمر الرشيدُ بإحضاره ولو محمولاً، فَجِيءَ به في مِحَفَّة[1]؛ فقال لِمُخَارِق: أَعِدِ الصَّوتَ، فأعاده؛ فقال: ما عندك يا إبراهيم في هذا الصوت؟ فقال: قد أخطأ فيه؛ فقال له: هكذا قال ٱبنُكَ إسحاق، وذكر أخي إبراهيم أنه صحيح؛ فنظر إليّ ثم قال: هاتُوا دواةً، فَأُتِيَ بها وكتب شيئاً لم يَقِفْ عليه أحدٌ ثم قطعه ووَضعه بين يدي الرشيد، وقال لي: اكتُب بذِكْرِ الموضع الفاسد من قِسْمةِ هذا الصوت، فكتبْتُه وألقيْتُه فقرأه وسُرَّ، وقام فألقاه بين يدي الرشيد، فإذا الذي قلناه جميعاً مُتَّفِقٌ؛ فضحكَ وعجبَ ولم يَبْقَ أحدٌ في المجلس إلا قَرَّظَ[2] وأثنى ووصَفَ، ولا أحدٌ خالَفَ إلاّ خَجِل وذَلَّ وأذْعنَ. وقال أبي في ذلك: [مجزوء الرمل]

لــيــتَ مَــنْ لا يُــحْــسِــنُ الــعِــلْــ ـمَ كَــفَــانَــا شَــرَّ عِــلْــمِــهْ
فَــٱخْــبُــرِ الــحَــقَّ ٱبْــتِــدَاءً وقِــسِ الــعِــلْــمَ بِــفَــهْــمِــهْ
طَــيِّــبُ الــرَّيْــحَــانِ لا تَــعْــ ـرِفُــهُ إلا بِــشَــمِّــهْ

حدّثني جَحْظة قال: حَدّثني هِبَةُ الله، وحَدَّثني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: غَنّى أبي يوماً بحضرة الرشيد: [الطويل]

سَلِي هل قَلاَنِي مِنْ عَشِيرٍ صَحِبْتُهُ وهـل ذَمَّ رَحْـلِـي فـي الـرِّفـاقِ رَفِـيـقُ

فطرِبَ وٱستعاده وأمر له بعشرين ألفَ درهم، فلما كان بعد سنين، خطر ببالي ذلك الصوتُ وذكرتُ قصّته، فغنّيتُه إياه؛ فطرِبَ وشربَ، ثم قال لي: يا إسحاق، كأني في نفسك ذكرتَ حديثَ أبيك وأنّي أعطيتُه ألف دينار على هذا الصوت

(١) المِحَفّة: سرير يُحمل عليه المريض أو المسافر.
(٢) التقريظ: المدح.

فطمِعْتَ في الجائزة!؛ فضحكْتُ ثم قلت: والله يا سيِّدي ما أخطأتَ؛ فقال: قد أخذ ثمنَه أبوك مرَّةً فلا تطمعْ؛ فعَجِبْتُ من قوله، ثم قلت: يا سيِّدي، قد أخذ أبي منك أكثر من مائتي ألفِ دينار ما رأيتُك ذكرتَ منها غيرَ هذا الألف على بختي أنا؛ فقال: وَيْحَكَ! أكثر من مائتي ألف دينار؟! قلت: إي والله!؛ فوجَمَ وقال: أستغفرُ الله من ذلك، وَيْحَكَ! فما الَّذي خَلَّفَ منها؟ قلت: خلَّفَ عَلَيَّ ديوناً مبلغها خمسةُ آلاف دينار قضيتُها عنه؛ فقال: ما أدري أيُّنا أشدُّ تضييعاً! والله المستعان.

نسبة هذا الصّوت

صوت

سَلِي هل قَلاَنِي مِنْ عَشيرٍ صَحِبْتُهُ ... وهل ذَمَّ رَحْلِي في الرِّفاقِ رَفيقُ

وهل يَجْتوِي القَوْمُ الكِرَامُ صَحَابتي ... إذا أغْبَرَّ مَخْشِيُّ الفِجَاجِ عَمِيقُ[١]

ولو تَعلمينَ الغَيْبَ أيقَنْتِ أنَّني ... لَكُمْ والهَدَايا المُشْعَرَاتِ، صَدِيقُ[٢]

الشعر يُنسب إلى مُضَرِّس بن قُرْط الهِلاَليّ وإلى قَيْس بن ذَرِيح، وفيه بيت يقال إنه لِجَرِير، والغناء مختلطٌ في أشعار الثلاثة المذكورين، ونِسْبَتُه تأتي في أخبار قيس بن ذَرِيح، إلا أن الغناء في هذه الثلاثة الأبيات لمَعْبَد ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

حفظه لصوت غنّته سِنَورتان

أخبرني عَمِّي قال: حَدّثني عبد الله بن أبي سَعْد قال: حَدّثتني نَشْوة الأُشْنانية قالت: أخبرني أبو عثمان يحيى المكيّ قال: تَشَوَّقَ يوماً إبراهيمُ الموصليّ إلى سرداب له، وكانت فيه بِرْكة ماء تدخل من موضع إليه وتخرج إلى بستان، فقال: أشتهي أن أشربَ يومي وأبيتَ ليلتي في هذا السّرداب ففعل ذلك، فبينا هو نائم في نصف اللّيل فإذا سِنَّوْرَتان[٣] قد نزلتا من درجة السِّرْداب، بيضاء وسوداء، فقالت

---

(١) يجتوي: يكره. الفِجاج: جمع الفَجّ: الطريق الواسع بين جبلين.

(٢) الهدايا: جمع الهدي: ما يُهْدَى من النَّعَم إلى البيت الحرام لِتُنحر. وأشعرَ البَدَنَة: أعلمَها، وأصل الإشعار: أن يجعل في البدنة علامة بشقِّ جِلدها لتُعرف أنها هَدْيٌ.

(٣) السِّنَّوْرة: الهرّة.

إحداهما: أتراه نائماً؟ فقالت السّوداء: هو نائم؛ فاندفعت السوداءُ فغَنَّتْ بأحسن صوت: [مجزوء الوافر]

عَفَا مُزَجٌ إلى لَصَقٍ إلى الهَضَباتِ مِنْ هَكِرِ(١)
إلى قَاعِ النَّقِيرِ إلى قَرَارِ حِلالِ ذي حَدَرِ(٢)

قال: فمات إبراهيمُ فرحاً وقال: يا ليتهما أعاداه! فأعاداه مراراً حتى أخذه، ثم تحرّكَ فقامت السِّنَّوْرتانِ، وسمعَ إحداهما تقول للأُخرى: والله لا طَرَحَهُ على أحدٍ إلاّ جُنَّ، فطرحه من غَدٍ على جارية له فَجُنَّتْ.

نسبة هذا الصوت

الغناء فيه لمالكٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن يحيى المَكّي وعَمْرو بن بَانَةَ.

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالا: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: حَدّثني أبو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال: أتيتُ الفضلَ بن يحيى يوماً، فقلت له: يا أبا العبّاس، جُعِلْتُ فِدَاكَ! هَبْ لي دراهمَ فإنّ الخليفة قد حبَسَ يدَه؛ فقال: وَيْحَكَ يا أبا إسحاق! ما عندي مال أرضاه لك، ثم قال: هَاه! إلاّ أن ها هنا خَصْلةً أتانا رسولُ صاحب اليمن فقضينا حوائجَه، ووجّه إلينا بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبَّتنا؛ فما فعلَتْ ضِياءُ جاريتُك؟ قلتُ: عندي، جُعِلْتُ فداك!؛ قال: فهو ذا، أقول لهم يشترونها منك لا تَنْقُصْها من خمسين ألف دينار؛ فقبَّلْتُ رأسَه ثم آنصرفتُ؛ فبكّرَ عليّ رسول صاحب اليمن ومعه صديقٌ لي، فقال: جاريتُك فلانةُ عندَك؟ فقلت: عندي؛ فقال: اعرِضْها عليّ، فأخرجتُها؛ قال: بكم؟ قلت: بخمسين ألفَ دينار ولا أنقُص منها ديناراً واحداً، وقد أعطاني بها الفضلُ بن يحيى أمسِ هذه العطيّة؛ فقال لي: أُريدها له؛ فقلت له: أنت أعلم، إذا آشتريتَها فصيِّرها لمن شئت؛ فقال لي: هل لك في ثلاثين

---

(١) مُزَج: غدير يفضي إليه سيل النقيع، بينه وبين المدينة ثلاثون فرسخاً (معجم البلدان ٥: ١٢٠). وهَكِر: موضع على نحو أربعين ميلاً من المدينة، وقال الأزهري: هكر بلدٌ وقيل قصر. (معجم البلدان ٥: ٤٠٩). ولصق: غير موجود في معاجم البلدان ولعلّه محرّف من لَصَف: اسم بركة غربي طريق مكة بين المغيثة والعقبة على ثلاثة أميال من حُبَيب غربي واقصة (معجم البلدان ٥: ١٧).

(٢) النقير: موضع بين هجر والبصرة (معجم البلدان ٥: ٣٠١) وحلال: من نواحي اليمن (معجم البلدان ٢: ٢٨١). والحَدَر: ما انحدر من الأرض.

ألفَ دينار مُسَلَّمةٍ لك؟ قال: وكان شراء الجارية على أربعمائة دينار، فلما وقع في أذني ذِكْرُ ثلاثين ألفاً أُرْتِجَ[1] عليّ ولَحِقَني زَمَعٌ[2]، وأشار عليّ صديقي الذي معه بالبيع، وخِفْتُ والله أن يحدُثَ بالجارية حَدَثٌ أو بي أو بالفَضْل بن يحيى، فسلَّمْتُها وأخذتُ المال؛ ثم بَكَّرْتُ على الفضل بن يحيى، فإذا هو جالسٌ وحدَه؛ فلما نظر إليّ ضحِكَ، ثم قال لي: يا ضَيِّق الحَوْصَلة[3]! حَرَمْتَ نفسك عشرين ألفَ دينار؛ فقلت له: جُعِلْتُ فِداكَ، دَعْ ذا عنك، فوالله لقد دَخلني شيء أعجَزُ عن وصفه وخِفت أن تَحدُث بي حادثة أو بالجارية أو بالمشتري أو بك، أعاذك الله من كلّ سوء، فبادرتُ بقَبول الثلاثين ألف دينار؛ فقال: لا ضَيْر، يا غلام جِئْ بِالجارية، فجاء بجاريتي بعينها؛ فقال: خُذْها مبارَكاً لك فيها، فإنما أردنا منفعتك ولم نُرِدِ الجارية؛ فلما نهضتُ، قال لي: مكانَك، إنّ صاحب إرْمِينِيَة قد جاءنا فقضيْنا حوائجه ونفّذْنا كُتُبَه، وذكر أنه قد جاءنا بثلاثين ألفَ دينار يشتري لنا بها ما نُحِبُّ، فأعرضْ عليه جاريتَك هذه ولا تَنْقُصها من ثلاثين ألف دينار؛ فانصرفتُ بالجارية وبكَّرَ إليّ رسول صاحب إرْمِينِيَة ومعه صديقٌ لي آخر، فقاوَلَني بالجارية، فقلتُ: لستُ أنقصها من ثلاثين ألف دينار؛ فقال لي: معي على الباب عشرون ألفَ دينار تأخذها مُسلَّمة، بارك الله لك فيها؛ فدخلني والله مثلُ الذي دخلني في المرّة الأولى وخِفتُ مثلَ خوفي الأوّل، فسَلَّمْتُها وأخذتُ المال؛ وبكّرت على الفضل بن يحيى فإذا هو وحدَه؛ فلما رآني ضحك وضرب برجله الأرض وقال: ويحكَ! حَرَمتَ نفسك عشرةَ آلاف دينار؛ فقلت: أصلحك الله، خِفتُ والله ما خفتُ في المرّة الأولى؛ قال: لا ضَيْرَ، أخرجْ يا غلام جاريتَه؛ فجاء بجاريتي بعينها، فقال: خُذْها، ما أردناها ولا أردنا إلا منفعتك؛ فلما ولّتِ الجارية صِحْتُ بها: ارجعي فرجعتْ؛ فقلت: أُشْهِدُكَ، جُعِلْتُ فِداكَ، أنها حُرَّة لوجه الله وأني قد تزوّجتها على عشرة آلاف درهم، كَسَبتْ لي في يومين خمسين ألف دينار، فما جزاؤها إلا هذا؛ فقال: وُفِّقْتَ إن شاء الله.

---

(١) أُرْتِجَ عليّ: استغلقَ عَلَيّ الكلام.

(٢) الزَمَع: شبه رعدة تأخذ الإنسان.

(٣) ضيّق الحوصلة: كناية عن التسرّع وشدّة الحرص والبخل.

[صوتُه الحزين يبهت صاحب الخمّارة ومخارق]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: حَدّثني إسحاق قال: قال لي أبي: كنت في شبابي أُلازِم أصحابَ قُطْرُبُّل وبارِي وبِنَّى[١] وما أشبه هذه المنازل، فأَتَّخِذُ فيهم الخَمّارَ اللَّطيفَ، يحسبوني[٢] بالشراب الجيّد ويَخْبَأُهُ لي، فجئتُ إلى بارِي يوماً فلَقِيَني خَمَّارِي، فقال لي: يا أبا إسحاق عندي شيء من بَابَتِك[٣]، وقد كنت عملتُ لَحْنِي هذا:

صوت

[مجزوء الرمل]

اشْـــرَبِ الــــرَّاحَ وكُـــنْ فـــي ... شُـــــرْبِـــكَ الــــرَّاحَ وَقُـــورَا
فَــــاشْــــرَبِ الــــرَّاحَ رَوَاحــــاً ... وظَـــــلامــــاً وبُــــكُـــــورَا

ـ الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى، وفيه لمنصور زَلْزَل الضاربِ خفيفُ رَمَلٍ عن حَبَش ـ قال: فدخلتُ بيته وبَزَلْتُ[٤] دَنَّه وجعلتُ أُرَجِّعُ الصّوتَ؛ فبُهِتَ ينظر إليّ والنبيذُ يجري حتى امتلأ الإناء وفاضَ؛ فقلت له: وَيْحَكَ! شرابُكَ قد فاضَ؛ فقال: دَعْني من شرابي، بالله مات لك إنسان في هذه الأيام؟ فقلت: لا؛ قال: فما بالُ حَلْقِكَ هذا حزيناً؟.

أخبرني الحسن بن علي قال: حَدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال: حَدّثني حَمّاد بن إسحاق عن عمّه طَيّاب بن إبراهيم قال: دخلتُ على أبي يوماً وعنده مُخارِق وأبي يُلْقِي عليه هذا الصوت:

---

(١) قُطْرُبُّل: قرية بين بغداد وعكبرا تنسب إليها الخمر وكانت متنزّهاً للبطّالين وحانة للخمّارين (معجم البلدان ٤ : ٣٧١). وباري: قرية من أعمال كلواذى من نواحي بغداد وبها بساتين ومتنزّهات (معجم البلدان ١ : ٣٢١). وبِنّى: قرية على شاطىء دجلة من نواحي بغداد (معجم البلدان ١ : ٤٩٥).

(٢) اللفظ غير مناسب للكلام وفي نسخة أخرى: فيجيئني.

(٣) البابة: الوجه والمذهب، أو ما يصلح لكَ.

(٤) بزل الدنّ: ثقبه ليسيل ما به من خمر.

صوت

[الوافر]

طَرِبْتَ وأنتَ مَغْنِيٌّ كَئِيبُ وقد يَشْتَاقُ ذو الحَزَنِ الغَرِيبُ
وشَاقَكَ بالمُوَقَّرِ أهلُ خَاخٍ فلا أَمَمٌ هُنَاكَ ولا قَرِيبُ[1]
وكم لكَ دُونَها مِنْ عُرْضِ أَرْضٍ كَأَنَّ سَرَابَها الجَارِي سَبِيبُ
لَعَمْرُكَ إنَّني بِرَقِيمِ قَيْسٍ وجَارَةِ أَهْلِها لأَنَا الحَرِيبُ[2]

- الشعر للأحوص، والغناء لإبراهيمَ ماخُورِيٌّ بالبنصر عن عمرو - قال: فلما أخذه مخارِق جعل أبي يبكي، ثم قال له: يا مخارق، نِعمَ وسيلة إبليس أنت في الأرض، أنتَ والله بعدي صاحب اللّواء في هذا الشأن.

[مباراة بين إبراهيم وابنه في صوتين لهما]

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالا: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال: لما صنع أبي لحنَه في: [الرمل]

لَيْتَ هِنْداً أَنْجَزَتْنَا ما تَعِدْ وشَفَتْ أَنْفُسَنا مِمَّا تَجِدْ

خَاصَمْتُه وعِبْتُه في صنعته، وقلت له: أَمَا بِإزائك من ينتقد أنفاسك ويَعيب محاسنَك وأنت لا تفكّر! تجيء إلى صوت قد عمل فيه أبنُ سُرَيْج لحناً فتُعارضه بلحن لا يقاربه والشعرُ أوسعُ من ذلك! فدَعْ ما قد أعتَوَرَتْهُ[3] صناعةُ القدماء وخُذْ في غيره؛ فغضِبَ، وكنت لا أزال أُفاخِره بصنعتي وأَعيب ما يُعابُ من صنعته، فإنْ قَبِلَ منّي فذلك، وإن غضِبَ داريتُه وترضَّيْتُه؛ فقال لي: ما يعلم الله أني أدعك أو تفاخرَني بخيرِ صوتٍ صنعتَه في الثقيل الثاني في طريقة هذا الصوت؛ فلمّا رأيتُ الجِدَّ منه أخترت صنعتي في هذا اللّحن: [مجزوء الخفيف]

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا ونَأَى عَنْكَ جانِبَا
قَدْ بَلَغْتَ الَّذي أَرَدْ تَ وإنْ كُنْتَ لاَعِبَا

(١) الموقّر: موضع من عمل البلقاء بنواحي دمشق (معجم البلدان ٥: ٢٢٦). وخاخ موضع بين الحرمين (معجم البلدان ٢: ٣٣٥). والأَمَم: الشيء اليسير أو القريب.

(٢) الرقيم: موضع بقرب البلقاء من أطراف الشام وهو مذكور مع الموقّر في شعر لكثيّر (معجم البلدان ٣: ٦٠). والحَرِيب: الذي سُلِبَ حريبته، والحريبة: المال المسروق.

(٣) اعتورته: تداولته.

وكان ما تَجارَيْناه ونحن نَتَسايرُ خارجَيْن إلى الصحراء نقطعُ فَضْلَةَ خُمَارٍ بنا؛ فقال: مَنْ تُحِبُّ أن يحكمَ بيني وبينك؟ فقلت: من تُرَى أن يحكم ها هنا؟ قال: أَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ علينا أُغنِّيه لحْنِي وتُغنّيه لحنَك؛ فطمعتُ فيه وقلت: نعم؛ فأقبلَ شيخ نَبَطِيٌّ يحمل شوكاً على حمار له، فأقبل عليه أبي فقال: إنّي وصاحبي هذا قد تراضيْنا بك في شيء؛ قال: وأيّ شيء هو؟ فقلنا: زَعَمَ كلُّ واحد منّا أنه أحسنُ غناءً من صاحبه، فتسمَع منّي ومنه وتحكُم؛ فقال: على ٱسم الله؛ فبدَأ أبي فغنّى لحنَه، وتبِعْتُهُ فغنّيتُ لحني، فلما فرَغْتُ أقبل عَلَيَّ فقال لي: قد حكمتُ عليك عافاك الله ومضى؛ فَلَطَمَني أبي لَطْمةً ما مرّ بي مثلُها منه قطُّ، وسكتُّ فما أعدتُ عليه حرفاً ولا راجعتُه بعد ذلك في هذا المعنى حتى ٱفترقْنا.

نسبة هذين الصوتين

صوت

[الرمل]

لَيْتَ هِنْداً أَنْجَزَتْنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أنفُسَنا مِمّا تَجِدْ

وٱسْتَبَدَّتْ مَرَّةً واحدةً إنَّما العاجِزُ مَنْ لا يَسْتَبِدّ

زَعَمُوهَا سَأَلَتْ جَارَاتِها ذاتَ يَومٍ وتَعَرَّتْ تَبْتَرِدْ

أَكَمَا يَنْعَتُنِي تُبْصِرْنَنِي عَمْرَكُنَّ اللّهُ أَمْ لا يَقْتَصِدْ

فَتَضَاحَكْنَ وقد قُلْنَ لها حَسَنٌ في كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدّ

حَسَداً حُمِّلْنَهُ مِنْ أَجْلِها وقَدِيماً كانَ في النَّاسِ الحَسَدْ

الشعر لعمر بن أبي رَبيعة، ولحنُ إبراهيم فيه ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وفيه لابن سُرَيج رَمَلٌ بالخنصر في مجرى البنصر، وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ بالخنصر والبنصر عن يحيى المَكّي، وذكره إسحاقُ في هذه الطريقة ولم ينسُبه إلى أحد، وقال الهشاميّ: أَدَلُّ شيء على أنه لمالكٍ شَبَهُه للحنه:

* اسْلَمِي يا دارُ من هِنْدِ *

وفيه لمُتَيَّم ثقيلٌ أوّل، وأما لحن إسحاقَ الذي فاخر به صنعةَ أبيه، فقد كُتب شعرُه والصنعةُ فيه ـ وهما جميعاً لإسحاق، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ـ في أخبار إسحاق.

[قال شعراً في منصور زلزل فأطلقه الرشيد من سجنه]

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنّ حَمّاد بن إسحاق حدّثه عن أبيه قال: كان الرشيد قد وَجَدَ على منصور زَلْزَل لشيء بلغه عنه، فحبسه عشرَ سنين أو نحوَها؛ فقام الرشيد يوماً لِحاجته، فجعل إبراهيمُ يغنّي صوتاً صنعه في شعر كان قاله في حبس زَلْزَل، وهو: [الكامل]

هـل دَهْـرُنـا بِـكَ رَاجِـعٌ يـا زَلْـزَلُ ... أَيّـامَ يَـبْـغِـيـنـا الـعَـدُوُّ الـمُـبْـطِـلُ

أَيّـامَ أنـتَ مِـنَ الـمَـكَـارِهِ آمِـنٌ ... والـخَـيْـرُ مُـتَّـسِـعٌ عَـلَـيـنـا مُـقْـبِـلُ

يـا بُـؤْسَ مَـنْ فَـقَـدَ الإمَـامَ وقُـرْبَـهُ ... مـاذا بـه مِـنْ ذِلَّـةٍ لـو يَـعْـقِـلُ

مـا زِلْـتُ بـعـدَكَ فـي الـهـمـومِ مُـرَدَّداً ... أَبْـكِـي بِـأَرْبَـعَـةٍ كَـأَنّـي مُـثْـكِـلُ(١)

ـ الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ـ قال: ودخل الرشيد وهو في ذلك فجلس في مجلسه، ثم قال: يا إبراهيم، أيّ شيء كنتَ تقول؟ فقال: خيراً يا سيّدي؛ فقال: هاته فتلكّأ، فغضب الرشيد وقال: هاته فلا مكروهَ عليك، فردّ الغناء؛ فقال له: أَتُحِبُّ أن تراه؟ فقال: وهل يُنْشَرُ أهلُ القبور؟ فقال: هاتوا زَلْزَلاً فجاؤوا به وقد أبيضّ رأسُه ولحيته فَسُرَّ به إبراهيم؛ وأمرَه فجلس، وأمر إبراهيمَ فَغَنَّى وضربَ عليه فَزَلْزَلاَ الدنيا، وشرب الرشيدُ على ذلك رِطلاً، وأمر بإطلاق زَلْزل وأَسْنَى جائزتهما ورَضِيَ عنه وصرفه إلى منزله. قال: وزَلْزَلٌ أوّلُ مَنْ أحدث هذه العيدانَ الشَّبَابِيط(٢)، وكانت قديماً على عمل عيدان الفُرْس، فجاءت عَجَباً من العَجَب. قال: وكانت أُخْتُ زلزل تحت إبراهيمَ، وقد وَلَدت منه.

[أوّلُ أساتذته مجنونٌ]

أخبرني محمد بن مَزْيَد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أَوّلُ مَنْ تعلَّمْتُ منه الغناءَ مجنونٌ، كان إذا صِيحَ به: يا مُضَر، يَهيجُ ويرجُمُ؛ فبلغني أنه يُغَنِّي أصواتاً فيُجِيدُها، أخذها عن قدماء أهل الحجاز، فكنت أُدْخِلُه إليّ فأُطْعِمُه وأسقيه وأخدَعه حتى آخُذَ عنه، وكان حاذقاً؛ فأوّلُ صوت أخذتُه عنه: [الخفيف]

أَرْسِـلـي بِـالـسَّـلاَمِ يـا سَـلْـمُ إنّـي ... مُـنْـذُ عُـلِّـقْـتُـكُـمْ غَـنِـيٌّ فَـقِـيـرُ

(١) الأربعة: اللّحاظَيْن والموقين للعينين، فالدمع يجري من الموقين فإذا كثر جرى من اللحاظَين أيضاً.

(٢) الشبابيط: جمع شبوط: ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط ليّن الملمس صغير الرأس.

فـالـغِـنَـى إنْ مَـلَـكْـتُ أمْـرَكِ والـفَـقْـ ـرُ بِـــأنّـــي أزُورُ مَـــنْ لا يَـــزورُ
وَيْحَ نَفْسِي! تَسْلُو النُّفُوسُ وَنَفْسي فـي هَـوَى الـرِّيـم ذِكْـرُهـا مـا يَـحُـورُ
مَـنْ لِـنَـفْـسٍ تَـتُـوقُ أنْـتِ هَـوَاهـا وفُـؤَادٍ يَـكـادُ فِـيـكِ يَـطِـيـرُ

ثم مَكَثْتُ زماناً آخذ عنه، وكان إذا عاد إليه عقلُه من أحذقِ الناس وأقْوَمِهم على ما يؤدّيه؛ ثم غاب عنّي فما أعرِفُ خبره.

وهذا الشعر للوليد بن يَزِيد، والغناء ليونس خفيفُ رَمَلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر غيره أنه لعمرَ الواديّ، وفيه لوجه القرعة ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش.

[رحلته مع الرشيد وبعض أخباره معه]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال: خرجتُ مع الرشيد إلى الشّأم لمّا غزا، فدعاني يوماً فدخلت إليه إلى مجلس لم أرَ أحسن منه مفروشٍ بأنواع الرُّخام، فأكل وأمرني فأكلتُ معه، وجعلتُ أتولّى خدمتَه إلى العصر، ثم دعا بالنبيذ فشرِبَ وسقاني معه، ثم خلع عليّ خِلعةَ وَشْي من ثيابه وأمر لي بألف دينار، ثم قال: انظر يا إبراهيم، كم من يَدٍ أوْلَيْتُكَ إيّاها اليومَ! نادمْتَني مفرداً، وآكَلْتَني، وخلعتُ عليك ثيابي من بدني، ووَصَلْتُكَ، وأجلستُك في إيوان مَسْلمة بن عبد الملك تشرب معي؛ فقلت: يا سَيِّدي، ما ذهب عليّ شيء من تفضّلك، وإنّ نِعَمَكَ عندي لأكثرُ من أن تُحصَى، وقبَّلْتُ رِجْلَهُ والأرضَ بين يديه.

أخبرني الحسن بن عليّ حدّثنا أحمد بن زُهَير قال: قال دِعْبِل بن عليّ: لمّا ولِيَ الرشيدُ الخلافةَ وجلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأمور ودخل عليه المغنّون، كان أوّل مَنْ غنّاه إبراهيمُ الموصليّ بشعره فيه، وهو:

صوت

[الوافر]

إذا ظُـلَـمُ الـبِـلادِ تَـجَـلَّـلَـتْـنـا فـهـارونُ الإمَـامُ لـهـا ضِـيـاءُ
بِـهـارونَ اسْـتَـقَـامَ الـعَـدْلُ فـيـنـا وغَـاضَ الـجَـوْرُ وانـفـسَـحَ الـرَّجَـاءُ

رَأَيتُ النّاسَ قد سَكَنُوا إليه ... كما سَكَنَتْ إلى الحَرَمِ الظِّبَاءُ
تَبِعْتَ مِنَ الرَّسُولِ سَبِيلَ حَقٍّ ... فَشَأْنُكَ في الأمورِ به اقْتِدَاءُ

فقال له الخادم من خَلْفِ السّتارةِ: أَحْسَنْتَ يا إبراهيم في شِعْرِكَ وغنائك، وأمر له بعشرين ألف درهم، لحنُ إبراهيمَ في هذا الصوت ثقيلٌ أَوّلُ بالسبّابة والوسطى عن أحمد بن المَكّي.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثني يَزيد بن محمد المُهَلَّبِيّ قال: حَدّثني أبي قال: كنتُ أنا وأبو سَعِيد النَّهْدِيّ وهاشم بن سليمان المغنّي يوماً مجتمعِين في بُستان لنا ونحن نشرب وهاشم يغنّينا؛ فلمّا توسّطْنا أمرَنا إذا نحن برجل قد دخل علينا البستانَ جميلِ الهيئة حسنِ الزِّيّ، فلمّا بصُرنا به من بعيد، وثَب هاشمٌ يعدو حتى لَقِيَهُ، فقبَّل يدَه وعانقه، ولم يعرفه أحدٌ منا، فجاء وسلّم سلامَ الصَّديق على صديقه، ثم قال: خذوا في شأنكم، فإنّي اجتزتُ بكم فسمعتُ غناء أبي القاسم فاستخفّني وأطربني، فدخلت إليكم واثقاً بأنه لا يُعاشر إلاّ فتًى ظريفاً يستحسن هذا الفعلَ ويسرّه، ولي في هذا إمامٌ وهو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فإنه سمع غناء عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال: إنما أدخلني عليكم مُغَنِّيكم لمّا غَنَّى:

[المنسرح]

قُلْ لِكِرَامٍ بِبَابِنَا يَلِجُوا ... ما فِي التَّصَابِي على الفَتَى حَرَجُ

وأنا أعلم أنّ نفوسكم متعلّقة بمعرفتي، فمن عرفني فقد اكتفى، ومن جَهِلَني فأنا إبراهيم الموصليّ؛ فقُمْنا فقبّلنا رأسه وسُرِرْنا به أتمّ سرور، وانعقدتْ بيننا وبينه يومئذٍ مَودّة، ثم غابَ عَنّا غيبةً طويلة، وإذا هاشم قد أنفذ إلينا منه رُقعةً فيها:

[الطويل]

أَهَاشِمُ هَلْ لي مِنْ سَبِيلٍ إلى الّتي ... تُفَرِّقُ هَمَّ النَّفْسِ في كُلِّ مَذْهَبِ
مُعَتَّقَةً صِرْفاً كأنَّ شُعَاعَها ... تَضَرُّمُ نَارٍ أو تَوَقُّدُ كَوْكَبِ
أَلاَ رُبَّ يَوم قد لَهَوْتُ ولَيْلَةٍ ... بها والفَتَى النَّهْدِيُّ وابن المُهَلَّبِ
نُدِيرُ مُدَاماً بيننا بِتَحِيَّةٍ ... وتَفْدِيَةٍ بالنَّفْسِ والأُمِّ والأبِ

[شِعره في العقعق السارق]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان لي

وأنا صبيّ عَقْعَقٌ[1] قد رَبَّيته وكان يتكلّم بكلّ شيء سمعه، فسرق خاتَم ياقوتٍ كان لأبي قد وضعه على تُكَأته ودخل الخلاء ثم خرج ولم يجده، فطلبه وضرب غلامَه الذي كان واقفاً، فلم يَقِفْ له على خبر؛ فبينا أنا ذاتَ يوم في دارنا إذ أبصرتُ العقعقَ قد نَبش تراباً فأخرج الخاتَم منه ولعب به طويلاً، ثم ردّه فيه ودفَنه، فأخذتُه وجِئْتُ به إلى أبي، فسُرَّ بذلك وقال يهجو العقعق: [المتقارب]

إذا بَارَكَ اللَّهُ في طَائِرٍ ... فلا بارَكَ اللَّهُ في العَقْعَقِ

طويلُ الذُّنَابَى قَصِيرُ الجناحِ ... متى ما يَجِدْ غَفْلَةً يَسرِقِ

يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ في رَأسِهِ ... كَأَنَّهُمَا قَطْرَتا زِئْبَقِ

[حديث الموصلي وابن جامع عند الرشيد وانتصار الزفّ للموصلي]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثني أحمد بن المَكّيّ، وذاكرت أبا أحمد بن جعفر جَحْظَة بهذا الخبر فقال: حدّثني به محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل عن أبيه عن جدّه، ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل فجمعت الرواياتِ كلَّها: أنّ الرشيد قال يوماً لجعفر بن يحيى: قد طال سماعُنا هذه العصابةَ على ٱختلاط الأمر فيها فهلمَّ أُقاسِمْكَ إياها وأُخايِرْكَ، فاقتسما المُغَنِّين، على أن جعلا بإزاء كل رجل نظيرَه، وكان ابن جامع في حَيِّزِ الرشيد وإبراهيم في حَيِّز جعفر بن يحيى، وحضر الندماءُ لِمِحْنة[2] المغنِّين، وأمر الرشيدُ ٱبنَ جامع فغنّى صوتاً أحسن فيه كلَّ الإحسان وطرِبَ الرّشيدُ غايةَ الطَّرَبِ، فلما قطعه قال الرشيد لإبراهيم: هاتِ يا إبراهيم هذا الصوتَ فغَنِّه؛ فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه، وظهر الانكسار فيه؛ فقال الرشيد لجعفر: هذا واحد، ثم قال لإسماعيل بن جامع: غَنِّ يا إسماعيل، فغنّى صوتاً ثانياً أحسن من الأول وأرضى في كل حال، فلما ٱستوفاه قال الرشيد لإبراهيم: هاته يا إبراهيم، قال: ولا أعرف هذا؛ فقال: هذان ٱثنان، غنّ يا إسماعيل، فغنّى ثالثاً يتقدّم الصوتين الأوّلَين ويفضُلُهما، فلما أتى على آخره، قال: هاته يا إبراهيم، قال: ولا أعرف

---

(١) العقعق: طائر على قدر الحمامة وشكل الغراب والعرب تتشاءم به وتضرب فيه المثل بالخيانة والخبث والسرقة.

(٢) المحنة: الامتحان والتجربة.

هذا أيضاً؛ فقال له جعفر: أخزيتَنا أخزاكَ الله. قال: وأتمّ ٱبنُ جامع يومَه والرشيدُ مسرور به، وأجازه بجوائزَ كثيرةٍ وخلَعَ عليه خِلَعاً فاخرة، ولم يزَلْ إبراهيمُ مُنْخَذِلاً مُنكسِراً حتى انصرف. قال: فمضى إلى منزله، فلم يستقرّ فيه حتى بعث إلى محمد المعروف بالزّف، وكان محمد من المغنّين المحسنين، وكان أسرعَ من عُرِفَ في أيامه في أَخذ صوت يريد أَخْذَه، وكان الرشيد قد وجَدَ عليه في بعض ما يجده الملوك على أمثاله فألزمه بيتَه وتناساه؛ فقال إبراهيم للزّف: إني ٱخترتك على من هو أحبّ إليّ منك، لأمرٍ لا يصلُحُ له غيرك، فانظُر كيف تكون! قال: أبلُغُ في ذلك محبَّتك إن شاء الله تعالى؛ فأدّى إليه الخبر وقال: أريد أن تمضي الساعة إلى ابن جامع، فتُعلمه أنك صِرتَ إليه مُهَنِّئاً بما تَهَيَّأَ له عليّ، وتَنَقَّصْني وتَثْلِبْني[1] وتَشْتُمْني، وتحتال في أن تسمع منه الأصوات وتأخذها منه، ولك ما تُحِبُّه من جِهتي من عَرض من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله. قال: فمضى من عنده وٱستأذن على ٱبن جامع فأَذِنَ له، فدخل وسلّم عليه وقال: جِئْتُكَ مُهَنِّئاً بما بلغني من خبرك، والحمد لله الذي أخزى ٱبنَ الجُرْمُقانيّة[2] على يدك، وكشف الفضل في محلّك من صناعتك؛ قال: وهل بلغك خَبَرُنا؟ قال: هو أشهر من أن يخفى على مثلي؛ قال: وَيْحَك! إنه يَقْصُرُ عن العِيانِ؛ قال: أيها الأستاذ سُرَّني بأن أسمعه من فِيكَ حتى أَرْوِيَه عنك، وأَسْقِطْ بيني وبينك الأسانيدَ؛ قال: أَقِمْ عندي حتى أفعلَ؛ قال: السَّمع والطاعة؛ فدعا له ابن جامع بالطعام فأكلا ودعا بالشراب، ثم ٱبتدأ فحدَّثَهُ بالخبر حتى ٱنتهى إلى خبر الصوت الأوّل؛ فقال له الزّف: وما هو أيّها الأستاذ؟ فغنّاه ابن جامع إياه، فجعل محمد يُصفِّقُ وينعِرُ[3] ويشرب وابن جامع مجتهدٌ في شأنه حتى أخذه عنه. ثم سأله عن الصوت الثاني، فغَنَّاهُ إياه، وفعل مِثلَ فعله في الصوت الأوّل، ثم كذلك في الصوت الثالث؛ فلما أخذ الأصوات الثلاثة كلَّها وأحكمها قال له: يا أستاذ، قد بلغْتُ ما أُحبُّ، فتأذن لي في الانصراف؟ قال: إذا شِئتَ؛ فانصرف محمد من وجهه إلى إبراهيم؛ فلما طلع من باب داره قال له: ما وراءك؟ قال: كلّ ما تحبّ، ادعُ لي بِعُود، فدعا له به، فضرب وغنّاه الأصوات؛ قال إبراهيم: وأبيك

---

(١) تثلبني: تعيبني.

(٢) الجُرمقاني: نسبة إلى الجرامقة: قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام.

(٣) ينعر: يصيح ويصوّت بخيشومه.

هي بِصُوَرِها وأعيانِها، رَدِّدْها عليّ الآن، فلم يزل يُردّدها حتى صَحَّتْ لإبراهيم، وانصرف الزّف إلى منزله؛ وغدا إبراهيم إلى الرشيد، فلما دعا بالمغنّين دخل فيهم، فلما بَصُرَ به قال له: أوَ قد حضرتَ! أما كان ينبغي لك أن تجلسَ في منزلك شهراً بسبب ما لَقِيتَ من ابن جامع! قال: ولِمَ ذلك يا أمير المؤمنين؟ جعلني الله فداءك! والله لئن أذِنْتَ لي أن أقول لأقولنّ؛ قال: وما عساك أن تقول؟ قل؛ فقال: إنه ليس ينبغي لي ولا لغيري أن يراك نشيطاً لشيء فيُعارِضَك، ولا أن تكون مُتعصّباً لِحَيِّزٍ وجَنْبَةٍ[1] فيغالِبَكَ، وإلا فما في الأرض صوتٌ لا أعرفه، قال: دَعْ ذا عنكَ، قد أقررْتَ أمسِ بالجهالة بما سَمِعْتَ من صاحبنا، فإن كنتَ أمسكتَ عنه بالأمس على معرفة كما تقول فهاته اليومَ، فليس ها هنا عصبيّة ولا تمييز، فاندفع فأَمَرَّ الأصوات كلّها، وابن جامع مُصْغٍ يسمع منه، حتى أتى على آخرها؛ فاندفع ابن جامع فحلف بالأيمان المحْرِجةِ أنه ما عرفها قطّ ولا سمعها ولا هي إلا من صَنْعَته، ولم تخرج إلى أحد غيره؛ فقال له: وَيْحَكَ! فما أحدثتَ بعدي؟ قال: ما أحدثت حَدَثاً؛ فقال: يا إبراهيم بحياتي اصْدُقني! فقال: وحياتِكَ لأَصْدُقَنَّكَ، رميته بِحَجَرِهِ[2]، فبعثت له بمحمد الزّف وضَمِنتُ له ضماناتٍ، أوّلها رضاك عنه، فمضى فاحتال لي عليه حتى أخذها عنه ونقلها إليّ، وقد سقط الآن اللّوم عنّي بإقراره، لأنه ليس عليّ أن أعرف ما صنعه هو ولم يُخرجه إلى الناس، وهذا باب من الغيب، وإنما يلزمني أن يعرف هو شيئاً من غناء الأوائل وأجهله أنا، وإلاّ فلو لزمني أن أرويَ صنعته لَلَزِمَهُ أن يروي صنعتي، ولزمَ كُلَّ واحد منا لسائر طبقته ونظرائه مثلُ ذلك، فَمَنْ قَصَّرَ عنه كان مذموماً ساقطاً؛ فقال له الرشيد: صدقتَ يا إبراهيم، ونَضَحْتَ[3] عن نفسِكَ، وقمت بِحجّتِكَ؛ ثم أقبل على ابن جامع فقال له: يا إسماعيل، أُتِيتَ أُتِيتَ! دُهِيتَ دُهِيتَ! أبطل عليك الموصليّ ما فعلتَه به أمسِ وانتصفَ اليومَ منك؛ ثم دعا بالزّفّ فرَضِيَ عنه.

---

(١) الجَنَبَة: الناحية.

(٢) يُقال: رُمِيَ فلانٌ بِحَجَرِه: إذا قُرِنَ بمثله. (أساس البلاغة حجر).

(٣) نَضَح عن نفسه: دَفَعَ عنها.

[الأصوات التي غنّاها ابن جامع]

قال عليّ بن محمد: سألتُ خالي أبا عبد الله بن حَمْدون وقد تجاريْنا هذا الخبرَ: هل تعرف أصوات ابن جامع هذه؟ فأخبرني أنه سمع إسحاقَ يحكي هذه القصّة، وذكر أنّ الصوت الأوّل منها:

صوت

[الوافر]

بَكَيْتُ نَعَمْ بَكَيْتُ وكُلُّ إلْفٍ ... إذا بَانَتْ قَرِينَتُهُ بَكَاهَا
وما فارقْتُ لُبْنَى عن تَقَالٍ ... ولَكِنْ شَقْوةٌ بَلَغَتْ مَدَاهَا

الشعر لقَيْس بن ذَرِيح، والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وفيه ليحيى المكّي ثاني ثقيلٍ آخرُ بالخنصر والبنصر من كتابه، وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ. قال: والثاني منها:

صوت

[المتقارب]

عَفَتْ دَارَ سَلْمَى بِمُفْضَى الرَّغَامِ ... رِيَاحٌ تَعَاقَبُهَا كُلَّ عامِ[1]
خِلاَفَ الحُلولِ بِتِلكَ الطُّلُولِ ... وسَحْبِ الذُّيولِ بِذَاكَ المقَامِ
وأُنسِ الدّيارِ وقربِ الجِوارِ ... وطِيبِ المزار وردُّ السَّلامِ
ودَهْرٍ غَرِيرٍ وعَيْشِ السُّرورِ ... ونَأْيِ الغَيورِ وحُسْنِ الكَلاَمَ

الشعر لحَمّاد الرّاوية، والغناء لابن جامع ثقيل أوّل بالبنصر؛ ذكر ذلك الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو، قال ابن حَمْدون: وهذا الصوت عجيب الصنعة، كثير النَّغَم، مُحكَم العمل، من صدور أغاني ابن جامع ومتقدّمِ صنعته، وكان المعتصم مُعجَباً به، وكثيراً ما كان يُسْكِت المغنّين إذا غُنِّي بحضرته فلا يَسمع سائرَ يومه غيرَه. قال: والثالث منها:

---

(١) الرَّغام: هو دقاق التراب، والرغام: اسم رملة بعينها من نواحي اليمامة بالوشم (معجم البلدان ٣: ٥٤). وتعاقَبُها: تتعاقبها.

صوت

[الكامل]

نَزَف البكاءُ دُموعَ عَينِكَ فاْستَعِرْ عَيناً لِغَيرِكَ دَمعُها مِدْرَارُ
مَنْ ذا يُعِيرُكَ عَينَهُ تَبْكي بها أرَأيتَ عَيناً لِلبُكاءِ تُعَارُ

الشعر للعبّاس بن الأحنف، والغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى؛ وقال ابن حمدون: وعارَضَه إبراهيم بعد ذلك في هذا الشعر، فصنع فيه لحناً من الرَّمَل بالبنصر في مجراها، فلم يَلْحَقْه ولا قاربه؛ قال: وقد صُنِعَ أيضاً في هذا الشعر لحنٌ خفيف فاسد الصنعة مُحدَث ليس ينبغي أن يُذكر ها هنا.

حدّثني محمد بن يحيى الصُّولي قال: حَدّثني أبو عبد الله الحَزَنْبَلُ قال: حَدّثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال: أُنْشِدَ بشار قولَ العبَّاس بن الأحنف:

نَزفَ البكاءُ دموعَ عَينِكَ فاْستَعِرْ عَيناً لِغَيرِكَ دَمعُها مِدْرَارُ

فقال بشار: لَحِقَ واللهِ هذا الفتى بِالمحسنين، وما زال يُدخِلُ نفسَهُ معنا ونحن نُخرجُه حتى قال هذا الشعر.

حدَّثني محمد بن يحيى قال: حَدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال: أُنشِدَ الرّشيدُ قولَ العباس:

مَنْ ذا يُعِيرُكَ عَينَهُ تَبْكِي بِها أرَأيتَ عَيناً لِلبُكاءِ تُعَارُ

فقال: يُعِيرُه مَنْ لا حَاطَه الله ولا حَفِظَهُ.

ومما يُغَنَّى فيه من قصيدة العبّاس بن الأحنف الرائيّة التي هذا الصوت الأخير منها قولُه:

صوت

الحُبُّ أوَّلُ ما يَكونُ لَجَاجَةً تَأتِي به وتَسُوقُهُ الأقْدَارُ[1]
حتى إذا سَلَكَ الفتى لُجَجَ الهوى جاءَتْ أمورٌ لا تُطَاقُ كِبارُ

(١) اللَّجاجة: التمادي على الأمر وعدم الانصراف عنه.

غنّاه ٱبن جامع ثانيَ ثقيل بالبنصر، وفيه لِشاطرةَ ٱمرأةِ منصورٍ زَلْزَلٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشامي، وذكر ٱبن المكّي المرتجِلُ أنّ هذه الأصوات الثلاثة المسروقة من ٱبن جامع:

* يـا قَـبْـرُ بـيـن بـيـوتِ آلِ مُـحَـرِّقٍ[1] *

و: * عَـفَـا طَـرَفُ الـقُـرَيَّـةِ فـٱلـكـثـيـبُ[2] *

وأسقط منها قوله:

* نَـزَفَ الـبـكـاءُ دموعَ عَـيْـنِـكَ فـٱسْـتَـعِـرْ *

و: * بَـكَـيـتُ نـعـمْ بـكـيـتُ وكُـلُّ إِلْـفٍ *

[نسبة هذين الصوتين]

صوت

[الكامل]

يـا قَـبْـرُ بـيـن بـيـوتِ آلِ مُـحـرِّقٍ   جَـادَتْ عـلـيـكَ رَوَاعِـدٌ وبُـرُوقُ
أَمَّـا الـبُـكَـاءُ فَـقَـلَّ عَـنْـكَ كَـثِـيـرُهُ   وَلَـئِـنْ بَـكَـيـتُ فَـبِـٱلْـبُـكَـاءِ حَـقِـيـقُ

الشّعر لرجلٍ من بني أسد يَرثي خالد بن نَضْلة ورجلاً آخر من بني أسد كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء، فقتلهما في سُخْطِهِ عليهما؛ وخبرُ ذلك مشهور في أخبار ٱبن جامع، والغناء لابن جامع، وله فيه لحنان: ثقيل أوّل بالوسطى، ورمل بالبنصر، وقيل: إنّ الرَّمَل لابن سُرَيج، وذكر حَبَشٌ أن لمحمد صاحب البِرَام فيه لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى. ومنها:

(١) آل مُحَرِّق: هم ملوك الحيرة من لخم، ومُحَرِّق: هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدي أحد ملوكهم. ومُحَرِّق أيضاً: هو لقب الحارث بن عمرو أبي شمر ملك الشام من آل جفنة لأنه أول من حرق العرب في ديارهم.

(٢) القُرَيّة: تُطْلَق على عدة أماكن، ويريد بها هنا قرية من أهم وأشهر قرى اليمامة (معجم البلدان ٤: ٣٤٠).

صوت

[الوافر]

عَفَا رَسْمُ القُرَيَّةِ فَالكَثِيبُ ... إلى مَلْحَاء ليسَ بها عَرِيبُ[١]
تَأَبَّدَ رَسْمُها وجَرَى عليها ... سَفِيُّ الرِّيحِ والتُّرْبُ الغَرِيبُ[٢]
فإنكَ وأطِّرَاحَكَ وَصْلَ سُعْدى ... لأُخْرَى في مَوَدَّتِها نُكُوبُ[٣]
كثاقبةٍ لِحَلْيٍ مُسْتَعَارٍ ... بِأُذْنَيْها فَشَانَهُما الثُّقُوبُ
فَرَدَّتْ حَلْيَ جَارَتِها إليها ... وقد بَقِيَتْ بِأُذْنَيْها نُدُوبُ

الشعر لابن هَرْمة، والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، عن إسحاق، وفيه للغريض ثاني ثقيل آخر بالبنصر عن عمرو، وقال عمرو: فيه لحنٌ للهذليّ، ولم يُجَنِّسْهُ.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: حَدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال: حَدّثني عيسى بن أيوب القُرَشيّ قال: حَدّثني غَيْث بن عبد الكريم عن فُلَيْح بن إسماعيل عن إسماعيل بن جعفر الفقيه مولى حَرْب عن أبيه قال: مررتُ بابن هَرْمة وهو جالس على دُكّان[٤] في بني زُرَيق، فقلت له: يا أبا إسحاق، ما يُجلِسُكَ ها هنا؟ قال: بيتٌ كنتُ قلته ثم ٱنقطع عَلَيَّ الرَّوِيُّ فيه وتعذّر عليّ ما أشتهيه، فأبغضته وتركته؛ قلت: ما هو؟ قال: [الوافر]

فَإِنَّكَ وٱطِّراحَكَ وَصْلَ سُعْدَى ... لأُخْرَى في مَوَدَّتِها نُكُوبُ

قال: قلته ثم ٱنقَطِعَ بي فيه؛ فمرَّتْ بي جُوَيْرِية صفراء مليحة كنتُ أستحسنها أبداً وأُكلِّمها إذا مرّت بي، فمرّت اليوم فرأيتُها وقد وَرِمَ وجهها وتغيّر خَلْقُها، عمّا أَعرِفُ، فسألتُها عن خبرها فقالت: كان في بني فلان عُرْسٌ أردت حضوره فاستعار لي أهلي حَلْياً وثَقبوا أذني لألبسَه فورِمَ وجهي وأُذناي كما ترى، فردّوه ولم أشهد العُرْس؛ قال ٱبن هَرْمة: فٱطَّرَد لي الشعرُ فقلت:

كَثاقِبَةٍ لِحَلْيٍ مُسْتَعَارٍ ... بِأُذْنَيْها فَشَانَهُما الثُّقُوبُ
فَرَدَّتْ حَلْيَ جَارَتِها إليها ... وقد بَقِيَتْ بِأُذْنَيْهَا نُدُوبُ

---

(١) ملحاء: وادٍ من أعظم أودية اليمامة (معجم البلدان ٥: ١٩٠) وليس بها عريب: ليس بها أحد.
(٢) تأبّدَ: أقفر.
(٣) اطّرَح: أبعد.
(٤) الدّكّان: المصطبة.

[إبراهيم بن المهدي يسرق شعر الموصليّ ويغنّيه الرشيد]

أخبرني الحسين بن القاسم قال: حَدّثني العبَّاس بن الفَضْل قال: حدّثني أبي قال: قال الرشيد لإبراهيم بن المهديّ وإبراهيم الموصليّ وابنِ جامع وابنِ أبي الكَنّات: باكِروني غداً، وليكن كلُّ واحد قد قال شعراً إن كان يَقدِرُ أن يقولَه، وغنّى فيه لحناً، وإن لم يكن شاعراً غنّى في شعر غيره. قال إبراهيم بن المهديّ: فقمتُ في السَّحَرِ وجَهَدت أن أقدِر على شيء أصنعه فلم يتّفق لي، فلمّا خِفْتُ طلوعَ الفجر دعوتُ بغلماني وقلت لهم: إني أُريد أن أمضي إلى موضع ولا يَشعُر بي أحد حتى أصيرَ إليه، وكانوا يَبيتون على باب داري، فقمت فركبت وقصدتُ دارَ إبراهيمَ الموصلي، وكان قد حدّثني أنه إذا أراد الصنعة لم يَنَمْ حتى يُدبّر ما يحتاج إليه، وإذا قام لحاجته في السَّحَر اعتمد على خشبة له في المُسْتَراح، فلم يزلْ يَقرَعُ عليها حتى يَفْرُغَ من الصوت ويرسَخَ في قلبه، فجئت حتى وقفت تحت مُستَرَاحِهِ، فإذا هو يُردّد هذا الصوت:

صوت

[الطويل]

إذا سُكِبَتْ في الكَأْسِ قبل مِزَاجِها ... تَرَى لَوْنَها في جِلْدَةِ الكَأْسِ مُذْهَبَا

وإنْ مُزِجَتْ رَاعَتْ بِلَوْنٍ تَخَالُهُ ... إذا ضُمِّنَتْهُ الكَأْسُ في الكَأْسِ كَوْكَبَا

أبوها نِجَاءُ المُزْنِ والكَرْمُ أُمُّها ... فلم أرَ زَوْجاً منه أشهى وأَطْيَبا[1]

فجَاءَتْكَ صَفْرا أَشْبَهَتْ غيرَ جِنْسِها ... وما أَشْبَهَتْ في اللَّوْنِ أُمّاً ولا أَبَا

قال: فما زِلتُ واقفاً أستمعُ منه الصوتَ حتى أخذتُه؛ ثم غدَوْنا إلى الرشيد، فلمّا جلسنا للشّرب خرج الخادمُ إليّ فقال: يقول لك أمير المؤمنين: يأبنَ أمّ غنّني؛ فأندفعتُ فغنّيتُ هذا الصوت والموصليّ في الموت حتى فرغتُ منه، فشربَ عليه وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم؛ فوثب إبراهيم الموصليّ فحلفَ بالطَّلاق وحياة الرشيد أنّ الشعر له قاله البارحة وغنّى فيه، ما سبقه إليه أحدٌ؛ فقال إبراهيم: يا سيِّدي، فمن أين هو لي أنا لولا كذبُه وبُهْتُه! وإبراهيم يضطرب ويضجّ؛ فلمّا قضيتُ أَرَباً من العَبَث به قلتُ للرشيد: الحقُّ أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ، وصَدَقتُه؛ فقال للموصليّ: أمّا

---

(١) النّجاء: جمع النّجو: السحاب الذي أراق ماءه ثم مضى. أو هو السحاب أوّل نشوئه. والزوج: النوع والصنف.

أخي فقد أخذ المال ولا سبيلَ إلى ردّه، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً مما جرى عليك، فلو بدأتَ أنتَ بالصوت لكان هذا حظَّكَ؛ فأمر له بها فحُمِلَتْ إليه.

[إبراهيم الموصليّ يوزّع الهدايا التي تأتيه كلّها]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن مخارق قال: أتى إبراهيمُ الموصلي محمدَ بن يحيى بن خالد في يوم مِهْرجان، فسأله محمدٌ أن يقيم عنده؛ فقال: ليس يمكنني لأن رسول أمير المؤمنين قد أتاني؛ قال: فتمرّ بنا إذا ٱنصرفتَ ولك عندي كلُّ ما يُهْدَى إليّ اليومَ؟ فقال: نعم، وترك في المجلس صديقاً له يُحصي ما يُبعث به إليه؛ قال: فجاءت هدايا عجيبةٌ من كلّ ضَرْبٍ؛ قال: وأُهدِيَ إليه تِمْثالُ فيلٍ من ذهب عَيْناه ياقوتتان؛ فقال محمد للرجل: لا تخبره بهذا حتى نبعثَ به إلى فلانة ففعل؛ وانصرف إبراهيم إليه فقال: أَحضِرْني ما أُهْدِيَ لكَ، فأحضره ذلك كلَّه إلا التمثال، وقال: لا بدّ من صِدْقِكَ، كان من الأمر كذا وكذا؛ فقال: لا! إلاّ على الشّريطة وكما ضَمِنْتَ، فجِيءَ بالتمثال؛ فقال إبراهيم: أليس الهديّة لي فأعملَ فيها ما أريد؟ قال: بلى، قال: فرُدَّ التمثال على الجارية؛ وجعل يُفَرِّقُ الهدايا على جلساء محمد شيئاً شيئاً وعلى جميع مَنْ حضر من إخوانه وغلمانه وعلى من في دُور الحُرَم من جواريه حتى لم يبقَ منها شيء، ثم أخذ من المجلس تُفاحتين لما أراد الانصراف وقال: هذا لي، وٱنصرفَ؛ فجعل محمد يَعْجَبُ من كِبَر نفسه ونُبْله.

[زيارةٌ ليلية مفاجئة من الرشيد لإبراهيم الموصلي]

وقال أحمد بن المَرْزُبان: حدّثني بعض كتّاب السلطان: أنّ الرشيد هَبَّ ليلةً من نومه، فدعا بحمار كان يركبه في القَصْر أسودَ قريبٍ من الأرض فركبه، وخرج في دُرّاعة[1] وَشْيٍ مُتَلَثِّماً بعمامةِ وشيٍ ملتحفاً بإزارِ وَشْيٍ، بين يديه أربعُمائة خادم أبيضَ سوى الفرّاشين، وكان مسرور الفَرْغانيّ جريئاً عليه لمكانه عنده، فلما خرج من باب القصر قال: أين يريد أميرُ المؤمنين في هذه الساعة؟ قال: أردتُ منزل الموصلي. قال مسرور: فمضى ونحن معه وبين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم؛ فخرج فتلقّاه وقبَّلَ حافرَ حماره وقال له: يا أمير المؤمنين، أفي مثل هذه الساعة

(١) الدُرّاعة: جُبّة مشقوقة المُقَدَّم.

تظهر! قال: نعم، شوقٌ طَرقَ لكَ بي؛ ثم نزلَ فجلس في طَرَف الإيوان وأجلس إبراهيم؛ فقال له إبراهيم: يا سيّدي أَتَنشَّطُ لشيء تأكله؟ فقال: نعم، خَامِيز[1] ظبي، فَأُتِيَ به كأنما كان مُعَدًّا له، فأصاب منه شيئاً يسيراً، ثم دعا بشراب حُمِلَ معه؛ فقال الموصليّ: يا سيّدي، أَؤُغنّيكَ أم تغنّيك إماؤك؟ فقال: بل الجواري؛ فخرج جواري إبراهيمَ فأخذْنَ صدرَ الإيوان وجانبيه؛ فقال: أَيَضْرِبْنَ كلُّهن أم واحدة؟ فقال: بل تَضرِب اثنتان اثنتان وتُغَنِّي واحدة فواحدة، ففعلن ذلك حتى مرّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانبيه والرشيدُ يسمع ولا ينشَطُ لشيء من غِنائهنّ، إلى أن غنّت صبيّةٌ من حاشيته: [البسيط]

يـا مُـورِيَ الـزَّنْـدِ قَـدْ أَعْـيَـتْ قَـوَادِحُـهُ ... اِقْبِسْ إذا شِئْتَ مـن قـلـبي بِـمِـقْـبَاسِ
مـا أَقبحَ الّناسَ في عَيْنِي وأَسْمَجَهُمْ ... إذا نَـظَـرْتُ فـلـم أُبْـصِـرْكَ فـي الـنَّـاسِ

قال: فطرِبَ لغنائها وآستعاد الصوتَ مراراً وشرب أرطالاً، ثم سأل الجاريةَ عن صانعه فأمسكتْ، فآستدناها فتقاعَسَتْ، فأمرَ بها فأُقيمت حتى وُقِفتْ بين يديه، فأخبرته بشيء أسرّتْه إليه؛ فدعا بحماره فركبه وآنصرف، ثم التفت إلى إبراهيم فقال: ما ضَرَّكَ ألاّ تكون خليفة!؛ فكادت نفسُه تخرج، حتى دعا به وأدناه بعد ذلك. قال: وكان الذي خَبّرتْه به أن الصنعة في الصوت لأخته عُلَيّة بنت المهديّ، وكانت الجارية لها وجّهتْ بها إلى إبراهيم يُطارحها، فغار الرشيد. ولحنُ الصوت خفيفُ رَمَل.

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان أبي يألف خَمَّارةً بالرّقة يقال لها بِشرة تنزِلُ الهَنِيءَ والمَريءَ[2]، وكانت لها بنت من أحسن الناس وجهاً فكان أبي يَتَحَلاَّهَا، ثم رحل الرشيد عن الرّقة إلى بلاد الروم في بعض غزواته، فقال أبي فيها: [المتقارب]

أَيَـا بِـنْـتَ بِـشْـرَةَ مـا عَـاقَـنِـي ... عَـنِ الـعَـهْـدِ بَـعْـدَكِ مِـنْ عَـائِـقِ
نَـفَـى الـنَّـوْمَ عَـنِّـي سَـنَـا بَـارِقٍ ... وأَشْـهَـقَـنِـي فـي ذُرَى شَـاهِـقِ

(١) الخاميز: اسم أعجمي، وهو نوع من الطعام يُتّخَذ من لحم العجل بجلده أو هو مرق السّكباج المبرّد المصفّى من الدهن.

(٢) بِشرة: اسم جارية. الهنيء والمريء: نهران بإزاء الرقّة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما مدينة واسط الرقة. (معجم البلدان ٥ :٤١٩).

قال: وفيها يقول أيضاً من أبيات له، وله فيها صنعة من الرّمل الأوّل:

صوت

[الكامل]

وزَعَمْتِ أنّي ظَالِمٌ فَهَجَرْتِنِي ... ورَمَيْتِ في قَلْبِي بِسَهْمٍ نَافِذِ
ونَعَمْ ظَلَمْتُكِ فاغْفِري وتَجَاوَزِي ... هذا مَقَامُ المُسْتَجِيرِ العَائِذِ

ذكر حمّاد في هذا الخبر أن لحن جَدِّه من الرَّمَل، ووجدتُ في كتاب أحمد بن المكّي أنّ له فيهما لحنين: أحدهما ثقيل أوّل والآخر ثاني ثقيل.

[أغانيه في السجن]

حدّثني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال: حَدّثني عبد الله بن أبي سعد قال: حَدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعيّ قال: حبسَ الرَّشيدُ إبراهيمَ الموصليّ عند أبي العبّاس (يعني أباه عبد الله بن مالك[١]) فسمعناه ليلةً وقد صنع هذا اللّحن وهو يكرّره حتى يستوي له:

[الخفيف]

يا أخِلاَّءِ قَدْ مَلِلْتُ مَكَانِي ... وتَذَكَّرْتُ ما مَضَى مِنْ زَمَانِي
شُرْبِيَ الرَّاحَ إذْ تَقُومُ عَلَيْنا ... ذَاتُ دَلٍّ كَأنَّها غُصْنُ بَانِ

قال: وغنّي في الحبس أيضاً:

[المتقارب]

ألاَ طَالَ لَيْلِي أُرَاعِي النُّجُومَ ... أُعَالِجُ في السَّاقِ كَبْلاً ثَقِيلاَ

حَدَّثني عيسى قال: حَدّثني عبد الله قال: حَدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: حَدّثني علّويه الأعسر قال: دخلتُ على إبراهيم الموصليّ في عِلَّتِه التي تُوُفِّيَ فيها وهو في الأبْزَن[٢] وبه القُولَنْج[٣] الذي مات فيه، وهو يترنّم بهذا الصوت:

---

(١) عبد الله بن مالك: كان صاحب الشرطة في أيام المهدي فالهادي فالرشيد.

(٢) الأبزن: حوض يُغْتَسل فيه، وقد يُتَّخَذ من نحاس ومن صُفر، وقد يستخدمه الأطباء للمريض فيخرجون رأسه من الثقب الذي في الغطاء ويداوونه بصب الماء المغلي بالأدوية الحارة.

(٣) القولنج: مرض معوي يصعب معه خروج الثفل والريح.

صوت

[الطويل]

تَـغَـيَّـرَ مِـنّـي كُـلُّ حُـسْـنٍ وجِـدَّةٍ وعـادَ عـلـى ثَـغْـرِي فـأَصْـبَـحَ أَثْـرَمَـا[1]
ومَـحَّـلَ أَطْـرَافِـي فَـزَالَـتْ فُـصُـوصُـهـا وحَنَّى عِظامي عُوجَـهـا والـمُـقَوَّمـا[2]

قال محمد: فحَدَّثْتُ بهذا الحديث إسحاقَ الموصليّ، فقال: كذَب ٱبنُ الزانية! والله ما كان يَجترىء أن يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس للناس إلا بعد جَهْد، فكيف يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس في الأَبْزَن.

[نسبة هذا الصوت]

الشعر والغناء لإبراهيم، وله فيه لحنان ماخُورِيّ بالوسطى عن عمرو، وثاني ثقيلٍ عن ابن المكّي.

حدّثني جَحْظة قال: كان المقتدر يدعونا في الأحايين، فكان يحضُر من المغنّين إبراهيمُ بن أبي العُبَيْس وكُنَيْز وإبراهيم بن قاسم وأنا ووَصِيف الزّامر، وكان أكثر ما نُدْعَى له أنّ جواريَه كنّ يُطَالِبْنه بإحضارنا ليأخذْنَ منّا أصواتاً قد عَرفْنها ويسمَعْننا، فنُغنّي فيأخذْنَ ما يستحسِنّه، فإذا انصرفنا أمر لكلّ واحد من إبراهيم وكُنَيْز دُبّة وإبراهيمَ بثلاثمائة دينار، ولي بمائتي دينار، ولِوَصيف بمائتي دينار، ولسائر مَن لعلّه أن يَحْضُر معنا بمائتين إلى المائة الدّينار إلى الألف الدّرهم، فيكون إذا حضرنا من وراء ستارة وهو جالس مع الجواري، فإذا أراد ٱقتراح شيء جاءنا الخدم فأمرونا أن نغنّيَه، وبين يَدَيْ كلِّ واحد منا قنِّينَةٌ فيها خمسة أرطال نبيذٍ وقدحٌ ومَغْسِلٌ[3] وكوزُ ماءٍ؛ فغنّتْ يوماً صَلِفَةُ جارية زِرْياب بصنعة إبراهيم الموصلي:

تَـغَـيَّـرَ مِـنّـي كُـلُّ حُـسْـنٍ وَجِـدَّةٍ وعَـادَ عـلـى ثَـغْـرِي فـأَصـبـحَ أَثْـرَمَـا

فشَرِبْتُ عليه، فٱستعاده المقتدر مراراً وأنا أشرب عليه؛ فأخذ إبراهيم بن أبي العُبَيْس بِكَتِفي وقال: يا مجنون! إنما دُعِيتَ لِتُغَنِّيَ لا لِتُغَنَّى وتَطْرَبَ وتَشرَبَ،

(١) الأثرم: الذي انكسرت سنّه من أصلها أو الأسنان المقدّمة.
(٢) الفَصّ: مُلتقى كلّ عظمين، ويقال: المفاصل كلّها فصوص إلا الأصابع.
(٣) المغسِل: ما يُغْسَل فيه.

فلعلّك تسْكَر، حَسْبُك!؛ فأمسكتُ طمعاً أن تردّه بعد ذلك، فما فعلتْ ولا ٱجتمعنا بعدها، وما سمعتُ قبل ذلك ولا بعده أحداً غنّى هذا الصوت أحسنَ مما غنّته. قال: وكان المقتدر ابتاعها من زِرْياب.

أخبرني عمّي قال: حَدّثني عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن عليّ قال: حَدّثني إسحاق الموصليّ عن أبيه قال: بينا أنا بمكّةَ أجولُ في سِكَكِها إذا أنا بسوداءَ قائمةٍ ساهيةٍ باكيةٍ فأنكرتُ حالها وأدْمَنْتُ النظر إليها؛ فبكَتْ وقالت: **[المتقارب]**

أَعَمْرُو عَلامَ تَجَنَّبْتَني ... أَخَذْتَ فُؤادي وعَذَّبْتَني

فلو كنتَ يا عَمْرُو خَبَّرْتَني ... أَخَذْتُ حِذَاري فَمَا نِلْتَني

فقلتُ لها: يا هذه، مَنْ عَمْرٌو؟ قالت: زوجي؛ قلت: وما شأنه؟ قالت: أخبرني أنه يَهْوَاني وما زال يطلبني حتى تزوّجتُه، فلبِثَ معي قليلاً ثم مضى إلى جُدَّةَ وتركني؛ فقلتُ لها: صِفِيه لي، قالت: أحسنُ مَن أنت رائيهِ سُمرةً وأحلاهم حلاوةً وقَدًّا؛ قال: فركِبتُ رواحلي مع غِلماني وصرتُ إلى جُدَّةَ، فوقفتُ في موضع المَرْفأ أتبصَّرُ مَن يحمل من السفن، وأمرتُ مَن يَصوت: يا عمرُو يا عمرُو، وإذا أنا به خارجاً من سفينة على عنقه صَنٌّ[1] فيه طعامٌ، فعرفتُه بصفتِها ونعتِها إياه، فقلتُ:

أَعَمْرُو عَلامَ تَجَنَّبْتَني ... أَخَذْتَ فُؤَادِي وعَذَّبْتَني

فقال: هِيهِ! أَرَأَيْتَها وسَمِعْتَ منها؟ فقلتُ: نعم، فأطرق هُنَيهةً يبكي، ثم ٱندفع فَغَنَّى به أملحَ غِناءٍ سمعتُه، وردّده عَلَيَّ حتى أخذتُه منه، وإذا هو أحسنُ الناس غناءً؛ فقلتُ له: أَلاَ ترجعُ إليها؟ فقال: طلبُ المعاشِ يمنعُني؛ فقلتُ: كم يكفيكَ معها في كل سنةٍ؟ فقال: ثلاثمائة درهم ـ قال إسحاقُ: قال لي أبي: فوالله يا بُنيّ لو قال ثلاثمائة دينارٍ لطابتْ نفسي بها ـ فدعوتُ به فأعطيتُه ثلاثةَ آلافِ درهم، وقلتُ له: هذا لعشر سنين على أن تُقيمَ معها، فلا تَطلب المعاشَ إلا حيثُ هي مقيمةٌ معك، ويكون ذلك فضلاً؛ ورددتُه معي إليها.

---

(١) الصَّنّ: شبه سلّة يوضع فيها الطعام والخبز.

الرشيد يجزل الصلة لإبراهيم الموصلي

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبيّ قال: حَدّثنا عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال: حدّثنا صالح بن عليّ (يعني الأضْجَم) عن إبراهيم الموصليّ ـ قال: وكان صالح جارَه ـ قال: بَيْنَا أنا عَشِيَّةً في منزلي إذ أتاني خادم من خَدَم الرشيد فٱستحثّني بالركوب إليه فخرجتُ شبيهاً بالراكِض، فلما صرتُ إلى الدّار عُدِلَ بي عن المدخل إلى طرق لا أعرفها، فٱنتُهِيَ بي إلى دارٍ حديثةِ البناء، فدخلتُ صَحناً واسعاً، وكان الرشيد يشتهي الصّحون الواسعة؛ فإذا هو جالس على كرسيّ في وسط ذلك الصَّحْن، ليس عنده أحد إلا خادمٌ يسقيه، وإذا هو في لِبْسَتِه التي كان يلبَسُها في الصيف: غِلالةٌ رقيقة مُتوشِّح عليها بإزار رَشِيديّ عرِيض العَلَم مُضَرَّج؛ فلما رآني هَشَّ لِي وسُرَّ، وقال: يا مَوصِليّ، إني ٱشتهيتُ أن أجلس في هذا الصّحن فلم يَتَّفِقْ لي إلا اليوم، وأحببتُ ألاّ يكون معي ومعك أحدٌ، ثم صاح بالخُدّام، فوافاه مائةُ وَصِيفٍ، وإذا هم بِالأروقةِ مستترون بالأساطين[1] حتى لا يراهم، فلما ناداهم جاؤوا جميعاً، فقال: مُقطَّعة لإبراهيم، وكان هو أوّل من قطع المُصَلّيات، فأُتِيتُ بمقعد فأُلقِيَ لي تِجاه وجهه بالقرب منه؛ ودعا بعود فقال: بحياتي أطرِبني بما قَدَرْتَ؛ قال: ففعلتُ وٱجتهدتُ في ذلك ونشِطتُ ورجوتُ الجائزةَ في عَشِيَّتي؛ فبينا أنا كذلك إذ جاءه مسرورٌ الكبيرُ، فقام مَقَامَه الذي كان إذا قامه علِمَ الرشيدُ أنه يريد أن يُسَارَّه بشيء، فأومأ إليه بالدنوّ، فدنا فألقَى في أذنه كلمةً خفيفةً ثم تَنحَّى، فٱستشاط غضباً وٱحمرّتْ عيناه وٱنتفختْ أوداجُه، ثم قال: حَتَّامَ أصبِرُ على آل بني أبي طالب! والله لأَقتلنَّهم ولأقتلنّ شِيعتَهم ولأفعلنّ ولأفعلنّ!؛ فقلتُ: إنا لله! ليس عند هذا أحدٌ يُخرِجُ غضبَه عليه، أحسِبه والله سيُوقِعُ بي، فٱندفعتُ أُغنّي:

صوت

[الخفيف]

نِعْمَ عَوْناً على الهموم ثَلاثٌ	مُتْرَعَاتٌ مِنْ بَعْدِهِنّ ثَلاثُ
بَعْدَها أَرْبَعٌ تَتِمَّةُ عَشْرٍ	لا بِطَاءٌ لَكِنَّهُنّ حِثَاثُ
فإذا نَاولَتْكَهُنّ جَوارٍ	عَطِراتٌ بِيضُ الوجوهِ خِنَاثُ
تَمَّ فيها لكَ السُّرُورُ وماطَـ	ـيَّبَ عَيْشاً إلا الخِنَاثُ الإناثُ

(١) الأساطين: الأعمدة.

قال: وَيْلَك! اسقِني ثلاثاً لا أُمتْ هَمًّا؛ فشربَ ثلاثاً متتابعة، ثم قال: غَنِّ فغنَّيتُ، فلمّا قلتُ:

ثـلاث * مُـترَعـاتٌ مـن بـعـدهـنّ ثـلاثُ *

قال: هاتِ وَيْلك ثلاثاً!، ثم قال لي: غنّ، فلمّا غنّيتُه قال: حُثَّ عليّ بأربع تتمةِ العشر، ففعل؛ فوالله ما استوفَى آخرَهنّ حتى سَكِرَ، فنهض ليدخل، ثم قال: قم يا موصلي فانصرِفْ، يا مسرورُ، أقسمتُ عليك بحياتي وبحقِّي إلاّ سَبقته إلى منزله بمائة ألف درهم، لا أُستأمَر فيها ولا في شيء منها؛ فخرجتُ والله وقد أَمِنتُ خوفي وأدركتُ ما أمّلتُ، ووافيتُ منزلي وقد سَبَقتني المائةُ الألفِ الدّرهمِ إليه.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حَدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال: حَدّثني عبدُ الله بن العباس بن الفضل بن الرَّبيع قال:

خرج رسول الرشيد ذاتَ ليلةٍ إلى المغنّين فقال: غَنُّوا: [الخفيف]

يـا خـلـيـلـيَّ قـد مَـلِـلْـتُ ثَـوائِـي ... بِـالْـمُـصَـلّـى وقـد سَـئِـمْـتُ الـبَـقِـيـعـا[1]

بَـلِّـغـانِـي دِيـارَ هِـنْـدٍ وسُـعْـدَى ... وارْجِـعَـانِـي فَـقَـدْ هَـوِيـتُ الـرُّجُـوعَـا

قال: فغنّاه ابنُ جامع، فلمّا فرَغَ منه طَرِبَ الرشيدُ وشرِبَ؛ فقال له إبراهيم الموصليّ: يا سيِّدي، فأسمعه من نُبَيْطِيِّكَ فغنّاه، فجعل ابنُ جامع يزحَف من أوّل البيت إلى آخره، وطَرِبَ هارونُ فقال: ارفعُوا الستارةَ؛ فقال له ابن جامع: مِنّي والله أخذه يا أمير المؤمنين؛ فأقبل على إبراهيمَ فقال: بحياتي صَدَقَ؟ قال: صدق وحياتِكَ يا سيّدي؛ قال: وكيف أخذتَه وهو أبخل الناس إذا سُئِلَ شيئاً؟ قال: تركتُه يغنّيه وكان إذا سكِرَ يسترسلُ فيه فيغنّيه مُستوياً ولا يتحرّز منّي، فأخذتُه على هذا منه حتى وفَيتُ به.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدَّثنا حَمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال: كان بَرْصُوما الزّامرُ وزَلْزَلٌ الضَّاربُ من سَوَادِ[2] أهل الكوفة من أهل الخُشْنَة والبَذَاذَةِ[3]

(١) المُصَلّى: هو موضع بعينه في عقيق المدينة (معجم البلدان ٥: ١٤٤). والبقيع: هناك عدة مواضع يُطلَق عليها اسم البقيع، ولعله بقيع الزبير في المدينة (معجم البلدان ١: ٤٧٣).

(٢) سَوَاد الكوفة: قُرَاها.

(٣) الخُشْنَة: الخشونة. والبذاذة: رثاثة الهيئة.

والدَّناءةِ، فقدِمَ بهما أبي معه سنةَ حجَّ، ووقَفَهما على الغناء العربيّ وأراهما وجوهَ النَّغَم وثقّفهما حتى بلغا المبلغَ الذي بلغاه من خدمة الخليفة، وكانا أطبعَ أهلِ دهرهما في صناعتهما؛ فحدّثني أبي قال: كان لِزَلزل جاريةٌ قد ربّاها وعلّمها الضَّرْبَ وسألني مطارحتَها[1] فطارحتُها، وكانت مطبوعةً حاذقةً؛ قال: فكان يَصُونُها أن يسمعَها أحدٌ؛ فلما مات بلغني أنها تُعرَض في ميراثه للبيع، فصرتُ إليها لأَعْتَرِضَها؛ فَغَنَّتْ: [السريع]

أَقْفَرَ مِنْ أَوتارِهِ العُودُ ... فَالعُودُ لِلأَوتارِ مَعْمُودُ
وأَوْحَشَ المِزْمَارُ مِنْ صَوْتِهِ ... فَمَا لَهُ بَعْدَكَ تَغْرِيدُ
مَنْ لِلْمَزَامِيرِ وعِيدَانِها ... وعَامِرُ اللَّذَّاتِ مَفْقُودُ
الخَمْرُ تَبْكِي فِي أَبارِيقِها ... والقَيْنَةُ الخَمْصَانَةُ الرُّودُ[2]

قال: وهذا شعر رثاه به صديق له كان بالرّقة؛ قال: فأبكت والله عيني وأَوْجعت قلبي. فدخلتُ على الرشيد فحدّثته بحديثها، فأمر بإحضارها فحضرتْ؛ فقال لها: غَنِّي الصّوتَ الذي حدّثني إبراهيم عنك أنك غنّيتِه، فغنتْه وهي تبكي؛ فرقّ الرشيدُ لها وتَغَرْغرت عيناه، وقال لها: أتحبّين أن أشتريَكِ؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، لقد عرَضْتَ عليّ ما يَقْصُرُ عنه الأملُ، ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيّدي فينتفعَ بي؛ فأزداد رِقّةً عليها، وقال: غَنِّي صوتاً آخر، فغنّت:

[البسيط]

العَيْنُ تُظْهِرُ كِتْمَانِي وتُبْدِيهِ ... والقَلْبُ يَكْتُمُ ما ضَمَّنْتُهُ فِيهِ
فكيفَ يَنْكَتِمُ المَكْتُومُ بَيْنَهُما ... والعَيْنُ تُظْهِرُهُ والقَلْبُ يُخْفِيهِ

فأمر بأَنْ تُبتاع وتُعْتَق، ولم يزلْ يُجْرِي عليها إلى أن ماتت.

[بعض قصصه مع الرشيد]

أخبرنا محمد قال: حَدّثنا حَمّاد عن أبيه عن جدّه قال: قال لي الرشيدُ يوماً: يا إبراهيم، بَكِّرْ عَلَيَّ غداً حتى نَصْطبحَ؛ فقلتُ له: أنا والصُّبْحُ كَفَرَسَيْ رِهَانٍ؛

(١) المطارحة: أن يلقي كل واحد صوتاً للآخر.
(٢) الخمصانة: الضامرة البطن. والرُّوْد: الشابّة الناعمة الحَسَنة.

فبكَّرْتُ فإذا أنا به خالياً، وبين يديه جاريةٌ كأنها خُوطُ[1] بانٍ أو جَدْلُ عِنانٍ[2]، حُلْوةُ المنظَر، دَمِثةُ[3] الشَّمَائل، وفي يدها عودٌ؛ فقال لها: غَنّي، فغنّتْ في شعر أبي نُوَاس وهو: [الطويل]

تَـوَهَّـمَـهُ قـلـبـي فـأصـبـحَ خَـدُّهُ ... وفيـه مكـانَ الوَهْـمِ مِنْ نـظري أُثْـرُ[4]
ومَـرَّ بِـفِـكْـرِي خَـاطِـراً فَـجَـرَحْـتُـهُ ... ولـم أَرَ جِسْـمـاً قَـطُّ يَجْـرَحُـهُ الـفِـكْـرُ
وصَـافَـحَـهُ قَـلْـبِـي فَـآلَـمَ كَـفَّـهُ ... فَـمِـنْ غَـمْـزِ قَلْبِي فِي أَنَـامِلِـهِ عَـقْـرُ

قال إبراهيمُ: فذهبتْ والله بعقلي حتى كِدتُ أن أفتضحَ، فقلتُ: مَنْ هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه التي يقول فيها الشاعر: [الوافر]

لـهـا قـلـبـي الـغَـدَاةَ وقَـلْـبُـهـا لـي ... فـنـحـنُ كَـذَاكَ فـي جَـسَـدَيْـنِ رُوحُ

ثم قال لها: غنّي، فغنَّتْ:

صوت

[الطويل]

تـقـول غَـدَاةَ الـبَـيْـنِ إِحْـدَى نِـسَـائِـهِـمْ ... لِيَ الـكَـبِـدُ الـحَرَّى فَسِرْ ولَـكَ الـصَّـبْـرُ
وقـد خَـنَـقَـتْـهَـا عَـبْـرَةٌ فـدُمُـوعُـهـا ... على خَدِّها بِيضٌ وفي نَحْرِها صُفْرُ

ـ الشعرُ لأبي الشِّيص، والغناء لعمرو بن بانةَ، خفيفُ رَمَل بالوسطى من كتابه وفيه لمُتَيَّم ثاني ثقيلٍ وخفيفُ رَمَلٍ آخر ـ قال: فشرِبَ وسقاني ثم سقاها، ثم قال: غَنِّ يا إبراهيم؛ فغَنَّيْتُ حَسْبَ مَا في قلبي غيرَ مُتحَفِّظٍ من شيءٍ: [الطويل]

تَـشَـرَّبَ قَـلْـبِـي حُـبَّـهـا ومَـشَـى بـه ... تَمَشِّي حُمَيَّا الكَأْسِ في جِسْمِ شارب
ودَبَّ هَـوَاهَـا فـي عِـظَـامِـي فَـشَـفَّـهـا ... كَمَا دَبَّ في المَلْسوعِ سمُّ العقَاربِ[5]

قال: ففَطِنَ بتعريضي، وكانت جهالةً منّي؛ قال: فأمرني بالانصراف، ولم يَدْعُني شهراً ولا حضرتُ مجلسَه؛ فلما كان بعد شهر دَسَّ إليّ خادماً معه رُقعةٌ، فيها مكتوب: [الخفيف]

---

(١) الخوط: الغصن الناعم.
(٢) الجَدْل: شدة الفتل. والعِنان: الحبل.
(٣) الدَّمَاثة: سهولة الخُلُق.
(٤) الأُثُر: أَثَرُ الجراح يبقى بعد البُرْءِ.
(٥) شَفّ: نحل ورَقّ.

قد تَخَوَّفتُ أَنْ أَمُوتَ مِنَ الوَجْـ ـدِ ولم يَدْرِ مَنْ هَوِيتُ بما بِي
يا كِتابي فَاقْرَ السَّلامَ عَلَى مَنْ لاَ أُسَمِّي وقُلْ له يا كِتابي
إنَّ كَفًّا إلَيْكَ قَدْ بَعَثَتْنِي في شَقاءٍ مُوَاصَلٍ وعذابِ

فأتاني الخادمُ بالرّقعة؛ فقلت له: ما هذا؟ قال: رقعة الجارية فلانة التي غَنّتك بين يدي أمير المؤمنين؛ فأحسَسْتُ القصَّةَ فشتَمتُ الخادمَ ووثبتُ عليه وضربتُه ضرباً شَفَيْتُ به نفسي وغيظي، وركبتُ إلى الرشيد من فَوْري فأخبرتُه القصَّةَ وأعطيته الرقعةَ؛ فضحك حتى كاد يستلقي، ثم قال: على عَمْدٍ فعلتُ ذلك بك لأمتحِنَ مذهبَك وطريقتَك، ثم دعا بالخادم؛ فلما خرج رآني فقال لي: قطع الله يديك ورجليك، وَيْحَكَ! قتلتَني؛ فقلت: القتلُ والله كان بعضَ حَقِّكَ لِمَا وردت به عليّ، ولكن رَحِمْتُك فأبقيتُ عليك، وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتيَ في عقوبتك بما تستحقّه. فأمر لي الرشيدُ بِصلةٍ سنّية؛ واللَّهُ يعلم أني ما فعلتُ الذي فعلتُ عَفَافاً ولكن خوفاً.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حَدّثني حَمّاد بن إسحاق قال: أخبرني أبي أنه سمع الرشيدَ وقد سأل جَدِّي إبراهيمَ كيف يصنع إذا أراد أن يصوغَ الألحانَ، فقال: يا أمير المؤمنين، أُخرِجُ الهَمَّ من فِكري وأُمَثِّلُ الطَّرَبَ بين عينيّ، فتسوغ لي مسالكُ الألحان التي أريد فأسلكها بدليل الإيقاع، فأرجع مُصيباً ظافراً بما أريد؛ فقال: يَحِقُّ لك يا إبراهيم أن تُصيبَ وتظفرَ، وإنّ حُسْن وصفك لَمُشاكِلٌ حُسْنَ صنعتك وغنائك.

أخبرني ٱبن المَرْزُبان قال: حدّثني حَمّاد عن أبيه عن جدّه قال: أدركتُ يونس الكاتبَ وهو شيخ كبير فعرَضت عليه غنائي؛ فقال: إن عشتَ كنتَ مُغَنِّيَ دهرِك.

قال حَمّاد: قال لي محمد بن الحسن: كان لكلّ واحد من المغنّين مذهب في الخفيف والثقيل؛ وكان مَعْبد ينفرد بالثقيل، وابنُ سُرَيج بالرَّمَل، وحَكَمٌ بالهَزَج، ولم يكن في المُغنّين أحد يتصرّف في كل مذهب من الأغاني إلا ابنُ سريج وإبراهيمُ جدّك وأبوك إسحاق.

حدّثني عمّي قال: حَدَّثني أحمد بن الطَّيِّب السَّرَخسِيّ قال: حَدّثني أحمد بن ثابت العَبْديّ عن أبي الهُذَيل العَلاّف رأسِ المعتزلة عن ثُمَامة بن أَشْرس قال: مررتُ بإبراهيم الموصليّ ويزيد حَوْراء وهما مُصطبِحان، وقد أخذا بينهما صوتاً يُغنّيانه: هذا بيتاً وهذا بيتاً، وهو:

صوت

[الطويل]

أيَا جَبَلَيْ نَعْمَانَ بِاللهِ خَلِّيَا سَبِيلَ الصَّبَا يَخْلُصْ إِلَيَّ نَسِيمُها[1]

فإنّ الصَّبَا رِيحٌ إذا ما تَنَسَّمَتْ على نَفْسِ مَهْمُومٍ تَجَلَّتْ هُمُومُها

قال ثُمامة: فوالله ما خِلْتُ أنّ شيئاً بقي من لَذَّات الدنيا بعد ما كانا فيه.

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال: سألتُ الرشيد أن يهَبَ لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه إليّ بوجه ولا بسبب، لأخلوَ فيه بجواريّ وإخواني، فأذنَ لي في يوم السبت، وقال لي: هو يوم أستثقله، فالْهُ فيه بما شئتَ؛ فأقمتُ يوم السبت بمنزلي وتقدّمتُ في إصلاح طعامي وشرابي بما احتجتُ إليه، وأمرتُ بَوّابي فأغلقَ الأبوابَ وتقدّمتُ إليه ألاّ يأذنَ عليّ لأحد؛ فبينا أنا في مجلسي والخدمُ قد حَفُّوا بي وجَوَاريّ يترددن بين يديّ، إذا أنا بشيخ ذي هيئة وجمال، عليه خُفَّان قصيران وقميصان ناعمان، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ لاطئة[2]، وبيده عُكَّازة مُقمَّعة بِفضّة، وروائحُ المسك تفوحُ منه حتى ملأ البيتَ والدّار؛ فداخلني بدخوله عليّ مع ما تقدّمت فيه غيظٌ ما تداخلني قطُّ مثلُه، وهممتُ بطرد بوّابي ومَنْ حجبني لأجله؛ فسلّم عليّ أحسنَ سلام فرددت عليه، وأمرته بالجلوس فجلس، ثم أخذ بي في أحاديث الناس وأيام العرب وأحاديثها وأشعارها حتى سَلَّى ما بي من الغضب، وظننتُ أنّ غلماني تَحَرَّوْا مَسَرَّتي بإدخالهم مثلَه عليّ لأدبه وظَرْفه؛ فقلتُ: هل لكَ في الطعام؟ فقال: لا حاجة لي فيه؛ فقلت: هل لك في الشراب؟ فقال: ذلك إليك، فشربتُ رطلاً وسقيتُه مثلَه؛ فقال لي: يا أبا إسحاق، هل لك أن تُغنّي لنا شيئاً من صَنْعتك وما قد نَفَقْتَ به عند الخاصّ والعامّ؟ فغاظني قولُه، ثم سهّلتُ على نفسي أمرَه فأخذتُ العود فجسستُه ثم ضربت فغنّيتُ؛ فقال: أحسنت يا إبراهيم؛ فازداد غيظي وقلت: ما رضي بما فعله من دخوله عليّ بغير إذن واقتراحه أن أغنّيه حتى سَمَّاني ولم يُكَنِّني ولم يُجمِلْ مخاطبتي!. ثم قال:

---

(١) نَعمان: هو نعمان الأراك: وهو وادٍ ينبت الأراك ويصبّ إلى ودّان وهو بين مكّة والطائف (معجم البلدان ٥: ٢٩٣).

(٢) لاطئة: ملتصقة بالرأس.

هل لك أن تزيدنا؟ فتذمَّمْتُ[1] فأخذتُ العود فغنّيتُ؛ فقال: أجدتَ يا أبا إسحاق! فأَتِمَّ حتى نكافئك ونُغنِّيَكَ؛ فأخذت العود وتغنّيت وتحفّظتُ وقمتُ بما غنّيته إياه قياماً تامًّا ما تحفَّظْتُ مِثلَه ولا قمتُ بغناء كما قمتُ به له بين يَدَيْ خليفة قطُّ ولا غيره، لقوله لي: أُكافئك؛ فطرِبَ وقال: أحسنتَ يا سيِّدي، ثم قال: أتأذن لِعبدِكَ بالغناء؟ فقلت: شأنَكَ، واَستضعفتُ عقلَه في أن يغنّيني بحضرتي بعد ما سمعه منّي؛ فأخذ العود وجسّه وحبسه، فوالله لَخِلْتُه ينطِق بلسانٍ عربيّ لِحُسْنِ ما سمعتُه من صوته، ثم تَغَنَّى:

صوت

[الطويل]

ولي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ مَنْ يَبِيعُني ... بِها كَبِداً لَيْسَتْ بِذَاتِ قُروحِ

أَبَاها عَلَيَّ النَّاسُ لا يَشْتَرُونَها ... ومَنْ يَشْتَري ذا عِلَّةٍ بِصَحِيحِ

أَئِنُّ مِنَ الشَّوْقِ الَّذِي في جَوَانِبي ... أَنِينَ غَصِيصٍ بِالشَّرَابِ جَرِيحِ

قال إبراهيمُ: فوالله لقد ظَنَنْتُ الحيطانَ والأبوابَ وكلَّ ما في البيت يجيبه ويُغَنِّي معه من حسن غنائه، حتى خِلتُ والله أنّي أسمعُ أعضائي وثيابي تجاوبه، وبقيتُ مبهوتاً لا أستطيعُ الكلامَ ولا الجوابَ ولا الحركةَ لِمَا خالط قلبي؛ ثم غنّى:

صوت

[الطويل]

أَلاَ يا حَمَامَاتِ اللِّوَى عُدْنَ عَوْدَةً ... فَإِنِّي إِلَى أَصْوَاتِكُنَّ حَزِينُ

فَعُدْنَ فَلَمَّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَنِي ... وكِدْتُ بِأَسْرَارِي لَهُنَّ أُبِينُ

دَعَوْنَ بِتَرْدَادِ الهَدِيرِ كَأَنَّما ... سُقِينَ حُمَيَّا أو بِهِنَّ جُنُونُ

فلم تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُنَّ حَمَائِماً ... بَكَيْنَ ولم تَدْمَعْ لَهُنَّ عُيونُ

ـ لم أعرف في هذه الأبيات لحناً يُنسب إلى إبراهيم، والذي عرفتُه لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر خفيفُ رمل ـ فكاد، والله أعلم، عقلي أن يذهب طرباً وارتياحاً لما سمعتُ؛ ثم غنّى:

---

(١) تذمّمتُ: استنكفت.

صوت

[الطويل]

أَلاَ يَا صَبا نَجْدٍ متى هِجْتِ مِنْ نَجْدِ ... لـقـد زَادَنـي مَسْرَاكِ وَجْداً عـلـى وَجْـدِ
أَأَنْ هَـتَـفَـتْ وَرْقَـاءُ فـي رَوْنَـقِ الـضُّـحَـى ... عـلـى فَـنَـنٍ غَـضِّ الـنَّـبـاتِ مِـنَ الـرَّنْـدِ(١)
بَـكَـيْـتَ كـمـا يَـبْـكِـي الـحـزيـنُ صَـبَـابَـةً ... وذُبْـتَ مِـنَ الـحُـزْنِ الـمُـبَـرِّحِ والـجَـهْـدِ
وقـد زَعَـمُـوا أَنَّ الـمُـحِـبَّ إذا دَنَـا ... يَـمَـلُّ وأَنَّ الـنَّـأْيَ يَـشْـفِـي مِـنَ الـوَجْـدِ
بِـكُـلٍّ تَـدَاوَيْـنَـا فَـلَـمْ يُـشْـفَ مـا بِـنَـا ... عـلـى أَنَّ قُـرْبَ الـدَّارِ خَـيْـرٌ مِـنَ الـبُـعْـدِ

ثم قال: يا إبراهيم، هذا الغناء الماخُوريّ فخذه وٱنحُ نحوَه في غنائك وعَلِّمْه جَوارِيَك؛ فقلتُ: أَعِدْهُ عَلَيّ، فقال: لستَ تحتاج، قد أخذتَه وفرغتَ منه، ثم غاب من بين يديّ؛ فٱرتعتُ وقمت إلى السيف فجرّدته، وعدوتُ نحو أبواب الحُرَم فوجدتُها مُغْلقةً، فقلتُ للجواري: أيّ شيء سمعتنّ عندي؟ فقلن: سَمِعنا أحسنَ غناءٍ سُمِعَ قطّ؛ فخرجتُ متحيّراً إلى باب الدار فوجدتُه مُغلَقاً، فسألتُ البوّابَ عن الشيخ؛ فقال لي: أيّ شيخ هو؟ والله ما دخل إليك اليومَ أحد؛ فرجعتُ لأتأمّل أمري، فإذا هو قد هَتف بي من بعض جوانب البيت: لا بأسَ عليك يا أبا إسحاق، أنا إبليس وأنا كنت جليسَك ونديمك اليومَ، فلا تُرَعْ. فركبت إلى الرشيد وقلت: لا أُطرفه(٢) أبداً بطُرْفةٍ مثل هذه، فدخلت إليه فحدّثته بالحديث؛ فقال: وَيْحَكَ! تأمَّلْ هذه الأصواتَ، هل أخذتَها؟ فأخذت العود أمتحنها، فإذا هي راسخة في صدري كأنها لم تزل؛ فطربَ الرشيد عليها وجلس يشرب ولم يكن عزَمَ على الشراب، وأمر لي بصلةٍ وحُمْلانٍ(٣) وقال: الشيخ كان أعلم بما قال لك من أنك أخذتَها وفرغتَ منها، فليتَه أمتعَنا بنفسه يوماً واحداً كما أمتعك.

نسبة هذه الأصوات

أمّا الصوت الأوّل فالذي أعرفه فيه خفيفُ رَمَلٍ لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، ولم يقَع إليّ فيه صنعةٌ لإبراهيم، والصوت الثاني الذي أوّله:

ألا يا صَبَا نَجْدٍ متى هِجْتِ من نَجدِ *

(١) رونق الضحى: حسنه وإشراقه. والرَّنْد: شجر طيّب الرائحة من شجر البادية.
(٢) أطرفَ: أتحفَ.
(٣) الحُملان: ما يُحْمَل عليه من الدواب من الهبات الخاصّة.

فشعرُه ليزيدَ بن الطَّثَرِيَّةِ، والغناءُ لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو، وفيه لمحمد بن الحسن بن مصعَب ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وعمرو، وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحناً لِدَحْمان ولحناً لابنه الزُّبَير، ولم يَذْكر في أيّ طريقةٍ هما.

هكذا حَدَّثنا ٱبن أبي الأزهر بهذا الخبر؛ وما أدري ما أقول فيه، ولعل إبراهيم صنع هذه الحكاية ليتنفّق بها، أو صُنعتْ وحُكِيَتْ عنه. إلا أن للخبر أصلاً الأشبهُ بالحقّ منه ما حَدّثني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عبيد الله بن عَمّار قالا: حَدّثنا عمرُ بن شَبّة قال: حَدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن أبيه قال: صَنَعْتُ لحناً فأعجبني، وجعلت أطلب شعراً فعَسُرَ ذلك عليّ، ورأيتُ في المنام كأنّ رجلاً لَقِيَني فقال: يا إبراهيم، أأعياكَ شِعرٌ لغنائك هذا الذي تُعْجَبُ به؟ قلت: نعم؛ قال: فأين أنت من قول ذي الرُّمَّة حيث قال: [الطويل]

أَلاَ يَا ٱسْلَمِي يا دَارَ مَيَّ على البِلَى ... ولا زَالَ مُنْهَلاً بِجَرْعَائِكِ القَطْرُ[١]

وإنْ لم تَكُوني غَيْرَ شَامٍ بِقَفْرةٍ ... تَجُرُّ بها الأَذْيَالَ صَيْفِيَّةٌ كُدْرُ[٢]

قال: فٱنتبهتُ وأنا فَرِحٌ بالشعر، فدعوتُ مَنْ ضرب عليّ وغنّيتُه فإذا هو أوفقُ ما خلق الله، فلمّا علمتُ ذلك، وعملتُ هذا الغناء في شعر ذي الرّمة، تنبّهتُ عليه وعلى شعره فصنعتُ فيه ألحاناً ماخُورِيَّةً، منها:

صوت

[الطويل]

أَمَنْزِلَتَيْ مَيٍّ سَلامٌ عَلَيْكُمَا ... هَلِ الأَزْمُنُ اللائِي مَرَرْنَ رَوَاجِعُ

وهل يَرجِعُ التَّسْلِيمَ أو يَكْشِفُ العَمَى ... ثَلاثُ الأَثَافِي أو رُسُومٌ بَلاقِعُ[٣]

صنعةُ إبراهيمَ في هذين الشعرين جميعاً من الماخُورِيّ بالوسطى، وهو خفيف الثقيل الثاني، وأخباره كلّها في هذا المعنى تأتي في أخبار ذي الرُّمّة مشروحةً.

---

(١) الجرعاء: الرملة المستوية التي لا تنبت شيئاً.

(٢) الشّام: جمع الشامة: هي البقعة التي تخالف لون الأرض. والصيفيّة: رياح الصيف. والكدر: جمع الكدراء: التي في لونها غبرة.

(٣) الأثافي: الأحجار التي توضع عليها القِدر. والبلاقع: جمع البَلْقعة والبَلْقَع: الأرض القَفر التي لا شيء بها.

[استئذانه من الرشيد ليغنّي شِعر ذي الرمّة]

حدّثني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثني حَمّاد عن أبيه قال: قال لي أبي: قال لي جعفر بن يحيى يوماً وقد عَلِمَ أنّ الرشيد أَذِنَ لي وللمغنِّين في الانصراف يومئذٍ: صِرْ إليّ حتى أهبَ لك شيئاً حسناً؛ فصِرْتُ إليه فقال لي: أيّما أحبُّ إليك: أهَبُ لك الشيء الحسن الذي وعدتُك به، أم أُرشدك إلى شيء تَكسِبُ به ألفَ ألفِ درهم؟ فقلت: بل يرشدني الوزير ـ أعزّه الله ـ إلى هذا الوجه فإنه يقوم مقام إعطائه إيّاي هذا الحَسَن؛ فقال: إنّ أمير المؤمنين يحفَظُ شِعر ذي الرُّمّة حفظ الصِّبا ويُعجبه ويؤثره، فإذا سَمِعَ فيه غناءً، أطربه أكثر مما يُطربه غيره مما لا يحفظ شعره؛ فإذا غَنَّيْتَه فأطربتَه وأمر لك بجائزة، فقُم على رجليك قائماً وقبّل الأرض بين يديه وقل له: لي حاجة غيرُ هذه الجائزة أريد أن أسألها أميرَ المؤمنين، وهي حاجة تقوم عندي مقامَ كل فائدة ولا تَضُرّه ولا تَرْزَؤه؛ فإنه سيقول لك: أيّ شيء حاجتُك؟ فقل: قَطِيعةٌ تُقْطِعُنيها سهلةٌ عليك لا قيمةَ لها ولا منفعةَ فيها لأحد؛ فإذا أجابك إلى ذلك، فقل له: تُقْطعني شِعرَ ذي الرمّة أُغَنّي فيه ما أختاره وتحظُرُ على المغنّين جميعاً أن يداخلوني فيه، فإني أُحِبُّ شِعره وأستحسنه فلا أُحبّ أن يُنَغِّصَهُ عليّ أحدٌ منهم، وتَوَثَّقْ منه في ذلك؛ فقبِلتُ ذلك القولَ منه، وما انصرفت من عنده بعد ذلك إلا بجائزة؛ وتوخّيتُ وقت الكلام في هذا المعنى حتى وجدتُه، فقمت فسألت كما قال لي، وتبيّنتُ السرور في وجهه، وقال: ما سألتَ شَطَطاً[1]، قد أقطعتكَ سُؤْلَتَكَ؛ فجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون: لقد استضخَمْتَ القطيعةَ وهو ساكتٌ؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في التَّوَثُّقِ؟ قال: تَوَثَّقْ كيف شئتَ؛ فقلت: بالله وبحقّ رسوله وبتُربةِ أمير المؤمنين المهديّ إلاّ جعلتَني على ثِقَةٍ من ذلك بأنك تحلف لي أنك لا تُعطي أحداً من المغنِّين جائزة على شيء يُغَنِّيه في شعر ذي الرُّمّة فإن ذلك وثيقتي؛ فحلف مجتهداً لهم لئن غنّاه أحد منهم في شعر ذي الرُّمة لا أثابه بشيء ولا بَرّه ولا سمع غناءه؛ فشكرتُ فعله وقبّلت الأرضَ بين يديه وانصرفنا. فغنّيت مائة صوت وزيادة في شعر ذي الرُّمّة، فكان إذا سمع منها صوتاً طَرِبَ وزاد طربُه ووصلني فأجزَلَ، ولم ينتفع به أحدٌ منهم غيري؛ فأخذتُ منه والله بها ألفَ ألفِ درهم وألفَ ألفِ درهم.

(١) الشَّطط: مجاوزة القدر في كلّ شيء.

أخبرني جعفر بن قُدَامة بن زِيَاد الكاتب قال: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال: حَدّثني أبو خالد الأَسْلَمِيّ قال: حَدّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ قال: قال إبراهيم الموصليّ: أُرْتِجَ[1] عليّ فلم أجد شِعراً أَصُوغُ فيه غناءً أُغنّي فيه الرشيدَ، فدخلتُ إلى بعض حُجَر داري مغموماً، فأَسْبلتُ الستور عليّ وغلبَتْني عيني، فتمثَّلَ لي في البيت شيخٌ أَشْوَهُ الخِلْقة، فقال لي: يا موصليّ، ما لي أراك مغموماً؟ قلت: لم أُصِبْ شعْراً أُغنّي فيه الرشيدَ الليلةَ؛ قال: فأين أنت عن قول ذي الرُّمّة. [الطويل]

أَلاَ يَا اْسْلَمِي يا دَارَ مَيَّ على البِلَى ... ولا زَالَ مُنْهَلاً بِجَرْعائِكِ القَطْرُ
وإنْ لم تَكُونِي غَيْرَ شَامٍ بِقَفْرةٍ ... تَجُرُ بها الأذيالَ صَيْفِيَّةٌ كُدْرُ
أقامَتْ بها حَتّى ذَوَى العُودُ في الثَّرَى ... وسَاقَ الثُّرَيَّا في مُلاءَتِهِ الفَجْرُ[2]
وحتى اْعتَلَى البُهْمَى مِنَ الصَّيْفِ نافِضٌ ... كما نَفَضَتْ خَيْلٌ نَواصِيَهَا شُقْرُ[3]

قال: وغَنَّاني فيه بلحن وكرّره حتى عَلِقْتُه فانتبهت وأنا أُدِيره، فناديت جاريةً لي وأمرتُها بإحضار عود، وما زِلتُ أترنَّم بالصوت وهي تضرب حتى اْستوى لي؛ ثم صرتُ إلى هارون فغنَّيته إيّاه، فأسكتَ المغنِّين، ثم قال: أَعِد فأعدتُ، فما زال ليلتَه يستعيدُنِيه، فلمّا أصبح أمر لي بثلاثين ألف درهم وبفرش البيت الذي كنّا فيه، وقال: عليك بشعر ذي الرُّمّة فغنِّ فيه؛ فصنعتُ فيه غناءً كثيراً، فكنتُ أُغنّيه به فيُعجبه ويُجزل صِلتي.

أخبرني عمِّي وابن المَرْزُبان والحسن بن عليّ قالوا: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثنا محمد بن عبد الله السُّلَميّ قال: حَدّثنا أبو غانم مولى جَبَلَة بن يزيد السُّلَميّ قال: اجتمع إبراهيم الموصليّ وزَلْزَلٌ وبَرْصومَا بين يَدَي الرشيد، فضرب زلزلٌ وزَمَر بَرْصوما وغَنَّى إبراهيم:

(١) أُرْتِجَ عَلَيَّ: التبَسَ عَلَيَّ.
(٢) ملاءة الفجر: بياضه، وقد شبّهه بالثوب الأبيض.
(٣) البُهمَى: نبت ترغبه الغنم ما دام أخضراً فإذا يبس خرج له شوك مثل شوك السنبل فيرعاه الناس حتى يصيبه مطر العام المقبل. والنافض: ريح الصيف. وقد شَبَّه شوك البهمى إذا وقعت عليه فابيضّ بنواصي الخيل الشقر.

صوت [الوافر]

صَحَا قَلْبِي وراعَ إِلَيَّ عَقْلِي وأَقْصَرَ بَاطِلي ونَسِيتُ جَهْلِي
رَأَيْتُ الغَانِيَاتِ وكُنَّ صُوراً إِلَيَّ صَرَمْنَنِي وقَطَعْنَ حَبْلِي(١)

فطرِبَ هارون حتى وثَب على رجليه وصاح: يا آدمَ، لو رأيتَ من يحضُرُني من ولدك اليومَ لَسَرَّكَ! ، ثم جلس وقال: أستغفر الله.

الشعر الذي غَنَّى فيه إبراهيم لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر.

حدّثني جَحْظة قال: حَدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان الرشيد يَجِدُ بماردةَ وَجْداً شديداً؛ فغضبت عليه وغضب عليها، وتمادى بينهما الهجرُ أياماً؛ فأمر جعفرُ بن يحيى العباسَ بن الأحنف فقال: [الكامل]

رَاجِعْ أَحِبَّتَكَ الَّذِينَ هَجَرْتَهُمْ إِنَّ المُتَيَّمَ قَلَّمَا يَتَجَنَّبُ
إِنَّ التَّجَنُّبَ إِنْ تَطَاوَلَ مِنْكُمَا دَبَّ السُّلُوُّ له فَعَزَّ المَطْلَبُ

وأمر إبراهيمَ الموصليّ فغنَّى فيه الرشيد؛ فلما سمعه بادر إلى ماردةَ فترضّاها؛ فسألتْ عن السبب في ذلك فعرفتْه، فأمرت لكل واحد من العبّاس وإبراهيم بعشرة آلاف درهم، وسألتِ الرشيدَ أن يكافئهما عنها، فأمر لهما بأربعين ألف درهم.

[أوّل جائزة لشاعر من الرشيد حين وَلِيَ الخلافة كانت لإبراهيم الموصلي]

أخبرني جعفر بن قُدَامة عن حمّاد عن أبيه قال: أوّلُ جائزة خرجتْ لشاعر من الرشيد لمّا وَلِيَ الخلافةَ جائزةٌ لإبراهيم، فإنه قال يمدحه لَمّا وَلِي:

صوت [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ كانت مَرِيضةً فَلَمَّا وَلِيَ هَارونُ أَشْرَقَ نُورُهَا
فَأُلْبِسَتِ الدُّنْيا جَمَالاً بِوَجْهِهِ فَهارونُ وَالِيها ويَحْيَى وَزِيرُها

(١) الصُور: جمع الأصور والصوراء: الذي يميل بعنقه ووجهه.

وغَنَّى فيه، فأمر له بمائة ألف درهم، وأمر له يحيى بخمسين ألف درهم.

أخبرنا الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: حدّثني إسحاق الموصليّ: أنّ أباه لَعِبَ يوما مع الرشيد بالنَّرْد في الخلْعة التي كانت على الرشيد والخِلعة التي كانت عليه هو، فتقامَرَ للرشيدِ، فلمّا قَمَره قام إبراهيم فنزع ثيابه، ثم قال للرشيد: حُكْمُ النَّردِ الوفاءُ به، وقد قُمِرْتُ ووَفَّيْتُ لك، فألبسْ ما كان عَلَيّ؛ فقال له الرشيد: وَيْلَكَ! أنا ألبسُ ثيابك!؛ فقال: إي والله إذا أنصفْتَ، وإذا لم تُنصفْ قدَرْتَ وأمكنكَ؛ قال: ويلك! أوَ أفتدي منك؟ قال: نعم؛ قال: وما الفداء؟ قال: قل أنت يا أمير المؤمنين فإنك أولَى بالقول؛ فقال: أُعطيكَ كلّ ما عليّ؛ قال: فمُرْ به يا أمير المؤمنين وأنا أستخيرُ الله في ذلك؛ فدعا بغير ما عليه فلبِسَه ونَزعَ ما كان عليه فدفَعه إلى إبراهيم.

[فطنته في صناعة الموسيقى]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدّثني عُمَر بن شَبّة قال: حَدّثني عليّ بن عبد الكريم قال: زار ٱبنُ جامع إبراهيمَ الموصليّ؛ فأخرجَ إليه ثلاثين جاريةً فضربْنَ جميعاً طريقةً واحدة وغنَّيْن؛ فقال ٱبن جامع: في الأوتار وَتَرٌ غير مستَوٍ؛ فقال إبراهيم: يا فلانةُ شُدِّي مَثْنَاكِ، فشَدَّتْه فٱستوى؛ فعجبتُ أوّلاً من فطنة ٱبن جامع لِوَترٍ في مائة وعشرين وتراً غيرِ مستوٍ، ثم ٱزداد عَجَبي من فِطْنة إبراهيم له بعينه.

أخبرني إسماعيل بن يونس وحَبِيب بن نَصْر المُهَلَّبيّ قالا: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثني إسحاق بن إبراهيم قال: حَدّثني أبي قال: كنّا مع الرشيد بِالرَّقّة وكان هناك خَمّار أقصِدُه أشتري منه شراباً حسناً طيّباً، وربما شربت في حانته، فأتيته يوماً فبزَل لي دَنًّا في باطِيَة[1] له، فرأيت لونه حسناً صافياً، فٱندفعتُ أغنّي:

صوت

[مجزوء الرمل]

إسْقِني صَهْبَاءَ صِرْفاً ... لم تُدَنَّسْ بِمِزَاجِ
إسْقِني واللَّيْلُ دَاجٍ ... قَبْلَ أَصْواتِ الدَّجَاجِ
يا أبا وَهْبٍ خَلِيلِي ... كُلُّ هَمٍّ لانْفِرَاجِ

(١) الباطية: إناء من الزجاج يملأ بالشراب ويغترف منه الشاربون.

جِـيـنَ تَـوَّهْـتَ بِـقَـلْـبِـي فـي أعـاصـيـرِ الـفِـجَـاجِ[1]

ـ الغناء في هذه الأبيات لإبراهيمَ هَزَجٌ بالوسطى عن عمرو، وفيها لِسِيَاط ثاني ثقيلٍ بالخِنْصر في مجرى البِنصر عن إسحاق ـ قال: فدَهِشَ الخمّار يسمع صوتي، فقلت له: وَيْحَكَ! قد فاض النبيذ من الباطيَة؛ فقال: دَعْني من النبيذ يا أبا إسحاق، ما لي أرى صوتك حزيناً حَرِيقاً، مات لكَ بالله إنسان؟ فلما جئتُ إلى الرشيد حَدَّثته بذلك فجعل يضحك.

[قصته مع جواري الرشيد]

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنّ المدائني حَدَّثَ قال: قال إبراهيم الموصليّ: قال لي الرَّشيد يوماً: يا إبراهيم، إني قد جعلت غداً للحريم، وجعلت ليلته للشرب مع الرجال، وأنا مقتصرٌ عليك من المغنّين، فلا تشتغل غداً بشيء ولا تشرب نبيذاً، وكن بحضرتي في وقت العشاء الآخرةِ؛ فقلت: السّمعُ والطاعةُ لأمير المؤمنين؛ فقال: وحقِّ أبي لَئِنْ تأخَّرْتَ أو اْعتلَلْتَ بشيء لأَضْرِبَنَّ عنقكَ، أفهمتَ؟ فقلت: نعم، وخرجتُ فما جاءني أحد من إخواني إلا احتجبتُ عنه ولا قرأت رقعة لأحد، حتى إذا صلّيت المغرب ركبتُ قاصداً إليه، فلما قَرُبْتُ من فِناءِ داره مررت بفناء قصر، وإذا زَنْبِيلٌ[2] كبير مُستوثَق منه بحبال وأربع عُرَى أَدَمٍ وقد دُلِّيَ من القصر، وجاريةٌ قائمة تنتظر إنساناً قد وُعِد ليجلس فيه، فنازعَتْني نفسي إلى الجلوس فيه، ثم قلت: هذا خطأ، ولعلّه أن يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاكُ، فلم أزلْ أُنازع نفسي وتنازعني حتى غلبتْني، فنزلت فجلست فيه، ومُدَّ الزّنبيلُ حتى صار في أعلى القصر، ثم خرجت فنزلت، فإذا جَوَارٍ كأنهنَّ المها جلوسٌ، فضَحِكْنَ وطَرِبْنَ، وقلنَ: قد جاء والله مَنْ أردناه؛ فلما رأينني من قريب تَبادرْنَ إلى الحِجَاب وقُلْنَ: يا عدوَّ الله، ما أدخلك إلينا؟ فقلت: يا عدوّاتِ الله، ومن الذي أردْتُنّ إدخالَه؟ ولِمَ صارَ أَوْلَى بهذا منّي؟ فلم يزَلْ هذا دَأْبُنا وهنَّ يضحكنَ وأضحكُ معهنّ؛ ثم قالت إحداهنّ: أمّا مَنْ أردناه فقد فات، وما هذا إلاّ ظريف، فهلمّ نعاشرْه عشرةً جميلة؛ فأُخْرِجَ إليّ طعامٌ ودُعِيتُ إلى أكله، فلم يكن فيّ فَضْلٌ إلاّ أنّي

---

(١) الفجاج: جمع الفج: الطريق الواسع بين جبلين.

(٢) الزّنْبيل والزَّبيل: القُفّة أو الجِراب أو الوعاء يُحمَل فيه.

كرِهت أن أُنسب إلى سوء العشرة، فأصبتُ منه إصابة مُعَذِّرٍ[١]، ثم جِيءَ بِالنَّبيذِ فجعلنا نشربُ، وأَخْرَجْنَ إِلَيَّ ثلاث جَوَارٍ لهنّ فغنّين غناء مليحاً، فغنّتْ إحداهنّ صوتاً لِمَعْبد، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر: أحسن إبراهيمُ، هذا له؛ فقلت: كَذَبْتِ ليس هذا له، هذا لِمعبد؛ فقالت: يا فاسقُ، وما يُدْرِيك الغناءَ ما هو!؛ ثم غنّت الأُخرى صوتاً للغَريض، فقالت تلك: أحسن إبراهيم، هذا له أيضاً؛ فقلت: كذبتِ يا خبيثةُ، هذا للغريض؛ فقالت: اللّهم أَخْزِه، ويلكَ! وما يدريكَ! ثم غنّت الجارية صوتاً لي، فقالت تلك: أحسن اَبنُ سُرَيج، هذا له؛ فقلت: كذبتِ هذا لإبراهيم، وأنت تنسُبين غناء الناس إليه وغناءه إليهم؛ فقالت: وَيْحَكَ! وما يدريك!؛ فقلت: أنا إبراهيم، فتباشَرْنَ بذلك جميعاً وطَرِبْنَ كلُّهن وظهرْنَ كلُّهن لي وقلْنَ: كتمتَنا نفسَك وقد سررتَنا؛ فقلت: أنا الآن أستودعكنّ الله؛ فقلن: وما السبب؟ فأخبرتهنّ بقصتي مع الرّشيد؛ فضحكن وقلن: الآن والله طاب حبسك! علينا وعلينا إن خرجتَ أسبوعاً؛ فقلت: هو والله القتل؛ قلن: إلى لعنة الله. فأقمت والله عندهنّ أسبوعاً لا أزول، فلما كان بعد الأسبوع ودَّعْنني وقلن: إن سلّمك الله فأنت بعد ثلاث عندنا، قلت نعم؛ فأجلسْنَني في الزّنبيل وسُرِّحْتُ؛ فمضيت لوجهي حتى أتيت دارَ الرشيد، وإذا النداء قد أُشيع ببغدادَ في طلبي وأنّ من أحضرني فقد سُوِّغَ ملكي وأُقْطِع مالي؛ فاَستأذنتُ فتبادر الخدمُ حتى أدخلوني على الرشيد؛ فلما رآني شتمني وقال: السيف والنِّطْع[٢]! إيهٍ يا إبراهيم، تهاونتَ بأمري وتشاغلْتَ بالعَوامّ عما أمرتك به وجلستَ مع أشباهِكَ من السّفهاء حتى أفسدتَ عليّ لذّتي! فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا بين يديك، وما أمرتَ به غيرُ فائت، ولي حديث عجيب ما سُمِعَ بمثله قطُّ وهو الذي قطعني عنك ضرورةً لا اَختياراً، فاَسمعْه، فإن كان عذراً فاَقبلْه وإلاّ فأنت أعلم؛ قال: هاتِهِ فليس يُنجِيكَ؛ فحدّثته، فوجَم ساعةً ثم قال: إن هذا لَعَجَبٌ، أَفَتُحْضِرني معك هذا الموضعَ؟ قلت: نعم، وأُجلسُكَ معهنّ إن شئتَ قبلي حتى تحصل عندهنّ، وإن شئت فعلى موعد؛ قال: بل على موعد؛ قلت: أفعل؛ فقال: انظُر؛ قلت: ذلك حاصلٌ إليكَ متى شئت؛ فعدَلَ عن رأيه فيّ وأجلسني وشرب وطرِبَ؛ فلما أصبحتُ أمرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهنّ؛ فمضيت إليهنّ في وقت الوعد، فلما وافيتُ

---

(١) المُعَذِّر: المعتذر.

(٢) النِّطْع: بساط من الجلد يُفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب أو بقطع الرأس.

الموضعَ إذا الزّنبيل مُعَلَّقٌ، فجلست فيه ومدّه الجواري فصعِدْتُ، فلما رأيْنَني تباشرْنَ وحَمِدْنَ الله على سلامتي، وأقمتُ ليلتي، فلما أردت الانصراف قلت لهنّ: إن لي أخاً هو عِدْلُ نفسي عندي، وقد أَحَبَّ معاشرتكن ووعدتُه بذلك؛ فقلن: إن كنت ترضاه فمرحباً به؛ فوعدتهن ليلةَ غدٍ وٱنصرفتُ وأتيت الرشيدَ وأخبرته؛ فلما كان الوقتُ خرج معي متخفّياً حتى أتينا الموضع، فصعِدْتُ وصَعِدَ بعدي ونزلْنا جميعاً، وقد كان الله وَفَّقني لأن قلت لهن: إذا جاء صديقي فٱستتِرنَ عني وعنه ولا يسمعْ لكُنَّ نَطْقة، وليكن ما تَخْتَرْنَه من غناء أو تَقُلْنَه من قولٍ مُراسَلةً؛ فلم يتعدَّيْنَ ذلك وأقمْنَ على أتمِّ سِتْرٍ وخَفَرٍ، وشربنا شرباً كثيراً، وقد كان أمرني ألاّ أُخاطبَه بأمير المؤمنين، فلما أخذ منّي النبيذُ قلت سهواً: يا أمير المؤمنين، فَتَواثَبْنَ من وراء الستارة حتى غابت عنّا حركاتُهنّ؛ فقال لي: يا إبراهيم لقد أَفْلَتَّ من أمر عظيم، والله لو برزتْ إليك واحدة منهنّ لَضَرَبْتُ عنقك، قم بنا، فانصرفنا؛ وإذا هنّ له، قد كان غضِب عليهنّ فحبسهنَّ في ذلك القصر؛ ثم وجّهَ من غدٍ بخَدَم فردّوهنّ إلى قصره، ووهَب لي مائة ألف درهم، وكانت الهدايا والألْطاف تأتيني بعد ذلك منهنَّ.

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال: حَدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حَدّثني أبي قال: دخلت على الرشيد يوماً فقال لي: أنا اليوم كسلانُ خاثِر[1]، فإن غَنَّيْتني صوتاً يوقظُ نشاطي أحسنتُ صِلتك؛ فغنيتُه: [الطويل]

ولـم يُـرَ فـي الـدُّنـيـا مُـحِـبَّـانِ مِـثْـلُـنـا ... على ما نُلاَقِي مِنْ ذَوِي الأَعْيُنِ الخُزْرِ[2]

صَـفِـيَّـانِ لا نَـرْضَـى الـوُشَـاةَ إذا وَشَـوْا ... عَفِيفانِ لا نَغْشَى مِنَ الأمرِ ما يُزْرِي

فطَرِبَ، ودعا بالطعام فأكل وشرب، وأمر لي بخمسين ألف درهم.

[دنانير تغنّي للموصلي وتنجح في الامتحان]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثني إسحاق قال: قال لي أبي: قال لي يحيى بن خالد: إن ٱبنتكَ دَنَانِيرَ قد عَمِلَتْ صوتاً أعجبني وأُعجِبَتْ أيضاً هي به، فقلتُ لها: لا تُعْجَبي به حتّى أَعْرِضَه على أبيك أبي

---

(١) خثرت النفس: غثت واختلطت.

(٢) الأعين الخزر: الضيّقة الصغيرة، ورجلٌ أخزر: ينظر بمؤخّر عينه. ونظر الخزر: نظر العداوة.

إسحاق؛ فقلتُ له: والله ما في معرفة الوزير ـ أعزّه الله ـ به ولا بغيره من الصّنائع مَطْعَن، وإنه لأَصَحُّ العالم تمييزاً وأثقبُه فِطْنةً، وما أعجبه إلاّ وهو صحيحٌ حَسَن؛ فقال: إن كنتُ كما تقول أيضاً، فإنّ أهلَ كلّ صناعة يُمارسونها أفهمُ بها ممّن يَعْلَمها عن عُرُضٍ من غير مُمَارسة، ولو كنا في هذه الصناعة متساويَيْن لكان الاستظهارُ برأيك أَجْودَ، لأنّ مَيْلي إلى صانعة الصَّوت ربما حسّنَ عندي ما ليس بالحسن، وإنما يتمّ سروري به بعد سماعك إياه وٱستحسانك له على الحقيقة؛ فمضيتُ فوجدت ستارةً منصوبة وأمراً قد تُقدّم فيه قبلي؛ فجلستُ فسلّمت على الجارية، وقلت لها تغنّيني الصّوتَ الذي ذكره لي الوزير أعَزّهُ الله؛ فقالت: إن الوزير قال لي: إنِ ٱستجاده فعَرِّفيني ليتمّ سروري به، وإلاّ فٱطوِ الخبرَ عني لئلاّ تَزول رُتبته عندي؛ فقلتُ: هاتيه حتى أسمعه؛ فغنّت تقول: [الكامل]

نَـفـسِـي أَكُـنْـتُ عَـلَـيْـكِ مُـدَّعِـيـاً ... أَمْ حِـيـنَ أَزْمَـعَ بَـيْـنُـهُـمْ خُـنْـتِ
إنْ كُـنْـتِ هَـائِـمَـةً بِـذِكْـرِهُـم ... فَـعَـلَـى فِـراقِـهِـمُ أَلاَ حُـمْـتِ

قال: فأحسَنتْ والله وما قصَّرتْ، فٱستعدتُه لأطلب فيه موضعاً لأُصلحه فيكون لي فيه معنى فما وَجدْتُ؛ قلت: أحسنْتِ والله يا بُنيّة ما شئتِ؛ ثم عدتُ إلى يحيى فحلفت له بأيمانٍ رَضِيها أنّ كثيراً من حُذَّاقِ المغنِّين لا يُحسنون أن يصنعوا مثله، ولقد ٱستعدتُه لأرى فيه موضعاً يكون لي فيه عملٌ فما وجدت؛ فقال: وصفُكَ لها من أجله يقوم مقام تعليمك إياها، فقد والله سررتني وسأسرّك، فلمّا انصرفتُ أتبعني بخمسين ألف درهم.

حدّثني عمي وٱبن المَرْزُبان قالا: حَدّثنا ٱبن أبي سعد قال: حَدّثني محمد بن عبد الله السُّلَميّ قال: حدّثني عمر بن شَبّة قال: حَدّثني إسحاق، ولم يقل عن أبيه، قال: والله إني لَفِي منزلي ذاتَ يوم وأنا مفكِّرٌ في الرّكوب مرّةً وفي القعود مرّة، إذا غلامي قد دخل ومعه خادم الرشيد يأمرني بالحضور من وقتي، فركِبتُ وصرتُ إليه؛ فقال لي: اجلس يا إبراهيم حتى أُرِيَكَ عَجباً، فجلستُ؛ فقال: عَلَيَّ بالأعرابية وٱبنتِها؛ فأُخرِجَتْ إليّ أعرابيّة ومعها بُنَيّة لها عشرٌ أو أرجح؛ فقال: يا إبراهيم، إن هذه الصَّبِية تقول الشعر؛ فقلتُ لأمّها: ما يقول أمير المؤمنين؟ فقالت: هي هذه قُدَّامَك فسَلْها؛ فقلت: يا حبيبة، أتقولين الشعر؟ فقالت: نعم؛ فقلت: أنشديني بعضَ ما قلتِ؛ فأنشدتْني: [الطويل]

صوت

[الطويل]

تـقـولُ لأَتْـرَابٍ لَـهَـا وهـي تَـمْـتَـرِي دُمُوعاً على الخَدَّيْنِ مِنْ شِدَّةِ الوَجْدِ[١]
أَكُـلُّ فَـتَـاةٍ لا مَـحَـالَـةَ نَـازِلٌ بـهـا مِـثْـلُ ما بِي أَمْ بُلِيتُ به وَحْدِي
بَـرانِـي لـه حُـبٌّ تَـنَـشَّـبَ فـي الـحَـشَـى فلم يُبْقِ من جِسمي سِوَى العَظْمِ والجِلْدِ[٢]
وَجَـدْتُ الـهَـوَى حُـلْـواً لَـذِيـذاً بَـدِيـئُـهُ وآخِـرُهُ مُـرٌّ لِـصَـاحِـبِـهِ مُـرْدِي

قال الشَّبِّيُّ في خبره: قال إسحاق: وكان أبي حاضراً، فقال: والله لا تَبْرَحُ يا أمير المؤمنين أوْ نصنعَ في هذه الأبيات لحناً؛ فصُغْتُ فيها أنا وأبي وجميعُ مَنْ حضر. وقال الآخرون: قال إبراهيم: فما بَرِحْتُ حتى صنعتُ فيه لحناً وتَغنّيتُ به وهي حاضرة تسمع. قال ٱبن المَرْزُبان في خبره، ولم يذكره عمّي: فقالت: يا أمير المؤمنين، قد أحسنَ رِوَايةَ ما قلتُ، أفتأذَن لي أن أكافئه بمدح أقوله فيه؟ قال: ٱفعلي؛ فقالت:

صوت

[مجزوء الرمل]

مـا لإِبْـرَاهِـيـمَ فـي الـعِـلْـمِ بِـهـذَا الـشَّـأْنِ ثَـانِـي
إنَّـمـا عُـمْـرُ أَبِـي إسـحـاقَ زَيْـنٌ لِـلـزَّمَـانِ
مِـنْـهُ يُـجْـنَـى ثَـمَـرُ الـلَّـهْـوِ ورَيْـحَـانُ الـجِـنَـانِ
جَـنَّـةُ الـدُّنْـيَـا أبـو إسـحـاقَ فـي كُـلِّ مَـكَـانِ

قال: فأمر لها الرشيد بجائزة، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، فوهبتُ لها شَطْرَها.

اللّحن الذي صنعه إبراهيم في شعر الأعرابيّة ثقيلٌ أوّل بالوسطى، وفيه لعلّويه ثاني ثقيل، وأما الشعر الثاني فهو لابن سيابَةَ لا يُشَكّ فيه، ولإبراهيم فيه لحن من خفيف الثقيل.

أخبرني محمد بن مَزْيَد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كنت أخذتُ بالمدينة من مجنونٍ بها هذا الصوت، وغَنّيْتُه الرشيدَ وقلتُ:

---

(١) تمتري الدموعَ: تستدرّها وتستخرجها.
(٢) تَنَشَّب: عَلِقَ.

صوت

[البسيط]

هما فَتَاتَانِ لَمَّا تَعْرِفَا خُلُقِي ... وبالشَّبَابِ على شَيْبِي تُدِلاَّنِ
رَأَيْتُ عِرْسَيَّ لَمَّا ضَمَّنِي كِبَرِي ... وشِخْتُ أَزْمَعَتَا صَرْمِي وهِجْرَانِي[(١)]
كلُّ الفَعَالِ الَّذي يَفْعَلْنَهُ حَسَنٌ ... يُصْبِي فُؤادِي ويُبْدِي سِرَّ أَشْجَانِي
بَلِ ٱحْذَرَا صَوْلَةً مِنْ صَوْلِ شَيْخِكُمَا ... مَهْلاً على الشَّيْخِ مَهْلاً يا فَتَاتَانِ

فَطرِبَ وأمر لي بظَبْية[(٢)] كانت مُلْقاة بين يديه، فيها ألفُ دينار مُسَيَّفَة[(٣)]؛ وكان ٱبن جامع حاضراً، فقال: اسمع يا أمير المؤمنين غناء العقلاء وَدَعْ غِناءَ المجانين، وكان أشدَّ خَلْقِ الله حسداً، فغنّاه:

صوت

[الرمل]

ولقد قَالَتْ لأَتْرَابٍ لَهَا ... كَالمَهَا يَلْعَبْنَ في حُجْرَتِها
خُذْنَ عَنِّي الظِّلَّ لا يَتْبَعُنِي ... ومَضَتْ سَعْياً إلى قُبَّتِهَا

فَطَرِبَ وشَرِبَ، وأمرَ له بألفٍ وخمسمائة دينار. ثم تَبِعَهُ محمد بن حمزة وَجْهُ القَرْعة فغنّى:

صوت

[المنسرح]

يَمْشُونَ فيها بِكُلِّ سَابِغَةٍ ... أُحْكِمَ فيها القَتِيرُ والحِلَقُ[(٤)]
يُعْرَفُ إِنْصَافُهُمْ إذا شَهِدُوا ... وصَبْرُهُمْ حِينَ تَشْخَصُ الحَدَقُ

فاستحسنه وشرِبَ عليه، وأمر له بخمسمائة دينار. ثم غَنَّى علّويه:

صوت

[الكامل]

يَجْحَدْنَ دَيْنِي بِالنَّهَارِ وأَقْتَضِي ... دَيْنِي إذَا وَقَذَ النُّعَاسُ الرُّقَّدا[(٥)]

(١) العِرس: الزوجة.
(٢) الظبية: الجراب الصغير.
(٣) الدينار المسيّف: الذي جوانبه خالية من النقش.
(٤) السّابغة: الدّرع الواسعة. والقتير: رؤوس المسامير في الدرع.
(٥) وقذه النعاس: غلبه.

وأَرَى الـغَـوَانـيَ لا يُـوَاصِـلْـنَ امْـرَأً فَـقَـدَ الـشَّـبَـابَ وقـد يَـصِـلْـنَ الأَمْـرَدَا

فدعا به الرشيد وقال له: يا عاضَّ بَظْرِ أُمِّه! أَتُغَنِّي في مدح المُرْد وذمّ الشِّيب وسِتارتي منصوبة وقد شِبْتُ وكأنك تُعَرِّضُ بي! ثم دعا مسروراً فأمره أن يأخذ بيده فيضربَه ثلاثين دِرّة ويُخْرِجَه من مجلسه، ففعل؛ وما ٱنتفعنا به بقيّة يومنا ولا ٱنتفع بنفسه، وجفا علّويه شهراً، ثم سألناه فيه فأذِن له.

قال أبو الفرج: لإبراهيم أخبار مع خُنْث المعروفة بذات الخال، وكان يهواها، جعلتُها في موضع آخَر من هذا الكتاب، لأنها منفردة بذاتها مستغنية عن إدخالها في غِمَار أخباره. وله في هذه الجارية شعر كثير فيه غناء له ولغيره؛ وقد شرَطْتُ أن الشيء من أخبار الشعراء والمغنِّين إذا كانت هذه سبيلَه أُفْرِده، لئلا يَقطع بين القرائن والنظائر مما تُضاف إليه وتدخل فيه.

[خبر موته وصلاة المأمون عليه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حَدّثني الحسين بن يحيى قال: سمعتُ إسحاقَ الموصليّ يقول: لمّا دخلتْ سنة ثمان وثمانين ومائة ٱشتدّ أمر القُولَنْج على أبي ولَزِمَه، وكان يعتاده أحياناً، فقعد عن خدمة الخليفة وعن نَوْبته في داره؛ فقال في ذلك:

صوت

[مجزوء الرمل]

مَـــلَّ واللهِ طَـــبِـــيـــبِـــي مِـــنْ مُـــقَـــاسَـــاةِ الَّـــذِي بِـــي
سَـــوْفَ أُنْـــعَـــى عَـــن قَـــرِيـــبِ لِـــعَـــدُوٍّ وحَـــبِـــيـــبِ

وغُنِّيَ فيه لحناً من الرَّمَل، فكان آخرَ شعرٍ قاله وآخِرَ لحنٍ صنعه.

أخبرني الصُّوليّ عن محمد بن موسى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه: أنَّ الرشيد رَكِبَ حماراً ودخلَ إلى إبراهيم يعوده وهو في الأَبْزَن جالس، فقال له: كيف أنت يا إبراهيم؟ فقال: أنا والله يا سيِّدي كما قال الشّاعر: [الوافر]

سَـقِـيـمٌ مَـلَّ مِـنْـهُ أَقْـرَبُـوهُ وأَسْـلَـمَـهُ الـمُـدَاوِي والـحَـمِـيـمُ

فقال الرشيد: إنّا لله! وخرجَ، فلم يَبْعُدْ حتى سَمِعَ الواعيةَ[1] عليه.

[المأمون يصلي عليه بعد موته]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثني عمر بن شَبّة قال: مات إبراهيم الموصليّ سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، ومات في ذلك اليوم الكِسَائي النحويّ والعباس بن الأحنف الشاعر وهُشَيمة الخَمّارة، فرُفع ذلك إلى الرشيد، فأمرَ المأمونَ أن يُصَلِّيَ عليهم، فخرج فصُفُّوا بين يديه؛ فقال: مَنْ هذا الأوّل؟ قيل: إبراهيم؛ فقال: أَخِّروه وقدّموا العبّاس بن الأحنف، فقُدِّمَ فصَلَّى عليهم؛ فلما فرغ وانصرف، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ فقال: يا سيِّدي، كيف آثرتَ العبّاسَ بالتّقدمة على من حضر؟ قال: لقوله: [الكامل]

وسَعَى بها ناسٌ فقالُوا إنَّها ... لَهِيَ الَّتي تَشْقَى بِهَا وتُكابِدُ
فَجَحَدْتُهُمْ لِيكونَ غَيْرَكِ ظَنُّهُمْ ... إنّي لَيُعْجِبُني المُحِبُّ الجاحدُ

ثم قال: أتحفظُها؟ قلت: نعم؛ فقال: أنشدني باقيَها؛ فأنشدتُه: [الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ اللَّيلَ سَدَّ طَرِيقَهُ ... عَنِّي وعَذَّبَني الظَّلامُ الرَّاكدُ
والنَّجْمُ في كَبِدِ السَّماءِ كأنّه ... أَعْمَى تَحَيَّرَ ما لَدَيْهِ قائدُ
نَادَيْتُ مَنْ طَرَدَ الرُّقادَ بِصَدِّهِ ... عَمَّا أُعالِجُ وهو خِلْوٌ هاجدُ
يا ذَا الَّذي صَدَعَ الفُؤادَ بِهَجْرِهِ ... أَنْتَ البَلاءُ طَرِيفُهُ والتَّالِدُ[2]
أَلْقَيْتَ بين جفونِ عَيْنِي حُرْقَةً ... فإلى مَتَى أنا ساهرٌ يا رَاقِدُ

فقال المأمون: أليس مَنْ قال هذا الشعر حقيقاً بالتَّقْدِمَة؟ فقلتُ: بلى والله يا سيِّدي.

[أشعار في رثاء إبراهيم الموصلي]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق قال: حَدَّثني أبي قال: قال لي بَرْصُوما الزَّامر: أَمَا في حَقِّي وخِدْمتي ومَيْلي إليكم وشكري لكم ما أستوجِبُ به أن تهَبَ لي يوماً من عُمْرِكَ تَفعل فيه ما أُريد ولا

---

(١) الواعية: الصراخ على الميت.

(٢) الطريف: الجديد، والتالد: القديم.

تخالفني في شيء؟ فقلتُ: بلى ووعدتُه بيوم؛ فأتاني فقال: مُرْ لي بخلْعة، ففعلتُ وجعلتُ فيها جبَّةَ وَشْي؛ فلَبِسَها ظاهرةً وقال: امْضِ بنا إلى المجلس الذي كنتُ آتي أباك فيه؛ فمضينا جميعاً إليه وقد خَلَّقتُه وطَيَّبْتُه؛ فلما صار على باب المجلس رمَى بنفسه إلى الأرض فتمرّغ في التّراب وبكى وأخرج نايه وجعل ينوح في زَمْره ويدور في المجلس ويقبّل المواضع التي كان أبو إسحاق يجلس فيها ويبكي ويَزْمِرُ حتّى قضى من ذلك وَطَراً، ثم ضرب بيده إلى ثيابه فشقّها، وجعلت أُسَكِّتُه وأبكي معه، فما سكنَ إلا بعد حين؛ ثم دعا بثيابه فَلَبِسَها وقال: إنما سألتك أن تخلع عليَّ لئلا يقال: إن برصوما إنما خرَق ثيابه ليُخْلَع عليه ما هو خير منها؛ ثم قال: امْضِ بنا إلى منزلك فقد اشتفَيْتُ مما أردت؛ فعُدْتُ إلى منزلي وأقام عندي يومَه، وانصرف بخلعة مجدّدة.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدّثني عمر بن شَبة قال: حَدّثني القاسم بن يزيد قال: لمّا مات إبراهيم الموصليّ دخلت على إبراهيم بن المهديّ وهو يشرب وجواريه يُغنِّين، فذكرنا إبراهيمَ الموصليّ وحذقه وتقدّمه، فأفضنا في ذلك وإبراهيمُ مُطْرِق، فلمّا طال كلامنا وقال كلّ واحد منا مثلَ ما قاله صاحبه، اندفع إبراهيم بن المهديّ يُغَنّي في شعر لابن سيابة يرثي به إبراهيمَ ـ ويقال: إن الأبيات لأبي الأسد ـ: [الوافر]

تَوَلَّى المَوْصِلِيُّ فقد تَوَلَّتْ ... بَشَاشَاتُ المَزَاهِرِ والقِيانِ[1]
وأيُّ بَشَاشَةٍ بَقِيَتْ فتَبْقَى ... حَيَاةُ المَوْصِلِيُّ على الزَّمَانِ
سَتَبْكِيهِ المَزَاهِرُ والمَلاَهي ... وتُسْعِدُهُنَّ عَاتِقَةُ الدِّنَانِ
وتَبْكِيهِ الغَوِيَّةُ إذْ تَوَلَّى ... ولا تَبْكِيهِ تَالِيَةُ القُرَانِ[2]

قال: فأَبْكَى مَنْ حَضَرَ؛ وقلتُ أنا في نفسي: أَفتَرَاهُ هو إذا مات من يبكيه: ألمحرابُ أم المصحف؟! قال: وكان كالشّامت بموته.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: قال أنشدني حَمّاد قال: أنشدني أبي لنفسه يرثي أباه، وأنشدها غير يحيى وفيها زيادة على روايته: [الطويل]

أقولُ له لَمّا وَقَفْتُ بِقَبْرِهِ ... عليكَ سَلاَمُ اللّه يا صَاحِبَ القَبْرِ

(١) المزاهر: جمع المزهر: العُود.
(٢) القُران: القرآن.

أَيَا قَبْرَ إبراهيمَ حُيِّيتَ حُفْرَةً ولا زِلْتَ تُسْقَى الغَيْثَ مِنْ سَبَلِ القَطْرِ[١]
لقد عَزَّنِي وَجْدِي عَلَيْكَ فلم يَدَعْ لِقَلْبِي نَصِيباً مِنْ عَزاءٍ ولاَ صَبْرِ[٢]
وقد كُنْتُ أَبْكي مِنْ فِراقِكَ لَيْلَةً فكيفَ وقد صارَ الفِراقُ إلى الحَشْرِ

أخبرني أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقّب بوَسْوَاسة قال: أنشدني حَمّاد لأبيه إسحاق يرثي أباه إبراهيم الموصليّ: [الطويل]

سَلاَمٌ على القَبْرِ الَّذي لا يُجِيبُنا وَنَحْنُ نُحَيِّي تُرْبَهُ ونُخاطِبُهْ
سَتَبْكِيهِ أَشْرَافُ المُلوكِ إذا رَأَوْا مَحَلَّ التَّصَابِي قد خَلاَ مِنه جَانِبُهْ
ويَبْكِيهِ أَهْلُ الظَّرْفِ طُرًّا كَمَا بَكَى عليهِ أميرُ المُؤْمِنينَ وحَاجِبُهْ
ولمّا بَدَا لي اليَأْسُ مِنهُ وأَنْزَفَتْ عيونُ بَوَاكِيهِ ومَلَّتْ نَوادِبُهْ
وصارَ شِفَاءُ النَّفْسِ مِنْ بَعْضِ مَا بِها إفَاضَةَ دمعٍ تَسْتَهِلُّ سَوَاكِبُهْ
جَعَلْتُ على عَيْنَيَّ لِلصُّبْحِ عَبْرَةً ولِلَّيْلِ أُخْرَى ما بَدَتْ لي كَوَاكِبُهْ

قال: وأنشدني أيضاً حَمّاد لأبيه يَرثي أباه: [الطويل]

عليكَ سَلامُ اللَّهِ مِنْ قَبْرِ فَاجِعٍ وجَادَكَ مِنْ نَوْءِ السِّمَاكَيْنِ وَابِلُ[٣]
هَلَ أَنْتَ مُحَيِّي القَبْرِ أَمْ أَنْتَ سَائِلُ وكيفَ تُحَيَّا تُرْبَةٌ وجَنادِلُ
أَظَلُّ كَأَنّي لم تُصِبْنِي مُصِيبَةٌ وفي الصَّدْرِ مِنْ وَجْدٍ عَليكَ بلابلُ[٤]
وهَوَّنَ عِنْدِي فَقْدَهُ أَنَّ شَخْصَهُ على كُلِّ حَالٍ بين عَيْنَيَّ مَاثِلُ

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدَّثني أبو أيوب المَدينيّ قال: أنشدني إبراهيم بن عليّ بنِ هشام لرجل يرثي إبراهيم الموصليّ: [الخفيف]

أَصْبَحَ اللَّهْوُ تحتَ عَفْرِ التُّرَابِ ثَاوِياً في مَحَلَّةِ الأَحبابِ
إذْ ثَوَى الموصليُّ فانْقرضَ اللَّهْـ ـوُ بخيرِ الإخوانِ والأَصْحَابِ
بَكَتِ المُسْمِعَاتُ حُزْناً عليْه وبَكَاهُ الهَوى وصَفْوُ الشَّرَابِ
وبَكَتْ آلَةُ المَجَالِسِ حَتَّى رَحِمَ العُودُ دَمْعَةَ المِضْرَابِ

---

(١) السَّبَل: ما سال من المطر.

(٢) عَزَّني: غلبني.

(٣) النَّوْء: سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر، وطلوع رقيبه من المشرق، يقابله من ساعته. والسِّماكان: كوكبان نيِّران: السِّماك الأعزل وهو من منازل القمر، والسِّماك الرامح.

(٤) البلابل: مفردها البلبال: شدة الهم والوسواس في الصدر.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثنا حَمّاد عن أبيه قال: دخلتُ إلى الرشيد بِعَقِبِ وفاة أبي، وذلك بعد شهر من يوم وفاته، فلمّا جلستُ ورأيتُ موضعه الذي كان يجلس فيه خالياً دَمَعتْ عيني، فكفَفتُها وتصبّرْتُ؛ ولمحني الرشيد فدعاني إليه وأدناني منه، فقبّلْتُ يدَه ورِجلَه والأرض بين يديه، فاستعبرَ، وكان رقيقاً؛ فوثبت قائماً ثم قلت: [الخفيف]

فـي بَـقَـاءِ الـخَـلِـيـفَـةِ الـمَـيْـمُـونِ ... خَـلَـفٌ مِـنْ مُـصِـيـبَـةِ الـمَـخْـزُونِ
لاَ يَـضِـيـرُ الـمُـصَـابَ رُزْءٌ إذا مـا ... كـان ذا مَـفْـزَعٍ إلـى هَـارونِ

فقال لي: كذاكَ والله هو، ولن تَفْقِدَ من أبيك ما دمتُ حيًّا إلا شخصَه؛ وأمر بإضافة رزقه إلى رزقي؛ فقلت: بل يأمر أميرُ المؤمنين به إلى ولده، ففي خدمتي إياه ما يُغْنِيني؛ فقال: آجعلوا رزق إبراهيم لولده وأَضْعِفوا رزق إسحاق.

من المائة المختارة

صوت [المنسرح]

يـا دارَ سُـعْـدَى بِـالـجَـزْعِ مـنْ مَـلَـلِ ... حُـيِّـيـتِ مِـنْ دِمْـنَـةٍ ومِـنْ طَـلَـلِ[1]
إنِّـي إذا مـا الـبَـخِـيـلُ أَمَّـنَـهـا ... بَـاتَـتْ ضَـمُـوزاً مِـنِّـي عـلـى وَجَـلِ
لا أُمـتِـعُ الـعُـوذَ بِـالـفِـصـالِ ولا ... أَبْـتَـاعُ إلاّ قَـرِيـبَـةَ الأَجَـلِ

العُوذُ: الإبل التي قد نَتُجَتْ، واحدتها عائذ. يقول: أَنْحَرُها وأولادَها للأضياف فلا أُمْتِعها. والضَّمُوز: الممسكة عن أن تَجْتَرّ، ضَمز الجملُ بِجِرَّته إذا أمسكَ عنها، ودَسَع بها إذا استعملها. يقول: فهذه الناقة من شدّة خوفها على نفسها مما رأت من نَحْرِ نظائرها قد آمتنعتْ من جِرّتها فهي ضامِزَةٌ.

الشعر لابن هَرْمة، والغناء في اللّحن المختار لمَرْزوق الصراف ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، ويقال إنه ليحيى بن واصِل، وذكر عمرو بن بَانة أنّ فيه لدَحْمانَ لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر، وأن فيه لابن مُحْرز لحناً من الثقيل الثاني بالبنصر في الثالث ثم الثاني، ووافقه آبن المكّي. قال: وفيه

(١) الجَزع: منعطف الوادي ووسطه أو منقطعه. ومَلَل: منزل على طريق المدينة إلى مكة (معجم البلدان ٥: ١٩٤) والدِّمنة: آثار الناس وما سَوَّدوا.

لدَحْمَانَ خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى في الأول والثالث؛ وذكر الهِشَاميّ أنّ هذا اللحن بعينه ليونس وأن الثقيل الثاني لإبراهيم، وأنّ لمَعْبد فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى، وأن فيه للهُذَليّ خفيفَ ثقيل، وأن فيه رَمَلاً ينسب إلى ٱبن مُحْرِز أيضاً.

شيء من ذكر ٱبن هَرمَة أيضاً

[٩٠ ـ ١٧٦ هـ/٧٠٩ ـ ٧٩٢ م]

أخبرني الحَرَمي بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حَدّثنا عبد الرّحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهْرِيّ ونَوْفل بن مَيْمون عن يحيى بن عُرْوة بن أُذَينة قال: خرجتُ في حاجة لي، فلمّا كنت بالسَّيَالة[1] وقفت على منزل إبراهيم بن عليّ بن هَرْمة، فصِحْتُ: يا أبا إسحاق، فأجابتني ٱبنتُه: من هذا؟ فقلت: ٱنظُري، فخرجتْ إليّ فقلت: أَعلمي أبا إسحاق؛ فقالت: خرج والله آنفاً؛ قال: فقلت: هل من قِرىً؟ فإنّي مُقْوٍ[2] من الزَّادِ؛ قالت: لا والله، ما صادفتَه حاضراً؛ قلت: فأين قولُ أبيك: [المنسرح]

لا أُمْتِعُ العُوذَ بالفِصَالِ ولا أَبْتَاعُ إلاّ قَرِيبَةَ الأَجَلِ

قالت: بذاكَ والله أفناها ـ أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَبَايَةَ بمثل هذا الخبر سواء، وزاد فيه: ـ قال: فأخبرت إبراهيم بن هَرْمة بقولها، فضمّها إليه وقال: بأبي أنت وأمي! أنت والله ابنتي حقاً، الدارُ والمَزْرعةُ لك.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حَدَّثني نَوْفل بن ميمون قال: حَدّثني مُرَقَّع قال: كنتُ مع ٱبن هَرْمة في سَقيفة أمّ أُذَيْنَة، فجاءه راع بقطعة من غنم يشاوره فيما يبيع منها، وكان قد أمره ببيع بعضها؛ قال مُرَقَّع: فقلت: يا أبا إسحاق، أين عَزَبَ عنكَ قولك: [المنسرح]

لا غَنَمِي مُدٌّ في الحياةِ لها إلاّ لِدَرْكِ القِرَى ولا إبِلي

(١) السَّيَالة: هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة (معجم البلدان ٣: ٢٩٢).

(٢) مُقوٍ من الزّاد: قد فَنِيَ زاده وانتهى.

وقولُك فيها أيضاً:

لا أُمْتِعُ العُوذَ بالفِصالِ ولا أَبْتاعُ إلا قَرِيبةَ الأَجَلِ

فقال لي: ما لكَ أخزاكَ الله! مَنْ أخذ منها شيئاً فهو له؛ فٱنتهبناها حتى وقف الراعي وما معه منها شيء.

وحَدَّثنا بهذا الخبر أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال: حَدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ عن أبيه: أنَّ ٱبن هَرْمَةَ كان اشترى غنماً للربح، فلَقِيَهُ رجلٌ فقال له: ألستَ القائل:

لا غَنَمِي مُدَّ في الحياةِ لها إلاَّ لِدَرْكِ القِرَى ولا إبلي

قال: نعم؛ قال: فوالله إنّي لأَحْسَبُكَ تدفع عن هذه الغنم المكروهَ بنفسك، وإنك لكاذب؛ فأحفظه ذلك فصاح: من أخذ منها شيئاً فهو له؛ فٱنتهبها الناس جميعاً؛ وكان ابنُ هَرْمة أحدَ البخلاء.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثني الزُّبَير بن بَكّار قال: حَدّثني نوفل بن ميمون قال: حَدّثني زُفَر بن محمد الفِهْري: أن هذه القصيدة أولُ شعر قاله ٱبن هرمة.

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال: قرأت على أبي: حدّثنا عبد الله بن الوَليد الأَزْدِيّ قال: حَدّثني جعفر بن محمد بن زيد بن عليّ بن الحسين قال: سمع مزبد قول ٱبن هَرْمة:

لا أُمْتِعُ العُوذَ بالفِصَالِ ولا أَبْتَاعُ إلاّ قَرِيبةَ الأَجَلِ

قال: صدَق ٱبن الخبيثة، إنّما كان يَشتري الشَّاةَ لِلأَضْحَى فيَذْبحها من ساعته.

أخبرنا وَكِيع قال: حَدّثنا حَمّاد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن محمد بن زيد عن أبيه قال: اجتمع قوم من قريش أنا فيهم، فأَحببْنا أن نأتي ٱبنَ هَرَمة فنعبَثَ به، فتزوّدنا زاداً كثيراً ثم أتيناه لنقيم عنده، فلما ٱنتهينا إليه خرج إلينا فقال: ما جاء بكم؟ فقلنا: سمعنا شعرك فدعانا إليك لما سمعناك قلت: [الكامل]

إنّ ٱمْرَأً جَعَلَ الطَّرِيقَ لِبَيْتِهِ طُنُباً وأنكَرَ حَقَّهُ لَلَئِيمُ[1]

وسَمِعناك تقول: [الكامل]

وإذا تَنَوَّرَ طَارِقٌ مُسْتَنْبِحٌ نَبَحَتْ فَدَلَّتْهُ عَلَيَّ كِلابِي

---

(١) الطُّنُب: حبل يُشَدّ به البيت والسّرادق. وقد يستعار للبيت والناحية.

وعَـوَيْـنَ يَسْـتَـعْـجِـلْـنَـهُ فَـلَـقِـيـنَـهُ ... يَـضْـرِبْـنَـهُ بِـشَـرَاشِـرِ الأَذْنَـابِ[1]

وسمعناك تقول: [المنسرح]

كَـمْ نَـاقَـةٍ وَجَـأْتُ مَـنْـحَـرَهَـا ... بِـمُـسْـتَـهَـلِّ الشُّـؤْبُـوبِ أَوْ جَـمَـلِ[2]

لا أُمْـتِـعُ الـعُـوذَ بِـالـفِـصَـالِ ولا ... أَبْـتَـاعُ إلاَّ قَـرِيـبَـةَ الأَجَـلِ

قال: فنَظَرَ إلينا طويلاً ثم قال: ما على وجه الأرض عصابةٌ أضعفُ عقولاً ولا أسخفُ دِيناً منكم؛ فقلنا له: يا عدوَّ الله يا دَعِيّ، أتيناك زائرين وتُسْمِعُنا هذا الكلام!؛ فقال: أمَا سمعتم الله تعالى يقول للشّعراء: ﴿**وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ**﴾[3] أفَيُخْبِركم الله أنّي أقول ما لا أفعلُ وتريدون منّي أن أفعلَ ما أقول!؛ قال فضحِكنا منه وأخرجناه معنا، فأقام عندنا في نزهتنا يَشْرَكُنا في زادنا حتى ٱنصرفنا إلى المدينة.

أخبرنا عمّي قال: حَدّثني محمّد بن سعيد الكُرَانيّ عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال: الحَكَمُ الخُضْريّ، وٱبن مَيادة، ورُؤْبة، وٱبن هَرْمة، وطُفَيل الكِنانيّ، ومَكين العُذْريّ، كانوا على ساقة[4] الشعراء، وتقدّمهم ٱبن هَرْمة بقوله:

لا أُمْـتِـعُ الـعُـوذَ بِـالـفِـصَـالِ ولا ... أَبْـتَـاعُ إلاَّ قَـرِيـبَـةَ الأجَـلِ

قال عبد الرحمن: وكان عَمّي مُعْجَباً بهذا البيت مُستحسِناً له، وكان كثيراً ما يقول: أمَا تَرَوْن كيف قال! والله لو قال هذا حاتم لما زاد ولكان كثيراً؛ ثم يقول: ما يؤخِّره عن الفحول إلا قُرْبُ عهده. انتهى.

أخبرني محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى ووَكِيع عن حَمّاد عن أبيه قال: قلت لمروان بن أبي حَفْصة: مَنْ أشعر المُحْدَثين من طبقتكم عندك؟ لا أَعْنيك؛ قال: الذي يقول: [المنسرح]

لا أُمْـتِـعُ الـعُـوذَ بِـالـفـصَـالِ ولا ... أبـتَـاعُ إلا قـريـبـةَ الأجَـلِ

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ عن أبي حُذَافة قال: لمّا قال ٱبن هرْمة:

---

(١) شراشر الأذناب: أطرافها.

(٢) وجأه: ضربه بالسكين أو نحوه. والشؤبوب: شدّة الدفع.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٢٢٦.

(٤) السّاقة: المؤخّرة.

لا أُمْتِعُ العوذَ بالفِصالِ ولا أبتاعُ إلاّ قريبةَ الأجلِ

قال ٱبن الكَوْسَج مولى آل حُنَين يجيبه: [المنسرح]

ما يَشْرَبُ البارِدَ القَراحَ ولا يَذْبَحُ مِنْ جَفْرَةٍ ولا حَمَلِ[1]
كأنَّهُ قِرْدَةٌ يُلاعِبُها قِرْدٌ بأعلَى الهِضَابِ مِنْ مَلَلِ

قال: فقال ٱبن هَرْمة: لَئِنْ لم أُوتَ به مربوطاً لأفعلنّ بآل حُنَين ولأفعلنّ؛ فوهبوا لابن الكَوْسج مائة درهم وربطوه وأتَوْا به ٱبن هَرْمة فأطلقه؛ فقال ٱبن الكوسج: والله لئن عاد لمثلها لأعودنّ.

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال: حَدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال: حَدّثني هارون بن مُخَارِق عن أبيه قال: كنّا عند الرشيد في بعض أيامنا ومعنا ٱبن جامع، فغنّاه ٱبن جامع ونحن يومئذ بِالرَّقّة: [الخفيف]

هَاجَ شَوْقاً فِراقُكَ الأَحْبَابَا فَتَنَاسَيْتَ أو نَسِيتَ الرَّبَابا
حين صَاحَ الغُرَابُ بِالبَيْنِ منهم فتَصَامَمْتَ إذ سَمِعْتَ الغُرَابا
لو عَلِمْنَا أَنَّ الفِراقَ وَشِيكٌ ما ٱنتَهَيْنا حَتَّى نَزُورَ القِبَابا
أو عَلِمْنَا حينَ ٱسْتَقَلَّتْ نَوَاهُمْ ما أَقَمْنَا حَتَّى نَزُمَّ الرِّكَابا[2]

ـ الغناء لابن جامع رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضاً ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو، وذكرتْ دَنَانِيرُ عن فُلَيح أنّ فيه لابن سريج وٱبن مُحْرِز لحَنيْن ـ. قال: فٱستحسنه الرشيد وأعجبَ به وٱستعاده مراراً وشرِب عليه أرطالاً حتى سَكِرَ؛ وما سَمعَ غيره ولا أقبل على أحد، وأمر لابن جامع بخمسة آلاف دينار؛ فلمّا ٱنصرفنا قال لي إبراهيم: لا تَرُمْ[3] منزلَك حتى أصيرَ إليك؛ فصرت إلى منزلي، فلم أُغَيِّرْ ثيابي حتى أعلمني الغلام بموافاته، فتلقَّيْتُه في دِهْليزي، فدخل وجلس وأجلسني بين يديه ثم قال لي: يا مُخَارِق، أنت فَسِيلةٌ[4] منّي وحَسَني لك وقبيحي عليك، ومتى تركنا ٱبنَ جامع على ما ترى غَلَبَنا على الرّشيد، وقد صنعتُ صوتاً على طريقة صوته الذي غنّاه أحسنَ صنعةً منه وأجود

(١) الجفرة: من أولاد الشاء إذا عظم واستكرش.
(٢) زَمَّ الرِّكاب: خطمه ووضع فيه الزّمام.
(٣) لا تَرُم منزلَكَ: لا تبرحْهُ.
(٤) الفسيلة: النخلة الصغيرة التي تقلع من الأرض أو من النخلة الأم وتُغْرَس في مكان آخر.

وأشجى، وإنما يَغلبني عند هذا الرجل بصوته، ولا مَطْعَنَ على صوتك، وإذا أطربتَه وغلبتَه عليه بما تأخذه مني قام ذلك لي مقام الظَّفَر؛ وسيُصبح أمير المؤمنين غداً فيدخل الحمام ونحضُرُ ثم يخرج فيدعو بالطعام ويدعو بنا ويأمر ٱبنَ جامع فيردّ الصوت الذي غَنَّاه ويشرب عليه رِطلاً ويأمر له بجائزة، فإذا فعل فلا تنتظره أكثر من أن يردّ رَدّته حتى تُغَني ما أُعَلِّمك إياه الساعةَ، فإنّه يُقْبِلُ عليك ويَصِلُكَ، ولستُ أُبالي أَلاَّ يصلني بعد أن يكون إقبالُه عليك؛ فقلت: السَّمع والطَّاعة؛ فألقى عليّ لحنَه:

* يـا دارَ سُـعْـدَى بِـالـجِـزْعِ مِـنْ مَـلَـلِ *

وردّده حتى أخذتُه وٱنصرف؛ ثم بكّر عليّ فٱستعاد الصوت فَرَدَّدْتُه حتى رَضِيَه، ثم ركبنا وأنا أدرسه حتى صِرْنا إلى دار الرشيد؛ فلمّا دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئاً فشيئاً، وكان إبراهيم أعلمَ الناس به، ثم أمر ٱبنَ جامع فردّ الصوت ودعا برِطل فشربه، ولما ٱستوفاه واستوفى ٱبن جامع صوتَه لم أَدَعْه يتنفّس حتى ٱندفعتُ فغنّيت صوتَ إبراهيم، فلم يَزَلْ يُصغي إليه وهو باهتٌ حتى استوفيتُه؛ فشرب وقال: أحسنتَ والله! لمن هذا الصوت؟ فقلت: لإبراهيم؛ فلم يزل يستدنيني حتى صِرتُ قُدّامَ سريره، وجعل يستعيد الصّوت فأُعيده ويشرب عليه رِطلاً، فأمر لإبراهيم بجائزة سنيّة وأمر لي بمثلها؛ وجعل ٱبنُ جامع يَشْغَب[1] ويقول: يَجِيءُ بالغناء فيَدُسّه في أَسْتاه الصّبيان! إن كان محسناً فليُغنّه هو، والرشيد يقول له: دَعْ ذا عنكَ، فقد والله ٱستفاد منك وزاد عليك.

صوت

من المائة المختارة

[المتقارب]

تَـولَّـى شَـبَـابُـكَ إلاَّ قَـلِـيـلاَ	وحَـلَّ الـمَـشِـيـبُ فَـصَـبْـراً جَـمِـيـلاَ
كَـفَـى حَـزَنـاً بِـفِـرَاقِ الـصِّـبَـا	وإنْ أَصْـبَـحَ الـشَّـيْـبُ مِـنْـهُ بَـدِيـلاَ

الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه المختار ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاقَ بن عمرو.

(١) يشغَبُ: يهيّج الشرّ.

أخبار إسحاقَ بنِ إبراهيم

[١٥٥ ـ ٢٣٥ هـ/٧٧٢ ـ ٨٥٠ م]

[نسبه ومشايخه الذين تلقى عنهم]

قد مضى نسبه مَشروحاً في نسب أبيه؛ ويُكْنَى أبا محمد، وكان الرشيد يُولَع به فَيكْنِيه أبا صَفْوان، وهذه كُنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعب مَزْحاً. وموضعُه من العِلم، ومكانُه من الأدب، ومحلّه من الرواية، وتقدُّمه في الشعر، ومنزلته في سائر المحاسن، أشهرُ من أن يُدَلّ عليه فيها بوصف؛ وأما الغناء فكان أصغرَ علومه وأدنى ما يُوسم به وإن كان الغالبَ عليه وعلى ما كان يُحسنه؛ فإنه كان له في سائر أَدَوَاته نُظَراءُ وأكفاء ولم يكن له في هذا نظير؛ فإنه لَحِقَ بمن مضى فيه وسبَقَ مَنْ بَقِيَ، ولَحَبَ[1] للناس جميعاً طريقَه فأوضحها، وسهّلَ عليهم سبيلَه وأنارها؛ فهو إمامُ أهل صناعته جميعاً، ورأسهم ومعلّمهم؛ يَعْرِف ذلك منه الخاصّ والعامّ، ويشهد به الموافق والمفارق؛ على أنه كان أكرهَ الناس للغناء وأشدَّهم بغضاً لأن يُدعى إليه أو يُسمّى به. وكان يقول: لَوَدِدْتُ أن أُضرب، كلما أراد مريدٌ مني أن أُغنِّي وكلما قال قائل إسحاق الموصلي المغنِّي، عشرَ مَقارع، لا أُطِيق أكثرَ من ذلك، وأُعْفَى من الغناء ولا ينسُبني من يذكرني إليه. وكان المأمونِ يقول: لولا ما سَبق على ألسنة الناس وشُهِر به عندهم من الغناء لولّيتُه القضاءَ بحضرتي، فإنه أولى به وأعفُّ وأصدق وأكثر دِيناً وأمانةً من هؤلاء القضاة.

وقد روى الحديثَ ولَقِيَ أهلَه: مثل مالِك بن أنس، وسفيانِ بن عُيَيْنة، وهُشَيم بن بَشِير، وإبراهيمَ بن سَعْد، وأبي معاوية الضَّرير، ورَوْح بن عُبادة،

(١) لَحَبَ الطريق: أوضحه.

وغيرِهم من شيوخ العراق والحجاز. وكان مع كراهته الغناءَ أضنَّ خلق الله وأشدَّهم بُخْلاً به على كل أحد حتى على جواريه وغِلْمانه ومَنْ يأخذ عنه مُنتسباً إليه مُتَعَصّباً له فضلاً عن غيرهم. وهو الذي صحّح أجناس الغناء وطرائقَه وميّزه تمييزاً لم يقدِرْ عليه أحدٌ قبله ولا تعلّق به أحد بعده، ولم يكن قديماً مميَّزاً على هذا الجنس، إنما كان يقال الثقيل، وثقيل الثقيل، والخفيف، وخفيف الخفيف. وهذا عمرو بن بانة، وهو من تلاميذه، يقول في كتابه: الرمل الأوّل، والرمل الثاني؛ ثم لا يزيد في ذكر الأصابع على الوسطى والبنصر، ولا يعرف المجاري التي ذكرها إسحاق في كتابه، مثلَ ما ميّز الأجناس، فجعل الثقيل الأوّل أصنافاً، فبدأ فيه بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها، ثم بما كان بالسبّابة في مجرى البنصر، ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة؛ ثم جعل الثقيل الأوّل صنفين، الصنف الأوّل منهما هذا الذي ذكرناه، والصنف الثاني القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل، وأجراه المجرى الذي تقدّم من تمييز الأصابع والمجاري، وألحق جميعَ الطرائق والأجناس بذلك وأجراها على هذا الترتيب. ثم لم يتعلّق بفهم ذلك أحدٌ بعده فضلاً عن أن يُصنّفه في كتابه؛ فقد ألف جماعةٌ من المغنّين كتباً، منهم يحيى المكّي ـ وكان شيخَ الجماعة وأستاذهم، وكلُّهم كان يفتقر إليه ويأخذ عنه غناء الحجاز، وله صنعةٌ كثيرة حسنة متقدّمة، وقد كان إبراهيم الموصليّ وابن جامع يضطران إلى الأخذ عنه ـ ألّف كتاباً جمع فيه الغناء القديم، وألحق فيه ابنهُ الغناء المُحدَث إلى آخر أيّامه، فأتَيا فيه في أمر الأصابع بتخليط عظيم، حتى جعلا أكثر ما جنّساه من ذلك مختلطاً فاسداً، وجعلا بعضه، فيما زعما، تشترك الأصابع كلّها فيه؛ وهذا محال؛ ولو اشتركت الأصابع لَمَا احْتِيجَ إلى تمييز الأغاني وتصييرها مقسومةً على صِنفين: الوسطى والبنصر والكلام في هذا طويل ليس موضعه ها هنا؛ وقد ذكرته في رسالة عمِلتُها لبعض إخواني ممن سألني شرحَ هذا، فأثبتّه وأستقصيتُه استقصاءً يُستغنَى به عن غيره. وهذا كله فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه، حتى أتى على كل ما رَسَمَتْهُ الأوائلُ مثل إقْلِيدس ومَنْ قبلَه ومَنْ بعده من أهل العلم بالموسيقى، ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد أفنَوْا فيه الدهورَ، من غير أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه.

فأخبرني جعفر بن قُدَامة قال: حدّثني عليّ بن يحيى المنجم قال: كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب، فسأل إسحاقَ الموصليّ ـ أو سأله محمد بن

الحسن بن مُصعب ـ بحضرتي، فقال له: يا أبا محمد، أرأيتَ لو أنّ الناس جعلوا للعود وتراً خامساً للنغمة الحادّة التي هي العاشرة على مذهبك، أين كنت تخرج منه؟ فبَقِيَ إسحاق واجماً ساعةً طويلةً مفكراً، وآحمرّتْ أُذناه وكانتا عظيمتين، وكان إذا ورد عليه مثل هذا آحمرّتا وكثُر وَلُوعه بهما؛ فقال لمحمد بن الحسن: الجواب في هذا لا يكون كلاماً إنما يكون بالضرب، فإن كنتَ تضرب أريتُك أين تخرج!؛ فخَجِل وسكت عنه مُغْضَباً، لأنه كان أميراً وقابله من الجواب بما لا يَحْسُن، فحلم عنه، قال عليّ بن يحيى: فصار إليّ به وقال لي: يا أبا الحسن، إنّ هذا الرجل سألني عما سمعتَ، ولم يبلُغ علمُه أن يستنبط مثلَه بقريحته، وإنما هو شيء قرأه من كتب الأوائل، وقد بلغني أنّ التراجمة عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقى، فإذا خرج إليك منها شيء فأعطِنيه؛ فوعدته بذلك، ومات قبل أن يخرج إليه شيء منها. وإنما ذكرتُ هذا بتمام أخباره كلّها ومحاسنه وفضائله، لأنه من أعجب شيء يُؤْثَر عنه: أنه آستخرج بطبعه عِلماً رَسَمَتْهُ الأوائل لا يُوصَلُ إلى معرفته إلا بعد علم كتاب إقليدس الأوّل في الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقى، ثم تعلّم ذلك وتوصّل إليه وآستنبطه بقريحته، فوافق ما رسمه أولئك، ولم يَشِذَّ عنه شيء يحتاج إليه منه، وهو لم يقرأْهُ ولا له مدخلٌ إليه ولا عَرفه، ثم تبيَّنَ بعد هذا، بما أذكره من أخباره ومعجزاته في صناعته، فضلَه على أهلها كلِّهم وتَمَيُّزه عنهم، وكونَه سماءً هم أرضُها، وبحراً هم جَدَاوله.

وأمّ إسحاق آمرأة من أهل الرَّيّ يقال لها شاهك؛ وذكر قوم أنها دُوشَار التي كانت تُغنّي بالدُّفّ، فهَوِيَها إبراهيم وتزوجها، وهذا خطأ، تلك لم تلد من إبراهيم إلا بنتاً، وإسحاقُ وسائرُ ولد إبراهيم من شاهكَ هذه.

برنامجه اليومي وأساتذته

أخبرني يحيى بن عليّ المنجم قال: أخبرني أبي عن إسحاق قال: بقيتُ دهراً من دهري أُغَلِّسُ[١] في كلِّ يوم إلى هُشَيم فأسمع منه، ثم أصير إلى الكِسائيّ أو الفَرّاء أو آبن غَزَالة فأقرأ عليه جزءاً من القرآن، ثم آتي منصورَ زلزل فيضاربني طَرقَيْنِ[٢] أو ثلاثة، ثم آتِي عاتكةَ بنت شُهْدَة فآخذ منها صوتاً أو صوتين، ثم آتي

(١) أُغَلِّس: أذهب وقت الغلس وهو ظلمة آخر الليل.
(٢) الطَّرْق: نغمة أو صوت بالعود أو غيره.

الأصمعيّ وأبا عُبَيدة فأُناشدهما وأُحدّثهما فأستفيد منهما، ثم أصير إلى أبي فأُعْلِمُهُ ما صنعتُ ومَنْ لَقِيتُ وما أخذتُ وأتغدّى معه، فإذا كان العشاء رُحْتُ إلى أمير المؤمنين الرَّشيدِ.

أخبرنا محمد بن مَزْيد بن أبي الأزْهر قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أخَذَ منّي منصورٌ زلزل إلى أن تعلّمتُ مثْلَ ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم.

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: حَدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمة قال: كنت عند ابن عائشة فجاءه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، فَرَحَّبَ به وقال: ها هنا يا أبا محمد إلى جَنْبي، فلئن بَعُدَتْ بيننا الأنسابُ، لقد قَرَّبَتْ بيننا الآداب.

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال: حَدّثنا يَزيد بن محمد المهلَّبيّ قال: حَدَّثنا ابن شَبِيب من جلساء المأمون عنه: أَنَّهُ قال يوماً وإسحاق غائبٌ عن مجلسه: لولا ما سَبَقَ على ألسِنة النَّاس واشتهر به عندهم من الغناء لَوَلَّيتُه القضاء، فما أعرف مثلَه ثقةً وصدقاً وعفةً وفقهاً. هذا مع تحصيل المأمون وعقلِه ومعرفتِه.

أخبرنا يحيى بن علي قال: حدّثنا إلفَضْل بن العبّاس الورّاق قال: حَدّثنا المُخرّميّ عن أبيه قال: سَمِعْتُ إسحاق الموصليّ يقول: صِرْتُ إلى سُفيان بن عُيَيْنَة لأسمعَ منه، فتعذَّرَ ذلك عليّ وصعُبَ مَرَامُهُ[1]، فرأيته عند الفضل بن الرَّبيع، فسألتُه أن يُعَرِّفَهُ موضعي من عنايته ومكاني من الأدب والطَّلب وأن يتقدَّمَ إليه بحديثي؛ ففعل وأوصاه بي فقال: إنّ أبا محمد من أهل العلم وحَمَلَتِه. قال: فقلت: تَفرِضُ لي عليه ما يحدّثني به؛ فسأله في ذلك، ففرَضَ لي خمسةَ عشرَ حديثاً في كل مجلس؛ فصِرتُ إليه فحدَّثَني بما فرضَ لي؛ فقلت له: أعزَّكَ الله، صحيح كما حدّثْتَني به؟ قال: نعم، وعقَد بيده شيئاً؛ قلت: أفأَرْويه عنك؟ قال: نعم، وعقَد بيده شيئاً آخر، ثم قال: هذه خمسة وأربعون حديثاً، وضحك إليّ وقال: قد سَرَّني ما رأيتُ من تَقَصِّيكَ في الحديث وتشدُّدك فيه على نفسك، فصِرْ إليّ متى شئتَ حتى أحدّثك بما شئتَ.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدّثني الحسين بن يحيى أبو الجُمَان

---

(١) المَرَام: المطلب.

وعَوْن بن محمد الكنْديّ قالا: سَمِعْنا إسحاق الموصليّ يقول: جِئْتُ يوماً إلى أبي معاوية الضَّرير ومعي مائة حديث، فوجدتُ حاجبَه يومئذٍ رجلاً ضريراً؛ فقال لي: إنّ أبا معاوية قد ولأني اليوم حِجْبتَه لِينفعني؛ فقلت: معي مائةُ حديث وقد جعَلتُ لك مائة درهم إذا قرأتُها؛ فدخل وآستأذنَ لي فدخلتُ؛ فلما عرَفني أبو معاوية دعاه فقال له: أخطأتَ، وإنما جعلت لكَ مثلَ هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأمّا أبو محمد وأمثاله فلا؛ ثم أقبل عليّ يُرَغِّبُني في الإحسان إليه ويذكر ضعفَه وعنايتَه به؛ فقلتُ له: آحتكِمْ في أمره، فقال: مائة دينار؛ فأمرتُ بإحضارها الغلامَ، وقرأتُ عليه ما أردتُ وآنصرفت.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال: حَدّثني عليّ بن محمد الأسَديّ قال: حَدّثني أحمد بن يحيى الشَّيْباني ثَعْلَب قال: وقف أبو عبد الله بن الأعرابيّ على المَدَائنيّ، فقال له: إلى أين يا أبا عبد الله؟ فقال: أَمْضِي إلى رجلٍ هو كما قال الشّاعر: [المنسرح]

نَحْمِلُ أَشْبَاحَنا إلى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ ومِنْ أَدَبِهْ

فقال له: ومَنْ ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ.

قال أبو بكر: والبيت لأبي تَمّام الطائيّ.

وقد أخبرني بهذا الخبر عن ثَعْلَب محمد بن القاسم الأنباريّ فقال فيه: كان إسحاقُ يُجْرِي على آبن الأعرابيّ في كلّ سنة ثلاثمائة دينار. وأَهْدى له ابن الأعرابيّ شيئاً من كتاب النَّوادر كتبه له بِخطّه؛ فمرّ آبنُ الأعرابيّ يوماً على باب دار الموصليّ ومعه صديق له؛ فقال له صديقه: هذه دار صديقك أبي محمد إسحاق؛ فقال: هذه دارُ الَّذي نأخذُ من ماله ومن أدبه.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا يزيد بن محمد المُهلَّبيّ قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: رأيتُ في منامي كأنّ جريراً جالس يُنشدُ شِعْرَه وأنا أسمع منه، فلمّا فَرغ أخذ بيده كُبّة شَعر فألقاها في فمي فابتلعتها؛ فأوّلَ ذلك بعضُ من ذكرتُه له أنّه ورّثني الشعرَ. قال يزيد بن محمد: وكذلك كان، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا: حَدّثنا حَمّاد بن

إسحاق قال: قال لي أبي: أعطيتُ منصوراً زَلْزلاً من مالي خاصّة حتّى تعلمتُ ضَرْبَه بِالعود نحواً من مائة ألف درهم سوى ما أخذْتُه له من الخلفاء ومن أبي. قال: وكانت في زلزل قبل أن يعرفَ الصَّوْتَ ويَفهَمَه بلادةٌ أوّلَ ما يسمعه، حتى لو ضَرَبَ هو وغلامه على صوت لم يعرفاه قبلُ لكانَ غلامه أقوى منه؛ فإذا تَفَهَّمه جاء فيه من الضَّرْب بما لا يتعلّق به أحد البتّة.

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: حَدّثني عَمّي الفضل عن إسحاق وأخبرني به الأَخْفَش عن الفضل عن إسحاق، وأخبرني به يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق، وأخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا يزيد بن محمد المُهلَّبيّ عن إسحاق قال: قال لي أبو زِيَاد الكِلابيّ: أَوْلَمَ جارٌ لي يُكْنَى أبا سُفيان وليمةً ودعاني لها، فأنتظرتُ رسوله حتى تَصَرَّمَ يومي فلم يأتِ، فقلت لامرأتي: [الطويل]

إنّ أبَـا سُـفْـيَـانَ لـيـسَ بِـمُـولِـمٍ ... فَقُومِي فَهَاتِي فِلْقَةً مِنْ حُوَارِكِ[1]

قال إسحاق: فقلت له: أليس غيرُ هذا؟ فقال: لا، إنّما أرسلتُه يتيماً؛ فقلت: أفلا أُجيزه؟ قال: شأنَك؛ فقلت له: [الطويل]

فَبَيْتُكِ خَيْرٌ مِنْ بُيوتٍ كثيرةٍ ... وقِدْرُكِ خَيْرٌ من وَليمةِ جَارِكِ

قال: فضحك ثم قال: أحسنتَ بأبي أنت وأمي، جِئْتَ والله به قَبَلاً[2] ما أنتظرْتَ به القَرَبَ[3]، وما أَلُوم الخليفةَ أن يجعلك في سُمّاره ويتملَّح بك، وإنك لمن طِرازٍ ما رأيتُ بالعراق مثلَه، ولو كان الشّباب يُشْتَرَى لأَبتعتُه لك بإحدى عَيْنَيَّ ويُمْنَى يَدَيَّ، وعلى أنَّ فيكَ بحمدِ الله ومَنِّهِ بَقِيَّةً تسرُّ الوَدود، وتُرْغِمُ الحَسُود؛ هذا لفظ يزيد المُهلَّبيّ والأخفش. وأخبرني بهذا الخبر محمد بن عبد الله بن عَمّار فقال: حَدّثني عمر بن شَبّة قال: حَدّثني إسحاق قال: قال لي إمّا شَدّاد بن عُقْبة وإمّا أبو مُجيب: قالت أمرأةُ القَتّال الكلابيّ له: هل لكَ في فِلْقةٍ من حُوارٍ نَطْبُخها لك؟

فقال: لا والله، نحن على وليمة أبي سُفْيان ودَعْوَتِه، وكان أبو سفيان رجلاً

---

(١) الفِلقة: القطعة. والحُوَار: ولد الناقة من حين يوضَع إلى أن يُفْطَم ويُفصل.

(٢) القَبَل: الارتجال في الكلام أو الشعر.

(٣) القَرَب: أن يكون بين القوم وبين الماء ليلة أو عشية فيعجلون بإبلهم ويسوقونها إليه سوقاً شديداً. وهو يريد أن جاء بالشعر عفو الخاطر وليس بالتعب والتفكير الطويل.

من الحَيّ زُفَّتْ إليه امرأتُه تلك اللّيلةَ؛ فجعل يَنظر دُخاناً فلا يراه، فقال:

إنّ أبا سفيانَ لَيْسَ بِمُولِمِ فَقُومي فَهَاتي فِلْقَةً من حُوارِكْ

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدّم من الذي قبله.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدّثني أبي قال: حَدّثني إسحاق قال: أنشدتُ أعرابيًّا فَهِماً شِعراً لي، فقال: أَقْفَرْتَ والله يا أبا محمد؛ قلتُ: وما أقفرت؟ قال: رَعَيْتَ قَفْرَةً لم تُرْعَ قَبْلَكَ. (يريد: أبْدَعْتَ).

[نباهته في الغناء]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش وعَمّي قالا: حَدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال: حَدّثني بعض أصحاب السّلطان بمدينة السّلام قال: سَمِعْتُ إسحاق الموصليّ يقول: دخلتُ على المأمون يوماً وعَقِيدٌ يُغَنِّيه ٱرتجالاً وغيرُه يضرب عليه؛ فقال: يا إسحاق، كيف تَسمع مُغَنِّينا هذا؟ فقلتُ: هل سأل أمير المؤمنين عن هذا غيري؟ قال: نعم، سألت عمّي إبراهيم فوصفه وقَرَّظه وٱستحسنه؛ فقلتُ له: يا أمير المؤمنين ـ أدامَ اللهُ سرورَكَ، وأطاب عيشك ـ إنّ الناس قد أكثروا في أمري حتى نَسَبَتْني فرقةٌ إلى التَّزَيُّدِ في عِلمي؛ فقال لي: فلا يمنعك ذلك من قول الحقّ إذا لَزِمَكَ؛ فقلت لِعَقيد: أُردُد هذا الصّوت الذي غنّيته آنفاً، وتَحَفَّظْ فيه وضرَبَ ضَارِبُه عليه؛ فقلت لإبراهيم بن المهديّ: كيف رأيته؟ فقال: ما رأيتُ شيئاً يُكْرَهُ ولا سَمِعْتُه؛ فأقبلتُ على عَقيد فقلت له حين ٱستوفاه: في أيِّ طريقةٍ هذا الصَّوتُ الذي غَنَّيتَه؟ قال: في الرَّمَل؛ فقلت للضارب: في أي طريقةٍ ضَرَبْتَ أنتَ؟ قال: في الهَزَج الثقيل؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما عسَيْتُ أن أقول في صوت يغنِّي مغنِّيه رَمَلاً ويضرب ضاربُه هَزَجاً، وليس هو صحيحاً في إيقاعه الذي ضرب عليه!. قال: وتفهّمه إبراهيمُ بن المهديّ بعدي، فقال: صدَق يا أمير المؤمنين، الأمرُ فيه الآن بَيِّنٌ؛ فغاظني، فقلت له: بأيِّ شيء بانَ الآن ما لم يكن بَيِّناً قَبْلُ؟ أتُوهِمُ أنك استنبطتَ معرفة هذا! وإنما قلتَه لمّا علمتَه من جهتي كما يقوله الغلمان العُجم وسائر من حضر اتّباعاً لي واقتداءً بقولي. فقال له المأمون: صدَقَ، فأمسك؛ وجعل يتعجّب من ذهاب ذلك على كل من حضر، وكنّاني في ذلك اليوم مرّتين.

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال: حَدّثني أبو عبد الله أحمد بن حَمْدون

قال: حدّثني أبي: أنّ الأصمعيّ أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخُزَيْمةَ بنِ خازم:

[الطويل]

إذا كَانَتِ الأَحْرَارُ أَصْلِي ومَنْصِبي ودَافِعَ ضَيْمِي خَازِمٌ وابنُ خَازِمِ
عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شَامِخٍ وتَنَاوَلَتْ يَدَايَ الثُّرَيَّا قَاعِداً غيرَ قَائِمِ

قال: فجعل الأصمعيّ يَعْجَبُ منهما ويستحسنهما، وكان بعد ذلك يذكرهما ويُفَضِّلهما.

قال ابن حَمْدون: وكان السبب في تَوَلّي إسحاقَ خازمَ بنَ خُزَيمة بن خازم، أنّ مناظرةً جرت بينه وبين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالظا[1]، فقال له ابن جامع: يا من إذا قلتُ له يابنَ زانية لم أَخَفْ أن يُكَذِّبني أحدٌ؛ فمضى إلى خازم بنِ خزيمة، فتولاّه وانتمى إليه، فقبِلَ ذلك منه، وقال هذين البيتين.

[إسحاق يتعرّض للامتحان في أصوات من المعتصم وغيره]

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حَدّثني أبي قال: قال إسحاق: كانت عندي صَنّاجة[2] كنت بها مُعْجَباً؛ واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون؛ فبينا أنا ذاتَ يوم في منزلي إذا ببابي يُدَقُّ دَقًّا شديداً، فقلت: انظروا من هذا؛ قالوا: رسول أمير المؤمنين؛ فقلت: ذهبتْ صَنَّاجتي، تجده ذَكَرها له ذاكر فبعث إليّ فيها؛ فلمّا مَضَى بي الرسول انتهيتُ إلى الباب وأنا مُثْخَنٌ[3]، فدخلتُ فسلّمت، فردَّ السَّلام، ونظر إلى تغيّر وجهي فقال: اسكُن فسكنتُ؛ وسألني عن صوت وقال: أتدري لمن هو؟ فقلت: أَسْمَعُه ثم أُخبر أميرَ المؤمنين إن شاء الله بذلك؛ فأمر جاريةً من وراء الستارة فغنّتْه وضربتْ، فإذا هي قد شبّهتْه بالقديم؛ فقلت: زِدْني معها عُوداً آخر فإنه أثبتُ لي، فزادني عوداً آخر؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا الصوت مُحْدَثٌ لامرأة ضاربة؛ فقال: من أين قلت ذلك؟ فقلت: لمّا سمعته وسمعت لِينَه عرفتُ أنه من صَنْعة النساء؛ ولمّا رأيت جودة مَقاطعه علمت أن

(١) تغالظا: تعاديا وتشاتما وتعارَضا.

(٢) الصّنّاجة: التي تضربُ بالصَّنج والصَّنج: صفيحة مدوّرة يُضرب بها على مثلها، وهي من آلات الطرب.

(٣) مثخن: مجروح.

صاحبته ضاربة؛ فقال: من أين قلت ذلك؟ فقلت: لأنها قد حَفِظَتْ مقاطعه وأجزاءه، ثم طلبتُ عوداً آخر ليكون أثبتَ لي فلم أَشْكُكْ؛ فقال: صَدَقْتَ، الغناء لعَرِيب.

نسخت من كتاب ابن أبي سعيد[١]: حدّثني إسحاق بن إبراهيم الطّاهِريّ قال: حَدَّثتني مُخارِقُ مولاتُنا قالت: كان لمولاي الذي علّمني الغناءَ فَرَّاشٌ رُوميّ، وكان يغنّي بالروميّة صوتاً مليحَ اللّحن؛ فقال لي مولاي: يا مخارق، خذي هذا اللّحنَ الروميّ فٱنقُليه إلى شعر من أصواتك العربيّة حتى أمتحنَ به إسحاق الموصليّ فأعلمَ أين يقع من معرفته، ففعلتُ ذلك؛ وصار إليه إسحاق فٱحتبسه مولاي، فأقام وبعث إليّ أَنْ أَدْخِلي اللّحْنَ الرّوميّ في وسطِ غنائك؛ فغنيته إياه في دَرْجٍ[٢] أصوات مَرَّتْ قبله، فأصغى إليه إسحاق، وجعل يتفهّمه ويُقَسِّمه ويتفقَّدُ أوزانَه ومقاطعَه ويُوقِعُ عليه بيده، ثم أقبل على مولاي فقال: هذا صوت روميّ اللّحن، فمن أين وقع إليك؟ فكان مولاي بعد ذلك يقول: ما رأيتُ شيئاً أحسن من استخراجِه لحناً روميًّا لا يعرفه ولا العلّةَ فيه، وقد نُقِلَ إلى غناء عربيّ وامتزجتْ نَغَمُه حتى عَرَفَهُ ولم يَخْفَ عليه.

أخبرني عَمّي قال: حَدّثني محمد بن موسى قال: حَدّثني عبد الله بن عمرو عن محمد بن عبد الله بن مالك قال: حَدَّثني عَلّويه الأعسر، ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن عليّ بن محمد بن نصر الشاميّ عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل قال: تناظرَ المغنّون يوماً عند الواثق، فذكروا الضُّرَّابَ وحِذْقَهم، فقدّم إسحاقُ زَلْزَلاً على مُلاَحِظ، ولِمُلاحِظ في ذلك الرياسة على جميعهم؛ فقال له الواثق: هذا حَيْف وتَعَدٍّ منكَ؛ فقال إسحاق: يا أمير المؤمنين، اجمع بينهما وامْتَحِنْهما، فإن الأمر سينكشف لك فيهما؛ فأَمَر بهما فأُحضِرا؛ فقال له إسحاق: إن للضُّرّاب أصواتاً معروفة، أفأمتحنهما بشيء منها؟ قال: أَجَلْ، افعلْ؛ فسمَّى ثلاثة أصوات كان أوّلها:

عُـلِّـقَ قَـلْـبِـي ظَـبْـيَـةَ الـسِّـيـبِ[٣] *

---

(١) ابن أبي سعيد: الوراق النسّابة المعروف.

(٢) في دَرْج: أي ضِمنَ أبيات. ودَرْجُ الكتاب: طيّه.

(٣) السِّيب: كورة من سواد الكوفة، وأيضاً هو نهر بالبصرة فيه قرية كبيرة (معجم البلدان ٣:٢٩٣).

فضربا عليه، فتقدّم زَلْزَل وقصَّرَ عنه ملاحظ؛ فعجِبَ الواثق من كَشْفه عما ادّعاه في مجلس واحد. فقال له ملاحظ: فما بالُه يا أمير المؤمنين يُحيلكَ على النَّاس! ولم لا يضربُ هو! فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لم يكن أحد في زماني أضربَ مني إلا أنكم أعفيتموني، فَتَفَلَّتَ منّي؛ وعلى أن معي بقيةً لا يتعلّق بها أحد من هذه الطبقة؛ ثم قال: يا مُلاَحِظ، شَوِّشْ[1] عودَكَ وهاته، ففعل ذلك ملاحظ؛ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا يخلّط الأوتار تخليط مُتَعَنِّتٍ فهو لا يألو ما أفسدَها، ثم أخذ العودَ فجَسَّهُ ساعةً حتى عرفَ مواقعه، ثم قال: يا مُلاَحِظ، غَنِّ أيّ صوتٍ شِئتَ، فغَنَّى ملاحظ صوتاً، وضرب عليه إسحاقُ بذلك العود الفاسد التسوية فلم يُخرجه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نَقْرةٍ واحدة، ويَدُه تصعَدُ وتنحدرُ على الدَّسَاتين[2]؛ فقال له الواثق: لا والله ما رأيتُ مثلك ولا سمعت به! اطرَحْ هذا على الجواري؛ فقال: هيهات يا أمير المؤمنين، هذا لا تعرفه الجواري ولا يصلُحُ لهنّ، إنما بلغني أنّ الفهليذ ضربَ يوماً بين يَدَيْ كِسْرَى فأحسن، فحسده رجل من حُذّاقِ أهل صنعته، فترقَّبَهُ حتّى قام لبعض شأنه، ثم خالفه إلى عوده فشوّشَ بعضَ أوتاره، فرجع فضربَ وهو لا يدري، والملوكُ لا تُصْلَح في مجالسها العِيدانُ، فلم يَزَلْ يضربُ بذلك العود الفاسد إلى أن فرغ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصّة، فامتحن العود فعرف ما فيه، ثم قال: «زِهْ وزِهْ وزِهَانْ زِهْ»[3]. ووصَله بِالصِّلة التي كان يصِلُ بها مَنْ خاطبه هذه المخاطبة؛ فلمّا تواطأت الروايةُ بهذا أخذتُ نفسي ورُضْتُها عليه وقلت: لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا منِّي، فما زلتُ أستنبطه بضعَ عشرةَ سنةً حتى لم يبقَ في الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف نغمته كيف هي، والمواضعَ التي يخرج النّغم كلها منه فيها، من أعاليها إلى أسافلها، وكلَّ شيء منها يجانس شيئاً غيرَه، كما أعرف ذلك في مواضع الدَّسَاتين؛ وهذا شيء لا تَفِي به الجواري. قال له الواثق: صدقْتَ، ولَئِنْ متَّ لتموتنَّ هذه الصناعة معك؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم.

---

(١) التشويش والمُشَوَّش والتَّشَوُّش: كُلُها لَحْنٌ، وقال الأزهري: أما التشويش فإنه لا أصلَ له وإنّه من كلام المولّدين وأصله التهويش، وهو التخليط.

(٢) الدُّساتين: كلمة فارسية تعني ما عليه أطراف أوتار العود من مقدمه.

(٣) زِه: كلمة فارسية معناها: أحسنت.

نسبة هذا الصوت

صوت [السريع]

عُلِّقَ قَلْبِي ظَبْيَةَ السَّيبِ جَهْلاً فَقَدْ أُغْرِي بِتَعْذِيبِي
نَمَّتْ عَلَيها حِينَ مَرَّتْ بِنَا مَجاسِدٌ يَنْفَخْنَ بِالطِّيبِ[(١)]
تَصُدُّهَا عَنَّا عَجُوزٌ لَهَا مُنْكَرَةٌ ذَاتُ أعاجِيبِ
فكُلَّما هَمْتُ بِإِتْيَانِها قالَتْ: تَوَقَّيْ عَدْوةَ الذِّيبِ[(٢)]

الشّعر والغناء لإبراهيم، هَزَجٌ ثقيلٌ بِالسبّابة في مجرى البِنصر.

حَدَّثني عَليّ بن هارون قال: حَدّثني محمد بن موسى اليَزيديّ قال: حدّثَتني دِمْن جاريةُ إسحاقَ الموصليّ، وكانت من كبار جواريه وأَحْظَى مَنْ عنده، ولقيتُها فقلت لها: أيَّ شيءٍ أخذتِ عن مولاك من الغناء؟ فقالت: لا والله ما أخذت أنا عنه ولا واحدةٌ من جواريه صوتاً قَطُّ! كان أبخلَ بذلك، وما أخذتُ منه قَطّ إلاّ صوتاً واحداً، وذلك أنه انصرف من دار الخليفة وهو مُثْخَنٌ سكراً، فدخل إلى بيت كان ينام فيه، فرأى عوداً معلَّقاً فأخذه بيده، وقال لخادمه: يا غلام، صِحْ لي بِدِمْن؛ فجاءني الغلام فخرجتُ، فلما بلغتُ البابَ إذا هو مُسْتَلْقٍ على فراشه والعودُ في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردّده، وقد اسْحَنْفَرَ[(٣)] في نَغَمِه وتَنَوَّقَ[(٤)] فيها حتى استقامَ له، وهو:

صوت [الهزج]

أَلاَ لَيْلُكِ لا يَذْهَبْ ونِيطَ الطَّرْفُ بِالكوكبْ
وهذا الصُّبْحُ لا يَأْتِي ولا يَدْنُو ولا يَقْرُبْ

فلمّا سَمِعْتُهُ عَلِمتُ أنّي إن دخلتُ إليه أَمْسكَ، فوقفتُ أستمعه حتى فرغ منه

---

(١) المجاسد: جمع مُجْسَد: وهو الثوب المصبوغ بالجَسَد وهو الزعفران أو نحوه من الصِبْغ. والمِجْسَدُ: ما يلي الجَسَد من الثياب.
(٢) هَمْتُ: أصلها هممتُ.
(٣) اسحنفر في النغم: مضى فيه ولم يتريّث.
(٤) تَنَوّق فيه: تأنّق فيه وجَوّدَهُ.

وأخذته عنه؛ فلما فرغ منه وضع العود من يده، وذكر أنه قد طلبني فقال: يا غلام، أين دِمْن؟ فقلت: هَأَنَذِي؛ فقال: مذ كم أنتِ واقفة؟ فقلت: منذ ابتدأتَ بالصوت وقد أخذته؛ فنظر إليّ نَظَرَ مُغْضَبٍ أسِفٍ، ثم قال: غَنِّيه، فغنّيته حتى استوفيتُه؛ فقال لي وقد فَتَرَ وخجل: قد بَقِيتْ عليكِ فيه بقِيّة أنا أُصلحها لك؛ فقلت: لست أحتاج إلى إصلاحكَ إياه، وقد والله أخذتُه على رَغْمِك؛ فضحك. لحنُ هذا الصوت من الهَزَج بالبنصر، والشعر والغناء لإسحاق.

[قدرته على إظهار الخطأ في الغناء والأوتار]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: قال لي إسحاق: كنتُ عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهديّ، فغنّى إبراهيمُ صوتاً لابن جامع أَخَلّ ببعضه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، ترك ابن جامع الناسَ يحجِلُونَ خَلْفَهُ ولا يلحَقونه. وفي هذا الصوت خاصّة؛ فقلت: والله يا أمير المؤمنين، ما صدَقَ، وما هذا الصوت بتامِّ الأجزاء؛ فقال: كذَبَ والله يا أمير المؤمنين؛ فقلت يا سَيِّدي، أنا أُوقِفُهُ على نُقصانِه، فمُرْهُ فَليُعِدْ يا أمير المؤمنين؛ فأعاد البيت الأوّل فأقامه وطمِعَ في الإصابة؛ فقلت: آفتُه في البيت الثاني، فلْيَرْدُدْه؛ فردَّهُ فنقَصَ من أجزائه وقِسمته، فعرّفتُه فأقرَّ به؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه صناعتي وصناعة آبائي وإبراهيم يكلّمني فيها، وأنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد في طريق الغناء لا يعرف منها مسألةً واحدة؛ فقال: أَوَيُعْفِيني أمير المؤمنين من كلامه؟ فأعفاه.

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسنُ بن عليّ قال: حَدّثنا يزيد بن محمد المهلّبي عن إسحاق؛ فذكر نحواً مما ذكره يحيى، وذكر أنّ القصة كانت بين يدي المعتصم؛ وزاد فيها فقال: أنا أسأله عن ثلاثينَ مسألة وأُوقِفه على خَطَئِه فيها، فإنْ لم يُقِرَّ بذلك أَقَرَّ به مُخارِقٌ وعَلّويه؛ فقال: أَو يُعْفِيني أميرُ المؤمنين من كلامِه! فإنه يَعْدِلُ عندي البُخْتُج[1]؛ قلت: يا أميرَ المؤمنين، وما يفعل البُخْتُجُ؟ قال: يُسْلِحُ؛ قلت: قد والله فعل ذلك كلامي به، ومنه هربَ؛ فضحك وغَطَّى فاهُ وقام؛ فظنّ إسحاقُ بن إبراهيم المُصعَبيّ أنّي قد أغضبتُه؛ فضرب بيده إلى السيف؛ فقلت له: لا تحسب أنّي أغضبتُه؛ فما كنت لأكلّم عَمّه بين يديه بهُزْءٍ من غير إذنه، فأمسكَ؛

(١) البُخْتُج: العصير المطبوخ.

وكان لا يُقْدِمُ أحد أن يكلّمَ الخليفةَ بحضرته بما فيه الوَهْن إلا بادر إلى سيفه تعظيماً للأمير وإجلالاً له.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حَدّثنا أحمد بن القاسم الهاشميّ عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهديّ، وفي مجلسه عشرون جارية قد أجلس عَشْراً عن يمينه وعشراً عن يساره ومعهنّ العيدانُ يَضْرِبْنَ بها؛ فلمّا دخلتُ سمعتُ من الناحية اليسرى خطأ فأنكرتُه؛ فقال المأمون: يا إسحاق، أتسمع خطأ؟ فقلت: نعم والله يا أمير المؤمنين؛ فقال لإبراهيم: هل تسمع خطأ؟ فقال: لا؛ فأعاد عليّ السؤال، فقلت: بلى والله يا أمير المؤمنين، وإنه لَفِي الجانب الأيسر؛ فأعاد إبراهيم سَمْعَه إلى الناحية اليسرى ثم قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما في هذه الناحية خطأ؛ فقلت يا أمير المؤمنين: مُرِ الجواريَ اللّواتي على اليمين يُمْسِكْنَ، فأَمَرَهُنَّ فأَمْسَكْنَ؛ فقلت لإبراهيم: هل تَسمعُ خطأً؟ فتسمَّعَ ثم قال: ما ها هنا خطأ؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، يُمْسِكْنَ وتضرب الثّامنةُ. فأَمْسَكْنَ وضربتِ الثامنة، فعرف إبراهيمُ الخطأ، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، ها هنا خطأ؛ فقال عند ذلك لإبراهيم: يا إبراهيم، لا تُمَارِ إسحاقَ بعدها؛ فإنَّ رجلاً فَهِمَ الخطأ بين ثمانين وتراً وعشرين حَلْقاً لَجَدِيرٌ أَلاّ تُمَارِيَه؛ فقال: صدقتَ يا أمير المؤمنين. وقال الحسين بن يحيى في خبره: وكان في الأوتار كلِّها مَثْنىً فاسدُ التّسوية. وقال فيه: فطرِبَ أميرُ المؤمنين المأمون، وقال: لله درُّك يا أبا محمد؛ فكَنّاني يومئذ.

[ثناء الواثق عليه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَة قال: حَدّثني أحمد بن حَمْدُون قال: سمعتُ الواثق يقول: ما غنّاني إسحاقُ قَطّ إلا ظننتُ أنه قد زِيدَ لي في مُلْكي، ولا سمعته يغنّي غناءَ ٱبن سُرَيج إلا ظننتُ أنّ ٱبن سريج قد نُشِرَ، وإنّه ليحضُرني غيرُه إذا لم يكن حاضراً، فيتقدّمه عندي وفي نفسي بطيب الصوت، حتى إذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننتُه يتقدّمه ينقص؛ وإنّ إسحاق لَنِعْمَةٌ من نَعَم المُلْكِ التي لم يُحْظَ بمثلها؛ ولو أنّ العمر والشباب والنشاط مما يُشْتَرى لاشتريتهنَّ له بشَطْر ملكي.

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال: حَدّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال: سأل

إسحاقُ الموصليّ المأمونَ أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرُّواة لا مع المغنّين، فإذا أراده للغناء غنّاه؛ فأجابه إلى ذلك؛ ثم سأله بعد حين أن يأذنَ له في الدخول مع الفقهاء؛ فأَذِنَ له. قال: فحدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر أنه كان هو ومُخارِق وعَلّويه جلوساً في حجرة لهم ينتظرون جلوسَ المأمون وخروجَ الناس من عنده، إذ دخل يحيى بن أكثم وعليه سَوادُه[١] وطَويلتُه[٢]، ويدُه في يد إسحاق يماشيه، حتى جلس معه بين يدي المأمون، فكاد عَلّويه أن يُجَنَّ، وقال: يا قوم، أسمعتم بأعجب من هذا! يدخل قاضي القضاة ويدُه في يد مغنٍّ حتى يجلسا بين يدي الخليفة!. ثم مضت على ذلك مدّة، فسأل إسحاق المأمونَ أن يأذن له في لُبسِ السَّواد يوم الجمعة والصّلاة معه في المقصورة؛ قال: فضحك المأمون وقال: ولا كلّ ذا يا إسحاق! وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم؛ وأمر له بها.

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال: حَدّثني أبو عبد الله بن حَمْدون قال: كان المغنّون جميعاً يحضُرونَ مجلسَ الواثق وعيدانُهم معهم إلاّ إسحاقَ، فإنه كان يحضُر بلا عود للشرب والمجالسة؛ فإنْ أمره الخليفة أن يغنّي أحضر له عوداً، فإذا غَنَّى وفرَغَ سُلَّ من بين يديه إلى أن يطلبه. وكان الواثق كثيراً ما يكنّيه، رَفْعاً له من أن يدعوه بأسمه؛ وكان إذا غَنَّى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناءَ ولم يُعِدْ منه حرفاً إلا أن يكون في بعض بيت فيُتِمّه، ثم يقطع ويضع العود من يده.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه في خبر ذَكَر إسحاق فيه، فقال: وعارض مَعْبداً وابن سُرَيج فأنتصف منهما، وكان إبراهيم بن المهديّ يناظره ويجادله في الغناء وينازعه في صناعته، ولم يَبْلُغْهُ؛ وما رأيت بعد إسحاق مثلَه.

أخبرني عمّي قال: حَدّثني عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: قال لي محمد بن راشد الخَنّاق: سمعتُ عَلّويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ: إن إبراهيم بن المهديّ يَعِيبُكَ بِتركِكَ تحريكَ الغناء؛ فقال له إسحاق: ليتنا نَفِي بما علمناه، فإنا لا نحتاج إلى الزيادة فيه. ثم قال له: فإنه يزعم أنّ حلاوة الغناء تحريكه، وتحريكُه عنده أن يكون كثيرَ النَّغَم، وليس يفعل ذلك، إنما يُسقط بعضَ عمله لعجزه عنه، فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة

(١) السَّواد: شعار بني العباس كان يرتديه أشياعهم.

(٢) الطويلة: قلنسوة عالية مُدَعَّمة بعيدان يلبسها القضاة.

إلى حاله الأولى بمنزلة الأَسْكدار[١] للكِتاب، وهو حينئذٍ بأن يُسَمَّى المحذوفَ أشبهُ منه بأن يسمّى المُحَرَّكَ؛ فضحك عَلّويه ثم قال: فإن إبراهيم يُسَمِّي غناءكم هذا الممسك المِدَادِي؛ قال إسحاق: هذا من لغات الحَاكَة؛ لأنهم يسمّون الثوبَ الجافيَ[٢] الكثير العرض والطول المداديّ؛ وعلى هذا القياس فينبغي لنا أن نسمّي غناءه المحرّك الضِّرَابيّ، وهو الخفيف السخيف[٣] من الثياب في لغة الحاكة، حتى نُدخلَ الغناءَ في جملة الحِياكة ونخرجه عن جملة الملاهي؛ ثم قال لعَلّويه: بحياتي عليك إلاّ ما أعدتَ عليه ما جرى؛ فقال له: لا وحياتِك لا فعلتُ؛ فإنه يعلم مَيْلي إليكم، ولكن عليك بأبي جعفر محمد بن راشد الخَنّاق؛ فكلمه إسحاق وأقسم عليه أن يُؤَيّده، ففعل وسار إلى إبراهيم فأخبره، فجعل كلَّما أخبره شيئاً تغيَّظَ وشتمَ إسحاقَ بأقبح شتم؛ ثم جاءه ابن راشد فأخبره؛ فجعل كلّما أخبره بشيء من ذلك ضحك وصفّق سروراً لغيظ إبراهيم من قوله.

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال: حَدّثني علي بن محمد النَّوْفليّ قال: أخبرني محمد بن راشد الخَنّاق قال: إنّي لَفِي منزلي يوماً مع الظّهر، إذ دخل عليّ إسحاقُ بن إبراهيم الموصليّ، فسُرِرْتُ بمكانه؛ فقال: قد جاءت بي إليكَ حاجةٌ؛ قال: قلت: قلْ ما شاء الله؛ قال: دَعْني في بيتِكَ، ودَعْ غلامَيْكَ عندي: بُدَيحاً وسليمانَ ـ وكانا خادمين مُغَنِّيَيْن ـ ومُرْهما أن يغنّياني، وأتِني بفلان ليغنّيني أيضاً، بحياتي عليك، وانطلقْ إلى إبراهيم بن المهديّ، فإنه سَيُسَرُّ بمكانك، فٱشْرَبْ معه أقداحاً، ثم قل له: يا سيِّدي، أسألك عن شيء، فإذا قال: سَلْ، فقل له: أخبرني عن قولك:

* ذهبتُ مِنَ الدُّنيا وقد ذَهَبَتْ مِنّي *

أيّ شيء كان معنى صنعتك فيه؟ وأنتَ تعلمُ أنه لا يجوز في غنائك الذي صنعتَه فيه إلا أن تقول: «ذهبتو» بالواو، فإن قلتَ: «ذهبتُ» ولم تَمُدَّها انقطع اللَّحن والشعر، وإن مَدَدْتَها قَبُحَ الكلامُ وصار على كلام النَّبَط؛ فقلت له: يا أبا محمد، كيف أخاطب إبراهيم بهذا؟ فقال: هو حاجتي إليك وقد كَلَّفْتُكَ إيّاها، فإن ٱستحسنتَ أن تردّني فأنت أعلم؛ قال: أفعل ذلك لموضعك على ما فيه عليّ؛ ثم

---

(١) الأَسْكدار: كلمة فارسية معناها: حامل البريد.

(٢) الجافي من الثياب: الغليظ.

(٣) السخيف من الثياب: القليل الغزل.

أتيتُ إبراهيم، وجلست عنده مَلِيًّا، وتجارَيْنا الحديثَ إلى أن خَرَجْنا إلى ذكر الغناء، فخاطبته بما قال لي إسحاق، فتغيّر لونه وآنكسرَ، ثم قال: يا محمّد، ليس هذا من كلامك، هذا من كلام الجُرْمُقَانِيّ ابن الزَّانية؛ قل له عنّي: أنتم تصنعون هذا لِلصّناعة، ونحن نصنعه للّهو واللّعب والعَبَث. قال: فخرجتُ إلى إسحاق فحدَّثْته بذلك فقال: الجُرْمُقَانِيّ واللهِ مِنَّا أَشْبَهُنا بالجَرَامِقَةِ لغةً وهو الذي يقول: «ذهبتو»؛ وأقام عندي يومَه فَرِحاً بما بلّغته إبراهيمَ عنه من توقيفه على خطئه.

قال عليّ بن محمد قال لي أبي: كان محمد بن راشد صديقاً لإسحاق ثم فسدَ ما بينهما؛ فإنه طابق إبراهيمَ بن المهديّ عليه، وبلغه عنه من توقيعه أنه يذكره، وكان في محمد بن راشد رداءة ونقلٌ للأحاديث؛ فقال فيه إسحاق: [الطويل]

ونَـدْمَـان صِـدْقٍ لا تُـخَـافُ أَذَاتُـهُ ... ولا يَـلْـفِـظُ الأَخْـبَـارَ لَـفْـظَ ابـنِ راشِـدِ
دَعَـانِـي إلـى مـا يَـشْـتَـهِـي فَـأَجَـبْـتُـهُ ... إجَـابَـةَ مـحـمـودِ الـخـلائـقِ مَـاجِـدِ
فـلا خَـيْـرَ فـي الـلَّـذَّاتِ إلاّ بِـأَهْـلِـهـا ... ولا عَـيْـشَ إلاَّ بِـالـخـلـيـلِ الـمُـسَـاعِـدِ

قال: فجمع ابن راشد عدّة من الشعراء وأمرهم بهجاء إسحاق؛ فهجَوْه بأشعار لم تبلغ مرادَه، فلم يُظْهِرْها، وبلغ ذلك إسحاقَ فقال فيه: [الطويل]

وأبـيـات شِـعْـرٍ رائـعـاتٍ كـأنّـهـا ... إذا أُنْشِدَتْ في القوم مِنْ حُسْنِها سِحْرُ
تَـحَـقَّـزَ واَقْـلَـوْلَـى لِـرَدِّ جَـوابِـهـا ... أبو جعفرٍ يَغْلِي كَما غَلَتِ القِدْرُ[1]
فـلـم يَـسْـتَـطِـعْـهـا غيـرَ أَنْ قـد أَعَـانَـهُ ... عـلـيـهـا أُنـاسٌ كَـيْ يـكـونَ لـه ذِكْـرُ
فـيـا ضَـيْـعَـةَ الأشـعـارِ إذ يَـقْـرِضُـونَـهـا ... وأَضْـيَـعُ مِـنْـهـا مَـنْ يَـرَى أنّـهـا شِـعْـرُ

قال: فعاذ محمد بن راشد بإسحاقَ وآستكفَّه وصالحه، فرجع إليه. أخبرني عمّي قال: حَدّثني عليّ بن محمد بن نصر الشاميّ قال: حَدّثني منصور بن محمد بن واضِح: أن إبراهيم بن المهديّ طرَحَ في منزل أبيه:

صوت

[المتقارب]

أَمِـنْ آلِ لَـيْـلَـى عَـرفْـتَ الـطُّـلُـولاَ ... بِـذِي حُـرُضٍ مَـاثِـلاتٍ مُـثُـولا[2]
بَـلِـيـنَ وتَـحْـسَـبُ آيَـاتِـهِـنَّ ... عَـنْ فَـرْطِ حَـوْلَـيْـنِ رِقًّـا مُـحِـيـلا[3]

---

(١) اقلولى: انكمش.
(٢) ذو حُرُض: وادٍ لبني عبد الله بن غطفان (معجم البلدان ٢ : ٢٤٢).
(٣) فرَطَ الشيء: مَضَى. والمحيل: الذي أتت عليه السنون.

ـ الشعر لكعب بن زُهير، والغناء لإسحاق، وله فيه لحنان: ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر، وماخُورِيّ بالوسطى، وفيه للزُّبَير بن دَحْمَانَ خفيفُ ثقيل ـ قال: فجاءنا إسحاق يوماً، وأقام عند أبي، وأخرجنا إليه جوارِيَنا، ومَرَّ الصوت الذي طرحه إبراهيم بن المهديّ من غنائه؛ فقال إسحاق: من أين لك هذا؟ قال: طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ أعزّه الله تعالى؛ فقال إسحاق: وما لأبي إسحاقَ أعزّه الله ولهذا الصوت! هذا أنا صنعتُه، وليس هو كما طرَحَهُ. قال: فسأله أبي أن يغنّيه، فغنّاه وردّده حتى صحّ لمن عنده؛ فقال لي أبي: اكتب إلى أبي إسحاق أن أبا محمد أعزّه الله صار إليّ فأحتبستُه، وأنه غنّى بحضرتي الصوتَ الذي ألقيتَه في منزلك الذي أسكنه، فزعَم أنه صنَعه، وأنه ليس على ما أخذه الجواري عنك، فأحببت أن أعلم ما عندك، جعلني الله فداكَ. قال: فكتبتُ الرُّقعةَ وأنفذتها إلى إبراهيم. فكتب: نعم، جُعِلت فداك، صدَق أبو محمد أعزّه الله، الصوتُ له، وهو على ما ذكره، لكنّي لعِبت في وسطه لعباً أعجبني، قال: فقرأ إسحاقُ الرّقعة فغَضِبَ غضباً شديداً، ثم قال لي: اكتب إليه: «إذا أردت يا هذا أن تلعب فٱلعَبْ في غناء نفسِكَ لا في غناء الناس، وما حاجتُك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك، فٱصنعْ أنتَ إن كنت تُحْسِنُ، وٱلعبْ في صنعتك كما تشتهي مبتدئاً باللهو واللّعب غيرَ مُشارِك في جِدِّ الناس بلعبك ومُفْسد له بما لا تعلمه؛ يا أبا إسحاق، أَيَّدَكَ الله، ليس هذا الصوت مما يتهيّأ لك أن تُمَخْرِق[١] فيه وتقول: «جَنْدَرْتُه»[٢]. قال: وكان إبراهيم يقول: إنه يُجَنْدِرُ صنعةَ القدماء ويُحَسِّنها.

[مناظرة بين إسحاق وإبراهيم بن المهدي]

قال عليّ بن محمد: حَدّثني جدّي حَمْدُون: أنّ إسحاق قال لإبراهيمَ بن المهديّ بحضرة المعتصِم: ما تقول فيمن يزعُمُ أنّ ابن سُرَيج وابن مُحْرِز ومَعْبداً ومالكاً وابنَ عائشة لم يكونوا يُحسنون تَمام الصّنعة ولا ٱستيفاءَ الغناء، ويعجِزون عمَّا به يكمُلُ ويتمّ ويحسُن، وأنه أقدر على الصنعة منهم؟ قال: أقول: إنه جاهل أحمق؛ قال: فأنت تزعم أنه قد كانت بَقِيَتْ عليهم أشياءُ لم يهتدوا لها ولم يحسنوها، فتنبَّهْتَ عليها أنت وتَمَّمْتَها وحسَّنْتَها بِجَنْدَرَتِكَ؛ قال: فضَحِكَ المعتصم

(١) تمخرق: تُمَوِّه.
(٢) جندر: أصلحَ.

وبقي إبراهيمُ واجماً مُطْرِقاً، ولم ينتفع بنفسه بقيَّةَ يومه؛ وما سمعتهُ أنا ولا غيري بعد ذلك اليوم يتبجّح بغناء يُصلحه من غناء المتقدّمين، حتى يُطنِبَ في صنعته ويُشتَهى آستماعُه منه، كما كان يَدّعي قديماً.

قال: وكان حَمْدون يقول: كان إبراهيم يأكل المُغَنِّين أكلاً، حتى يحضُر إسحاق، فيُداريه إبراهيم ويطلب مكافأتَه، ولا يَدعُ إسحاقُ تبكيتَه ومعارضتَه؛ وكان إسحاقُ آفتَه، كما أنّ لكل شيء آفة.

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال: حَدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: خرجتُ يوماً من داري وأنا مَخْمورٌ أتَنَسَّمُ الهواء، فمررتُ برجل يُنشدُ رجلاً معه لِذي الرُّمّة:

صوت

[الطويل]

أَلَـمْ تَـعْـلَـمِـي يـا مَـيُّ أنّـي وبَـيْـنَـنـا ... مَهَـاوٍ لِطَرْفِ العَيْنِ فِيهِنَّ مَطْرَحُ[1]

ذَكَـرْتُـكِ أَنْ مَـرَّتْ بِـنَـا أُمُّ شَـادِنٍ ... أَمَامَ الـمَطَـايـا تَـشْـرَئِـبُّ وتَـسْـنَـحُ[2]

مِـنَ الـمُـؤْلِـفَـاتِ الـرَّمِـلِ أَدْمَـاءُ حُـرَّةٌ ... شُعَاعُ الضُّحَى في مَتْنِها يَتَوَضَّحُ[3]

هِـيَ الـشِّـبْـهُ أَعْـطَـافـاً وجِـيـداً ومُـقْـلَـةً ... ومَـيَّـةُ مـنـهـا بَـعْـدُ أَبْـهَـى وأَمْـلَـحُ

كَـأَنَّ الـبُـرَى والـعَـاجَ عِـيـجَـتْ مُـتُـونُـهُ ... علـى عُشَـرٍ نَهَّى به السَّـيْـلَ أَبْطَـحُ[4]

لَـئِـنْ كـانَـتِ الـدُّنـيـا عَـلَـيَّ كـمـا أَرَى ... تَـبـارِيـحَ مِـنْ مَـيٍّ فَـلَـلْـمَـوْتُ أَرْوَحُ[5]

فأعجبني، فصنعت فيه لحناً غنّيتُ به المأمونَ، فأخذتُ به منه مائة ألف درهم، لحنُ إسحاقَ في هذه الأبيات أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر.

حدّثني يحيى بن محمد الطّاهِريّ قال: حَدّثني ينشو مولى أبي أحمد بن الرشيد قال: اشتراني مولايَ أبو أحمد بن الرشيد، واشترى رَفيقي محموماً، فدَفعنَا إلى وكيل له أعجميّ خُراسانيّ، وقال له: انحدرْ بهذين الغلامين إلى بغداد إلى

---

(١) المهاوي: جمع المهواة: ما بين الجبلين.

(٢) أم شادن: كنية الظبية، والشّادن ولدها. وتشرئبّ: ترفع رأسها لتنظر. وتسنح: تأتي عن شمالك.

(٣) الأدماء: الظبية البيضاء تعلوها غبرة. وحرّة: كريمة. ويتوضّح: يبرق.

(٤) البُرى: جمع البرة: الخلاخيل. والعاج: الإسورة من العاج، وعيجت: لُوِيَتْ. والعُشَر: شجر مستوٍ ليّن، وقد شبّه ساعديها وساقيها به للينهما واستوائهما. ونَهَّى: بلغ نهايته. والأبطح: بطن الوادي.

(٥) تباريح الشوق: تَوَهّجه.

إسحاق الموصليّ؛ ودفع إليه مائة ألف درهم - وشِهْرِيًّا[١] بسَرْجه ولِجامه، وثلاثة أدراج[٢] من فِضّة مملوءة طِيباً، وسبعةَ تُخُوتٍ[٣] من بَزٍّ خُرَاسانيّ، وعشرةَ أسفاطٍ[٤] من بَزٍّ مصر، وخمسةَ تخوتِ وَشْيٍ كوفيّ، وخمسة تخوتِ خَزٍّ سُوسِيّ، وثلاثين ألف درهم للنفقة؛ وقال للرسول: عَرِّفْ إسحاقَ أنّ هذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خُراسان، وَجّهَ بهما إليه ليتفضّلَ ويُعَلِّمهما أصواتاً اختارها، وكتبها له في دَرْجٍ[٥]، وقال له: كلما علّمهما صوتاً اُدفع إليه ألف درهم، حتى يتعلّما بها مائة صوت، فإذا علّمهما الصوتين اللّذين بعد المائة فادفع إليه الشِّهْريّ، ثم إذا علّمهما الثلاثة التي بعد الصوتين، فاُدفع إليه بكل صوت دُرْجاً من الأدراج، ثم لكلّ صوت بعد ذلك تَخْتاً أو سَفَطاً، حتى يَنْفَدَ ما بعثتُ به معك؛ ففعل، واُنحدرْنا إلى بغداد، فأتينا إسحاق، وغنّينا بِحضرته، وبلّغَه الوكيلُ الرّسالةَ؛ فلم يَزَلْ يُلقي علينا الأصوات حتى أخذناها كما أمرَنا سَيِّدُنا. ثم سِرْنا إلى سُرَّ مَنْ رَأى[٦]، فدخلنا إليه وغَنَّيناه جميعَ ما أخذناه فَسرّه ذلك. وقَدِمَ إسحاقُ سُرّ مَنْ رأى، ولقيه مولانا، فدعا بنا وأوصانا بما أراد، وغدا بنا إلى الواثق وقال: إنّكما سَتَريان إسحاقَ بين يديه، فلا تُسَلِّما عليه ولا تُوهِماه أنكما رأيتماه قطّ، وألبَسَنا أَقْبِيةً[٧] خُرَاسانيَّة ومضينا معه؛ فلمّا دخلنا على الواثق قال له: يا سَيِّدي، هذان غلامان اشْتُريا لي من خُراسان يغنّيان بالفارسيّة؛ فقال: غَنِّيا، فضربنا ضَرباً فارسيًّا وغنّينا غناء فهليذِيًّا؛ فطَرِبَ الواثقُ وقال: أحسنتما، فهل تغنّيان بالعربية؟ قلنا: نعم، واُندفعنا نُغَنِّي ما أخذناه عن إسحاق وهو ينظر إلينا ونحن نتغافل عنه، حتى غنّينا أصواتاً من غنائه؛ فقام إسحاق ثم قال للواثق: وحياتِكَ يا سَيِّدي وبَيْعتِكَ، وإلاّ كلّ مِلْكٍ لي صَدَقة وكلّ مملوك لي حُرٌّ إنْ لم يكن هذان الغلامان من تعليمي ومِن قصّتهما كيت وكيت؛ فقال له أبو أحمد: ما أدري ما تقول! هذان اشتريتهما من

---

(١) الشِّهْرِيّ: ضربٌ من البراذين وهو بين البرذون والمقرف من الخيل، اللسان (شهر).

(٢) الأدراج: جمع الدُرج، العلبة الصغيرة التي تضع فيها المرأة أدواتها وطيبها.

(٣) التخت: كلمة فارسية ومعناها الوعاء الذي توضع فيه الثياب.

(٤) الأسفاط: جمع السَّفَط: هو ما يوضع فيه الطِّيب.

(٥) الدَّرْج والدَّرَج: الذي يُكتب فيه.

(٦) سُرَّ مَن رأى: هي سامرّاء: مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة وقد خربت، وبها السرداب المعروف في جامعها الذي تعتقد الشيعة أن المهدي غاب منه.

(٧) الأقبية: جمع القباء: الثوب الذي يُلبس فوق الثياب.

رجل نخّاس خراسانيّ؛ فقال له: بَلَغَ وَلْعُكَ[1] إِلَيَّ! ونَخَّاس خراسانيّ من أين يحسن أن يختار مثلَ تلك الأغاني! فضحكَ أبو أحمد ثم قال: صدَقَ، أنا احتلْتُ عليه، ولو رُمْتُ أن يُعَلِّمَهما ما أخذاه منه إذا علم أنهما لي بعشرة أضعاف ما أعطيْتُه لَمَا فعلَ؛ فقال له إسحاق: قد تَمَّتْ عليّ حيلتُه. وقال أبو أحمد للواثق: إن أردتَهما فخُذْهُمَا؛ فقال: لا أَفجَعُكَ بهما يا عمّ، ولكن لا تمنعني حضورَهما، فقال له: قد بذلْتُ لكَ المِلْكَ فلم تُؤثِرْه، أفَتَراني أمنعكَ الخدمةَ! فكنّا نخدِمُه بِنَوْبة.

[إسحاق مع الندماء في مجلس الواثق]

حدّثني جَحْظة قال: حَدّثني أبو عبد الله بن حَمْدون قال: حَدَّثني ابن فيلا الطُّنْبُورِيّ وكان قد دخل على الواثق وغنّاه، قال: قال الواثق في بعض العَشَايا: لا يبرحْ أحدٌ من المُغَنِّين اللّيلةَ، فقد عزمتُ على الصَّبُوح في غدٍ؛ فأمسكوا جميعاً عن معارضته إلا إسحاقَ فإنه قال له: لا وحياتِك ما أَبِيتُ؛ قال: فلا والله ما كان له عند الواثق معارضةٌ أكثر من أن قال له: فبحياتي إلاّ بَكَّرْتَ يا أبا محمد. قال: فرأيت مخارقاً وعَلّويه قد تَقَطَّعا غيظاً؛ وبِتْنا في بعض الحُجَرِ، فقالا لي: اجلسْ على باب الحجرة، فإذا جاء إسحاق فعَرِّفنا حتى ندخل بدخوله؛ فلم نلبث أن جاء إسحاقُ مع أحمد بن أبي دُوَاد يماشيه في زِيِّه وسَوَادِه وطويلتُهُ مثل طويلته، فدخلت فأعلمتهما؛ فقامت على عَلّويه القيامة وقال: يا هؤلاء، خِينَاكر[2] يدخل إلى الخليفة مع قاضي القضاة! أسمعتم بأعجبَ من هذا البَخْت قطّ!؛ فقال له مُخَارِق: دَعْ هذا عنك، فقد والله بلغ ما أراد. ولم نلبث أن خرج ابن أبي دُوَاد ودُعِيَ بنا فدخلنا، فإذا إسحاق جالس في صف الندماء لا يخرج منه، فإذا أمره الواثق أن يُغنّي خرج عن صفّهم قليلاً وأُتي بعود فغنّى الصوتَ الذي يأمره به؛ فإذا فَرغ من القَدَح قطع الصوت الذي يأمره به حيث بلغ ولم يُتِمّه، ورجع إلى صفّ الجلساء.

[إحدى قصصه مع إبراهيم بن المهدي]

أخبرني محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقَّب بوَسْوَاسة قال: حَدّثني حَمّاد قال: قال لي أبي: كنت عند الرشيد يوماً، وعنده ندماؤه

(١) الوَلْعُ: الكذب.

(٢) خيناكر: لفظة فارسية معرّبة ومعناها المغنّي المضحك.

وخاصّته وفيهم إبراهيم بن المهديّ، فقال لي الرشيد: يا إسحاق تَغَنَّ:

شَرِبْتُ مُدَامَةً وسُقِيتُ أُخرى ورَاحَ المُنْتَشُونَ وما ٱنْتَشَيْتُ

فغنّيته؛ فأقبل عليّ إبراهيم بن المهديّ فقال لي: ما أصبتَ يا إسحاق ولا أحسنت؛ فقلت: ليس هذا مما تُحسنه ولا تعرفه، وإن شِئْتَ فَغَنِّه، فإنْ لم أَجِدْكَ أنك تُخطىءُ فيه منذُ ٱبتدائك إلى انتهائك فدَمِي حلال. ثم أقبلت على الرشيد فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه صناعتي وصناعة أبي، وهي التي قَرَّبَتْنا منك وٱستخدمَتْنا لكَ وأوطأتْنا بِسَاطَكَ، فإذا نازعَنَاها أحدٌ بلا علم لم نَجِدْ بُدًّا من الإيضاح والذَّبِّ؛ فقال: لا غَرْوَ ولا لومَ عليك؛ فقام الرشيد ليبول؛ فأقبل إبراهيم بن المهديّ عَلَيَّ وقال: وَيْلَك يا إسحاق! أتجترىء عليّ وتقول ما قلتَ يابنَ الفاعلة! لا يَكْنِي[1]؛ فداخلني ما لم أملكْ نفسي معه؛ فقلت له: أنت تَشْتُمني، وأنا لا أقدِرُ على إجابتك وأنت ٱبن الخليفة وأخو الخليفة، ولولا ذلك لكنت أقول لك: يأبن الزّانية؛ أوَ ترَى أنّي كنت لا أُحسن أن أقول لك: يابن الزَّانية؛ ولكن قولي في ذَمّك ينصرف جميعه إلى خالك الأَعْلَم[2]، ولولاك لَذَكَرْتُ صناعتَه ومذهبَه - قال إسحاق: وكان بَيْطاراً - قال: ثم سَكَتُّ، وعَلِمْتُ أنّ إبراهيم يشكوني وأن الرشيد سوف يسأل مَن حضرَ عما جرى فيخبرونه، فتلافيتُ ذلك، ثم قلت: أن تظنّ أنّ الخلافة تصيرُ إليكَ فلا تزال تهدّدني بذلك وتعاديني كما تُعادي سائرَ أولياء أخيكَ حَسَداً له ولولدِه على الأمر! فأنت تضعُفُ عنه وعنهم وتستخِفّ بأوليائهم تَشَفِّياً؛ وأرجو ألاّ يُخرجها الله عن يَدِ الرّشيد وولده، وأن يقتلك دونها؛ فإنْ صارت إليكَ - وبالله العِياذُ - فحرامٌ عَلَيَّ العيش يومئذ، والموت أطيب من الحياة معك، فٱصنعْ حينئذٍ ما بدا لك. قال: فلمّا خرج الرشيد وثَبَ إبراهيم فجلسَ بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، شَتَمني وذكر أُمّي وٱستخفَّ بي؛ فغضِبَ وقال: ما تقول؟ وَيْلَكَ! قلت: لا أعلمُ، فَسَلْ مَنْ حضر؛ فأقبل على مسرورٍ وحُسَين؛ فسألهما عن القصّة؛ فجعلا يُخبرانه ووجهُه يَتَربَّدُ[3] إلى أن ٱنتهيا إلى ذكر الخلافة، فسُرِّيَ عنه ورجع لونُه، وقال لإبراهيم: ما له ذنبٌ، شتمتَه فعرَّفَكَ أنه لا يقدِر على جوابكَ، ارجع إلى موضعك وأَمْسِكْ عن هذا. فلما انقضى المجلس وٱنصرف

---

(١) لا يَكْنِي: جملة اعتراضية معناها أنه شتمه باللفظ صراحةً.

(٢) الأعلم: الذي بشفته العليا أو في جانبيها شقّ.

(٣) يتربّدُ: يتغيّر ويعبِس.

النَّاسُ، أمر بـألاّ أَبْرَحَ، وخرجَ كلُّ مَنْ حضرَ حتى لم يَبْقَ غيري؛ فساء ظَنِّي وأَهَمَّتْني نفسي؛ فأقبل عليّ وقال: ويلكَ يا إسحاق! أتُراني لم أفهم قولك ومرادك! قد والله زَنَّيْتَه ثلاث مرات، أتُراني لا أعرف وقائعك وأقدامَكَ وأين ذهبت! ويلكَ! لا تَعُدْ؛ حَدِّثْني عنكَ، لو ضربكَ إبراهيم، أكنتُ أقتصُّ لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل؟ أتُرَاكَ لو أمر غلمانَه فقتلوكَ أكنتُ أقتله بك؟! فقلت: يا أمير المؤمنين، قد والله قتلتَني بهذا الكلام، ولَئِنْ بلغه ليقتلنّي، وما أشكُّ في أنه قد بلغه الآن؛ فصاح بمسرور الخادم وقال: عليّ بإبراهيم الساعة فأُحضر، وقال: قُمْ فأنصرفْ؛ وقلت لجماعة من الخَدَم، وكلّهم كان لي مُحِبًا وإليّ مائلاً ولي مُطيعاً: أخبروني بما يجري، فأخبروني من غد أنه لمّا دخل وبّخَه وجهّله وقال له: أتستخِفُّ بخادمي وصَنيعتي ونَديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي، وتُقْدِمُ عليّ وتستخفُّ بمجلسي وحضرتي؟ هاه هاه! أتُقدم على هذا وأمثالِه! وأنت ما لكَ ولِلغناء، وما يُدريك ما هو! ومَنْ أخذكَ به وطارحكَ إيَّاه حتى تتوهَّم أنك تبلُغ مبلغَ إسْحاق الذي غُذِيَ به وعُلّمه وهو صناعته! ثم تظنُّ أنكَ تُخَطِّئُهُ فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجّة عليك فلا تثبُت لذلك وتعتصم بِشَتْمه! أليس هذا مما يدُلُّ على السّقوط وضعفِ العقلِ وسوءِ الأدب مِنْ دخولك فيما لا يُشبِهُكَ وغَلَبةِ لَذَّتِكَ على مروءتك وشرفِكَ ثمَّ إظهارك إياه ولم تُحكمه، وادّعائك ما لا تعلمه حتى يَنْسِبُكَ النَّاسُ إلى الجهل المُفْرِطِ! ألاَ تعلم ـ وَيْلَك ـ أنّ هذا سوءُ أدب وقلّة معرفة وقلة مُبالاة بالخطأ والتّكذيب والردّ القبيح!. ثم قال: والله العظيم وحَقِّ رسوله، وإلاّ فأنا نَفِيٌّ من المهديّ، لَئِنْ أصابه أحدٌ بسوء، أو سقط عليه حجرٌ من السماء، أو سقط من على دابّته، أو سقط عليه سقفُه، أو مات فجأة، لأَقتلنّك به؛ والله! والله! فلا تعرِضْ له وأنتَ أعلمُ، قُمِ الآنَ فاخرجْ؛ فخرجَ وقد كاد أن يموت. فلما كان بعد ذلك دخلت إليه وإبراهيم عنده، فأعرضتُ عن إبراهيم؛ وجعل ينظر إليه مرَّةً وإليَّ مرَّةً ويضحك، ثم قال له: إني لأَعْلَمُ مَحَبَّتَكَ في إسحاق وميلَكَ إليه وإلى الأخذِ عنه، وإنَّ هذا لا يَجِيئُكَ من جهته كما تريد إلاّ بعد أن يَرْضَى، والرِّضا لا يكون بمكروهٍ، ولكن أَحسِنْ إليه وأَكرِمْهُ واْعرِفْ حَقَّهُ وبِرَّهُ وصِلْهُ، فإذا فعلتَ ذلك ثم خالفكَ فيما تهواه عاقبتَه بيد منبسطة ولسان منْطَلَق؛ ثم قال لي: قُمْ إلى مولاك وابنِ مولاكَ فَقَبِّلْ رأسَه؛ فقمتُ إليه وقام إليّ وأصلح الرّشيدُ بيننا.

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

[الوافر]

أَعَاذِلُ قد نَهَيْتِ فَمَا ٱنْتَهَيْتُ وقَدْ طَالَ العِتَابُ فَمَا ٱرْعَوَيْتُ
أَعَاذِلُ ما كَبِرْتُ وفِيَّ مَلْهَى ولَوْ أَدْرَكْتُ غَايَتَكِ ٱنْتَهَيْتُ
شَرِبْتُ مُدَامَةً وسُقِيتُ أُخْرَى ورَاحَ المُنْتَشُونَ ومَا ٱنْتَشَيْتُ
أَبِيتُ مُعَذَّباً قَلِقاً كَئِيباً لِمَا أَلْقَاهُ مِنْ أَلَمٍ وفَوْتِ(١)

الغناء لابن مُحْرِزٍ ثقيلٌ عن ٱبن المَكّيّ، وفيه رَمَلٌ بالوسطى.

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أرسل إليّ الرَّشيدُ ذاتَ ليلةٍ، فدخلت إليه فإذا هو جالس وبين يديه جاريةٌ عليها قميصٌ مُوَرَّدٌ وسَرَاوِيلُ مورَّدة وقِناعٌ مورَّد كأنها ياقوتة على وردة؛ فلما رآني قال لي: اجلسْ، فجلستُ؛ فقال لي: غَنِّ، فغنّيت: [الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لما جَهَدْتُهُ وَبيَّنَ لو يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّما(٢)

فقال: لمن هذا اللّحن؟ فقلت: لي يا أمير المؤمنين؛ فقال: هاتِ لحنَ ٱبن سُرَيج، فغنّيتُه إياه؛ فطرِبَ وشربَ رِطْلاً وسقى الجاريةَ رطلاً وسقاني رطلاً؛ ثم قال: غَنِّ، فغنّيته:

صوت

[مجزوء الكامل]

هَاجَ شَوْقِي بَعْدَمَا شِـ ـيْبَ أَصْدَاغِي بُرُوقُ
مَوْهِناً والبَرْقُ مِمَّا ذا الهَوَى قِدْماً يَشُوقُ(٣)

فقال: لمن هذا الصّوت؟ فقلت: لي؛ فقال: قد كنت سمعت فيه لحناً آخر؛ فقلت: نعم، لحن ٱبن مُحْرِزٍ؛ قال: هاته، فغنّيته فطرب وشرب رطلاً، ثم سَقى الجارية رطلاً وسقاني رطلاً؛ ثم قال: غنِّ، فغنّيته: [الطويل]

---

(١) في هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الرّوِيّ.

(٢) الكُمَيت: اللون بين السواد والحمرة. وهنا صفة للفرس.

(٣) الموهن: نحو منتصف الليل، وقيل هو بعد ساعة منه.

[الطويل]

أَفَاطِمُ مَهْلاً بعضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وإنْ كُنْتِ قد أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلي

فقال لي: ليس هذا اللّحن أُريدُ، غَنِّ رَمَل ٱبن سُرَيج؛ فغنّيته وشرب رطلاً وسقى الجارية رطلاً، ثم قال: حَدِّثني، فجعلتُ أحدّثه بأحاديث القِيان والمُغَنِّين طَوْراً، وأحاديثِ العرب وأيّامِها وأخبارِها تارةً، وأُنشِدُهُ أشعار القدماء والمحدَثين في خلال ذلك، إذ دخل الفضلُ بن الرَّبيع، فحدَّثه حديثَ ثلاث جوارٍ مَلَكَهُنّ ووَصَفهنَّ بِالحُسْنِ والإحسان والظَّرْف والأدب؛ فقال له: يا عَبَّاسِيّ، هل تَسخُو نفسُكَ بهنّ؟ وهل لكَ من سَلْوةٍ عنهنّ؟ فقال له: والله يا أمير المؤمنين، إنّي لأسخو بهنّ وبنفسي، فبها فَدَاك الله؛ ثم قام فوجّه بهنّ إليه، فَغَلَبْن على قلبه، وهنّ سِحر وضياء وخُنَث ذات الخال؛ وفيهنّ يقول: [الرمل]

إنَّ سِحْراً وضِيَاءً وخُنُث هُنَّ سِحْرٌ وضِيَاءٌ وخُنُث

أَخَذَتْ سِحْرٌ ولا ذَنْبَ لَهَا ثُلُثَيْ قَلْبِي وتِرْبَاها الثُّلُث

حدّثني الصُّوليّ قال: حَدّثني مَيْمون بن هارون عن إسحاق قال: أتيتُ عُبَيد الله بن محمد بن عائشة بالبصرة، فلمّا دَخَلْتُ إليه حَصِرْتُ؛ فقال لي: إنّ الحَصَرَ[1] رائدُ الحياء، والحياء عَقيدُ الإيمان، فٱنْبَسِطْ وأزِلِ الوحشة، فلئن باعدَتْ بيننا الأحساب، لقد قرّبتْ بيننا الآداب؛ فقلت له: والله لقد سَرَرْتَني بخطابك، وزِدْتَني ببِرِّكَ عَجْزاً عن جوابك؛ ولله دَرّ القُطَامِيّ حيث يقول: [البسيط]

أمَّا قُرَيْشٌ فلن تَلْقَاهُمُ أَبَداً إلاَّ وَهُمْ خَيْرُ مَنْ يَحْفَى ويَنْتَعِلُ

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثم قال: حَدّثني أبو هِفّان قال: وَجَّهَ أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصليّ بزعفران رَطْب وكتب إليه: [البسيط]

اشْرَبْ على الزَّعْفَرانِ الرَّطْبِ مُتَّكِئاً وٱنْعَمْ نَعِمْتَ بِطُولِ اللَّهْوِ والطَّرَبِ

فَحُرْمَةُ الكَأْسِ بينَ النَّاسِ واجِبةٌ كَحُرْمَةِ الوُدِّ والأَرحامِ والأدبِ

قال: فكتب إليه إسحاق: [البسيط]

أُذْكُرْ أَبَا جَعْفَرٍ حَقّاً أَمُتُّ بِهِ أَنّي وإيّاكَ مَشْغُوفانِ بِالأَدَبِ

وأنّنا قد رَضَعْنَا الكَأْسَ دِرَّتَها والكأسُ حُرْمَتُها أَوْلَى مِنَ النَّسَبِ[2]

(١) حَصِرَ حَصَراً: عَيِيَ في النطق وأصله من الحَصْر أي الضِّيق.

(٢) الدِّرّة: في الأصل كثرة اللبن.

حدّثنا الصُّولِيّ قال: حَدّثني محمد بن موسى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: لمّا أراد الفضل بن يحيى الخروجَ إلى خُراسان وَدَّعْتُه، ثم أنشدته بعد التوديع: [المتقارب]

فِـراقُـكَ مِـثْـلُ فـراقِ الـحـيـاةِ وفَـقْـدُكَ مِـثْـلُ ٱفْـتِـقَـادِ الـدِّيَـمْ[1]
عَـلـيـكَ الـسَّـلامُ فَـكَـمْ مِـنْ وَفَـاءٍ أُفَـارِقُ فِـيـكَ وكَـمْ مِـنْ كَـرَمْ

قال: فضمّني إليه، وأمر لي بألف دينار، وقال لي: يا أبا محمد، لو حلّيتَ هذين البيتين بصنعة وأودعتَهما مَنْ يَصلُحُ من الخارجين معنا، لأَهْدَيْتَ بذلك إليّ أُنساً وأذكرتَني بنفسك؛ ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المغنّين؛ فكان كتابه لا يزال يَرِدُ عليّ ومعه ألفُ دينار يَصِلُني بذلك كلما غُنِّيَ بهذا الصّوت. قال الصُّولِيّ: وهو من طريقة الرَّمَل.

أخبرني عَمّي قال: حَدّثني عمر بن شَبّة عن إسحاق قال: قال لي الأصمعيّ: لمّا خرجنا مع الرشيد إلى الرَّقّة قال لي: هل حملتَ معك شيئاً من كتبك؟ فقلت: نعم، حملتُ منها ما خَفَّ حَمْلُه؛ فقال: كم؟ فقلت: ثمانيةَ عشرَ صُندوقاً؛ فقال: هذا لمّا خَفَّفْتَ، فلو ثَقَّلْتَ كم كنتَ تحمل؟ فقلت: أضعافَها؛ فجعل يَعْجَبُ.

[شعره في المعتصم حين وَلِيَ الخلافة]

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثني إسحاق قال: لمّا وَلِيَ المعتصم دخلتُ إليه في جملة الجلساء والشعراء؛ فهنّأه القوم نظماً ونثراً وهو ينظر إليّ مُسْتنطِقاً؛ فأنشدتُه:

صوت

[المديد]

لاحَ بِـالـمَـفْـرِقِ مِـنْـكَ الـقَـتِـيـرُ وذَوَى غُـصْـنُ الـشَّـبَـابِ الـنَّـضِـيـرُ[2]
هَـزِئَـتْ أَسْـمـاءُ مِـنّـي وقـالَـتْ أنـتَ يَـاٱبْـنَ الـمَـوْصِـلـيّ كـبـيـرُ
ورَأَتْ شَـيْـبـاً بِـرَأْسـي فَـصَـدَّتْ وابـنُ سِـتِّـيـنَ بِـشَـيْـبٍ جَـدِيـرُ

---

(١) الدِّيَم: جمع الدِّيمة: مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق.

(٢) القتير: الشيب أو هو أول ما يظهر منه.

لا يَـرُوعَـنَّـكِ شَـيْـبـي فَـإِنِّـي ... مَـعَ هَـذَا الـشَّـيْـبِ حُـلْـوٌ مَـزِيـرُ[١]
قَـد يُـفَـلُّ الـسَّـيْـفُ وهـو جُـرَازٌ ... ويَـصُـولُ الـلَّـيْـثُ وهـو عَـقِـيـرُ[٢]
يـا بَـنِـي الـعَـبَّـاسِ أَنْـتُـمْ شِـفَـاءٌ ... وضِـيَـاءٌ لِـلـقُـلـوبِ ونُـورُ
أَنـتُـمُ أهـلُ الـخِـلافَـةِ فِـيـنـا ... ولَـكُـمْ مِـنْـبَـرُهَـا والـسَّـرِيـرُ
لا يَـزَالُ الـمُـلْـكُ فِـيـكـم مَـدَى الـدَّهْـ ... ـرِ مُـقِـيـمـاً مَـا أَقَـامَ ثَـبِـيـرُ[٣]
وأبـو إسـحـاقَ خَـيْـرُ إمَـام ... مـا لَـهُ فـي الـعَـالـمـينَ نَـظِـيـرُ
مـا لـه فـيـمـا يَـرِيـشُ ويَـبْـرِي ... غـيـرُ تَـوفـيـقِ الإلٰـهِ وزيـرُ[٤]
واضِـحُ الـغُـرَّةِ لِـلـخَـيْـرِ فـيـه ... حـيـنَ يَـبْـدُو شَـاهِـدٌ وبـشـيـرُ
زَانَـهُ هَـدْيُ تُـقًـى وجَـلالٌ ... وعَـفَـافٌ ووَقَـارٌ وخِـيـرُ[٥]
لـو تُـبَـارِي جُـودَهُ الـرِّيـحُ يَـوْمـاً ... نَـزَعَـتْ وهـي طَـلِـيـحٌ حَـسِـيـرُ[٦]

قال: فأمر لي بجائزة فضّلني بها على الجماعة. ثم دخلتُ إليه يوم مقدمه من غَزَاته، فأنشدتُه قولي فيه:

صوت

[المتقارب]

لأَسْـمَـاءَ رَسْـمٌ عَـفَـا بِـالـلِّـوَى ... أَقَـامَ رَهِـيـنـاً لِـطُـولِ الـبِـلَـى
تَـعَـاوَرَه الـدَّهْـرُ فـي صَـرْفِـهِ ... بِـكَـرِّ الـجَـدِيـدَيْـنِ حَـتَّـى عَـفَـا[٧]
إِذِ الـبَـيْـنُ لـم تُـخْـشَ رَوْعَـاتُـهُ ... ولـم يَـصْـرِفِ الـحَـيَّ صَـرْفُ الـرَّدَى
وإذ مَـيْـعَـةُ الـلَّـهْـوِ تَـجْـرِي بِـنـا ... وحَـبْـلُ الـوصـالِ مَـتِـيـنُ الـقُـوَى[٨]
فـذلـكَ دَهْـرٌ مَـضَـى فَـأَبْـكِـهِ ... ومَـنْ ضَـاقَ ذَرْعـاً بِـأَمْـرٍ بَـكَـى
وهـل يَـشْـفِـيَـنَّـكَ مِـنْ غُـلَّـةٍ ... بُـكَـاؤُكَ فـي إِثْـرِ مـا قَـدْ مَـضَـى
إلـى ٱبْـنِ الـرَّشِـيـدِ إِمَـامِ الـهُـدَى ... بَـعَـثْـنَـا الـمَـطِـيَّ تَـجُـوبُ الـفَـلاَ

---

(١) المَزِير: الرجل الظَّريف.
(٢) فلّ السيف: ثَلَمَهُ. والجُرَاز: السيف القَطّاع. عقره: جرح نحرَه، وعقر الإبلَ: قطع قوائمها بالسيف.
(٣) ثبير: من أعظم جبال مكة، بينها وبين عرفة (معجم البلدان ٢: ٧٢).
(٤) يريش السَّهمَ: يلزق عليه الرِّيش.
(٥) الخِيرُ: الهيئة.
(٦) الطّليح: المُتْعَب المهزول. والحسير: الكليل الضعيف.
(٧) الجديدان: الليل والنهار.
(٨) ميعة اللَّهو: أوّله.

إلى مَلِكٍ حَلَّ مِنْ هاشمٍ ذُؤَابَةَ مَجْدٍ مُنِيفِ الذُّرَى
إذا قِيلَ أَيُّ فَتَى هاشِمٍ وسَيِّدُها كانَ ذاكَ الفَتَى
بِهِ نَعَشَ اللَّهُ آمالَنَا كما نَعَشَ الأرْضَ صَوْبُ الحَيَا[1]
إذا ما نَوَى فِعْلَ أُكْرُومَةٍ تجاوزَ مِنْ جُودِهِ ما نَوَى
كَسَاه الإلٰهُ رِداءَ الجَمالِ ونُورَ الجَلالِ وهَدْيَ التُّقَى

قال: فأمر لي بجائزة، وقال: لستُ أَحسُبُ هذا لك إلا بعد أن تَقْرِن صناعتَك فيه بالأُخرى (يعني أن أُغنِّي فيه وفي: «هَزِئَتْ أسماءُ مني»)؛ فصنعتُ في:

* هزئت أسماء مني...... *

لحناً، وفي:

* لأسماء رسم عفا باللّوى *

لحناً آخر وغنّيته بهما، فأمر لي بألفيْ دينار.

نسبة هذين الصوتين [المديد]

هَزِئَتْ أَسْمَاءُ مِنّي وقالَتْ أَنْتَ يابْنَ الموصليّ كَبِيرُ

لحنُ إسحاقَ في أربعة أبيات متوالية من الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى. والآخر:

لأَسْمَاءَ رَسْمٌ عَفَا بِاللِّوَى أَقَامَ رَهِيناً لِطُولِ البِلَى

الغناء لإسحاق ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حَدّثني أبي قال: حَدّثني أحمد بن عُبَيد الله بن أبي العَلاَء قال: غَنَّيْتُ يوماً بين يدي الواثق لحنَ إسحاق في:

هَزِئَتْ أسماءُ مِنّي وقالَتْ أنتَ يا بنَ الموصليّ كبيرُ

قال: فنظر إليّ مخارقٌ نظراً شَزْراً[2] وعضّ شَفَته عَلَيّ؛ فلما خرجنا من بين يَدَي الواثق قلت: يا أستاذ، لِمَ نَظرتَ إليّ ذلك النظرَ؟ أأنكرتَ عليّ شيئاً أم

(١) الصَّوْب: انصباب المطر. والحَيَا: الخصب، وهو أيضاً المطر لإحيائه الأرض والناس.
(٢) نظرَ شَزْراً: نظر بجانب عينه مع إعراضٍ أو غضبٍ.

أخطأتُ في غنائي؟ فقال لي: وَيْحَكَ! أتدري أيَّ صَوْت غَنّيتَ! إن إسحاق جعل صَيْحة هذا الصوت بمنزلة طريق ضيّق وَعْر صعب المُرْتَقَى، أحدُ جانبيْ ذلك الطريق حرفُ الجبل، وعن جانبه الآخر الوادي؛ فإنْ مالَ مُرْتقِيه عن مَحَجَّتِهِ[١] إلى جانب الوادي هَوَى، وإن مال إلى الجانب الآخر نَطَحَهُ حرفُ الجبل فتكسَّرَ؛ صِرْ إليّ غداً حتى أُصَحِّحَهُ لكَ.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حَدّثنا محمد بن يزيد قال: حُدِّثْتُ من غير وجه: أن إسحاق بات ليلةً عند المعتصم وهو أمير، فسمع لحناً لعبد الوهاب المؤذِّن أَذَّن به على باب المعتصم، فأَصْغى إليه فأعجبه، فأعاد المَبيت ليلةً أُخرى عنده حتى استقام له اللَّحنُ؛ فبنى عليه لحنَه:

هَــزِئَــتْ أســمــاءُ مــنِّــي وقــالــتْ *

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا يزيد بن محمد المهلَّبيّ: أنّ إبراهيم بن المهديّ فُصِدَ[٢] يوماً، فكتب إليه إسحاقُ يتعرّفُ خبرَه ويدعو له بالسلامة وحسن العُقبَى، وكتب إليه: إني سأُهدي إليك هديّةً للفَصْد حسنةً؛ فوجَّه إليه بُدَيحاً غلامَه، فغنَّاه لحنَه في:

* هــزئــتْ أســمــاءُ مــنّــي وقــالــتْ *

فٱستحسنه إبراهيم وقال له: قد قَبِلْنا الهديّة، فإن كان أَذِنَ لك في طَرْحِهِ على الجواري فأفعل؛ فقال له: بذلك أمرني، وقال لي: إنك ستقول لي هذا القول، فقال: إن قاله لك فقل له: لو لم آمُرْكَ بطرحه لم يكن هديّة؛ فضحك إبراهيم، وألقاه بُدَيح على جواريه. وقد ذكر عليّ بن محمد بن نصر هذا الخبر، فذكر أنه كتب إلى أبيه بهذه الهديّة؛ وهذا خطأ، لأن الشعر في تهنئة المعتصم بالخلافة، وإبراهيم الموصليّ مات في حياة الرشيد، فكيف يُهدي إليه هذا الصوت!

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدّثني أبي قال: حَدّثني أحمد بن أبي العَلاَء

(١) المَحَجَّة: جادة الطريق أي وسطه سُمّيت بذلك لأنها تُقصَد.

(٢) الفَصْدُ: شَقُّ العِرقِ وإخراج الدم منه.

قال: اندفع محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يوماً يغنّي هذا الصوت؛ فالتفت إلينا مُخَارِق فقال: خرج[١] ٱبن الزانية!.

[يقوّمُ صوتاً لعلّويه في مجلس الفضل بن الربيع]

حدّثني عمّي قال: حَدّثني أبو جعفر محمد بن الدِّهْقَانة النَّديم قال: حَدّثني أحمد بن يحيى المكّي قال: دعاني الفَضْل بن الرَّبيع ودعا عَلّويه ومخارِقاً، وذلك في أيام المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلاّ أنّ حاله كانت ناقصة متضعضِعة؛ فلمّا اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاقَ الموصليّ يسأله أن يصيرَ إليه ويُعْلِمَه الحالَ في ٱجتماعنا عنده؛ فكتب إليهم: لا تنتظروني بالأكل فقد أكلت، وأنا أصير إليكم بعد ساعة؛ فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قَرُبَ العصر، ثم وافى إسحاقُ فجلس، وجاء غلامه بقَطْرَمِيز[٢] نبيذ فوضعه ناحيةً، وأمر صاحبَ الشراب بإسقائه منه، وكان عَلّويه يغنّي الفضلَ بن الرّبيع في لحنٍ لِسِيَاط اقترحه الفضل عليه وأعجبه، وهو:

[الطويل]

فَإِنْ تَعْجَبي أو تُبْصِرِي الدَّهْرَ طَمَّني ... بِأَحْدَاثِهِ طَمَّ الـمُـقَـصَّصِ بِـالـجَـلَـمْ[٣]
فـقـد أتـرك الأضـيـافَ تَـنْـدَى رِحَـالُـهُـمْ ... وأُكْرِمُهُمْ بِالمَحْضِ والتَّامِكِ السَّنِمِ[٤]

ـ ولحنه من الثقيل الثاني ـ فقال له إسحاق: أخطأتَ يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت، وأنا أُصلحه لك؛ فجُنَّ عَلّويه وٱغتاظ وقامت قيامته؛ ثم أقبل على عَلّويه فقال له: يا حبيبي، ما أردتُ الوضعَ منكَ بما قلتُه لك، وإنما أردتُ تهذيبَكَ وتقويمكَ، لأنك منسوبُ الصَّوَاب والخطأ إلى أبي وإليّ، فإن كَرِهْتَ ذلك تركتك وقلت لك: أحسنتِ وأجملتَ؛ فقال له عَلّويه: والله ما هذا أردتَ، ولا أردتَ إلا ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك! أَخبِرْني عنك حين تَجيءُ هذا الوقتَ لمّا دعاك الأمير وعرّفك أنه قد نشِطَ للاصطباح: ما حملك على الترفّع عن مُبَاكرته وخدمته مع صنائعه عندك، وما كان ينبغي أن يَشْغَلك عنه شيء إلا الخليفة! ثم تجيئه ومعك قَطْرَمِيزُ نبيذٍ ترفُّعاً عن شرابه كما ترفّعتَ عن طعامه ومجالسته إلا كما تشتهي وحين

---

(١) خرج: نبغَ.
(٢) القطرميز: وعاء زجاجي.
(٣) طَمّني: غمرني. والجَلَم: الأداة التي يُجَزُّ بها الصوف أو الشعر.
(٤) المَحْض: اللبن الخالص. والتامك: العظيم السنام من الإبل.

تَنْشَطُ، كما تفعل الأكفاء، بل تَزيد على فعل الأكفاء؛ ثم تَعْمِدُ إلى صوت قد ٱشتهاه وٱقترحه وسمعه جميعُ من حضر فما عابه منهم أحد فتَعِيبه ليتمَّ تنغيصُك إياه لَذَّته! أمَا والله لو الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأمير، بل بعضُ أتباعهم، لبادرتَ وباكرتَ وما تأخرتَ ولا ٱعتذرتَ، قال: فأمسك الفضلُ عن الجواب إعجاباً بما خاطب به عَلّويه إسحاقَ؛ فقال له إسحاق: أمّا ما ذكرتَه من تأخُّري عنه إلى الوقت الذي حضرتُ فيه، فهو يعلم أنّي لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع، إن وَثِقَ بذلك منّي وإلاّ ذكرتُ له الحجّة سِرًّا من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل. وأما ترفّعي عنه، فكيف أترفّعُ عنه وأنا أنتسبُ إلى صنائعه وأستمنحُه وأعيش من فضله مذ كنتُ، وهذا تَضْريب[1] لا أُبالي به منك؛ وأما حَمْلي النبيذَ معي، فإنّ لي في النبيذ شرطاً من طعمه وريحه، وإن لم أجده لم أقدِرْ على الشّرب وتَنَغَّصَ عليّ يومئذ، وإنما حملته ليتمّ نشاطي وينتفعَ بي؛ وأما طعني على ما ٱختاره، فإني لم أطعن على اختياره، وإنما أردتُ تقويمَكَ، ولست والله تراني مُتتبعاً لك بعد هذا اليوم ولا مُقَوّماً شيئاً من خطئِكَ؛ وأنا أُغَنّي له ـ أعزّه الله ـ هذا الصوتَ فيعلم وتعلم ويعلم مَنْ حضرَ أنك أخطأتَ فيه وقصَّرْتَ. وأما البَرَامكة وملازمتي لهم فأَشْهَرُ من أن أجحده، وإنّي لَحَقِيقٌ فيه بالمعذرة، وأَحْرَى أن أشكرهم على صَنِيعِهم وبأن أُذيعَهُ وأنشُرَه، وذلك والله أقلُّ ما يستحقُّونه منّي. ثم أقبل على الفضل ـ وقد غاظه مَدْحُه لهم ـ فقال: اسمع منّي شيئاً أُخبرُكَ به مما فعلوه ليس هو بكبير في صنائعهم عندي ولا عند أبي قبلي، فإن وجدتَ لي عذراً وإلا فَلُمْ: كنتُ في ٱبتداء أمري نازلاً مع أبي في داره، فكان لا يزال يجري بين غلماني وغلمانه وجواريَّ وجواريه الخصومة، كما تجري بين هذه الطبقات، فيشكونهم إليه، فأتبيَّنُ الضّجَرَ والتنكُّرَ في وجهه؛ فٱستأجرتُ داراً بقربه وٱنتقلت إليها أنا وغلماني وجواريّ، وكانت داراً واسعة، فلم أَرْضَ ما معي من الآلةِ لها ولا لمن يدخل إليّ من إخواني أن يَرَوْا مثلَه عندي؛ ففكَّرتُ في ذلك وكيف أصنع، وزاد فِكري حتى خَطَر بقلبي قُبْحُ الأُحْدوثةِ من نزول مثلي في دارٍ بأُجرة، وأني لا آمَنُ في وقت أن يَستأذن عليّ صاحبُ داري، وعندي مَنْ أحتشمُهُ ولا يعلم حالي، فيُقال صاحبُ دارك، أو يُوَجِّهُ في وقتٍ فيطلب أجرة الدار وعندي من أحتشمه؛

---

(١) التضريب: التحريض والإغراء بين الناس.

فضاق بذلك صدري ضِيقاً شديداً حتى جاوز الحدّ؛ فأمرت غلامي بأن يُسرِجَ لي حماراً كان عندي لأَمْضيَ إلى الصّحراء أتفرّجُ فيها مما دخل على قلبي، فأَسرجَهُ وركبتُ برداء ونعل؛ فأَفْضى بي المسيرُ وأنا مفكّر لا أُمَيِّزُ الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد؛ فتواثبَ غِلمانُه إليَّ؛ وقالوا: أين هذا الطريق؟ فقلت: إلى الوزير؛ فدخلوا فٱستأذنوا لي؛ وخرج الحاجب فأمرني بالدخول، وبقيتُ خَجِلاً، قد وقعت في أمرين فاضحين: إنْ دخلتُ إليه برداء ونعل وأعلمته أنِّي قصدته في تلك الحال كان سوءَ أدبٍ، وإن قلت له: كنت مجتازاً ولم أقصِدْكَ فجعلتك طريقاً كان قبيحاً؛ ثم عزمتُ فدخلتُ؛ فلمّا رآني تبسَّمَ وقال: ما هذا الزِّيّ يا أبا محمد! احتبسنا لك بالبرّ والقَصْد والتفقّد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً؛ فقلت: لا والله يا سيِّدي، ولكني أَصْدُقُكَ؛ قال: هاتِ؛ فأخبرته القصّة من أوّلها إلى آخرها؛ فقال: هذا حقّ مستوٍ، أفهذا شغل قلبك؟ قلت: إي والله! وزاد فقال: لا تَشغَلْ قلبَكَ بهذا، يا غلام، ردّوا حماره وهاتوا له خِلعة؛ فجاءُوني بخِلعة تامّة من ثيابه فلبستها، ودعا بالطعام فأكلت ووُضِعَ النبيذ فشربت وشرب فغنّيتُه، ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة وكتب أربعَ رِقاع طننتُ بعضَها توقيعاً لي بجائزة، فإذا هو قد دعا ببعض وكلائه فدفع إليه الرِّقاع وسَارَّهُ بشيء، فزاد طَمَعي في الجائزة؛ ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى العَتَمَة؛ ثم ٱتّكأ يحيى فنام، فقمت وأنا مُنْكَسِرٌ خائبٌ فخرجتُ وقُدِّمَ لي حماري؛ فلمّا تجاوزت الدَّارَ قال لي غلامي: إلى أين تمضي؟ قلت: إلى البيت؛ قال: قد والله بِيعَتْ دارُكَ وأشهِدَ على صاحبها، وٱبتيعَ الدَّرْبُ كلّه ووُزِنَ ثمنُه، والمُشترِي جالسٌ على بابك ينتظركَ ليعرّفك، وأظنّه اشترى ذلك للسلطان، لأني رأيت الأمرَ في ٱستعجاله وٱستحثاثه أمراً سلطانيًا؛ فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حِسابي، وجئت وأنا لا أدري ما أعمل؛ فلمّا نزلت على باب داري إذ أنا بالوكيل الذي سَارَّه يحيى قد قام إليَّ فقال لي: ادخُل ـ أَيَّدَكَ اللهُ ـ دارَكَ حتى أدخل إلى مخاطبتك في أمر أحتاج إليك فيه، فطابَتْ نفسي بذلك، ودخلتُ ودخل إليّ فأقرأني توقيعَ يحيى: «يُطْلَقُ لأبي محمد إسحاقَ مائةُ ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها» والتوقيع الثاني إلى ٱبنه الفَضْل: «قد أمرتُ لأبي محمد إسحاقَ بمائة ألف درهم يبتاع له بها داره، فأَطْلِقْ إليه مثلَها لِيُنفقها على إصلاح الدَّار كما يريد وبنائها على ما يشتهي». والتوقيع الثالث إلى جعفر: «قد أمرتُ لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له بها منزل يسكنه، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم يُنفقُها على

بنائها ومَرَمّتِها على ما يريد، فأطلِقْ له أنت مائةَ ألف درهم يَبتاع بها فرشاً لمنزله» والتوقيع الرابع إلى محمد: «قد أمرتُ لأبي محمد إسحاقَ أنا وأخواك بثلاثمائة ألف درهم لمنزل يَبتاعه ونفقة يُنْفِقُها عليه وفَرش يَبْتَذِلُه، فمُرْ له أنت بمائة ألف درهم يصرفُها في سائر نفقته». وقال الوكيل: قد حملتُ المال واشتريت كل شيء جاورك بسبعين ألفَ درهم، وهذه كتب الابتياعات بأسمي والإقرار لك، وهذا المال بُورِكَ لكَ فيه فأقبِضْهُ؛ فقبضتُه وأصبحت أحسنَ حالاً من أبي في منزلي وفرشي وآلتي؛ ولا والله ما هذا بأكبرِ شيءٍ فعلوه لي، أَفَأُلامُ على شكرِ هؤلاء! فبكى الفضل بن الربيع وكل مَنْ حضر، وقالوا: لا والله لا تُلامُ على شكر هؤلاء. ثم قال الفضل: بحياتي غنِّ الصَّوْتَ ولا تبخَلْ على أبي الحسن بأن تُقوّمه له؛ فقال: أفعل؛ وغنّاه، فتبيّن عَلّويه أنه كما قال، فقام فقبَّل رأسَه وقال: أنتَ أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا وأحتمالنا من كل أحد؛ ورَدّه[1] إسحاقُ مَرّاتٍ حتى أستوى لعلّويه.

ولقد رُوِي في هذا الخبر بعينه أنّ هذه القصّة كانت عند عليّ بن هشام، وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جَحْظة قال: حَدّثني مَيْمون بن هارون وأبو عبد الله الهاشميّ قالا: دعا عليّ بن هشام إسحاقَ الموصليّ وسأله أن يصطبحَ عنده ويُبَكِّرَ فأجابه؛ فلمّا كان الغد وافاه ظهراً وعنده مُخارِق وعَلّويه؛ فقال له عليّ بن هشام: أين كنتَ الساعةَ يا أبا محمد؟ قال: عاقني أمرٌ لم أجدْ من القيام به بُدًّا؛ فدعا له بطعام فأصاب منه، ثم قعدوا على نبيذهم، وتغنّى عَلّويه صوتاً، الشعر فيه لابن ياسين، وهو:

الصوت

[الطويل]

إِلَـهِـي مَـنَـحْـتَ الـوُدَّ مِـنّـي بَـخِـيـلَـةً ... وأَنْـتَ عـلـى تَـغْـيـيـرِ ذاكَ قَـدِيـرُ

شِـفَـاءُ الـهَـوَى بَـثُّ الـهَـوَى واشْـتِـكَـاؤُهُ ... وإنَّ آمْـرَأً أَخْـفَـى الـهَـوى لَـصَـبُـورُ

ـ الغناء لسليمان أخي أُحَيْحة، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو ـ فقال له إسحاق: أخطأتَ وَيْلكَ! فوضع عَلّويه العود وشرب رطلاً وشرب عليّ بن هشام؛ ثم تناول العود وغنّى:

---

(١) رَدّه: رَدّده.

صوت

[المديد]

وَلَقَدْ أَسْمُو إِلَى غُرَفٍ ... فِي طَرِيقٍ مُوحِشٍ جُدَدُهْ[١]
حَوْلَهُ الأَحْرَاسُ تَحْرُسُهُ ... وَلَدَيْهِ جَائِماً أَسَدُهْ

- الغناء لمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو - فقال له إسحاق: أخطأتَ وَيْلَكَ! فوضع العود من يده ثم أقبل على إسحاق فقال له: دعاك الأمير - أعزّه الله - لتُبكِّرَ إليه، فجِئْتَهُ ظُهْراً، وغنيتُ صوتين يشتهيهما الأمير - أعزّه الله - عليّ فخطّأتني فيهما، وزعمتَ أنك لا تغنّي بين يدي الأمير - أعزّه الله - ولا تغنّي إلا بين يدي خليفة أو وليّ عهد، ولو دعاكَ بعضُ البَرامكةِ لَكُنتَ تُسرع إليه ثم تغنّي مُنْذُ غُدْوةٍ إلى اللّيل! فقال إسحاق: إني والله ما أردت انتقاصاً منك، ولا أقول مثلَه لِغيرك ولا أريد ازدراءً من أحد، ولكني أردت بك خاصَّةً التقويمَ والتأديب؛ فإنْ ساءَكَ ذلك تركتُك في خطئك. ثم أقبل على عليّ بن هشام، فقال له: أَعَزَّكَ الله، إني أُحَدِّثُكَ عن البَرَامكة بما يُقيم عذري فيما ذكره: دخلت على يحيى بن خالد يوماً، ولم أكن أردت الدخول عليه، وإنما ركبت مُتَبَذِّلاً[٢] لِهَمٍّ أَهَمَّني، وكنت نازلاً مع أبي في داره، فضِقْتُ صَدْراً بذلك وأحببت النُّقْلَةَ عنه، ونظرتُ فإذا يدي تَقْصُرُ عَمَّا يُصْلِحُني؛ ثم ذكر الخبرَ نحواً مما قلته. وزاد فيه: أنه دخل إلى يحيى بن خالد وهو مُصْطَبح، فلما رآه نَعَرَ[٣] وصَفَّقَ، وأنه وقَّعَ له بمائتي ألف درهم، ووقَّع له كلٌّ من جعفر والفَضْل بمائة وخمسين ألفاً، وكلٌّ واحد من موسى ومحمد بمائة ألفِ مائة ألف. وقال فيه: فبكى عليّ بن هشام ومَنْ حضرَ، وقالوا: لا يُرَى والله مثلُ هؤلاء أبداً؛ وأخذ إسحاقُ العودَ فغنّى الصَّوتَين فأتى فيهما بالعجائب؛ فقام عَلّويه فقبّلَ رأسه وقال له: أنت أستاذنا وٱبن أستاذنا، وما بنا عن تقويمك غِنىً؛ ثم غَنَّى بعد ذلك لحنَه: «تَشَكَّى الكميتُ الجَرْيَ»، ولم يَزَلْ يُغَنِّي بقيَّةَ يومه كلّما شربَ عليّ بن هشام؛ ثم ٱنصرف فأتبعه عليّ بن هشام بجائزة سنيّة.

---

(١) الجُدَد: جمع الجدّة: المعالم.
(٢) التبذّل: ترك التزيُن.
(٣) نعرَ: صاح وَصَوَّتَ.

[شهادة من عبد الله بن العباس بتفوّقه في الصنعة]

حدّثني الصُّوليّ قال: حدّثنا عَوْن بن محمد قال: حَدَّثني عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ قال: أحضرني إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب، فلمّا جلست واطمأننت، أخرج إليّ خادمُه رقعةً، فقال: اقرأ ما فيها وٱعمل بما رسَمه الأمير أعزّه الله؛ فقرأتها فإذا فيها قوله:

صوت [البسيط]

يَرْتَاحُ لِلدَّجْنِ قَلْبي وهو مُقْتَسَمٌ … بينَ الهموم ٱرتياحَ الأرضِ لِلمَطَرِ[1]
إنّي جَعَلْتُ لهذا الدَّجْنِ نِحْلَتَهُ … ألاَّ يَزُولَ ولِي في اللَّهْوِ مِنْ وَطَرِ[2]

وتحت هذين البيتين: «تقدَّمْ ـ جُعِلتُ فِداكَ ـ إلى مَنْ بحضرتك من المغنِّين بأن يُغَنُّوا في هذين البيتين، وألْقِ جميعَ ما يصنعونه على فلانة؛ فإذا أخذتْه فأنفِذْها إليّ مع رسولي»؛ فقلت: السمعُ والطاعة لأمر الأمير أعزّه الله فهل صنع فيهما أحد قبلي؟ فقال: نعم، إسحاق الموصليّ؛ فقلت: والله لو كُلِّفَ إبليسُ أن يصنعَ فيهما صنعةً يفضُل إسحاقَ فيها بل يساويه بل يقاربه، ما قدَرَ على ذلك ولا بلغ مبلغَه؛ فضحك حتى ٱستلقى، وقال: صدقتَ والله! وهكذا يقول مَنْ يعقلُ لا كما يقول هؤلاء الحَمْقَى، ولكن اصنعْ فيهما على كل حال كما أمر؛ فقلت: أفعلُ وقد بَرِئْتُ مِنَ العُهْدَةِ؛ فٱنصرفتُ فصنعتُ فيهما صنعةً كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القَرّادين.

حدّثني جَحْظة قال: حدّثني ميمون قال: حَدّثني إسحاق الموصليّ قال: قال لي المعتصِم أو قال لي الواثِق: لقد ضَحِكَ الشَّيْب في عارضَيْك؛ فقلت: نعم يا سيِّدي، وبكيت؛ ثم قلت أبياتاً في الوقت وغنّيت فيها: [المتقارب]

تَوَلَّى شَبابُكَ إلاَّ قَلِيلاَ … وحَلَّ المَشِيبُ فَصَبْراً جَمِيلاَ
كَفَى حَزَناً بِفراقِ الصِّبَا … وإنْ أصبحَ الشَّيْبُ منه بَدِيلاَ
ولَمَّا رَأى الغانياتُ المَشِيـ … ـبَ أَغْضَيْنَ دُونَكَ طَرْفاً كَلِيلاَ
سَأَنْدُبُ عَهْداً مَضَى لِلصِّبا … وأَبْكي الشَّبَابَ بُكاءً طَوِيلاَ

---

(١) الدَّجن: الغيم المُطبِّق المظلم.
(٢) النِّحْلَة: العطيّة والهِبة، والوَطَر: الحاجة والبغية.

فبكى الواثق وحَزِنَ وقال: والله لو قدَرتُ على رَدِّ شبابك لَفَعلتُ بِشَطْرِ مُلكي؛ فلم يكن لكلامه عندي جواب إلا تقبيل البساط بين يديه.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال: حَدّثني حَمْدون بن إسماعيل قال: لمّا صنع أبوك لحنَه في: [المنسرح]

قِفْ بالدِّيَارِ الَّتي عَفَا القِدَمُ وغَيَّرَتْها الأَرْواحُ والدِّيَمُ[1]

رأيتهم (يعني المُغَنِّين) يأخذونه عنه ويَجْهَدون فيه؛ فتُوُفِّيَ والله وما أخذوا منه إلا رَسْمَه.

نسبة هذا الصوت

صوت

قِفْ بالدِّيَارِ الَّتي عَفَا القِدَمُ وغَيَّرَتْها الأَرْواحُ والدِّيَمُ
لَمَّا وَقَفْنَا بها نُسَائِلُها فَاضَتْ مِنَ القَوْمِ أَعْيُنٌ سُجُمُ[2]
ذِكْراً لِعَيْشٍ إذا ذَكَروا ما فاتَ منه فإنَّهُ سَقَمُ
وكُلُّ عَيْشٍ دَامَتْ غَضَارَتُهُ مُنْقَطِعٌ مَرَّةً ومُنْصَرِمُ[3]

الشّعر والغناء لإسحاق، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جميع أغانيه.

حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال: حَدّثني هارون اليَتيم قال: حَدّثني عُجَيف بن عَنْبَسة قال: كنت عند أمير المؤمنين المعتصِم وعنده إسحاق الموصليّ، فغنّاه:

[مجزوء الخفيف]

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا ونَأى عَنْكَ جَانِبَا

فأمره بإعادته، فأعاده ثلاثاً، وشرب عليه ثلاثاً؛ فقال له إبراهيم بن المهديّ: قد ٱستحسنتَ هذا الصوت يا أمير المؤمنين، أفنأخذه؟ قال: نعم، خذوه فقد أعجبني؛ فٱجتمع جماعةُ المغنّين: مخارِقٌ وعَلّويه وعَمْرو بن بانة وغيرهم، فأمره المعتصم أن يُلقيَه عليهم حتى يأخذوه؛ فقال عُجَيف: فعددتُ خمسين مرّة قد أعاده

(١) الأرواح: جمع الريح.
(٢) السَّجَم: الدمع، وعينٌ سَجومٌ: تَسيلُ الدمعَ.
(٣) عيشٌ غَضِرٌ: طَيِّب.

فيها عليهم وهم يظنّون أنهم قد أخذوه ولم يكونوا أخذوه. قال هارون: فنحن في هذا الحديث إذ دخل علينا محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، فقال له عُجَيْف: يا أبا جعفر، كنتُ أُحَدِّثُ أبا موسى بحديثنا البارحةَ مع إسحاقَ في الصوت وأنّي عددت خمسين مرة؛ فقال محمد: إي واللهِ! ـ أصلحكَ اللهُ ـ ولقد عددتُ أنا أكثرَ من سبعين مرّة وما في القوم أحد إلا وهو يظن أنه قد أخذه، والله ما أخذه أحد منهم وأنا أوّلهم ما قدَرت ـ علم الله ـ على أخذه على الصحة وأنا أسرعُهم أخذاً، فلا أدري: ألِكَثْرَةِ زوائده فيه أم لِشِدَّةِ صعوبته؛ ومَنْ يَقْدِرُ أن يأخذَ من ذلك الشيطان شيئاً!. أخبرني محمد بن مَرْيد قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال: حَدّثني عُجَيْف بن عَنْبَسة بهذا الخبر فذكر مثلَه سواءً.

قال أبو أيّوب وحدّثني حَمّاد عن أبيه قال: كنت يوماً عند المعتصم، فمرَّ شِعرٌ على هذا الوزن فقال: وَدِدتُ أنه على غير ما هو؛ فقلت له: أنا لك به على هذا الوزن في أحسنَ من هذا الشعر:

صوت

[مجزوء الخفيف]

قُــلْ لِــمَــنْ صَــدَّ عَــاتِــبَــا ... ونَــأَى عَــنْــكَ جَــانِــبَــا

قَــدْ بَــلَــغْــتَ الَّــذي أَرَدْ ... تَ وإنْ كُــنْــتَ لاَعِــبَــا

فأعجبه، وقال لي: قد والله أحسنت! وأمر لي بألفيْ دينار، ووالله ما كانت قيمتهما عندي دَانِقَيْن[١].

الشعر والغناء في هذين البيتين لإسحاقَ، ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى.

[الفضل بن الربيع يتوسَّطُ له عند الأمين]

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حَدّثني أبو أيّوب المَدِينيّ قال: حَدّثني ٱبن المَكّيّ عن إسحاق قال: غَضِبَ عَلَيَّ المخلوعُ[٢] فأقصاني وجفاني، فٱشتدَّ ذلك

(١) الدانق: سدس الدرهم.

(٢) المخلوع: هو الأمين بن هارون الرشيد وقد نادى المأمون بخلعه فسُمّيَ المخلوع.

عليّ ـ قال: وجفاني وهو يومئذ بالأنبار[١] ـ فحمَلتُ عليه بالفضل بن الربيع، فطلب إليه فشَفّعه المخلوعُ ودعاني وهو مُصْطَبِحٌ، فلم أزلْ متوقّفاً وقد لبِستُ قَبَاءً[٢] وخُفًّا أحمرَ وٱعتصبتُ بعِصابة صفراءَ وشدَدْتُ وسطي بِشُقّةٍ حمراء من حرير؛ فلما أخذوا في الأهزاج دخلتُ وفي يديّ صَفّاقتان[٣] وأنا أتغنّى:

صوت

[المجتث]

إِسْـمَـعْ لِـصَـوتٍ طَـرِيـبِ ... مِـنْ صَـنْـعَـةِ الأَنْـبَـارِي

صَـوْتٍ مَـلِـيـحٍ خَـفِـيـفٍ ... يَـطِـيـرُ فِـي الأَوْتَـارِ

ـ الشعر والغناء لإسحاقَ، هزجٌ بالبنصر ـ فسُرَّ بذلك محمد، وكان صوتهم في يومهم ذلك، وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم. وأخبرني جَحْظة بهذا الخبر عن محمد بن أحمد بن يحيى المَكّيَ قال: حَدّثني أبي أن إسحاق حدّثه بهذا الخبر، وذكر مثل ما ذكره يحيى؛ وزاد فيه قال: وكان سبب تسمية محمد لي بـ «الأنباري» أني دخلت عليه يوماً وقد لُثْتُ[٤] عمامتي على رأسي لَوْثاً غير مُسْتَحْسَنٍ، فقال لي: يا إسحاق، كأنَّ عمامتكَ من عمائم أهل الأنبار.

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيديّ قال: حَدّثني عَمِّي الفضل عن إسحاق، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حَدّثني عَمِّي الفَضْل عن إسحاق، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدّثني أبي: قال إسحاق: قلت في ليلة من اللّيالي:

صوت

[الخفيف]

هَـلْ إِلـى نَـظْـرَةٍ إِلَـيْـكِ سَـبِـيـلُ ... يُرْوَ منهـا الصَّدى ويُشْفَى الغَلِيلُ[٥]

إنّ مَـا قَـلَّ مِـنْـكَ يَـكْـثُـرُ عِـنْـدِي ... وكَـثِـيـرٌ مِـمَّـنْ تُـحِـبُّ الـقَـلِـيـلُ

---

(١) الأنبار: مدينة قرب بَلْخ وهي قصبة ناحية جُوزَجان، ولها مياه وكروم وبساتين كبيرة (معجم البلدان ١: ٢٥٧).

(٢) القباء: الثوب الذي يلبس فوق الثياب.

(٣) الصفاقتان: لعلها من آلات الطرب يُسْمَع لهما صوت عندما يضربان ببعضهما.

(٤) لاث العمامة: لَفَّها وعَصَبها.

(٥) الصَّدَى: العطش الشديد.

قال: فلمّا أصبحت أنشدتهما الأصمعيّ، فقال: هذا الدّيباج الخُسْرُوَانيّ[1]، هذا الوَشْي الإسكندرانيّ، لمن هذا؟ فقلت له: إنه ابن ليلته؛ فتبيّنت الحسدَ في وجهه، وقال: أفسدتَه! أفسدتَه! أَمَا إنّ التوليد فيه لَبَيِّنٌ. في هذين البيتين لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر.

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال: حَدّثني عليّ بن يحيى قال: حَدّثني إسحاق بهذا الخبر، فذكر مثل ما ذكره من قدّمت الرواية عنه، وزاد فيه: فقال لي عليّ بن يحيى بعَقِب هذا الخبر: كان إسحاق يُعْجَبُ بهذا المعنى ويكرّره في شعره، ويرى أنه ما سُبِقَ إليه؛ فمن ذلك قوله:

صوت

[مجزوء الرمل]

أَيُّها الظَّبْيُ الغَرِيرُ ... هَلْ لَنَا مِنْكَ مُجِيرُ
إنَّ ما نَوَّلْتَنِي مِنْـ ... ـكَ وإنْ قَلَّ كَثِيرُ

ـ لَحنُ إسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ـ فقلت: إنك قد سُبِقْتَ إلى هذا المعنى، فقال: ما علمتُ أنّ أحداً سبقني إليه؛ فأنشدته لأعرابيّ من بني عُقَيْل:

[الطويل]

قِفي وَدِّعِينا يا مَلِيحُ بِنَظْرَةٍ ... فقد حَانَ مِنَّا يا مَلِيحُ رَحِيلُ
أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةٌ إنْ نَظَرْتُها ... إلَيْكِ وكَلاً ليسَ مِنْكِ قَلِيلُ
عُقَيْلِيَّةٌ أَمَّا مَلاَثُ إزَارِها ... فَوَعْثٌ وَأَمَّا خَصْرُهَا فضَئيلُ[2]

صوت

[الطويل]

أيا جَنَّةَ الدُّنيا ويا غَايَةَ المُنَى ... ويا سُؤْلَ نَفْسِي هل إليكِ سَبيلُ
أَراجِعَةٌ نَفْسِي إلَيَّ فَأَغْتَدِي ... مَعَ الرَّكْبِ لم يُقْتَلْ عَليكِ قتيلُ
فما كُلَّ يومٍ لي بأَرضِكِ حَاجةٌ ... ولا كُلَّ يَوْمٍ لِي إِلَيكِ رَسُولُ

قال: فحلف أنه ما سَمِعَ بذلك قَطُّ، قال عليّ بن يحيى: وصدق، ما سمع بها. الغناء في الأبيات الأخيرة من أبيات العُقَيْلِيّ.

---

(١) الخسرواني: نسبة إلى خسروشاه وهو نوع من الثياب.
(٢) مَلاث الإزار: ما دون الخصر أي العجز وما تحته. والوَعْث: اللّيِّن

[حوارٌ لطيف وعتب رقيق بين إبراهيم بن المهدي وإسحاق]

حدّثني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الحسين بن محمد بن أبي طالب الدِّيناريّ بمكة قال: حَدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال: عاتبني إبراهيم بن المهديّ في تَرْكِ المجيء إليه، فقال لي: مَنْ جمع لك مع المودّة الصادقة رأياً حازماً، فأجمعْ له مع المحبة الخالصة طاعةً لازمة؛ فقلت له: جعلني الله فِداكَ، إذا ثبتتِ الأُصولُ في القلوب، نطقتِ الألسنُ بالفروعِ، والله يعلمُ أنَّ قَلبي لك شاكرٌ، ولِسَاني بالثَّناءِ عليكَ ناثِرٌ؛ وما يظهر الودّ المستقيم، إلاّ من القلب السليم؛ قال: فأَبْرِىءْ ساحتَك عندي بكثرة مجيئك إليّ؛ فقلت: أجعل مجيئي إليكَ في اللَّيل والنَّهار نُوَباً أتيقّظُ لها كتيقّظي للصلوات الخمس، وأكونُ بعد ذلك مقصّراً؛ فضحك وقال: مَنْ يقدِرُ على جوابِ المغنّين! فقلت: مَنِ اتَّخذَ الغناءَ لنفسه ولم يَتَّخِذْهُ لغيره؛ فضحك أيضاً، وأمر لي بِخلَع ودنانيرَ وبِرْذَوْن وخادم. وبلغ الخبرُ المعتصمَ، فضاعف لإبراهيم ما أعطاني، فَرُحْتُ وقد ربحتُ وأربحتُ.

حدّثنا الحَرَمِيّ قال: حَدّثنا الدِّيناريّ قال: حَدّثني إسحاق قال: عَتَبَ عَلَيّ الفضلُ بن الرَّبيع في شيء بلغه عَنّي؛ فكتبت إليه: «إنَّ لِكُلِّ ذنبٍ عفواً وعقوبة؛ فذنوب الخاصَّةِ عندَك مستورة مغفورة، فأمّا مثلي من العامّة فذنبه لا يُغْفَرُ، وكسره لا يُجْبَرُ؛ فإن كنتَ لا بُدَّ مُعَاقِبي فإعراضٌ لا يؤدّي إلى مَقْتٍ»[١].

حدّثني الحَرَميّ قال: حَدَّثنا الدِّينارِيّ قال: حَدّثني إسحاق قال: كان يختلف إليّ رجلٌ من الأعراب، وكان الفضل بن الربيع يقرّبه ويستظرف كلامَه، وكان عندي يوماً وجاء رسول الفضل يطلبه فمضى إليه؛ فقال له الفضل: فيمَ كنتم؟ قال: كنا في قِدْرٍ تَفُور، وكأس تَدُور، وغناء بَصُور، وحديثٍ لا يَحُور.

[إسحاق يفتخر بأنه يقول الشعر على ألسن الأعراب]

حدثنا الحَرَميّ قال: حَدّثنا الحسين بن طالب قال: كان إسحاق يقول الشعر على ألسن الأعراب، وينشده للأعراب، وكان يُعَايِي بذلك أصحابَه ويُغْرِبُ عليهم

---

(١) المَقْتُ: البغض.

به؛ فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابيّ: [الكامل]

لَفَظَ الخُدورُ عَليكَ حُوراً عِينَا ... أنسَيْنَ ما جَمَعَ الكِنَاسُ قَطِينَا[1]

فإذا بَسَمْنَ فَعَنْ كَمِثْلِ غَمَامةٍ ... أَوْ أُقحُوانِ الرَّمْلِ بَاتَ مَعِينَا[2]

وأَصَحُّ مَنْ رَأتِ العُيونُ مَحَاجِراً ... ولَهُنَّ أَمْرَضُ ما رَأيْتَ عُيُونَا[3]

وكأنَّما تلكَ الوُجُوهُ أَهِلَّةٌ ... أَقْمَرْنَ بينَ العَشْرِ والعِشْرِينَا[4]

وكَأَنَّهُنَّ إذا نَهَضْنَ لِحَاجَةٍ ... يَنْهَضْنَ بِالعَقِدَاتِ مِنْ يَبْرِينَا[5]

قال: وأنشدني أيضاً مما كان ينسُبه إلى الأعراب وهو له: [الطويل]

ومَكحولةُ العَيْنَيْنِ مِنْ غَيْرِ مَا كُحْلِ ... مُهَفْهَفَةَ الكَشْحَيْنِ ذات شَوَى خَدْلِ[6]

مُنَعَّمَةُ الأطرافِ مُفْعَمَةُ البُرَى ... رَوَادِفُها تَحكِي الدَّهَاسَ مِنَ الرَّمْلِ[7]

صَيُودٌ لألبابِ الرِّجَالِ، مَتَى رَنَتْ ... إلى ذِي نُهًى جَلْدِ القُوَى وَافِرِ العَقْلِ

تَخَلَّى النُّهَى عنه وخَالَفَهُ الصِّبَا ... وأَسْلَمَهُ الرَّأْيُ الأصيلُ إلى الجَهْلِ

شَبِيبَةُ كُثْبَانٍ يَرُوقُكَ تَحتَها ... عَنَاقِيدُ كَرْمٍ جَادَها غَدَقُ الوَبْلِ[8]

رَمَتْني فَحَلَّتْ نَائِطَيَّ ولم تُصِبْ ... لها نَائِطَيْ قَلْبٍ ولا مَقْتَلاً نَبْلِي[9]

حَدَّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حَدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال: حُدِّثْتُ عن الأصمعيّ قال: دخلت أنا وإسحاق الموصليّ يوماً على الرشيد فرأيناه لَقِسَ[10] النَّفْس؛ فأنشده إسحاق يقول:

---

(١) حَوِرَت العَينُ: اشتدّ بياضُ بياضها وسواد سوادها فهي حوراء. والكِناس: موضع من بلاد غنيّ ذكرها جرير في شعره (معجم البلدان ٤ :٤٨١). والقَطِين: جمع القاطن: أهل الدار.

(٢) الأقحوان: نبات أوراق زهرة مفلّجة صغيرة يشبّهون بها الأسنان، وهو من أجمل أزهار الحدائق بألوانه وأشكاله المتعدّدة. ومعين: رَيّان.

(٣) العيون المريضة: التي فيها فتورٌ.

(٤) أهلّة: جمع هلال. وأقمرن: أصبحنَ أقماراً.

(٥) العَقِدَات: جمع العَقِدَة: ما تراكم من الرمل وتعقّد. ويبرين: موضع بالبحرين رمله معروف بالكثرة (معجم البلدان ٥ :٤٢٧).

(٦) الكَشح: ما بين السُرّة ووسط الظهر والشَوى: الأطراف. وخَدِلَت الساقُ: كانت خَدْلَةً أي ممتلئة ضخمة.

(٧) البُرَى: جمع البرة: الخلخال أو القرط. والدَّهاس: المكان السهل.

(٨) الغَدَق: الماء الكثير.

(٩) النَّائط: عِرْقٌ مستبطن الصلب تحت المتن أو ممتدّ في الصلب.

(١٠) لَقِست النفس: غَثَت.

صوت

[الطويل]

وآمِرَةٍ بِالبُخْلِ قُلْتُ لها اقْصُري ... فذلِكِ شَيءٌ ما إليه سَبِيلُ
أرى النَّاسَ خُلاَّنَ الكِرَامِ ولا أرَى ... بَخِيلاً له حَتَّى المَمَاتِ خَليلُ
وإنّي رَأيْتُ البُخْلَ يُزْرِي بِأهْلِهِ ... فأكْرَمْتُ نَفْسي أنْ يُقَالَ بَخيلُ
ومِنْ خَيْرِ حالاتِ الفَتَى لو عَلِمْتِهِ ... إذا نَالَ خَيْراً أنْ يَكُونَ يُنِيلُ
فعالي فعالُ المُكْثِرِينَ تَجَمُّلاً ... ومَالِي كما قد تَعلمينَ قَليلُ
وكيف أخَافُ الفَقْرَ أو أُحْرَمُ الغِنَى ... ورَأْيُ أميرِ المؤمنينَ جَميلُ

قال: فقال الرشيد: لا تَخَفْ إن شاء الله؛ ثم قال: لله دَرّ أبيات تأتينا بها؛ ما أشدّ أُصولَها، وأحسن فُصُولَها، وأقلَّ فضُولَهَا! وأمر له بخمسين ألف درهم؛ فقال له إسحاق: وصفُكَ والله يا أمير المؤمنين لِشعري أحسن منه، فعلام آخُذُ الجائزة! فضحكَ الرشيد وقال: اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم. قال الأصمعيّ: فعلمتُ يومئذٍ أنّ إسحاق أحذقُ بصيدِ الدَّراهم منّي. وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قُدَامة عن حَمّاد عن أبيه، وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق فذكر معنى الخبر قريباً مما ذكره الأصمعيّ والألفاظ تختلف.

أخبرنا إسماعيل بن يونُس قال: حَدّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق، وأخبرني به جعفر بن قُدَامة ووَكيع عن حَمّاد عن أبيه قال: كنتُ عند الفضل بن الرَّبيع يوماً، فدخل إليه ٱبن ٱبنه عبدُ الله بن العبّاس بن الفضل وهو طفل، وكان يَرِقُّ عليه لأن أباه مات في حياته، فأجلسه في حِجْرِهِ وضَمَّه إليه ودمَعَتْ عيناه؛ فأنشأتُ أقول:

صوت

[الرجز]

مَدَّ لكَ اللَّهُ الحَيَاةَ مَدَّا ... حتى يكونَ ابنُكَ هَذَا جَدَّا
مُؤَزَّراً بِمَجْدِهِ مُرَدَّى ... ثمّ يُفَدَّى مِثْلَ ما تُفَدَّى[1]
أشْبَهُ مِنكَ سُنَّةً وخَدَّا ... وشِيَماً مَرْضِيَّةً ومَجْدَا[2]
كَأنَّهُ أنتَ إذا تَبَدَّى ... شَمَائِلاً مَحْمُودةً وقَدَّا

---

(١) مُرَدَّى: لابساً الرداء.

(٢) السُّنة: الوجه.

قال: فتبسّمَ الفضلُ وقال: أَمْتعني الله بك يا أبا محمد، فقد عُوِّضْتُ من الحزن سروراً وتسلّيتُ بقولك، وكذلك يكون إن شاء الله. قال جعفر بن قُدَامة: وحدّثني بهذا الحديث عليّ بن يحيى، فذكر أن إسحاق قال هذه الأبيات للفضل بن يحيى وقد دخل عليه وفي حِجْره ٱبنٌ له.

غَنَّى في هذه الأبيات أبو عيسى بن المتوكّل لحناً من الرَّمَل؛ يقال: إنه صنعه وقد وُلد للمعتمد ولدٌ ثم غَنَّى به. وأخبرني ذُكَاء وجه الرزّة عن بِدْعة الكبيرة: أنّ الرمل لِعَرِيبَ، وأنّ لحن أبي عيسى خفيفُ رملٍ.

حدّثني عمّي قال: حَدّثني الفضل بن محمد اليَزيديّ عن إسحاق قال: أتيتُ الفضل بن الربيع يوماً عائداً وجاءه بنو هاشم يعودونه؛ فقلت في مجلسي ذلك:

[الطويل]

إذا ما أَبُو العَبَّاسِ عِيدَ ولم يَعُدْ ... رَأَيتَ مَعُوداً أَكْرَمَ النَّاسِ عَائِدَا
وجاءَ بَنُو العَبَّاسِ يَبْتَدِرونه ... مِرَاضاً لِمَا يَشْكُوهُ مَثْنَى وواحِدَا
يُفَدُّونَهُ عِنْدَ السَّلامِ وكُلُّهُمْ ... مُجِلٌّ له يَدْعُوهُ عَمًّا ووَالِدَا

قال: وكان الفضل مضطجعاً، فأمر خادماً له فأجلسه، ثم قال لي: أَعِدْ يا أبا محمد فأعدْتُ، فأمرني فكتبتُها، وسُرَّ بها وجعل يردّدها حتى حَفِظَها.

[استرضاؤه للفضل بن الربيع بالشعر]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: أخبرني أبي قال: قال إسحاق، وأخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثنا محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال: جاءني الزُّبير بن دَحْمَان يوماً مُسَلِّماً فٱحتبسته؛ فقال لي: أمرني الفضل بن الربيع بالمسير إليه؛ فقلت له: [الطويل]

أَقِمْ يا أبا العَوَّامِ وَيْحَكَ نَشْرَبِ ... ونَلْهُ مع اللاَّهِينَ يوماً ونَطْرَبِ
إذا ما رَأَيْتَ اليومَ قد جَاءَ خَيْرُهُ ... فَخُذْهُ بِشُكْرٍ وٱتْرُكِ الفَضْلَ يَغْضَبِ

فأقام عندي وسُرِرْنا يومَنا؛ ثم صار إلى الفضل؛ فسأله عن سببِ تأخّره عنه؛ فحدّثه الحديثَ وأنشده البيتين؛ فغضِب وحَوَّلَ وجهَه عنّي، وأمر عوناً حاجبَه بألاّ يُدخلني إليه ولا يستأذنَ لي عليه ولا يُوصِلَ لي رقعةً؛ فقلت: [الطويل]

حَرَامٌ عَلَيَّ الكَأسُ ما دُمْتَ غَضْبَانَا ... وما لم يَعُدْ عَنّي رِضاكَ كما كانَا

فـأَحْـسِـنْ فـإنّـي قـد أَسَـأْتُ ولـم تَـزَلْ تُـعَـوِّدُنـي عـنـدَ الإسـاءةِ إحـسـانـا

قال: وأنشدته إيّاهما، فضحك ورضي عنّي وعاد إلى ما كان عليه. وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه، فذكر مثلَه وزاد فيه: فقلت في عَوْن حاجبه: [الخفيف]

عَـوْنُ يـا عَـوْنُ لـيـسَ مِـثْـلَـكَ عَـوْنُ أنـتَ لـي عُـدَّةٌ إذا كـان كَـوْنُ
لـكَ عِـنـدي والله إنْ رَضِـيَ الـفـضـ ـلُ غُـلامٌ يُـرضِـيـكَ أو بِـرْذَوْنُ

قال: فأتى عَوْنٌ الفضلَ بالشِّعْرَيْن جميعاً؛ فقرأهما وضحك وقال: وَيْحَكَ! إنما عرض لك بقوله: «غلام يُرضيك» بِالسَّوءة؛ قال: قد وعدَني ما سمعت، فإن شئتَ أن تَحْرِمنيه فأنت أعلم!؛ فأمره أن يُرسل إليّ؛ فأتاني رسولُه فصِرتُ إليه فرضِي عنّي.

أخبرني جَحْظة قال: حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المَكّيّ المرتجِل قال: حَدَّثني أبي قال: حَدَّثني الزُّبَير بن دَحْمان قال: دخلتُ يوماً على الفضل بن الرَّبيع مُسَلِّماً؛ فقال لي: قد عزمتُ غداً على الصَّبُوح، فصِرْ إليّ بُكْرَةً؛ فكنتُ أنا والصّبحُ كَفَرَسَيْ رِهانٍ؛ فلما أصبحتُ في غَدٍ جعلتُ طريقي على إسحاقَ بن إبراهيم فدخلت إليه، فلما جلستُ قال لي: أَقِم اليومَ عندي؛ فعرّفته خبري؛ فقال: [الطويل]

أَقِـمْ يـا أبـا الـعَـوّامِ وَيْـحَـكَ نَـشْـرَبِ ونَـلْـهُ مـعَ الـلاّهِـيـنَ يَـومـاً ونَـطْـرَبِ
إذا مـا رَأَيـتَ الـيـومَ قـد جـاءَ خَـيْـرُهُ فَـخُـذْهُ بِـشُـكْـرٍ واتْـرُكِ الـفَـضْـلَ يَـغْـضَـبِ

فقلت: إنّي لا آمَنُ غضبَه، وأنا بين يديك؛ فقال لي: أنتَ تعلم أن صَبوح الفضل أبداً في وقت غَبُوق[1] الناس، فأَقِمْ وٱرْفُقْ بنفسك ثم ٱمضِ إليه؛ فأجبته إلى ذلك؛ فلمّا شربنا طاب لي الموضع، فأقمتُ حتى سَكِرتُ. وذكر باقيَ الخبر نحواً مما ذكر إسحاق. انتهى.

حدّثني جَحْظة قال: حَدّثني محمد بن المَكّيّ المُرْتَجِل قال: قلت لزُرْزُورٍ الكبير: كيف كان إسحاق يَنْفُق[2] على الخلفاء معكم وأنت وإبراهيمُ بن المهديّ ومُخارِقٌ أطيبُ أصواتاً وأحسنُ نَغَمَةً؟ قال: كنّا والله يا بنيّ نحضُرُ معه فنجتهد في

(١) الغَبوق: شرب العشيّ.
(٢) ينفق على الخلفاء: يغلب، ونفقَ الشيء: راج ورُغِبَ فيه.

الغِناءِ ونُقيمُ الوَهَجَ فيه ويُقبل علينا الخلفاءُ، حتى نطمعَ فيه ونظنَّ أنا قد غلَبْناه، فإذا غنّى عَملَ في غِنائه أشياء من مُدارَاتِه وحِذْقِهِ ولُطفِه حتى يُسقطنا كلَّنا ويُقْبِلَ عليه الخليفةُ دوننا ويُجيزَه دوننا ويُصغي إليه، ونَرى أنفسَنا آضطراراً دونه.

[أوّل من أحدث التخنيث في الغناء ليوافق صوته]

حدّثنا جَحْظة قال: حَدّثني محمد بن أحمد المَكّيّ قال: حَدّثني أبي قال: كان المغنّون يجتمعون مع إسحاق وكلُّهم أحسن صوتاً منه، ولم يكن فيه عيبٌ إلا صوتَه فيطمعون فيه؛ فلا يزال بلُطفه وحِذْقه ومعرفته حتى يغلِبَهم ويَبُذَّهم جميعاً ويفضُلَهم ويتقدّمَهم. قال: وهو أوّلُ مَنْ أحدث التخنيثَ ليوافق صوتَه ويشاكلَه، فجاء معه عجباً من العَجَب؛ وكان في حَلْقه نَبْوٌ[1] عن الوتر. أخبرني يحيى بن عليّ قال: أخبرنا أبو العُبَيْس بن حَمْدون: أنّ إسحاق أوّل من جاء بالتخنيث في الغناء ولم يكنْ يُعْرَفُ، وإنما آحتال بحذقه لِمُنَافرةِ حَلْقِه الوتر، حتى صار يُجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسنَ له في السمع.

أخبرنا جَحْظة قال: حَدَّثني الهِشاميّ عن أبيه قال: كان المغنّون إذا حضروا وليس إسحاقُ معهم غَنَّوْا هُوَيْنَى وهم غير مفكّرين؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن إلاّ الجِدّ.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثني إسحاق الموصليّ قال: قال لي أبي وقد آنصرف من دار الرشيد: رأيتُ الأمير جعفر بن يحيى يَستبطِئك ويقول: لستُ أراه ولا يَغشاني؛ فقلت: إني لآتِيه كثيراً فأُحجَب عنه ويصرِفُني نافذٌ حاجبُه ويقول: هو على شُغْلٍ؛ قال: فبلِّغْهُ أبي ذلك؛ فقال له: قل له: أَنِكْهُ أُمَّه إذا فعل؛ فأقمتُ أيّاماً ثم كتبتُ إليه: [المتقارب]

جُعِلْتُ فِداءَكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ ... إلى حُسْنِ رَأْيِكَ أَشْكُو أُنَاسَا
يَحُولُونَ بيني وبين السَّلاَمِ ... فَلَسْتُ أُسَلِّمُ إلاّ آخْتِلاسا
وأَنْفَذْتُ أَمْرَكَ في نافِذٍ ... فما زَادَهُ ذاكَ إلاّ شِمَاسَا[2]

وقد أخبرني الخبرَ محمدُ بن مَزْيَد عن حَمّاد عن أبيه، فذكرَ مثلَه وقال: كان

(١) النَّبْوُ: العلوّ والارتفاع.
(٢) الشِّماس: العِناد.

خادمٌ يحجُبه يقال له: نافِذ، فقال: إذا حَجبكَ فَنِكْهُ؛ فلما كتبتُ إليه بهذه الأبيات بعث فأحضرني؛ فلما دخلتُ إليه أحضر نافِذاً وقرأ الأبيات عليه، وقال لي: أفعلتَها يا عدوّ الله! فغضِبَ نافذٌ حتى كاد يبكي، وجعل جعفرٌ يضحكُ ويصفّق؛ ثم ما عاد بعد ذلك يتعرّضُ لي.

حدّثني الحسين بن أبي طالب قال: حَدّثني عبيد الله بن المأمون، وأخبرنا اليَزيديّ عن عمّه عُبيد الله عن أبيه قال: غَضِبَ المأمونُ على إسحاق بن إبراهيم، ثم كُلِّمَ فيه فَرضِيَ عنه ودَعا به؛ فلمّا وقف بين يديه اْعتذر وقبّل الأرضَ بين يديه واْستقاله[1]؛ فأجابه المأمونُ جواباً جميلاً، ثم قال له في أثناء كلامه: [المتقارب]

فـلا أنـتَ أَعْـتَـبْـتَ مِـنْ زَلَّـةٍ ... ولا أَنـتَ بَـالَـغْـتَ فـي الـمَـعْـذِرَهْ

ولا أنـتَ وَلَّـيْـتَـنِـي أَمْـرَهـا ... فَـأَغْـفِـرَ ذَنْـبَـكَ عـن مَـقْـدِرَهْ

هكذا في الخبر؛ وأظنّه إسحاقَ بن إبراهيم الطاهريّ لا الموصليّ.

أخبرنا الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الحسينُ بن أبي طالب قال: حَدَّثني إسحاقُ قال: أنشدتُ أبا الأشعث الأعرابيَّ شعراً لي، فقال: والذي أصوم له مخافتَه ورجاءَه، إنك لمن طِرازٍ ما رأيت بالعراق شيئاً منه، ولو كان شبابٌ يُشترى لاشتريتُه لك ولو بإحدى يديّ، وإنّ في كِبَرِكَ لَمَا زان الجليسَ وسرّه.

أخيرنا الحَرَميّ قال: حَدّثنا الدِّيناريّ قال: حَدّثنا إسحاق قال: قالت لي زَهْراءُ الكِلابيّة: ما فعل عبدُ الله بن خُرْدَاذْبه؟ فقلت: مات، فقالت: غيرَ ذميم ولا لئيم، غفر اللّهُ لِصَدَاه[2]، لقد كان يُحبّك ويُعجبه ما سرّك. قال: فقلتُ لزَهْراء: حدّثيني عن قول الشاعر: [الطويل]

أُحِـبُّـكِ أَنْ أُخْـبِـرْتُ أَنَّـكِ فَـارِكٌ ... لِـزَوْجِـكِ، إِنِّـي مُـولَـعٌ بِـالـفَـوَارِكِ[3]

ما أعجَبَه من بغضها لزوجها؟ فقالت: عَرَّفَتْهُ أنّ في نفسها فَضْلةً من جمال وشَمْخاً بأنفها وأُبَّهَةً، فأعْجَبتْه.

(١) استقاله: طلب منه أن يقيله.
(٢) الصّدى: جسد الإنسان بعد موته.
(٣) الفارك: المبغضة لزوجها.

[غناؤه للمعتصم]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال: حَدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال: حُدِّثْتُ عن غير واحد: أنّ إسحاق الموصليّ دخل على المعتصم يوماً من الأيّام فرآه لَقِسَ النَّفْس، فقال له: أمَا تَرى يا أمير المؤمنين طِيبَ هذا اليوم وحُسْنَه! فقال المعتصمُ: ما يدعوني حُسْنُه إلى شيءٍ مما تريد ولا أنشَطُ له؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّه يومُ أكلٍ وشُربٍ؛ فٱشربْ حتى أُنَشِّطَكَ؛ قال: أو تفعل؟ قال: نعم؛ قال: يا غِلْمان، قَدِّموا الطعامَ والشّرابَ ومُدُّوا الستارةَ، وأَحْضِروا الندماءَ والمغنّين؛ فأُتِيَ بالطعام فأكل وبالشرابِ فشرب وحضر الندماءُ والمغنّون؛ فغنّاه إسحاق:

صوت

[الوافر]

سُقِيتَ الغَيْثَ يا قَصْرَ السَّلاَمِ ... فَنِعْمَ مَحَلَّةُ المَلِكِ الهُمَامِ[1]

لقد نَشَرَ الإلٰهُ عليكَ نُوراً ... وخَصَّكَ بالسَّلاَمةِ والسَّلامِ

ـ الشعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصليّ رَمَلٌ بالسبّابة في مَجْرى البنصر عن إسحاق. وذكر حَبَشٌ أنّ فيه للزُّبَير بن دَحْمان لحناً من الرَّمَل بالوسطى ـ قال: فطرِبَ المعتصمُ وشرب شرباً كثيراً، ولم يبقَ أحدٌ بحضرته إلاّ وصَلَهُ وخَلَعَ عليه وحملَه؛ وفَضّل إسحاقَ في ذلك أجمع.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا ٱبنُ مَهْرويه قال: حَدّثنا ٱبنُ أبي سعد قال: حَدّثنا عليّ بن الصبّاح عن إسحاق قال: أوّلُ جائزة أخذتُها من الرشيد ألفُ دينار في أوّل يوم دخلتُ إليه فغنّيتُه:

عَلِقَ القَلْبُ بِزَوْعا *

فٱستحسنه وٱستعاده ثلاثَ مرّات وشرب عليه ثلاثةَ أرطالٍ وأمر لي بألف دينار؛ فكان أوّلَ جائزةٍ أجازَنِيها.

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال: حَدّثني حَمّاد بن إسحاق قال: كان أبي ذاتَ

---

(١) قصر السلام: من أبنية الرشيد بن المهدي بالرقّة (معجم البلدان ٤: ٣٥٧).

يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب، فلما جلسوا للشراب جعل الغِلْمانُ يَسقُونَ مَنْ حَضَرَ، وجاء غلامٌ قبيحُ الوجه إلى أبي بقَدَحِ نبيذٍ فلم يأخذه؛ ورآه إسحاق فقال له: لِمَ لا تشربُ؟ فكتب إليه أبي: [البسيط]

إصْبَحْ نَدِيمَكَ أَقْدَاحاً يُسَلْسِلُهَا ... مِنَ الشَّمُولِ وأَتْبِعْهَا بِأَقْدَاحِ[1]
مِنْ كَفِّ رِيمٍ مَلِيحِ الدَّلِّ رِيقَتُهُ ... بَعْدَ الهُجُوعِ كَمِسْكٍ أَوْ كَتُفَّاحِ
لاَ أَشْرَبُ الرَّاحَ إلاَّ مِنْ يَدَيْ رَشَأٍ ... تَقْبِيلُ رَاحَتِهِ أَشْهَى مِنَ الرَّاحِ[2]

فضحك وقال: صَدَقْتَ والله، ثم دعا بوَصيفةٍ كأنها صورةٌ، تامّةُ الحسن لطيفةُ الخَصْر في زِيّ غُلام عليها أَقْبِيةٌ ومِنْطَقَةٌ[3]، فقال لها: تَوَلَّيْ سَقْيَ أبي محمد؛ فما زالت تَسقِيه حتى سَكِرَ؛ ثم أمر بتوجيهها وكلِّ ما لهَا في داره إليه، فحُمِلَتْ معه.

[تناغمٌ شعري بينه وبين زهراء الكلابية]

أخبرني عمّي قال: حَدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حَدّثني عليّ بن الصَّبّاح قال: كانت امرأةٌ من بني كِلاب يقال لها زَهْراء تُحَدِّثُ إسحاق وتُناشدُه، وكانت تَميلُ إليه، وتَكْنِي عَنه في عَشيرتها إذا ذكَرَتْه بِجُمْل؛ قال: فحدّثني إسحاقُ أنها كتبتْ إليه وقَد غابت عنه تقول: [البسيط]

وَجْدِي بِجُمْلٍ على أَنِّي أُجَمْجِمُهُ ... وَجْدُ السَّقِيمِ بِبُرءٍ بعدَ إدْنافِ[4]
أو وَجْدُ ثَكْلَى أصابَ المَوْتُ وَاحِدَها ... أو وَجْدُ مُغْتَرِبٍ مِنْ بينِ أُلاَّفِ

قال: فأجبتُها: [البسيط]

أَقْرِ السَّلاَمَ على الزَّهْراءِ إذ شَحَطَتْ ... وقُلْ لها قد أَذَقْتِ القَلْبَ ما خَافَا
أَمَا رَثَيْتِ لِمَنْ خَلَّفْتِ مُكْتَئِباً ... يُذْرِي مَدَامِعَهُ سَحّاً وتَوْكَافَا[5]
فَمَا وَجَدْتُ على إِلْفٍ أُفَارِقُهُ ... وَجْدِي عليكِ وقد فارَقْتُ أُلاَّفَا

---

(١) الشّمول: الخمر.
(٢) الرّشأ: ولد الظّبية أو الذي قد تحرّك ومشى. والرّاح: الخمر.
(٣) المِنطقة: ما يُشدّ على الوسط.
(٤) جمجم: كتم وأخفى. والإدناف المرض الشديد.
(٥) السّحّ: أن ينزل الدمع غزيراً متتابعاً. والتوكاف: أن يسيل قليلاً قليلاً.

[أشعارٌ ومناسبات]

أخبرني عمّي قال: حَدّثني عبدُ الله بن أبي سعد قال: حَدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: أنشدني إسحاقُ لنفسه: [الطويل]

سَقَى اللَّهُ يومَ المَاوَشَانِ ومَجْلِساً ... به كانَ أَحْلَى عِندَنا مِنْ جَنَى النَّحْلِ[1]
غَدَاةَ اجْتَنَيْنَا اللَّهوَ غَضاً ولَمْ نُبَلْ ... حِجَابَ أبي نَصْرٍ ولا غَضْبَةَ الفَضْلِ[2]
غَدَوْنا صِحاحاً ثم رُحْنَا كَأَنَّنَا ... أطافَ بِنَا شَرٌّ شَدِيدٌ مِنَ الخَبْلِ[3]

فسألتُه أن يكتبها ففعل؛ فقلت له: ما حديث المَاوَشَان؟ فضحك وقال: لو لم أُكْتِبْكَ الأبياتَ لما سألتَ عما لا يَعْنيك؛ ولم يخبرني.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا ابن مَهْرويه قال: حَدّثني أحمد بن الحارث وأبو مسلم عن ابن الأعرابيّ: أنه كان يَصِفُ إسحاق الموصليّ ويُقرِّظه ويُثْني عليه ويذكر أدبَه وحِفْظَه وعلمَه وصدقَه، ويَستحسن قولَه:

صوت

[الخفيف]

هل إلى أنْ تَنَامَ عَيْنِي سَبِيلُ ... إنَّ عَهْدِي بِالنَّوْمِ عَهْدٌ طَوِيلُ
غابَ عَنِّي مَنْ لا أُسَمِّي فَعَيْنِي ... كُلَّ يَومٍ وَجْداً عَلَيه تَسِيلُ

ـ الشعرُ والغناءُ لإسحاق رَمَلٌ بالوُسْطى ـ قال: وكان إسحاقُ إذا غنَّاه تَفيض دموعُه على لحيته ويبكي أحرَّ بكاء، وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق، وحديثُ موسى عن حَمّاد أتمُّ، واللَّفظُ له.

أخبرني الصُّوليّ والحسن بن عليّ قالا: حَدَّثنا محمد بن موسى عن حَمّاد بن إسحاق قال: أوّلُ صوت صنعه أبي:

إنّي لأَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنَ اجْبُلِها ... وبِاسْمِ أَوْدِيَةٍ عَنِ اسْمِ وَادِيها

وآخر صوت صنعه مختاراً:

قِفْ نُحَيِّ المَغَانِيَا ... والطُّلُولَ البَوَالِيَا

---

(١) ماوَشان: ناحية وقرى في وادٍ في سفح جبل أروَنْد من همذان (معجم البلدان ٥:٤٧).
(٢) لم نُبَلْ: لم نُبَالِ.
(٣) الخَبْل: الفساد أو الضعف في العقل والأعضاء.

ثم قطع الصّنعةَ حتى أمره الواثقُ بأن يعارضَ صنعته في:

* لقد بَخِلَتْ حَتَّى لَوَ انّي سَأَلْتُها *

قال حَمّاد وحدّثني أبي قال: كان المغنّون يَحسُدونني مُذْ كنتُ غلاماً، فلمّا مات أبي صنعتُ هذا الصوتَ، فهو أوّل صوت صنعتُه بعد وفاته، وهو: [المتقارب]

أَمِنْ آلِ لَيلَى عَرَفْتَ الطُّلُولا بِذِي حُرُضٍ ماثِلاتٍ مُثُولاَ

فقالوا للرشيد: هذا من صنعة أبيه فقد انتحله؛ فقال لي الرشيدُ في ذلك؛ فقلتُ: هذا ومائةٌ بعده خيرٌ منه لهم؛ فقال: اصنع في شعر الأخطل: [الطويل]

أَعاذِلَتَيَّ اليومَ وَيْحَكُمَا مَهْلاَ وكُفَّا الأَذَى عَنِّي ولا تُكْثِرا العَذْلاَ

فصنعتُ فيه كما أمرني؛ فلمّا سَمِعُوا بذلك وما جاء بعده أَذْعنوا، وزال عن قلب الرشيد ما كان ظنّه بي، وقد ذكر غيرُ حَمّاد أن اللّحن الذي اختبره به الرشيدُ قولُه: [الخفيف]

كُنتُ صَبًّا وقَلْبِيَ اليَوْمَ سَالِ عن حَبِيبٍ يُسِيءُ في كلِّ حَالِ

وذكر أنّ الفضل بن الرَّبيع قال الشّعرَ في ذلك الوقت ودفعه إليه وأمره الرشيدُ أن يصنع فيه ففعل؛ وأخبرني بذلك محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق، وأخبرني محمد بن مَزْيد قال: حدّثنا حَمّاد قال: أوّلُ ما سمعه الرشيد من غناء أبي:

أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرَكَ المَغَانِي وكيفَ وهُنَّ مُذْ حِجَجٍ ثمانِي
بَرِئْتُ مِنَ المنازِلِ غَيْرَ شَوْقٍ إلى الدَّارِ الَّتي بِلِوَى أَبَانِ[1]
دِيارٌ لِلَّتي لَجْلَجْتُ فِيها ولَوْ أَعْرَبْتُ لَجَّ بها لِسَانِي[2]
فكادَ يَظَلُّ لِلْعَيْنَيْنِ غَرْبٌ بِرَبْعَيْ دِمْنَةٍ لا يَنْطِقانِ[3]

---

(١) اللِّوى: منقطع الرمل. وأبان: اثنان أبان الأبيض وأبان الأسود، فالأبيض لبني فزارة وعبس، والأسود جبل لبني فزارة خاصة (معجم البلدان ١: ٦٢).

(٢) اللجلجة: التردّد في الكلام.

(٣) يقال للعين غَرْبٌ: إذا كانت تسيل ولا تنقطع دموعها، والغروب: الدموع.

قال: فحدّثني أبي أن المغنّين قالوا للرشيد: هذا من صنعة أبيه أنتحله بعد وفاته؛ فقلت له: أنا أدَعُ لهم هذا ومائةَ صوتٍ بعده؛ ثم نظروا إلى ما جاء بعد ذلك فأذْعنوا.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[مجزوء الخفيف]

قِفْ نُحَيِّ المَغانِيَا ... والطُّلولَ البَوالِيَا
وعلى أَهْلِها فَنُخْ ... وٱبْكِ إنْ كُنْتَ باكِيَا

الشّعر لابن ياسين، والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى.

صوت

[المتقارب]

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الطُّلولاَ ... بِذِي حُرُضٍ ماثِلاتٍ مُثُولاَ
بَلِينَ وتَحْسَبُ آياتِهِنَّ ... عنْ فَرْطِ حَوْلَيْنِ رَقًّا مُحِيلا

الشعر لكعب بن زُهَير، والغناءُ لإسحاق ثاني ثقيلٍ بالبنصر.

صوت

أَعاذِلَتَيَّ اليَومَ وَيْحَكُمَا مَهْلاَ ... وكُفَّا الأذى عَنِّي ولا تُكْثِرا العَذْلا
دَعاني تَجُدْ كَفِّي بِمالي فإنّني ... سَأُصْبِحُ لا أَسْطِيعُ جُوداً ولا بُخْلا
إذا وَضَعُوا فوقَ الصَّفِيحِ جَنادلاً ... عَلَيَّ وخَلَّفْتُ المَطِيَّةَ والرَّحْلا
فلا أَنا مُجْتازٌ إذا ما نَزَلْتُهُ ... ولا أنا لاقٍ ما ثَوَيْتُ به أَهْلا

الشعر للأخطل، والغناء لإسحاق، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى.

صوت

[البسيط]

إنّي لأَكْنِي بأجبالٍ عَنَ أجْبُلِها ... وبٱسْمِ أوديةٍ عَنِ اسمِ وَادِيها
عَمْداً لِيَحْسَبَها الواشونَ غَانِيَةً ... أُخرى وتَحْسَبُ أَنّي لا أُبالِيها
ولا يُغَيِّرُ وُدّي أَنْ أُهاجِرَها ... ولا فِراقُ نَوًى في الدّارِ أَنْوِيها

ولِلقَلُوصِ ولي منها إذا بَعُدَتْ بَوارِحُ الشَّوقِ تُنْضِيني وأُنْضِيها[1]

الشعر لأعرابيّ، والغناء لإسحاقَ هَزَجٌ بالبِنصر.

حدّثني جَحْظة قال: حَدّثني أبو عبد الله أحمد بن حَمْدون قال: قال إسحاق للواثق يوماً: الأهزاجُ من أمْلحِ الغناء؛ فقال الواثق: أمّا إذا كانت مثلَ صوتك:

إنّي لأَكْني بِأَجْبالٍ عَنَ ٱجْبُلِها وبِٱسْمِ أَوْدِيةٍ عَنِ اسْمِ وَادِيها

فهي كذلك.

قال أحمد بن أبي طاهر: حَدَّثني أحمد بن يحيى الرازيّ عن محمد بن المُثَنّى عن الحَجّاج بن قُتَيبة بن مُسْلم قال: قال إسحاق: بعثَ إليّ طَلْحَةُ بن طاهر وقد ٱنصرف من وقعة للشُّرَاة[2] وقد أصابته ضربة في وجهه؛ فقال لي الغلام: أَجِبْ؛ فقلت: وما يعمل؟ قال: يشرب؛ فمضيتُ إليه فإذا هو جالسٌ قد عصَبَ ضربتَه وتَقَلْنَس بقَلَنْسُوة؛ فقلت له: سبحانَ الله أيها الأمير! ما حَملك على لُبْسِ هذا؟ قال: التبرُّمُ بغَيْره، ثم قال: غَنِّ:

* إنّي لأَكْني بِأَجْبال عَنَ ٱجْبُلها *

قال: فغنّيتُه إياه، فقال: أحسنتَ والله! أَعِدْ! فأعدتُ وهو يشرب حتى صلّى العَتَمة وأنا أُغَنِّيه؛ فأقبل على خادم له بالحَضْرة وقال له: كم عندك؟ قال: مقدارُ سبعين ألفَ درهم؛ قال: تُحْمَلُ معه. فلمّا خرجتُ من عنده تَبِعَني جماعةٌ من الغِلْمان يسألونني، فوزَّعْتُ المالَ بينهم؛ فرُفِعَ الخبرُ إليه فأغضبه ولم يُوَجِّهْ إليّ ثلاثاً؛ فجلستُ ليلاً وتناولت الدَّواةَ والقِرْطاسَ فقلت: [المنسرح]

عَلَّمَني جُودُكَ السَّماحَ فَما أَبْقَيْتُ شَيئاً لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكْ
لَمْ أُبقِ شيئاً إلاّ سَمَحْتُ به كَأَنَّ لي قُدْرَةً كَمقْدرتِكْ
تُتلِفُ في اليوم بالهِباتِ وفي السَّـ ـاعَةِ ما تَجْتَنِيهِ في سَنَتِكْ
فلستُ أدري مِنْ أينَ تُنْفِقُ لو لا أَنَّ رَبّي يَجْزِي على صِلَتِكْ

فلما كان في اليوم الرابع بعث إليّ، فصِرْتُ إليه ودخلت عليه فسلّمت؛ فرفع

---

(١) القَلوص من النوق: الشابّة، وربّما سَمّوا الناقة الطويلة القوائم قَلوصاً. وأنضى: أهزلَ وأخْلَقَ وأبلى.

(٢) الشّراة: اسم للخوارج.

بصرَه إليّ وقال: اسقُوه رطلاً فسُقِيتُه، وأمر لي بآخَرَ وآخرَ فشربتُ ثلاثاً؛ ثم قال لي: غنّ:

* إنـي لأكـنـي بـأجـبـال عـن أجـبـلـهـا *

فغنّيتُه ثم أتبعتُه بالأبيات التي قلتها، وقد كنتُ غنّيتُ فيها لحناً في طريقة الصوت؛ فقال: ادْنُ فدنوتُ، وقال: اجلس فجلست، فأستعاد الصوتَ الذي صنعتُه فأعدتُه. فلمّا فهِمَهُ وعرَفَ معنى الشعر قال لخادم له: أحضِرني فلاناً فأحضره؛ فقال: كم قِبَلَكَ من مال الضِّياع؟ قال: ثمانُمائة ألفِ درهم؛ فقال: احضُرْ بها الساعةَ؛ فجِيءَ بثمانين بَدْرةً؛ فقالَ للخادم: جِئني بثمانين غلاماً مملوكاً، فأُحْضِرُوا؛ فقال: احملوا هذا المال؛ ثم قال: يا أبا محمد، خذ المال والمماليك حتى لا تحتاج أن تُعطِي لأحد منهم شيئاً.

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الحسين بن محمد بن طالب قال: كان إسحاق بن إبراهيم الموصليّ كثيرَ الغِشْيان لإسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب والحضورِ لِسَمَرِهِ، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له ويُسْنِي جوائزه ويُواتِرُ[1] صِلاتِه ويشاوره في بعض أموره ويسمع منه؛ فأُصيب إسحاقُ ببصره قبل موته بسنتين، فترك زيارةَ إسحاقَ وغيره ممن كان يغشاهم ولَزِمَ بيتَه. وخرج إسحاق يوماً إلى بستان له بباب قُطْرَبُّل[2] وخرج معه ندماؤه وفيهم موسى بن صالح بن شَيْخ بن عَمِيرة ومحمد بن راشِد الخَنّاق والحَرّانِي؛ فجرى ذكرُ إسحاقَ الموصليّ، فتوجّعَ له إسحاق وذكر أُنسَه به وتمنّى حضورَه، وذكره القومُ فأطنبوا في نشر محاسنه وشَيَّعوا ما ذكره به إسحاقُ بما حَسُنَ موقعُه لهم عنده؛ وذكره محمد بن راشد ذكراً لم يَحْمَدْهُ أصحابه عليه، وزجره إسحاق، فأمسك عنه؛ فلما أنصرفوا من مجلسهم نُمِيَ إلى إسحاق الموصليّ ما كان فيه القوم في يومهم وما جرى من ذكره؛ فكتب إلى موسى بن صالح: [الطويل]

أَلاَ قُلْ لِمُوسَى الخَيْرِ مُوسى بنِ صَالحٍ ... ومَنْ هو دونَ الخَلْقِ إلْفِي وخُلْصَانِي
ومَنْ لَوْ سَأَلْتُ النَّاسَ عنه لأَجْمَعُوا ... عـلـى أَنَّـهُ أَفْـتَـى مَـعَـدٍّ وقَـحْـطـانِ
لَـعَـمْـرِي لَـئِـنْ كـانَ الأَمـيـرُ تَـمَـنَّـانِـي ... بِـمَـجْـلِـسِ لَـذَّاتٍ ونُـزْهَـةِ بُـسْـتـانِ

---

(١) يواتر: يتابع.

(٢) قُطْرَبُّل: قرية بين بغداد وعكبر، ينسب إليها الخمر (معجم البلدان ٤ : ٣٧١).

لقد زادني ما كانَ منه صَبَابةً وجَدَّدَ لي شَوْقاً إليه وأبكاني
وما زالَ مُمْتَنّاً عَلَيَّ يَخُصُّنِي بما لَسْتُ أُحْصِي مِنْ أيادٍ وإحسانِ
هو السَّيِّدُ القَرْمُ الَّذي ما يُرَى له مِنَ النَّاسِ إنْ حَصَّلْتُهُ أَبداً ثَانِي[1]
نَمَتْهُ رَوَابِي مُصْعَبٍ وبَنَى له كَرِيمُ المَسَاعِي في أَرُومَتِهِ بَاني
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تفوزوا بِقُرْبِهِ ولَسْتُ إليه بالقريبِ ولا الدَّانِي
فيا ليتَ شِعْرِي هَلْ أَرُوحَنَّ مَرَّةً إليه فَيَلْقَانِي كما كانَ يَلْقَاني
وهل أَرَيَنْ يَوماً غَضارةَ مُلْكِهِ وسُلْطَانَهُ لا زَالَ في عِزِّ سلطانِ
وهل أَسْمَعَنْ ذاكَ المُزاحَ الَّذي به إذا جِئْتُهُ سَلَّيْتُ هَمِّي وأحزاني
إذا قال لي «يا مَرْدَ مَيْ خَرْ» وكَرَّها عَلَيَّ وكَنَّاني مُزَاحاً بِصَفْوانِ

(هذا كلام بالفارسية تفسيره: يا رجل أشرب النبيذ)

فيا لكَ مِنْ مَلْهًى أنيقٍ ومَجْلِسٍ كَريم ومِنْ مَزْحٍ كثيرٍ بِألوانِ
وهل يَغْمِزَنْ بِي ذو الهَنَاتِ ابْنُ راشدٍ وذاكَ الكريمُ الجَدُّ مِنْ آلِ حَرَّانِ
وهل أَرَيَنْ موسى الكريمَ ابْنَ صالحٍ يُنَازِعُنِي صَوتاً إذا هو غَنَّانِي

(يريد الغناء في:

فلم أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاظِرٍ ولا كَلَيالي النَّفْرِ أَفْتَنَّ ذَا هَوى)[2]
إذا صَاحَ بالتَّجْمِيرِ ثُمَّ أَعَادَهُ بِتَحْقِيقِ إعرابٍ صحيحٍ وَتِبْيَانِ
أولئكَ إخواني الَّذين أُحِبُّهُمْ وأُوثِرُهُمْ بالوُدِّ مِنْ بَيْنِ إخواني
وما مِنْهُمُ إلاّ كَرِيمٌ مُهَذَّبٌ حَبِيبٌ إلى إخوانِه غَيْرُ خَوَّانِ

فأجابه محمد بن راشد: [الطويل]

بَعَثْتَ بِشِعْرٍ فيه أنَّ رِسالةً أَتتكَ لِموسى عن جماعةِ إخوانِ
بِشوقٍ وذِكْرٍ لِلجَمِيلِ ولم يَكُنْ لِمُوسى لَعَمْرِي في سَلامَتِه ثَاني
ولَكِنْ نَطَقْنا بِالَّذي أنتَ أَهْلُهُ ومَا تَسْتَحِقُّ مِنْ صديقٍ ونَدْمانِ
ومُوسى كَرِيمٌ لم يُحِطْ بكَ خُبْرُهُ كَخُبْرِ نَدَامَى قد بلَوْكَ وإخْوانِ
ولو قَدْ بلاكَ قالَ فيكَ كقولِ مَنْ فَسَدْتَ عليه مِنْ خليلٍ وخُلْصانِ

---

(١) القَرْم: السيّد المطاع.

(٢) التجمير: هو رمي الحصى في الحج وهو من مناسك الحج الثلاثة في مِنى. ويوم النفر: هو اليوم الذي ينفر فيه الحجّاج من مِنى.

ولـم يَـغْـرُهُ شَـوْقٌ إلـيـكَ ولـم يَـجِـدْ لِـفَـقْـدِكَ مَـسًّـا عـنـدَ نُـزْهَـةِ بـسـتـانِ
حَـمَـدْتَ الـنَّـدَامـى كُـلَّـهُـمْ غَـيْـرَ إنسانِ أَلاَ إنَّـمـا يَـجْـنِـي عـلـى نَـفْـسِـهِ الـجَـانـي
فـلا تَـعْـتُـبِ الإِخْـوانَ مِـنْ بـعـدِهـا فـمـا تَـنَـقَّـصُ إِخْـوانِ الـمَـوَدَّةِ مِـنْ شَـانِـي

قال: فأجابه إسحاق: [الطويل]

عَـجِـبْـتُ لِـمَـخْـذُولٍ تَـعـرَّضَ جَـانِـيـاً لِـلَـيْـثِ أبي شِـبْـلَـيْـنِ مِـنْ أُسْـدِ خَـفَّـانِ[١]
أَتَـانـا بِـشِـعْـرٍ قـالَـهُ مِـثْـلِ وَجْـهِـهِ تَـزَخْـرَفَ فـيـه واسْـتـعـانَ بِـأعـوانِ
فـجـاءَ بـألـفـاظٍ ضِـعَـافٍ سَـخِـيـفَـةٍ ومَـضَّـغَـهـا تَـمْـضِـيـغَ أَهْـوَجَ سَـكْـرَانِ
دَعُـوا الـشِّـعْـرَ لِـلـشَّـيْـخِ الَّـذي تـعـرِفُـونَـهُ وإلاَّ وُسِـمْـتُـمْ أو رُمِـيـتُـمْ بِـشُـهْـبَـانِ[٢]
فَـإِنَّـكُـمُ والـشِّـعْـرَ إذْ تَـدَّعُـونَـهُ كَـمُـعْـتَـسِـفٍ فـي ظُـلْـمَـةِ الـلَّـيْـلِ حَـيْـرَانِ
صَـهٍ لا تَـعُـودُوا لِـلـجَـوَابِ فـإنَّـمـا تَـرومُـونَ صَـعْـبـاً مـن شـماريخِ ثَـهْـلانِ[٣]
أنَـا الأَسَـدُ الـوَرْدُ الَّـذي لا يَـفُـلُّـهُ تَـظَـاهُـرُ أَعْـدَاءٍ عـلـيـه وأَقْـرَانِ[٤]
ومَـنْ قـد أَرَدْتُـمْ جـاهِـدِيـنَ سِـقَـاطَـهُ فَـأَعْـيَـاكُـمُ فـي كُـلِّ سِـرٍّ وإعـلانِ
لَـعَـمْـرِي لَـئِـنْ قُـلْـتُـمْ بِـمـا أنـا أَهْـلُـه لَـيَـسْـتَـنْـفِـدَنَّ الـقَـوْلَ تَـعْـظِـيـمُـكُـمْ شَـانـي
وجَـحْـدُكُـمُ إيَّـايَ مـا تَـعْـلَـمُـونَـه وإقـرارُكـم عِـنْـدي بـذلـكَ سِـيَّـانِ
أَلاَ يَـزْجُـرُ الـجُـهَّـالَ عَـنَّـا أمـيـرُنـا ومـوسـى وذاكَ الـشَّـيْـخُ مِـنْ آلِ حَـرَّانِ
ولا سِـيَّـمـا مَـنْ بَـانَ لِـلـنَّـاسِ شَـرُّهُ فـمـا يَـتَـمَـارى فـي مـذاهِـبِـهِ اثْـنَـانِ

[ثناءُ محمد بن عمر الجرجاني وغيره على إسحاق]

حدّثني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمَّار قال: حَدّثني يعقوب بن إسرائيل قَرْقَارَةُ قال: قال لي محمد بن عمر الجُرْجانيّ وقد تذاكرْنا إسحاقَ يوماً بحضرته: ما تذكرون من إسحاق شيئاً تقاربون به وصفَه، كان والله إسحاق غُرَّةً[٥] في زمانه، وواحداً في دهره عِلماً وفقهاً وأدباً ووَقاراً ووفاءً وجودةَ رأي وصحّةَ مودّة؛ كان

(١) خَفَّان: موضع قرب الكوفة يسلكه الحجّاج، وهو مأسدة (معجم البلدان ٢: ٣٧٩).
(٢) الشّهبان: جمع الشّهاب: شعلة نار ساطعة، ويقال: إنّ فلاناً لَشِهَابُ حربٍ: إذا كان ماضياً فيه.
(٣) الشماريخ: جمع الشِّمْرَاخ والشُّمروخ: رأس الجبل. وثهلان: جبل ضخم باليمن أو بالعالية (معجم البلدان ٢: ٨٨).
(٤) الوَرد: الجريء.
(٥) الغُرّة من القوم: شريفهم.

والله يُخرِس النَّاطقَ إذا نطقَ، ويُحيِّرُ السَّامعَ إذا تحدَّثَ، لا يملّ جليسُه مَجلِسَه، ولا تَمُجُّ الآذانُ حديثَه، ولا تنبو النفوسُ عن مُطاولته، إن حدّثك ألهاكَ، وإن ناظرَكَ أفادكَ، وإن غنّاك أطربك، وما كنتَ ترى خَصْلة من الأدب ولا جنساً من العلم يتكلم فيه إسحاقُ فيُقدِمُ أحدٌ على مُساجلته ومباراته.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا يزيد بن محمد المهلَّبيّ قال: حَدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال: أمر المأمون يوماً بالفَرْشِ الصَّيْفيّ أن يُخرَجَ؛ فأُخرجَ فيما أُخرج منه بساطٌ طَبَريّ أو أَصْبَهْبُذَانيّ، مكتوب في حواشيه:

صوت

[مجزوء الخفيف]

لَـجَّ بِـالـعَـيْـنِ وَاكِـفُ ... مِـنْ هَـوًى لا يُـسَـاعِـفُ
كُـلَّـمَـا جَـفَّ دَمْـعُـهُ ... هَـيَّـجَـتْـهُ الـمَـعَـازِفُ[1]
إِنَّـمَـا الـمَـوْتُ أَنْ تُـفَـا ... رِقَ مَـنْ أنـتَ آلِـفُ
لَـكَ حُـبَّـانِ فـي الـفُـؤا ... دِ تَـلِـيـدٌ وطَـارِفُ[2]

قال: فاستحسن المأمون هذه الأبيات، وبعث إلى إسحاق فأحضره وأمره أن يصنع فيها لحناً ويُعجِّل به؛ فصنع فيها الهَزَج الذي يُغَنَّى به اليومَ. قال أحمد: وسمعها أبي منه فقال: لو كان هذا الهَزَج لِحَكَم الوادي لكان قد أحسن. يريد أنّ حكماً كان صاحبَ الأهزاج.

أخبرني الحسن قال: حَدّثني يزيد بن محمد قال: حَدّثني ٱبن المكيّ قال: تذاكرْنا يوماً عند أبي صنعةَ إسحاق، وقد كنّا بالأمس عند المأمون فغنّاه إسحاقُ لحناً صنعه في شعر ٱبن ياسين:

صوت

[مجزوء الخفيف]

الـطُّـلـولُ الـدَّوارِسُ ... فَـارَقَـتْـهـا الأَوَانِـسُ
أَوْحَـشَـتْ بَـعْـدَ أَهْـلِـهـا ... فَـهْـيَ قَـفْـرٌ بَـسَـابِـسُ[3]

---

(١) المعازف: جمع المعزف: العود.

(٢) التليد والطارف: القديم والجديد.

(٣) البسابس: جمع البَسبس: القفر الواسع.

ـ الغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر ـ قال: فقال أبي: لو لم يكن من بدائع إسحاقَ غيرُ هذا لكفى، «الطلول الدّوارس» كلمتان، و «فارقتها الأوانس» كلمتان، وقد غَنَّى فيهما آستهلالاً وبسيطاً وصاح وسَجَحَ ورجَّعَ النغمةَ وآستوفى ذلك كلَّه في أربع كلمات وأتى بالباقي مثله؛ فمن شاء فليفعل مثلَ هذا أو ليقاربْه. ثم قال: إسحاقُ والله في زماننا فوق آبن سُرَيْج والغَرِيض ومَعْبَد، ولو عاشوا حتى يَرَوْه لعَرفوا فضلَه وآعترفوا له به. وأخبرني عمّي عن يزيد بن محمد المهلَّبيّ: أنه كان عند الواثق فغنّته شَجَا هذا الصوتَ؛ فقال الواثق مثل هذا القول. والمذكور أنّ ابن المكّي قاله؛ فلا أدري أهذا وَهْمٌ من يزيد، أو اتّفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى، أو آتّفقت عليه قريحتاهما.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدّثني أبي عن إسحاق قال: أرسل إليّ الفضلُ بن الرَّبيع يوماً وإلى الزُّبَيْر بن دَحْمان، فوافق مجيئُنا شغلاً كان له، فصِرْنا إلى بعض حُجَرِهِ، فنَعَسْتُ فنِمْتُ فإذا زُبَير يحرّكني فأنتبهتُ فإذا خَبَّازٌ في مطبخ الفضل يضرب بِالشُّوبَق[1] يُغنّي:

صوت

[مجزوء الوافر]

بِـدَيْـرِ الـقَـائِـمِ الأَقْـصَـى ... غَـزَالٌ شَـفَّـنِـي أَحْـوَى[2]

بَـرَى حُـبِّـي لـه جِـسْـمِـي ... ومَـا يَـدْرِي بِـمَـا أَلْـقَـى

وأُخْـفِـي حُـبَّـهُ جُـهْـدِي ... ولا واللهِ مـا يَـخْـفَـى

ـ الشعر والغناء لإسحاقَ خفيفُ ثقيل بالبنصر ـ قال: فقال لي الزُّبير: تَضَنّ بهذا وآنظرْ من يبتذله! فقلت: لا أَضَنُّ بغناء بعد هذا.

حدّثني عمّي قال: حَدّثني أحمد بن الطيّب السَّرَخْسِيّ قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال: قال لي صالح بن الرشيد: كنّا أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المُغَنِّين، فيهم إسحاق وعَلّويه

---

(١) الشّوبق: هو الشوبك المعروف واللفظة أعجمية، وهو قطعة خشبية مستطيلة تستخدم لترقيق العجين.

(٢) دير القائم الأقصى: موضع على شاطىء الفرات من الجانب الغربي في طريق الرقة من بغداد (معجم البلدان ٢: ٥٢٦).

الحُوّة: سواد إلى الخضرة أو حُمْرَة إلى السواد.

ومُخارِق وعمرو بن بانة؛ فغنّى مخارِق في الثقيل الأوّل:

صوت

[الطويل]

أَعَـاذِلُ لا آلُـوكِ إلاّ خَـلِـيـقَـتِـي فلا تَجْعَلِي فَوقي لِسَانَكِ مِبْرَدَا
ذَرِينِي أَكُنْ لِلمالِ رَبًّا ولا يَكُنْ لِيَ المَالُ رَبًّا تَحْمَدِي غِبَّهُ غَدَا[١]
ذَرِينِي يَكُنْ مَالِي لِعِرْضِي وِقَايَةً يَقِي المَالُ عِرْضِي قبلَ أنْ يَتَبدَّدا
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنّي إذا الضَّيْفُ نَابَنِي وعَزَّ القِرَى أَقْرِي السَّدِيفَ المُسَرْهَدَا[٢]

فقال له المأمون: لِمَنْ هذا اللّحن؟ قال: لهذا الهِزَبْر الجالس (يعني إسحاق)؛ فقال المأمون لمخارق: قم فاقعدْ بين يديّ وأعِدِ الصوت؛ فقام فجلس بين يديه وأعاده فأجاده، وشرب المأمون عليه رطلاً؛ ثم التفت إلى إسحاق فقال له: غَنِّ هذا الصوت؛ فغنّاه فلم يستحسنه كما استحسنه من مخارق؛ ثم دار الدَّورُ إلى عَلّويه، فقال له: غَنِّ فَغَنَّى في الثقيل الأوّل أيضاً:

صوت

[الوافر]

أُرِيتُ اليَومَ نَارَكِ لَمْ أُغَمِّضْ بِوَاقِصَةٍ ومَشْرَبُنَا بَرُودُ[٣]
فلَمْ أَرَ مِثْلَ مَوْقِدِهَا ولَكِنْ لأَيَّةِ نَظْرَةٍ زَهَرَ الوَقُودُ[٤]
فَبِتُّ بِلَيْلَةٍ لا نَوْمَ فيها أُكَابِدُهَا وأصحابِي رُقُودُ
كأنّ نُجُومَهَا رُبِطَتْ بِصَخْرٍ وأَمْرَاسٍ تَدورُ وتَسْتَزِيدُ

فقال له المأمون: لمن هذا الصوت؟ فقال: لهذا الجالس ـ وأشار إلى إسحاق ـ فقال لعَلّويه: أعِدْه فأعاده؛ فشرِبَ عليه رطلاً؛ ثم قال لإسحاق: غَنِّه فغنّاه، فلم يطرَبْ له طَرَبَه لِعَلّويه، فالتفت إليّ إسحاق ثم قال لي: أيها الأمير، لولا أنه مجلسُ سرور وليس مجلسَ لَجَاجٍ وجِدَال لأعلمتُه أنه طَرِبَ على خطأ، وأنّ الذي استحسنه إنما هو تزايدٌ منهما يُفْسد قسمةَ اللحن وتجزئتَه، وأنّ الصَّوتَ

(١) الغِبّ: العاقبة.
(٢) السّديف: شحم السّنام، والمُسَرْهد السمين المقطّع.
(٣) واقصة: منزل بطريق مكة وهي دون زُبالة بمرحلتين (معجم البلدان ٥: ٣٥٤).
(٤) زَهَرَ الوقود: أضاءت ناره.

ما غنّيتُهُ لا ما زاد. ثم أقبل عليهما فقال: يا مُخَنَّثان، قد علمتُ أنكما لم تُريدا بما فعلتماه مدحي ولا رِفعتي، وأنا على مكافأتكما قادر؛ فضحك المأمون وقال له: ما كان ما رأيتَه من طَرَبي لهما إلاّ استحساناً لأصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلاً بفضلك.

حدّثني عمّي قال: حَدّثني عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعيّ قال: حَدّثني إسحاق قال: دَخَلْتُ يوماً على المعتصم وقد رجع من الصَّيد وبين يديه ظِباء مذبَّحة وطيرُ ماء وغير ذلك من الصَّيد وهو يشربُ؛ فأمرني بالجلوس والغناء؛ فجلستُ وغنّيته:

صوت [الرمل]

إشْتَهَيْنا في رَبِيعٍ مَرَّةً زَهَمَ الوَحْشِ على لَحْمِ الإبِلْ[1]
فَغَدَوْنا بِطُوَالٍ هَيْكَلٍ كَعَسِيبِ النَّخْلِ مَيَّادٍ خَضِلْ[2]

ـ الشعر يقال: إنه لأعشى هَمْدان، والغناء لأحمد النَّصْبِيّ خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ـ فتبسّم وقال: وأين رأيت لحم الإبل! فغنّيته:

صوت [مجزوء الكامل]

ليسَ الفَتى فِيهِمْ إذَا شَرِبَ الشَّرَابَ مُؤَنَّبَا
لَكِنْ يَرُوحُ مُرَنَّحاً حَسَنَ الثِّيابِ مُطَيَّبَا
يَسْقُونَهُ صِرْفاً على لَحْمِ الظِّباءِ مُضَهَّبا[3]

فقال: هذا أشبه، وشَرِبَ. ثم غَنَّيته بشعر وَضّاح اليمن ـ قال: والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أولُ:

صوت [الهزج]

أَبَى القَلْبُ اليَمَانِيُّ الَّـ ـذي تُحْمَدُ أَخْلاَقُهْ

(١) الزَّهَم: الشحم.
(٢) الهيكل: الضخم. وخَضِلَ خَضَلاً: نَدِيَ وابتلّ.
(٣) الصِّرْف: الخالص من كلّ شيء. وهنا صفة للخمر. ومُضَهَّب: مُقَطَّع.

ويَـرْفَـضُّ لـه الـلُّـحْـنُ ... فَـمَـا تُـفْـتَـقُ أرْتَـاقُـهْ[١]
غَـزَالٌ أدْعَـجُ الـعَـيْـنِ ... رَبِـيـبٌ خَـدَلَّـجٌ سَـاقُـهْ[٢]
رَمَـانِـي فَـسَـبَـى قَـلْـبِـي ... وأزْمِـيـهِ فَـأَشْـتَـاقُـهْ

فطرِبَ وقال: هذا والله أحسن صيدٍ وأَلَذُّه، وشرِبَ عليه بقيَّةَ يومه وخلَع عليّ وأمر لي بجائزة. هكذا ذُكِر في هذا الخبر أن الثقيل الأوّل لابن مُحْرِز وقد قيل ذلك؛ وذكر عمرو بن بانة أنّ الثقيل الأوّل بالبنصر لابن طُنبورة، وأن لحن ابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ.

حدّثني عمي قال: حَدَّثني فَضْل اليَزيديّ قال: قال لي إسحاق يوماً في عُرْض حديثه: دخلت على المعتصم ذاتَ يوم وعليه قميصٌ دَبيقيّ[٣] كأنما قُدَّ من جِرْمِ[٤] الزُّهَرَة؛ فضحِكتُ؛ فقال: ما أضحكك؟ فقلت: من مبالغتك في الوصف، فتبسّم. قال الفضل: وما سمعتُ محدّثاً قطُّ ولا واصفاً أبلغ منه ولا أحسن لفظاً وتشبيهاً.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال: حَدّثنا محمد بن عبد الله بن مالك قال: قال لي إسحاق: وَدِدْتُ أنّ كلَّ يوم قيل لي: غَنِّ أو قيل لي عند ذِكْري: المُغَنِّي، ضُرِبَ رأسي خمسةَ عشرَ سوطاً، لا أقوَى على أكثر منها، ولم يُقَلْ لي ذلك.

أخبرنا يحيى قال: حَدّثنا حَمّاد قال: صنع أبي لحنه في: «تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ» على لحن أذانٍ سَمِعَه.

أخبرنا يحيى قال: حَدّثنا حَمّاد قال: تذاكرنا يوماً الهَزَج عند المأمون؛ فقال عمرو بن بانة: ما أقلَّه في الغناء القديم! فقال إسحاق: ما أكثره فيه! ثم غنّاهُمْ ثلاثين هَزَجاً في إصبع واحدة ومجرى واحد، ما عرفوا جميعاً منها إلا نحو سبعة أصوات.

حدّثني يحيى قال: حَدّثني أخي قال: حَدّثني عافية بن شَبيب قال: قلت

---

(١) يقال: رتقَ فلانٌ فَتْقَ القوم: إذا أصلح ذات بينهم.

(٢) الدُّعجة: سواد العين مع سعتها. الخَدَلَّج: الممتلىء الساقين.

(٣) دبيقي: نسبة إلى دبيق: بليدة من أعمال مصر بين الفرما وتنيس ينسب إليها نوع من الثياب (معجم البلدان ٢: ٤٣٨).

(٤) الجِرْم: أحد الأجرام الفلكية أي النجوم.

لِزُرْزُور: ما لكم تَذِلُّون لإسحاق هذا الذُّلَّ، وما فيكم أحدٌ إلا وهو أطيب صوتاً منه، وما في صنائعكم وَصْمَة! فقال لي: لا تَقُلْ ذلك، فوالله لو رأيتنا معه لَرَحِمْتَنا ورأيتنا نذوبُ كما يذوبُ الرَّصاصُ في النار!.

حدّثني الصُّولِيّ قال: حَدّثني عَوْن بن محمد قال: حَدّثني إسحاق قال: لاعَبْتُ الفضلَ بن الربيعِ بالنَّرْدِ، فوقع بيننا خلاف، فحلف وحلفت، فغضب عليَّ وهَجرني، فكتبت إليه: [الطويل]

يـقـولُ أُنَـاسٌ شَـامِـتـونَ وقَـدْ رَأَوْا ... مُقَامِي وإغبابي الرَّوَاحَ إلى الفَضْلِ[1]

لـقـد كـانَ هـذا خُصَّ بِـالـفَـضْـلِ مَـرَّةً ... فـأصـبـحَ مـنـه الـيـومَ مُـنْـصَـرِمَ الـحَـبْـلِ

ولـو كـانَ لـي فـي ذاكَ ذَنْـبٌ عَـلِـمْـتُـهُ ... لَـقَـطَّـعْـتُ نـفـسـي بِـالـمَـلامـةِ والـعَـذْلِ

وعرضتُ الأبيات عليه؛ فلمّا قرأها ضَحِكَ وقال: أشدّ من ذنبك أنك لا ترى لنفسك بذلك الفعل ذنباً؛ والله لولا أنّي أدّبتك أدبَ الرجل ولدَه، وأنّ حسنَك وقبيحَك مضافان إليّ لأنكرتني؛ فأَصْلِحِ الآن قلبَ عون ـ وكان يَحْجُبه ـ فخاطبته في ذلك فكلّمني بما كَرِهت؛ فقلت: أتدخل بيني وبين الأمير أعزّه الله! وكان عون يُرْمَى بِالأُبْنة[2] فقلت فيه: [الطويل]

وذاكــرِ أمــرٍ ضــاقَ ذَرْعــاً بِــذِكْــرِهِ ... ونَــاسٍ لِــدَاءٍ مــنــه مُــتَّــسِــعِ الــخَــرْقِ

قال: ثم عَلِمْتُ أنه لا يتمّ لي رضا الفَضْل إلا بعد أن يرضَى عون، فقلت فيه: [الخفيف]

عَـوْنُ يـا عَـوْنُ لـيـس مِـثْـلَـكَ عَـوْنُ ... أنْــتَ لِــي عُــدَّةٌ إذ كــان كَــوْنُ

لـكَ عِـنـدي والله إنْ رَضِـيَ الـفَـضْـ ... ـلُ غُــلامٌ يُــرْضِــيــكَ أو بِــرْذَوْنُ

فدخل إلى الفضل فترضّاه لي فرَضِيَ؛ ثم قال له: ويلكَ يا عون! إنه والله إنما هجاك وأنت ترى أنه قد مدحك، ألا ترى إلى قوله: «غلام يرضيك»! هذا تعريضٌ بك؛ قال: فكيف أصنع به مع محلّه عند الأمير!

أخبرني الصُّولِيّ قال: حَدّثني عَوْن عن إسحاق، وأخبرني ببعضَ الخبر إسماعيلُ بن يونس عن عمر بن شَبّة عن إسحاق، ولفظُ الخبر وسِياقتُه للصُّولِيّ،

---

(١) إغباب الرّواح: المجيء يوماً والترك يوماً آخر ومنه الحديث: «زر غِبًا تزدد حُبًا».

(٢) يُرمى بالأُبْنة: يُتّهم بخلّة سوء.

قال: إستدناني المأمونُ يوماً وهو مُسْتَلْقٍ على فِراش حتى صارت ركبتي على الفراش، ثم قال لي: يا إسحاق، أشكو إليك أصحابي: فعلتُ بفلان كذا ففعل كذا، وفعلتُ بفلان كذا ففعل كذا؛ حتى عدَّدَ جماعةً من خواصّه؛ فقلت له: أنت يا سيِّدي بِتفضُّلِكَ عَلَيّ وحسنِ رأيك فيّ ظننتَ أنّي ممّن يُشاوَر في مثل هذا، فجاوزتَ بي حَدِّي، وهذا رأيٌ يَجِلُّ عنّي ولا يبلُغه قدري؛ فقال: ولِمَ وأنتَ عندي عالم عاقل ناصح؟ فقلت: هذه المنزلة عند سيِّدي علّمتني ألاّ أقول إلاّ ما أعرف ولا أطلبَ إلا ما أنال؛ فضحِكَ وقال: قد بلغني أنّك في هذه الأيام صنعتَ لحناً في شعر الرّاعي ولم أسمعه منك؛ فقلتُ: يا سَيِّدي، ما سمعه أحدٌ إلا جَوَارِيَّ، ولا حضرتُ عندك للشرب منذ صنعتُه؛ فقال: غَنِّه؛ فقلتُ: الهيبةُ والصَّحْو يمنعاني أنْ أُؤَدِّيه كما تريد، فلو آنسَ أميرُ المؤمنين عبدَه بشيء يُطربه ويقوّي به طبعه كان أجود؛ قال: صدقت، ثم أمر بالغداء فتغدّينا، ومُدَّت الستارةُ فغُنِّيَ من ورائها وشربنا أقداحاً؛ فقال: يا إسحاق، أمَا جاء أوانُ ذلك الصَّوت؟ فقلت: بلى يا سيِّدي، وغَنَّيْتُهُ لحني في شعر الراعي:

صوت

[الوافر]

أَلَـمْ تَـسْـأَلْ بِـعـارِمَـةَ الـدِّيَـارَا ... عـن الـحَـيِّ الـمُـفـارِقِ أَيـنَ صَـارَا[1]

بَـلَـى سَـاءَلْـتُـهَـا فَـأَبَـتْ جَـوَابـاً ... وكـيـفَ تُـسَـائِـلُ الـدِّمَـنَ الـقِـفَـارا

لحنُ إسحاق في هذين البيتين خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ـ قال: فاستحسنه وما زال يشرب عليه سائرَ يومه، وقال لي: يا إسحاق، لا طَلبَ بعد وجود البُغْية، ما أشرب بقيّةَ يومي هذا إلاّ على هذا الصوت؛ ثم وصلني وخلَعَ عليّ خِلعةً من ثيابه.

حدّثني الصُّوليّ قال: حَدّثني عَوْن بن محمد قال: حَدّثني إسحاق قال: كانت أعرابيَّةٌ تَقْدَمُ عَلَيَّ من البادية فأُفضِلُ عليها، وكانت فصيحة؛ فقالت لي ذات يوم: والذي يعلم مغزى كلّ ناطق لكأنّكَ في عِلمِكَ وُلِدْتَ فينا ونشأت معنا، ولقد أريْتَني نجداً بفصاحتك، وأحللتَني الرَّبيع بسماحتك؛ فلا ٱطَّرَدَ لي قولٌ إلاّ شكرتك، ولا نَسَمتْ لي ريحٌ إلاّ ذكرتك.

---

(١) عارمة: هو جبل لبني عامر بنجد، وقيل: هو ماء لبني تميم بالرمل (معجم البلدان ٤: ٦٦).

حدّثني الصُّولي قال: حَدّثني عَوْن بن محمد قال: حَدّثني المُغِيرة بن محمد المهلَّبيّ عن إسحاق قال: كان أبو المُجِيب الرَّبَعِيّ فصيحاً عالماً، فقال لي: يا أبا محمد، قد عزمْتُ على التزوّج فأَعِنّي وقَوِّني؛ قال: فأعطيتُه دنانيرَ وثياباً. فغاب عنّي أياماً ثم عاد؛ فقلت: يا أبا مُجِيب، ها هنا أبيات فاسمعها؛ فقال: هاتها؛ فقلت: [الرجز]

يا لَيْتَ شِعْرِي عن أبي مُجِيبِ ... إذ باتَ في مَجَاسِدٍ وطِيبِ[1]

مُعَانِقاً لِلرَّشَأِ الرَّبِيبِ ... أَأَحْمَدَ المِحفارُ في القَلِيبِ[2]

* أم كانَ رِخْواً ذابِلَ القَضِيبِ *

قال: فقال لي: الأخيرُ والله يا أبا محمد.

حدّثني الصُّوليّ قال: حَدّثني عَوْن بن محمد قال: حَدّثني إسحاق قال: كانت بيني وبين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحَشْنا، فمرَرْتُ ببابه يوماً، فتذمَّمْتُ أن أجوزَهُ ولا أدخل إليه، فدعوتُ بدَوَاةٍ وقِرْطاس وكتبتُ إليه: [الوافر]

رَجَعْنَا بِالصَّفَاءِ إلى الخَلِيلِ ... فليسَ إلى التَّهَاجُرِ مِنْ سَبِيلِ

عِتَابٌ في مُرَاجَعَةٍ وصَفْحٌ ... أَحَقُّ بِنا وأَشْبَهُ بِالجَمِيلِ

قال: ووجَّهْتُ بِالرُّقعة وقصدتُ بابَه، فخرج إليّ حتى تلقَّاني، ورجعنا إلى ما كنّا عليه.

حدّثني الصُّوليّ قال: حَدّثني عبد الله بن المعتزّ عن الهِشاميّ قال: كان أهلُنا يعتبرون[3] على إسحاق ما يقوله في نسبة الغناء وأخباره، بأن يُجلسوا كاتبتين فَهِمَتَيْنِ خَلْفَ السِّتارة، فتكتبان ما يقوله وتَضْبِطانه، ثم يتركونه مدّة حتى ينسى ما جرى، ثم يُعيدون تلك المسألة عليه، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفاً كأنه يقرأُها من دفتر؛ فعلموا حينئذ أنه لا يقول في شيء يُسأل عنه إلاّ الحقَّ.

---

(١) المجاسد: جمع المجسد: الثوب الذي يلي الجسم.

(٢) الرّشأ: الظبي إذا قويَ وتحرّك، وأَحْمَدَ: أتى ما يُحْمَدُ عليه. والمِحفار: ما يُحْفَرُ به، وهنا يستعمل على سبيل المجاز. والقليب: البئر.

(٣) يعتبرون: يختبرون.

حدّثني الصُّولِيّ قال: حَدّثني أحمد بن مَزْيد المهلَّبيّ قال: حَدّثني أبي عن إسحاق قال: كنّا عند المأمون، فغنّاه عَلّويه:

صوت

[الطويل]

لِـعَـبْـدَةَ دَارٌ مـا تُـكَـلِّـمُـنَـا الـدَّارُ تَـلُـوحُ مَـغَـانِـيهـا كَـمَـا لاحَ أَسْـطَـارُ[١]
أُسَـائِـلُ أَحـجـاراً ونُـؤْيـاً مُـهَـدَّمـاً وكـيـف يَـرُدُّ الـقَـوْلَ نُـؤْيٌ وأَحـجـارُ[٢]

ـ الشعر لِبَشّار، والغناء لإبراهيمَ ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ـ قال: فقال المأمون: لِمَنْ هذا اللَّحن؟ فقلت: لعبد أمير المؤمنين أبي، وقد أخطأ فيه عَلّويه؛ قال فغنِّه أنت فغنّيته، فاستعادنِيه مراراً وشرب عليه أقداحاً؛ ثم تَمَثَّلَ قولَ جرير: [البسيط]

وابـنُ الـلَّـبـونِ إذا مـا لُـزَّ فـي قَـرَنٍ لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القَنَاعِيسِ[٣]

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم، ووجدتُ هذا الخبر بخطّ أبي العبّاس ثَوَابة، فقال فيه: حدّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال: حَدَّثني عبد الله بن العباس الرَّبِيعيّ قال: اجتمعنا بين يَدَي المعتصم، فغَنّى عَلّويه:

* لِـعـبـدةَ دارٌ مـا تُـكَـلِّـمـنـا الـدار *

فقال له إسحاق: أخطأت فيه، ليس هو هكذا؛ فقال عَلّويه: أُمٌّ من أخذناه عنه هكذا زانية؛ فقال إسحاق: شَتَمنا قبحه الله، وسكت وبان ذلك فيه؛ وكان عَلّويه أخذه من إبراهيم.

[إسحاق يحكم لعلّويه]

حدّثني جَحْظة قال: حَدّثني أبو العُبَيس بن حَمْدون عن أبيه عن جدّه قال: كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يُغَنّي إلا الخليفةَ أو وَلِيَّ عهده أو رجلاً من

(١) الأسطار: جمع السَّطَر: الصّف من الشيء كالكلمات والشجر.
(٢) النُّؤي: الحفير حول الخيمة يمنع السيل.
(٣) اللَّبون: الناقة. ولُزّ: شُدَّ ولُصِقَ. والقَرن: الحبل. البُزْل: جمع البازل: البعير الذي انشقّ نابه. والقناعيس: جمع القنعاس: الجمل الضحم الشديد.

الطاهِريّة مثلَ إسحاق بنِ إبراهيم وطبقتِه؛ فاْجتمعنا عند الواثق وهو وليّ عهد المعتصم، فاْشتهى الواثق أن يُضَرِّبَ[(١)] بين مخارِق وعَلّويه وإسحاق، ففعل حتى تهاتروا[(٢)]؛ ثم قال لإسحاق: كيف هما الآن عندك؟ فقال: أمّا مُخارق فمُنَادٍ طيّبُ الصوت؛ وأمّا عَلّويه فهو خير حِمَارَي العِبَاديّ[(٣)]، وهو على كل حال شُيَيْء (يريد تصغيره)؛ فوثَبَ علّويه مُغْضَباً، ثم قال للواثق: جواريه حرائرُ ونساؤه طوالقُ، لئن لم تستحلفه بحياتك وحقِّ أبيك، أن يصدُقَ عما أسأله عنه، لأتوبنّ عن الغناء ما عِشْتُ؛ فقال له الواثق: لا تُعَرْبِدْ يا عليّ، نحن نفعل ما سألت؛ ثم حَلَّفَ إسحاق أن يصدُقَ فحلف؛ فقال له: مَنْ أحسنُ الناسِ اليوم صنعةً بعدك؟ قال: أنت. قال: فمن أضربُ الناس بعد ثَقيف؟ قال: أنت. قال: فمن أطيبُ النَّاس صوتاً بعد مُخارق؟ قال: أنت. قال عَلّويه لإسحاق: أهذا قولُكَ فيّ وأنت تعلم أنّي مُصَلّي[(٤)] كلّ سابق فاضل، وأنّي ثالثُ ثلاثةٍ أنت أحدهم لم يكن في الدنيا مثلُهم ولا يكون! فما أنت وغناؤكَ الذي لا يُسْمَعُ انخفاضاً! فغضب إسحاقُ، وانتهر الواثقُ عَلّويه؛ ثم أخذ إسحاقُ عوداً فنقل مَثْناه إلى موضع البَمّ[(٥)]، وزِيرَهُ إلى موضع المَثْلَثِ، وجعل البَمَّ والمَثْلَثَ مكان الزّير والمَثْنى، وضرب وقال: لِيُغَنِّ مَنْ شاء منكم؛ فغنّى مُخارِق عليه: [الطويل]

تَقَطَّعَ مِنْ ظَلاَّمَةَ الوَصْلُ أَجْمَعُ ... أَخِيراً على أنْ لم يَكُن يَتَقَطَّعُ

وضرب عليه إسحاقُ فلم يَبِنْ في الأوتار خلافٌ ولا فُقِدَ من الإيقاع شيءٌ ولا بان فيه آختلال؛ فعَظُمَ عجبُ الواثق من فعله؛ وقام إسحاق فرقَص طرباً، فكان والله أحسنَ رقصاً من كُبَيْش وعبد السلام - وكانا من أرقص الناس - فقال الواثق: لا يكمُل أحدٌ أبداً في صناعته كمثل كمال إسحاق.

حدّثني الصُّولِيّ قال: حَدّثني عَوْن بن محمد قال: حَدّثني إسحاق قال: دخلت على عبد الله بن طاهر وهو يُلاعِبُ إبراهيمَ بن وَهْب بالشِّطْرَنْج، فغلبه عبد الله، وأومأ إليّ بأن أُكايده؛ فقلت: [الرجز]

---

(١) يُضَرِّب: يُحَرِّض ويشجّع.

(٢) تهاتروا: ادّعى كلٌ على صاحبه باطلاً.

(٣) خير حِمَارَي العِبادي: مثل يُضْرَب في خلّتين إحداهما شرٌ من الأُخرى. وهو في أمثال الميداني.

(٤) المُصَلّي: التالي للسابق من خيل السباق.

(٥) البَمّ: الوتر الغليظ من أوتار المزاهر.

قد ذَهَبَتْ مِنْكَ أَبَا إسحاقِ مِثْلَ ذَهَابِ الشَّهْرِ بالمُحَاقِ[1]

فقال لي عبد الله: إنّ فضائلك يا أبا محمد لتتكاثر عندنا، كما قال الشاعر في إبله: [الرجز]

إذا أَتَاهَا طَالِبٌ يَسْتَامُهَا تَكَاثَرَتْ في عَيْنِهِ كِرامُهَا

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: ذكر عليّ بن الحسن بن عبد الأعلى عن إسحاق قال: أنشدَتْني أُمّ محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاجٌّ، فاستحسنتُهما، وصنعت فيهما لحناً غنَّيته الواثقَ؛ فاستعاده حتى أخذه، وأمر لي بثلاثين ألف درهم؛ وهما: [الطويل]

عَسَى اللَّهُ يا ظَمْياءُ أَنْ يَعكِسَ الهَوَى فَتلْقَيْنَ ما قد كُنْتُ مِنْكِ لَقِيتُ
ثَرَاءً فتحتاجي إِلَيَّ فَتَعْلَمِي بِأَنَّ به أَجْزِيكِ حِينَ غَنِيتُ

حدّثني عمّي قال: حَدّثني عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثني محمد بن مَرْوان قال: قال لي يحيى بن مُعَاذ: كان إسحاق الموصليّ وإبراهيم بن المهديّ إذا خَلَوا فهما أخوانٍ، وإذا التقيا عند خليفة تَكَاشَحَا أقبحَ تَكَاشُحٍ؛ فاجتمعا يوماً عند المعتصم؛ فقال لإسحاق: يا إسحاق، إن إبراهيمَ يَثْلُبُكَ ويَغُضُّ منك ويقول: إنك تقول: إنّ مخارِقاً لا يُحسنُ شيئاً ويتضاحك منك؛ فقال إسحاق: لم أقلْ يا أمير المؤمنين: إن مخارقاً لا يُحسن شيئاً، وكيف أقول ذلك وهو تلميذ أبي وتخريجُه وتخريجي! ولكن قلت: إنّ مخارقاً يملِكُ من صوته ما لا يملِكه أحد، فيتزايد فيه تزايداً لا يُبقي عليه ويتغيّر في كل حال، فهو أحلى الناس مسموعاً وأقلّه نفعاً لمن يأخذ عنه، لقلّة ثباته على شيء واحد. ولكنّي أفعل الساعةَ فعلاً إن زعَم إبراهيمُ أنه يُحسنه فلستُ أُحسِنُ شيئاً، وإلاّ فلا ينبغي له أن يدّعيَ ما ليس يُحْسِنُهُ. ثم أخذ عوداً فشوَّشَ أوتارَه، ثم قال لإبراهيم: غَنِّ على هذا أو يُغَنِّي غيرُكَ وتضرِب عليه؛ فقال المعتصم: يا إبراهيم، قد سمعتَ، فما عندك؟ قال: ليفعلْه هو إن كان صادقاً؛ فقال له إسحاق: غنِّ حتى أضربَ عليك فأَبَى؛ فقال لزُرْزُور: غَنِّ فغنَّى وإسحاقُ يضرِب عليه حتى فُرِغَ من الصوت ما عَلِمَ أحدٌ أنّ العود مُشَوَّشٌ. ثم قال: هاتوا عوداً آخر؛ فشوّشه وجعل كلَّ وترٍ منه في الشدّة واللّين على مقدار العود

(١) المُحَاق: آخر الشهر إذا امَّحَقَ الهلال فلم يُرَ.

المشوّش الأوّل حتى ٱستوفى؛ ثم قال لزُرْزور: خذ أحدَهما فأخذه، ثم قال: ٱنظر إلى يديَ وٱعمل كما أعمل وٱضرِبْ ففعل؛ وجعل إسحاق يُغَنِّي ويضرِب وزُرْزور ينظر إليه ويفعل كما يفعل؛ فما ظنّ أحدٌ أن في العودَين شيئاً من الفساد لِصحة نَغَمهما جميعاً إلى أن فُرِغَ من الصوت. ثم قال لإبراهيم: خذ الآنَ أحد العودين، فٱضرب به مبدأً أو عَمُودَ طريقةٍ أو كيف شئتَ إن كنت تُحسن شيئاً؛ فلم يفعل وٱنكسر انكساراً شديداً؛ فقال له المعتصم: أرأيتَ مثل هذا قطُّ؟ قال: لا، والله ما رأيتُ ولا ظننت أنّ مثله يكون.

حدّثني أبو عبد الله محمد بن العباس اليَزِيديّ قال: حَدّثني عمّي الفَضْل قال: دعاني إسحاقُ يوماً، فمضيتُ إليه وعنده الزُّبَير بن دَحْمان وعَلّويه وحسين بن الضحّاك، فمرّ لنا أحسنُ يوم؛ فٱلتفت إليّ إسحاقُ ثم قال: يومُنا هذا والله يا أبا العبّاس كما قال الشاعر: [مجزوء الرمل]

أنــــتَ واللهِ مِــــنَ الأيَّــــ ـامِ لَــــدْنُ الــــطَّــــرَفَــــيْــــنِ
كُــلَّــمــا قَــلَّــبْــتُ عَــيْــنــ ـيَّ فــفــي قُــرّةِ عَــيْــنِ

[إسحاق والواثق]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلتُ يوماً على الواثق فقال لي: يا إسحاق، إني أصبحت اليوم قَرِماً[1] إلى غنائك فغَنِّني؛ فغَنَّيته: [البسيط]

مِنَ الظِّباءِ ظِبَاءٌ هَمُّها السُّخُبُ تَرْعَى القُلُوبَ وفي قَلْبِي لها عُشُبُ[2]
لا يَغْتَرِبْنَ ولا يَسْكُنَّ بَادِيَةً وليسَ يَدْرِينَ ما ضَرْعٌ ولا حَلَبُ
إذا يَدٌ سَرَقَتْ فالقَطْعُ يَلْزَمُها والقَطْعُ في سَرَقٍ بِالعَيْنِ لا يَجِبُ

قال: فشربَ عليه بقيَّةَ يومه وبعضَ ليلته، وخلع عَلَيَّ خِلْعةً من ثيابه.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: خرجْتُ مع الواثق إلى الصّالحية[3] وهو يريد النزهة، فذكرتُ بغدادَ وعيالي وأهلي وولدي

(١) القرم: في الأصل شدة الشهوة إلى اللحم، ثم أصبح يستخدم مجازاً لشدّة الرغبة في الشيء.
(٢) السُّخُب: جمع السخاب: كل قلادة تستخدم للزينة والتجمّل.
(٣) الصالحية: محلة ببغداد تُنسب إلى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين (معجم البلدان ٣: ٣٩٠).

بها فبكيتُ؛ فقال لي: بحياتي أذَكَرْتَ بغدادَ فبكيتَ شوقاً إليها؟ فقلت: نعم، وغَنَّيتُه:

صوت

[الطويل]

وما زلتُ أَبكي في الدِّيَارِ وإنَّما بُكَائِي على الأحبابِ ليسَ على الدَّارِ

قال: فأمر لي بمائة ألف درهم وصرَفَني.

وأخبرني محمد بن مَزْيد بهذا الخبر عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه، وحدّثني به عليّ بن هارون عن عمّه عن حَمّاد عن أبيه وخبرهُ أتمّ، قال: ما وَصَلني أحدٌ من الخلفاء قَطُّ بمثل ما وصلني به الواثق، ولقد ٱنحدرتُ معه إلى النَّجَفِ، فقلت له: يا أمير المؤمنين، قد قلت في النَّجَفِ قصيدة؛ فقال: هاتِها؛ فأنشدتُه: [البسيط]

يا رَاكِبَ العِيسِ لا تَعْجَلْ بِنا وَقِفِ نُحَيِّ دَاراً لِسُعْدَى ثُمَّ نَنْصَرِفِ

حتى أتيتُ على قولي:

لم يَنزِلِ النَّاسُ في سَهْلٍ ولا جَبَلٍ أَصْفَى هَوَاءً ولا أَغْذَى مِنَ النَّجَفِ[1]
حُفَّتْ بِبَرٍّ وبَحْرٍ مِنْ جَوانِبِها فَالبَرُّ فِي طَرَفٍ والبَحْرُ في طَرَفِ
وما يَزَالُ نَسِيمٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ يَأْتِيكَ مِنْها بِرَيَّا رَوْضَةٍ أُنُفِ[2]

فقال: صَدَقْتَ يا إسحاق، هي كذلك، ثم أنشدتُه حتى أتيت على قولي في مدحه:

لا يَحْسَبُ الجُودَ يُفْنِي مَالَه أَبداً ولا يرى بَذْلَ ما يَحْوِي مِنَ السَّرَفِ

ومضيْتُ فيها حتى أتممتُها؛ فطرِبَ وقال: أحسنتَ والله يا أبا محمد، وكنّاني يومئذ، وأمر لي بمائة ألف درهم؛ وٱنحدر إلى الصالحيّة التي يقول فيها أبو نُوَاس:

* بالصَّالحيّة من أكنافِ كَلْواذِ[3] *

فذكرتُ الصبيانَ وبغدادَ فقلت: [الطويل]

---

(١) أغذى: أطيب هواءً.
(٢) الرَّيّا: الريح الطّيّبة. والروضة الأُنُف: التي لم يَرْعَها أحدٌ.
(٣) كلواذ: ناحية في الجانب الشرقي من بغداد قرب مدينة السلام (معجم البلدان ٤: ٤٧٧).

أَتَبْكِي على بَغْدَادَ وهي قَرِيبةٌ ... فكيفَ إذا ما ٱزْدَدْتَ مِنْها غَداً بُعْدَا
لَعَمْرُكَ ما فَارَقْتُ بَغْدادَ عن قِلًى ... لَوَ ٱنَّا وَجَدْنا عَنْ فِرَاقٍ لها بُدَّا
إذا ذَكَرَتْ بَغْدَادَ نَفْسِي تَقَطَّعَتْ ... مِنَ الشَّوْقِ أو كادَتْ تَموتُ بها وَجْدَا
كَفَى حَزَناً أَنْ رُحْتُ لم أَسْتَطِعْ لها ... وَدَاعاً ولم أُحْدِثْ بِسَاكِنِها عَهْدَا

قال: فقال لي: يا موصليّ، أشتقتَ إلى بغداد؟ فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن من أجل الصبيان، وقد حضرني بيتان؛ فقال: هاتهما؛ فأنشدتُه:

[الوافر]

حَنَنْتَ إلى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغارِ ... وشَاقَكَ مِنْهُمُ قُرْبُ المَزَارِ
وأَبْرَحُ ما يَكُونُ الشَّوْقُ يَوْماً ... إذا دَنَتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيارِ[1]

فقال لي: يا إسحاق، صِرْ إلى بغداد فأَقِمْ مع عيالِكَ شهراً ثم صِرْ إلينا، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: أخبرني أبي قال: لمّا صنع الواثق لحنَه في:

[الطويل]

أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِدْني مِنَ الَّتي ... بها نَهِلَتْ نَفْسِي سَقَاماً وعَلَّتِ[2]
لقد بَخِلَتْ حَتَّى لَوَ أنِّي سَأَلْتُها ... قَذَى العَيْنِ مِنْ سَافِي التُّرَابِ لَضَنَّتِ

أُعْجِبَ به إعجاباً شديد، فوجَّهَ بالشعر إلى إسحاق الموصليّ وأمره أن يغنّي فيه؛ فصنع فيه لحنَه الثقيل الأوّلَ، وهو من أحسن صنعةِ إسحاق؛ فلمّا سمعه الواثق عَجِبَ منه وصغُر لحنُه في عينه، وقال: ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصَّنعة في هذا الشعر، لأنه قد أفسد علينا لحننا. قال عليّ بن يحيى قال إسحاق: ما كان يحضُرُ مجلسَ الواثق أعلمُ منه بهذا الشَّأن.

نسبة هذين الصوتين

صوت

أَيَا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِدْنِي مِنَ التي ... بها نَهِلَتْ نفسي سَقَاماً وعَلَّتِ
لقد بَخِلَتْ حتى لَوَ أنّي سَأَلْتُها ... قَذَى العَيْنِ من سَافِي التّرابِ لَضَنَّتِ

---

(١) أَبْرَحُ: أشدُّ وأشقُّ.

(٢) نَهِلَ: شرب أولاً. وعَلَّ: شرب ثانياً أو تباعاً. ويقال: عَلَلٌ بعد نَهَلٍ: أي الشرب المتوالي بعد الشربة الأولى؛ والمراد: الريّ بعد الاكتفاء بالقليل.

الشعر لأعرابيّ، والغناء للواثق ثاني ثقيلٍ في مجرى البنصر، وفيه لمُخَارق رَمَلٌ، ولعَرِيبَ رمل، ومِنَ النَّاس من ينسُب هذا الشعر إلى كُثَيِّر، وهو خطأ من قائله.

أنشدني هذه الأبيات عمّي قال: أنشدني هارون بن عليّ بن يحيى، وأنشدنيها عليّ بن هارون عن أبيه عن جدّه عن إسحاق أنه أنشده لأعرابيّ فقال:

صوت

[الطويل]

أَلاَ قَاتَلَ اللَّهُ الحَمَامَةَ غُدْوَةً ... على الغُصْنِ ماذا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتِ
تَغَنَّتْ بِصَوتٍ أَعْجَمِيٍّ فَهَيَّجَتْ ... مِنَ الشَّوْقِ ما كانَتْ ضُلوعي أَجَنَّتِ[1]

غنّى في هذين البيتين عَمْرو بن بانة ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى.

فلو قَطَرَتْ عَيْنُ ٱمرِىءٍ مِنْ صَبَابةٍ ... دَماً قَطَرَتْ عَيْني دَماً فَأَلَمَّتِ
فما سَكَتَتْ حَتى أَوَيْتُ لِصَوْتِها ... وقُلْتُ تُرَى هٰذِي الحَمَامةُ جُنَّتِ
ولِي زَفَرَاتٌ لو يَدُمْنَ قَتَلْنَني ... بِشَوْقٍ إلى نَأْيِ الَّتي قد تَوَلَّتِ
إذا قُلْتُ هٰذِي زَفرةُ اليوم قد مَضَتْ ... فَمَنْ لي بِأُخْرَى في غَدٍ قد أَظَلَّتِ
فيا مُحْيِيَ المَوْتَى أَقِدْني مِنَ الّتي ... بها نَهِلَتْ نَفْسِي سَقَاماً وعَلَّتِ
لقد بَخِلَتْ حَتَّى لَوَ ٱنّي سَأَلْتُها ... قَذَى العَيْنِ من سَافِي التُّرَابِ لَضَنَّتِ
فقُلْتُ ٱرْحَلا يا صَاحِبَيَّ فَلَيتني ... أَرَى كُلَّ نَفْسٍ أُعْطِيَتْ ما تَمَنَّتِ
حَلَفْتُ لها باللهِ مَا أُمُّ وَاحِدٍ ... إذا ذَكَرَتْهُ آخِرَ اللَّيلِ حَنَّتِ
وما وَجْدُ أعرابيَّةٍ قَذَفَتْ بها ... صُرُوفُ النَّوَى مِنْ حَيثُ لم تَكُ ظَنَّتِ
إذا ذَكَرَتْ مَاءَ العِضَاهِ وطِيبَه ... وبَرْدَ الحِمَى من بَطْنِ خَبْتٍ أَرَنَّتِ[2]
بِأَكْثَرَ مِنّي لَوْعةً غَيْرَ أَنّني ... أُجَمْجِمُ أحشائي على ما أَجَنَّتِ[3]

وأما لحن إسحاقَ فإنه غنَّى في:

* لقد بَخِلَتْ حتى لَوَ ٱنّي سألتُها *

---

(١) أَجَنّ: ستر وأخفى.

(٢) العِضاه: جمع العِضاهة: كلّ شجر يعظم وله شوك. والخبت: الوادي العميق الوطيء ينبت ضروب العضاه. وأَرَنَّتْ في نوحها: صاحت مع البكاء.

(٣) جمجم الشيء في صدره: أخفاه ولم يُبْدِه.

وأضاف إليه شيئاً آخر وليس من ذلك الشعر، وهو: [الطويل]

فإن بَخِلَتْ فالبُخْلُ مِنها سَجِيَّةٌ وإنْ بَذَلَتْ أَعطَتْ قَليلاً وأَكْدَتِ[1]

قال: ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى.

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى الصُّولِيّ قال: حَدّثنا يزيد بن محمد المهلَّبيّ، وحدّثني به عمّي عن أبي جعفر بن دِهْقَانَةَ النَّديم عن أبيه قال: كان الواثق إذا صنعَ صوتاً قال لإسحاق: هذا وقع إلينا البارحةَ فاسمعْه، فكان ربّما أصلحَ فيه الشَّيءَ بعد الشَّيء. فكاده مخارق عنده وقال له: إنما يستجيدُ صنعتَكَ إذا حضرَ لِيُقَارِبَك ويستخرجَ ما عندك، فإذا فارق حضرتَك قال في صنعتك غيرَ ما تسمع؛ قال الواثق: فأنا أحبّ أن أقف على ذلك؛ فقال له مخارق: فأنا أُغَنِّيه «أيا منشرَ الموتى» فإنّه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد؛ قال: فافعلْ. فلمّا دخل إسحاقُ غنّاه مخارق وتعمّد لأن يفسده بجَهْده، وفعل ذلك في مواضعَ خفيّة لم يعلمها الواثق من قِسمته؛ فلمّا غنّاه قال له الواثق: كيف تَرَى هذا الصَّوتَ؟ قال له: فاسدٌ غير مَرْضِيّ؛ فأمر به فسُحِبَ من المجلس حتى أُخرج عنه، وأمر بنفيه إلى بغداد، ثم جرَى ذكرهُ يوماً. فقالت له فَريدةُ: يا أمير المؤمنين، إنما كاده مخارق فأفسد عليه الصوتَ من حيث أوهمكَ أنه زاد فيه بحذقه نَغَماً وجودةً، وإسحاق يأخذ نفسَه بقول الحقّ في كلّ شيء سَاءَهُ أو سَرَّهُ، ويفهم من غامض عِلَلِ الصّنعة ما لا يفهمه غيره؛ فليُحْضِرْهُ أميرُ المؤمنين ويُحَلِّفْهُ بغليظ الأيمانِ أن يَصْدُقَه عمّا يسمعُ، وأُغَنِّيه إيَّاه حتى يقفَ على حقيقة الصوت؛ فإن كان فاسداً فصدَقَ عنه لم يكن عليه عتبٌ، ووافقناه عليه حتى يستوي، فليس يجوزُ أن نتركَه فاسداً إذا كان فيه فساد؛ وإن كان صحيحاً قال فيه ما عنده؛ فأمر بالكتاب بحمله فحُمِلَ وأُحضِرَ، فأظهر الرِّضا عنه ولَزِمَه أيّاماً؛ ثم أَحْلفه لَيَصْدُقنَّ عما يمرّ في مجلسه فحلف له؛ ثم غنّى الواثقُ أصواتاً يسأله عنها أجمع فيُخبر فيها بما عنده؛ ثم غنّتْه فريدةُ هذا الصوتَ وسأله الواثق عنه، فرضِيَهُ واستجادَهُ، وقال له: ليس على هذا سَمِعْتُهُ في المرّة الأولى، وأبانَ عن المواضع الفاسدة وأَخْبرَ بإفسادِ مُخَارِق إياها؛ فسكن غضبُه ووصَل إسحاقَ وتنكَّرَ لِمُخَارِقٍ مدّة.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال: حَدّثنا محمد بن

---

(١) أكدى: قَلَّلَ العطاء ومنعه.

عبد الله بن مالك قال: حَدّثني إسحاق الموصليّ: أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطَّاهِريّ، وقد كان تكلَّمَ له في حاجةٍ فقُضيت، فقال له: أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحِطْ به أُمنيّةٌ ولا تبلُغه رغبة. قال: فاشتهى هذا الكلامَ واستعاده منّي فأعدتُه. ثم مكثنا ما شاء الله، وأرسل الواثق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإخراجي إليه في الصوت الذي أمرني به بأن أُغنّي فيه، وهو:

* لقد بَخِلَتْ حَتّى لَوَ انّي سألتُها *

فغنّيته إيّاه فأمر لي بمائة ألفِ درهم؛ فخرجتُ وأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدر أن يأخذ هذا الغناءَ منّي، فلمّا طال مُقامي قلت له: يا أمير المؤمنين، ليس أحدٌ من هؤلاء المغنّين يقدِر أن يأخذ هذا الصوت منّي؛ فقال لي: ولِمَ؟ وَيْحَكَ! فقلت: لأني لا أُصَحّحه ولا تسخو نفسي به لهم؛ فما فعلت الجارية التي أخذتَها منّي؟ (يعني شجا، وهي التي كان أهداها إلى الواثق وعَمِلَ مجرّد أغانيها وجَنَّسه ونسبه إلى شعرائه ومُغنّيه، وهو الذي في أيدي الناس إلى اليوم)؛ فقال: وكيف؟ قال: لأنها تأخذه منّي ويأخذونه هم منها؛ فأمر بها فأُخرِجَتْ وأَخَذَتْه على المكان؛ فأمر لي بمائة ألف درهم وأذِن لي في الانصرافِ؛ وكان إسحاق بن إبراهيم الطّاهريّ حاضراً، فقلت للواثق عند وَدَاعي له: أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِطْ به أُمْنِيَّةٌ ولم تبلُغه رغبة؛ فالتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي: أيْ إسحاقُ أتُعِيدُ الدّعاء! فقلت: إي والله أُعيدهُ قاضٍ أنا أو مُغَنٍّ. وقدِمتُ بغداد، فلمّا وافى إسحاقُ جئته مُسَلِّماً عليه؛ فقال لي: وَيْحَكَ يا إسحاق! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده؟ قلت: لا أيها الأمير؛ قال قال لي: ويحكَ! كنّا أغنَى الناس عن أن نبعث إسحاقَ على لحنِنا حتى أفسده علينا.

قال عليّ بن يحيى: فحدّثني إسحاق قال: استأذنتُ الواثقَ عدّة دَفَعات في الانحدار إلى بغدادَ فلم يأذن لي، فصنعتُ لحناً في:

* خَلِيلَيَّ عُوجَا من صدورِ الرَّوَاحِلِ *

ثم غنّيتُه الواثقَ فاستحسنه وعجب من صحّة قِسْمَتِهِ ومُكْثِ صوتِه أيّاماً، ثم قال لي: يا إسحاقُ، قد صنعتُ لحناً في صوتك في إيقاعه وطريقته، وأمَر من وراء السّتارة فَغنَّوْه؛ فقلت: قد والله يا أمير المؤمنين بَغَّضْتَ إليّ لحني وسمَّجتَه عندي؛ وقد كنتُ استأذنتُه في الانحدار إلى بغداد فلم يأذَن لي؛ فلمّا صَنَع هذا اللّحنَ وقلتُ

له ما قلتُ، أتبعتُه بأن قلت له: قد والله يا أمير المؤمنين أقتصَصْتَ منّي في «لقد بخِلت» وزدتَ؛ فأذن لي بعد ذلك.

نسبة هذا الصوت

صوت [الطويل]

خَلِيلَيَّ عُوجَا مِنْ صُدورِ الرَّوَاحِلِ بِجَرْعَاءِ حُزْوَى فابْكِيَا في المنازلِ[1]
لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنَ الوَجْدِ أَو يَشفِي نَجِيَّ البلاَبِلِ[2]

الشّعر لِذي الرُّمَّة، والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى في البيتين، وللواثق في البيت الثاني وحدَه رَمَلٌ بالبنصر.

أخبرني أحمد بن عَمّار قال: حَدّثني يعقوب بن نُعَيْم قال: حَدّثني كَثِير بن أبي جعفر الحِزَاميّ الكُوفيّ عن أحمد بن جَوّاس الحَنَفيّ عن أبي بكر بن عَيّاش قال: كنتُ إذا أصابتني المصيبةُ تصبّرتُ وأمسكت عن البكاء، فأجد ذلك يشتدّ عليّ، حتّى مَرَرْتُ ذات يوم بِالكُنَاسة[3]، فإذا أنا بأعرابيٍّ واقفٍ على ناقةٍ له وهو يُنشِد:

خَلِيلَيَّ عُوجَا مِنْ صُدور الرَّواحلِ بِجَرعاءِ حُزْوَى فَأَبْكِيا في المنازلِ
لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ راحةً مِنَ الوَجْدِ أو يَشفِي نَجِيَّ البَلاَبلِ

فسألت عنه فقيل لي: هذا ذو الرُّمَّة؛ فكنتُ بعدُ إذا أصابتني مصيبة بكيتُ فأجد لذلك راحة؛ فقلت: قاتل الله الأعرابيَّ! ما كان أعلمَه وأفصحَ لهجتَه!.

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه قال: قلت لإسحاق: أيّما أجودُ، لَحْنُكَ في «خليليّ عوجا» أم لحن الواثق؟ فقال: لحني أجودُ قِسْمةً وأكثر عملاً، ولحنُه أطرَبُ، لأنه جعل رَدّتَه من نفس قِسْمته، وليس يقدِرُ على أدائه إلاّ متمكّن من نفسه. قال عليّ بن يحيى: فتأمَّلْتُ اللَّحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق.

---

(١) الجرعاء: الرملة السهلة المستوية، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل. وحزوى: موضع بنجد في ديار تميم، وقيل: هو جبل من جبال الدهناء (معجم البلدان ٢: ٢٥٦).

(٢) البلابل: الوساوس والهموم في الصدر.

(٣) الكُنَاسة: محلّة بالكوفة (معجم البلدان ٤: ٤٨٠).

قال وقال لي إسحاق: ما كان بحضرة الواثق أعلمُ منه بالغناء.

أخبرني عليّ بن هارون قال: كان عبد الله بن المعتزّ يحلف أنّ الواثقَ ظلم نفسَه في تقديمه لحنَ إسحاق في «لقد بَخِلَتْ». قال: ومن الدَّليل على ذلك أنه قلّما غُنِّيَ في صوت واحد بلحنين فسقَط أجودُهما وشُهِر الدُّون، ولا يُشْهَر من اللحنين إلا أجودُهما، ولحنُ الواثق أشهرُهما، وما يَرْوِي لحنَ إسحاقَ إلا العجائزُ ومن كَثُرتْ روايتُه.

حدّثني جَحْظة عن ابن المَكيّ المرتَجِل عن أبيه أحمد بن يحيى قال: كان الواثق يَعْرِضُ صنعتَه على إسحاقَ فيُصلِح فيها الشيءَ بعد الشيء.

[آخر أصواته]

أخبرنا حسين بن يحيى عن حَمّاد: أنّ آخر صوت صنعه أبوه: «لقد بَخِلَتْ»، ثم ما صنع شيئاً حتى مات.

[غناؤه في قصور الخلفاء]

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزَاعِيّ قال: حَدَّثني أبو زيد عمر بن شَبّة قال: حدّثني إسحاق قال: دخل أعرابيّ من بني سُلَيْم سُرَّ مَنْ رأى - وكان يُكْنَى أبا القَنَافِذ - فحضر بابَ المعتصم مع الشعراء فأُذِنَ له؛ فلمّا مَثَل بين يديه أنشده:

[المتقارب]

مِـراضُ الـعـيـونِ خِـمـاصُ الـبـطـونِ ... طِـوالُ الـمُـتُـونِ قِـصـارُ الـخُـطَـا

عِـتَـاقُ الـنـحـورِ دِقـاقُ الـثُّـغـورِ ... لِطـافُ الـخُـصـورِ خِـدَالُ الـشَّـوَى(١)

عـطـابـيـلُ مِـنْ كُـلِّ رَقْـراقَـةٍ ... تَـلُـوثُ الإزارَ بِـدِعْـصِ الـنَّـقَـا(٢)

إذا هُـنَّ مَـنَّـيْـنَـنـا نـائـلاً ... أَبَـى الـبُـخْـلُ مِـنْـهُـنَّ ذاكَ الـمُـنَـى

إلـى الـنَّـفَـرِ الـبِـيـضِ أهـلِ الـبِـطـاحِ ... وأهْـلِ الـسَّـمـاحِ طَـلَـبْـنـا الـنَّـدَى

لـهـم سَـطَـوَاتٌ إذا هُـيِّـجُـوا ... وحِـلْـمٌ إذا الـجَـهْـلُ حَـلَّ الـحُـبـا(٣)

---

(١) العِتْقُ: الجمال. والخِدال: جمع الخدلة، والخدلة من النساء: الغليظة الممتلئة الساقين والذراعين. والشَّوَى: الأطراف.

(٢) العطابيل: جمع عطبولة وعطبول: الجارية الفتيّة الجميلة الممتلئة الطويلة العنق. ورقراقة: صفة للجارية: أي كأنّ الماء يجري في وجهها. والدِّعص: كثيب الرمل المجتمع.

(٣) الحُبا: جمع الحُبوة: الثوب الذي يُحتَبَى به.

يَبِينُ لكَ الخَيْرُ في أَوْجُهٍ ... لهم كالمَصَابِيحِ تَجْلُو الدُّجَى
سَعَى النَّاسُ كَيْ يُدرِكوا فَضْلَهُمْ ... فَقَصَّرَ عن سَعْيِهِمْ مَنْ سَعَى
سَعَى لِلْخِلافَةِ فَاقْتَادَهَا ... وبَرَّزَ في السَّبْقِ لَمَّا جَرَى

قال: فاستحسنها المعتصم وأمرني فغَنَّيْتُ فيها، وأمَر للأعرابيّ بعشرين ألفَ درهم ولي بثلاثين ألفَ درهم؛ وما خرج النَّاس يومئذ إلاّ بهذه الأبيات.

حدّثني عمّي قال: حَدّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال: كتبتُ إلى عليّ بن هشام أطلب منه نبيذاً، فبعث إليّ جُمَانَ بما التمستُ، وكتب إليّ: قد بعثتُ إليك بشَرَابٍ أصْلَبَ من الصَّخْر، وأعْتَقَ من الدهر، وأصْفَى من القَطْر.

حدّثني جَحْظة قال: حَدّثني أبو عبد الله الهِشَاميّ عن أحمد المَكيّ قال: لمّا صنعَ إسحاقُ لحنَه في الرَّمَل: [الطويل]

أَمَاوِيَّ إنَّ المَالَ غَادٍ ورَائِحُ ... ويَبْقَى مِنَ المالِ الأَحاديثُ والذِّكْرُ
وقد عَلِمَ الأَقْوامُ لو أَنَّ حَاتِماً ... يُرِيدُ ثَرَاءَ المَالِ كانَ له وَفْرُ[1]

وهو رَمَل نادرٌ، ابتداؤه صِيَاح، ثم لا يزال ينزل على تدريج حتى يقطعه على سَجْحَة، وكان كثيرَ الملازمة لعبد الله بن طاهر، ثم تخلَّفَ عنه مدّة وذلك في أيّام المأمون؛ فقال عبد الله لِلَمِيسَ جاريتِه: خُذِي لحنَ إسحاق في:

* أمَاوِيَّ إنّ المَال غَادٍ ورائحٌ *

فاخلعيه على: [الطويل]

وهَبَّتْ شَمَالٌ آخِرَ اللَّيلِ قَرَّةٌ ... ولا ثَوْبَ إلاّ بُرْدُها ورِدَائِيَا[2]

وألْقِيه على كلّ جارية تُعلّمينها واشْهَريه وألْقيه على من يُجيده من جواري زُبَيْدة، وقولي: أخذتُه من بعض عجائز المدينة؛ ففعلتْ، وشاع أمْرُه حتّى غُنِّي به بين يدي المأمون؛ فقال المأمون للجارية: ممّن أخذتِ هذا؟ فقالت: من دار عبد الله بن طاهر من لَمِيسَ جاريتِه، وأخبرتْني أنها أخذتْه من بعض عجائز المدينة، فقال المأمون لإسحاقَ: وَيْلَك! قد صِرتَ تسرِق الغِنَاءَ وتدّعيه، اسمع هذا الصوت؛ فسمعه فقال: هذا وحياتِك لحني، وقد وقَع عليّ فيه نَقْب من لصّ

(١) البيتان لحاتم طيّىء في زوجته ماويّة بنت عفزر.
(٢) وقَرّة: باردة.

حاذق، وأنا أغوص عليه حتّى أعرفَه؛ ثم بَكَّرَ إلى عبد الله بن طاهر فقال: أهذا حَقِّي وحُرْمتي وخدمتي! تأخذ لَمِيسُ لحني في:

* أمــاويّ إنّ الــمــالَ غــادٍ ورائِــحٌ *

فتغنّيه في: «وهَبَّتْ شَمال»! وليس بي ذلك، ولكن بي أنّها فضحَتْني عند الخليفة وادّعتْ أنها أخذتْه من بعض عجائز المدينة؛ فضحِكَ عبد الله وقال: لو كنتَ تُكْثِرُ عندنا كما كنت تفعل لم تُقْدِمْ عليك لَمِيسُ ولا غيرُها؛ فاْعتذَر فقبِلَ عُذْرَهُ، وقال له: أيّ شيء تريد؟ قال: أُريد أن تُكَذِّب نفسَها عند من ألقتْه عليها حتى يعلم الخليفة بذلك؛ قال: أفعل؛ ومضى إسحاقُ إلى المأمون وأخبره القصّة؛ فاْستكشفها من لَمِيسَ حتى وقف عليها، وجعل يعبَث بإسحاق بذلك مدّة.

حدّثني جَحْظة قال: حَدّثني عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: حَدّثتني شَهَواتُ الصَّنّاجة التي كان إسحاق أهداها إلى الواثق: أن محمّداً الأمين لمّا غنّاه إسحاقُ لحنَه الذي صنعه في شعره وهو الثقيل الأوّل:

صوت

[المنسرح]

يَــأَيُّــهَــا الــقَــائِــمُ الأَمــيــنُ فَــدَتْ نَــفْــسَــكَ نَــفْــسِــي بِــالــمــالِ والــوَلَــدِ
بَــسَــطْــتَ لِــلــنَّــاسِ إذ وَلِــيــتَــهُــمُ يَــداً مِــنَ الــجُــودِ فــوقَ كُــلِّ يَــدِ

فأمر له بألف ألفِ درهم؛ فرأيتُها قد وصلتْ إلى داره يحمِلها مائةُ فرّاش.

حدّثني جَحْظة ومحمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قالا: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: غَنَّيْتُ الواثقَ:

صوت

[الوافر]

عَــفَــا طَــرَفُ الــقُــرَيَّــةِ فَــالــكَــثِــيــبُ إلــى مَــلْــحَــاءَ لــيــسَ بــهــا عَــرِيــبُ[1]
تَــأَبَّــدَ رَسْــمُــهَــا وجَــرَى عــلــيــهــا سَــوَافِــي الــرِّيــحِ والــتُّــرْبُ الــغَــرِيــبُ[2]

(١) القُرَيَّة: من قرى اليمامة الشهيرة، والاسم يُطْلَق على عدة مواضع (معجم البلدان ٤: ٣٤٠). ومَلْحاء: وادٍ من الأودية العظيمة في اليمامة (معجم البلدان ٥: ١٩٠). وليس بها عريب: ليس بها أحد.

(٢) تأبّدَ: أقفر.

ـ ولحنه ثقيلٌ ثانٍ ـ قال: فقال لي: يا إسحاق، قد أحسن ٱبنُ هَرْمة في البيتين، فأيّ شيء هو أحسنُ فيهما من جميعهما؟ قال قلت: قوله: «الترب الغريب»، يريد أنّ الريح جاءت إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضعٍ بعيد؛ فقال: صدقتَ وأحسنتَ؛ وأمر لي بخمسين ألفَ درهم.

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن الحسن بن الحَرُون قال: كنّا يوماً عند أحمد بن المُدَبِّر، فغنّاه مغنٍّ كان عنده لحنَ إسحاقَ:

صوت

[الطويل]

فأَصْبَحْتُ كالحَوْمانِ يَنْظُرُ حَسْرَةً ... إلى المَاءِ عَطْشَاناً وقد مُنِعَ الوِرْدَا[1]

وقال ابن المُدَبِّر: زد فيه: [الطويل]

وأَمْسَيْتُ كَالمَسْلُوبِ مُهْجَةَ نَفْسِهِ ... يَرَى المَوْتَ في صَدِّ الحبيبِ إذَا صَدَّا

لَحْنُ إسحاق في هذا البيت من الثقيل الأوّل بإطلاقِ الوتر في مجرى البنصر.

حدّثني الأخفش قال: حدّثني محمد بن يزيد الأَزْديّ: قال: حدّثني شيخ من وَلَد المهلَّب قال: دخل مَرْوانُ بن أبي حَفْصة يوماً على إبراهيمَ الموصليّ، فجعلا يتحدّثان إلى أن أنشد إسحاقُ بن إبراهيم مروانَ بن أبي حَفْصة لنفسه: [الطويل]

إذا مُضَرُ الحَمْرَاءِ كانَتْ أَرُومَتي ... وقامَ بِنَصْرِي خَازِمٌ وٱبنُ خازمِ[2]

عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شَامِخٍ وتناوَلَتْ ... يَدَايَ الثُّرَيَّا قاعِداً غيرَ قائمِ

قال: وجعل إبراهيم يحدّث مروانَ وهو عنه ساهٍ مشغول، فقال له: ما لكَ لا تجيبني؟ قال: إنك والله لا تدري ما أفرَغ ٱبنُك هذا في أذني.

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال: حَدَّثني الحَرَميُّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثني موسى بن هارون عن يعقوب بن بِشْر قال: كنتُ مع إسحاق الموصليّ في نُزْهة، فمرَّ بنا أعرابيّ فوجّه إسحاقُ خَلْفَه بغلامه زِيَادٍ الذي يقول فيه:

---

(١) الحَوْمان: العطشان.

(٢) مضَر الحمراء: وُصِفُوا بالحمراء لأن أباهم مُضَر لما اقتسم هو وربيعة الميراث أُعطيَ مضر الذهبَ، وأُعطيَ ربيعة الخيل فقيل لهذا مضر الحمراء ولذلك ربيعة الفرس، وكان شعار مضر في الحرب العمائم والرايات الحمر، ولأهل اليمن الصفر.

[الطويل]

وقُـولاَ لِسَـاقِـيـنـا زِيَـادٍ يُـرِقُّـهَـا فـقـد هَـدَّ بَـعْـضَ الـقَـوْمِ سَـقْـيُ زِيـادِ

قال: فوافانا الأعرابيّ، فلمّا شَرِبَ وسَمِعَ حَنين الدّواليب[1] قال:

صوت

[الكامل]

بَـكَـرَتْ تَـحِـنُّ ومـا بـه وَجْـدِي وأَحِـنُّ مِـنْ وَجْـدٍ إلـى نَـجْـدِ
فـدُمُـوعُـهـا تَـحْـيـا الـرِّيَـاضُ بـهـا ودُمـوعُ عَـيْـنِـي أَقْـرَحَـتْ خَـدِّي
وبِـسَـاكِـنِـي نَـجْـدٍ كَـلِـفْـتُ ومـا يُـغْـنِـي لـهـم كَـلَـفِـي ولا وَجْـدِي
لـو قِـيـسَ وَجْـدُ الـعَـاشِـقِـيـنَ إلـى وَجْـدِي لَـزَادَ عـلـيـه مـا عِـنْـدي

قال: فما ٱنصرف إسحاق إلى بيته إلاّ محمولاً سُكْراً، وما شربَ إلاّ على هذه الأبيات؛ والغناء فيها لإسحاق هَزَجٌ بالبِنْصَر.

أخبرني محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سَعْد عن محمد بن عبد الله عن إسحاق قال: دخلتُ على الفَضْل بن الرَّبيع وهو على بساط سُوسَنْجِرْدِيّ[2] ستيني مُذهب يلمع عليه مكتوب: «مِمّا أمَر بصنعته حَمّاد عَجْرَد»؛ فقال لي: أتدري مَنْ حَمّاد عَجْرد؟ قلت: لا؛ قال: حَمّاد عجرد كان واليَ تلك النَّاحية؛ أفرأيتَ مثلَه قطُّ؟ قلتُ: لا، فسكتَ؛ ثم قلتُ: أهكذا يفعل الناس؟ قال: أيّ شيء يفعلونه؟ قلت: تَهَبُه لي؛ قال: لا أفعل؛ قلت: إذاً أغضَبُ؛ قال: ما شئتَ ٱفْعَلْ؛ فخرجْتُ مُتغاضباً؛ فلمّا وافيتُ منزلي إذا برسوله قد لَحِقَني بالبساط؛ فكتبتُ إليه بيتين لِحَمْزة بن مُضَر:

[الكامل]

ولـقـد عَـدَدْتُ فَـلَـسْـتُ أُحْـصِـي كُـلَّ مـا قـد نِـلْـتُ مِـنْـكَ مِـنَ الـمـتـاع الـمُـونِـقِ
بِـخَـدِيـعَـتِـي فـأراكَ مُـنْـخَـدِعـاً لـهـا وفُـكـاهَـتِـي وتَـغَـضُّـبِـي وتَـمَـلُّـقِـي

قال ٱبن أبي سعد في خبره: ـ فلمّا دخلتُ عليه ضَحِكَ وقال لي: البيتان خير من البساط، فالفضلُ الآن لك علينا.

أخبرني يحيى بن عليّ وأحمد بن جعفر جَحْظة عن أبي العُبَيْس بن حَمْدون

---

(١) الدُّولاب: هو السّاقية عند العامة يُستقى بها الماء، أو هي الناعورة بنفسها وهو لفظ أعجميّ معرّب.
(٢) سوسنجرديّ: نسبة إلى سُوسَنْجِرْد: قرية من قرى بغداد (معجم البلدان ٣: ٢٨١).

عن عمرو بن بانة قال: رأيتُ إبراهيم بن المهديّ يناظر إسحاقَ في الغناء، فتكلّما بما فهماه ولم أفهم منه شيئاً؛ فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغناء فما نحن منه في قليل ولا كثير.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدّثني أبي قال: حَدّثني إسحاق قال: قَدِمْتُ على الواثق في بعض قَدَماتي، فقال لي: أمَا اشتقتَ إليّ؟ فقلتُ: بَلَى واللهِ يا أمير المؤمنين، وأنشدتُه: [البسيط]

أَشْكُو إلى اللهِ بُعْدِي عن خَلِيفَتِهِ ... ومَا أُعالِجُ مِنْ سُقْمٍ ومِنْ كِبَرِ
لا أستطيعُ رَحيلاً إنْ هَمَمْتُ به ... يوماً إليه ولا أَقْوَى على السَّفَرِ
أَنْوِي الرَّحِيلَ إليه ثُمَّ يَمْنَعُني ... ما أَحْدَثَ الدَّهْرُ والأيامُ في بَصَري

قال: وقال وقد أشخصه إليه قصيدتَه الداليّة:

صوت

[البسيط]

ضَنَّتْ سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ بالزَّادِ ... وأَخْلَفَتْكَ فَمَا تُوفِي بِميعادِ
ما أَنْسَ لا أَنْسَ مِنها إذ تُوَدِّعُنا ... والحُزْنُ منها وإنْ لم تُبْدِهِ بادي

لإسحاقَ في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطَى، يقول فيها:

لمَّا أَمَرتَ بإشْخَاصِي إليكَ هَفَا ... قَلْبِي حَنِيناً إلى أَهْلِي وأَولادي
ثمَّ اعْتَزَمْتُ ولَمْ أَحْفِلْ بِبَيْنِهِمُ ... وطَابَتِ النَّفْسُ عن فَضلٍ وحَمَّادِ
كَمْ نِعْمَةٍ لأَبِيكَ الخَيْرِ أَفْرَدَني ... بها وعَمَّ بِأُخرَى بَعْدَ إفرادِ
فلو شَكَرْتُ أيادِيكُمْ وأَنْعُمَكُمْ ... لمَا أحاطَ بها وَصْفِي وتَعْدادِي
لأَشْكُرَنَّكَ ما نَاحَ الحَمَامُ ومَا ... حَدَا على الصُّبْحِ في إِثْرِ الدُّجَى حَادِي

قال عليّ بن يحيى: قال لي أحمد بن إبراهيم: يا أبا الحسن، لو قال الخليفة لإسحاق: أَحْضِرني فَضْلاً وحَمّاداً أليس كان قد افتضح من دَمَامةِ خَلْقهما وتَخَلُّفِ شَاهِدِهما.

حدّثني جَحْظة قال: حَدّثني هِبة الله بن إبراهيمَ بن المهديّ قال: كتب أبي إلى إسحاقَ في شيء خالفه فيه من التّجزئة والقسمة: «إلى من أُحاكمك والنّاس بيننا حَمِير!».

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال: حَدّثنا سليمان بن أيّوب قال: حَدَّثني

محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعيّ قال: حَدّثنا إسحاقُ قال: كنتُ مع الرّشيد حين خرج إلى الرَّقّة، فدخل يوماً إلى النساء، وخرجتُ فمضيتُ إلى تَلّ عَزَاز[١]، فنزلتُ عند خَمَّارة هناك فسقتني شَرَاباً لم أرَ مثلَه حُسْناً وطيباً وطِيبَ رائحةٍ في بيت مرشوش ورَيْحانٍ غَضّ، وبرزتْ بنتٌ لها كأنّها خُوط بانٍ أو جَدْل عِنَان[٢]، لم أرَ أحسنَ منها قَدًّا، ولا أسْيَلَ خَدّاً[٣]، ولا أعْتَقَ وجهاً، ولا أبرعَ ظَرْفاً، ولا أفْتنَ طَرْفاً، ولا أحسن كلاماً، ولا أتمّ تماماً؛ فأقمتُ عندها ثلاثاً والرشيد يطلبني فلا يقدِر عليّ؛ ثم آنصرفتُ فذهبتْ بي رُسُله، فدخلتُ عليه وهو غضبان؛ فلمّا رأيتُه خطَرْتُ في مِشْيتي ورقَصْتُ، وكانت فيّ فضلةٌ من السُّكر، وغنّيْتُ:

صوت

[الخفيف]

إنَّ قَلْبِي بِالتَّلِّ تَلِّ عَزَازِ ... عند ظَبْيٍ مِنَ الظِّباءِ الجَوازِي[٤]

شَادنٍ يَسْكُنُ الشَّآمَ وفيه ... مع دَلِّ العِراقِ ظَرْفُ الحِجَازِ

يا لَقَومِي لِبِنْتِ قَسٍّ أَصابَتْ ... منكَ صَفْوَ الهَوَى ولَيْسَتْ تُجَازِي

حَلَفَتْ بِالمسيحِ أَنْ تُنْجِزَ الوعـ ... ـدَ ولَيْسَتْ تَجُود بِالإنْجازِ

ـ الغناء لإسحاقَ خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة ـ قال إسحاق: فسكَن غضبُه، ثم قال لي: أين كنتَ؟ فأخبرتُه؛ فضحك وقال: إنّ مثل هذا إذا اتَّفق لَطَيِّبٌ، أعِدْ غناءك، فأعدته، فأُعجِب به، وأمرني أن أُعيده ليلةً من أوّلها إلى آخرها؛ وأخذها المغنّون منّي جميعاً وشَرِبنا إلى طلوع الفجر، ثم آنصرفنا فصَلَّيْتُ الصُّبْحَ ونِمْتُ؛ فما آستقْررنا حتى أتى إليّ رسول الرشيد فأمرني بالحضور، فركبتُ ومَضَيت؛ فلمّا دخلتُ وجدت آبنَ جامع قد طرَح نفسَه يتمرّغ على دُكّان في الدار لِغَلَبةِ السُّكرِ عليه، ثم قال: أتدري لِمَ دُعينا؟ فقلت: لا واللهِ؛ قال: لكنّي أدري، دُعينا بسبب نَصْرانيتك الزّانية، عليكَ وعليها لعنةُ الله؛ فضحكتُ. فلمّا دخلتُ على الرشيد أخبرتُه بالقصة، فضحك وقال: صدَقَ، عُودوا فيه فإنّي اشتقتُ إلى ما كنّا فيه لمّا فارقتموني؛ فعُدْنا فيه يومَنا كلَّه حتى انصرفنا.

---

(١) عَزَاز: بليدة شمالي حلب فيها قلعة، وعزاز موضع باليمن (معجم البلدان ٤ : ١١٨).

(٢) الخُوط: الغصن الناعم. والجدل: الحبل المفتول.

(٣) الخدّ الأسيل: الناعم الأملس.

(٤) الجوازي: جمع الجازئة من الإبل: التي تكتفي بالعشب الأخضر وتستغني عن الماء.

أخبرنا الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا يزيد بن محمد المُهلَّبِيّ قال: كان إسحاق قد أظهر التّوبة وغَيَّرَ زِيَّه واْحْتَجَرَ[1] من حضور دار السلطان، فبلغه أنّ المأمون وَجَد عليه من ذلك وتنكّرَ؛ فكتب إسحاقُ إليه وغنّى فيه بعد ذلك:

صوت

[الخفيف]

يا اْبنَ عمّ النّبِيّ سَمْعاً وطَاعَهْ ... قد خَلَعْنا الرِّدَاءَ والدُّرَّاعَهْ
ورَجَعْنَا إلى الصِّنَاعَةِ لَمَّا ... كان سُخْطَ الإمامِ تَرْكُ الصِّنَاعَهْ

الغناء لإسحاقَ رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو ـ وقد ذكر الغَلاَبِيّ أن هذا الشعر لأبي العَتَاهِية، قاله لمّا حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر ـ وذكر حبش أن هذا اللّحن لإبراهيم.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حَدّثني أبي قال: قال لي محمد بن الحسن بن مُصعَب، وكان بصيراً بالغناء والنَّغَم: لحنُ إسحاق في «تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ» أحسنُ من لحن ابن سُرَيج، ولحنُه في «يوم تُبْدي لنا قُتَيْلة» أحسنُ من لحن مَعْبد، وذلك من أجود صنعة معبد. قال فأخبرتُ إسحاقَ بقوله، فقال: قد والله أخذتُ بِزمامَيْ راحلتيهما وزَعْزَعْتُهُمَا[2] وأَنَخْتُ بهما فما بلغتُهما؛ فأخبرتُ بذلك محمد بن الحسن؛ فقال: هو والله يعلم أنه بَرَّزَ عليهما، ولكنه لا يَدَعُ تَعَصُّبَهُ للقدماء.

وأخبرني جَحْظة قال: حَدّثني حَمّاد بن إسحاق: أنّ رجلاً سأل أباه فقال له: إنَّ النَّاسَ قد كَثَّروا في صوتيك: «تشكَّى الكُمَيتُ الجريَ» و «يوم تُبدي لنا قُتَيْلة»، وقالوا: إنهما أجود من لَحْنَي بن سُريج ومَعْبد؛ قال أبي: وَيْحَك! رُمِيت في هذين الصوتين بمعبد واْبن سُريج وهُمَا هُمَا، فقرُبت ووقع القياسُ بيني وبينهما، وعلى ذلك فقد والله أخذتُ بزمامَيْ راحلتيهما واْنتصفتُ منهما.

[وصفُ غنائه وتحليله في الكتب]

قرأت في بعض الكتب أن محمد بن الحسن ـ أظنّه اْبن مصعَب ـ ذكَر إسحاقَ

---

(١) احتجرَ: امتنع.

(٢) زعزعه: ساقه سوقاً شديداً.

الموصليّ فقال: كانت صنعتُه مُحْكَمةَ الأصول، ونغمتُه عجيبةَ الترتيب، وقسمتُه مُعدَّلَةَ الأوزان، وكان يتصرَّفُ في جميع بُسُط الإيقاعات، فأيّ بِساط منها أراد أن يتغنّى فيه صوتاً قصد أقوى صوت جاء في ذلك البِساط لِحُذَّاقِ القدماء فعارَضَه؛ وقد كان يذهب مذهبَ الأوائل، ويسلُكُ سبيلَهم، ويقتحم طُرُقَهم؛ فيَبْنِي على الرّسْم فيصنعه، ويحتذي على المِثَال فيَحْكيه، فتأتي صنعته قويّة وثيقة يجمع فيها حالتين: القوّةَ في الطّبْع وسهولةَ المسلك، وخُنْثاً بين كثرة النَّغَم وترتيبها في الصِّيَاح والإسجاح؛ فهي بصنعة الأوائل أشبهُ منها بصنعة المتوسّطين من الطبقات؛ فأما المتأخرون فأحسَنُ أحوالهم أن يَرْوُوها فيردّوها. وكان حَسَنَ الطبع في صِياحِه، حسنَ التَّلَطُّفِ، لتنزيله من الصّياح إلى الإسجاح على ترتيب بِنَغَم يشاكله، حتّى تعتدلَ وتتّزن أعجازُ الشعر في القسمة بصدوره. وكذلك أصواته كلّها، وأكثرها يبتدىء الصوت فيصيح فيه ـ وذلك مذهبه في جُلّ غنائه، حتى كان كثير من المغنين يلقِّبونه الملسوع؛ لأنه يبدأ بالصّياح في أحسن نغمة فتح بها أحدٌ فاه ـ ثمّ يردُّ نغمته فيرجِّحها ترجيحاً وينزلها تنزيلاً حتى يَحُطّها من تلك الشِّدَّة إلى ما يوازيها من اللِّينِ، ثم يَعُود فيفعل مثل ذلك، فيخرج من شدّة إلى لين ومن لين إلى شدّة؛ وهذا أشدّ ما يأتي في الغناء وأعزّ ما يُعرَفُ من الصَّنعة. قال يحيى بن عليّ بن يحيى وقد ذكر إسحاقَ في صدر كتابه الذي ألّف في أخباره [وزاد في بعض ما صنعه][1]:

«وكان إسحاقُ أعلمَ أهل زمانه بالغناء، وأنفذَهم في جميع فنونه، وأضربهم بالعود وبأكثر آلات الغناء، وأجودَهم صنعةً، وقد تشبّه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه، وعارَضَ ٱبنَ سُريج ومعبداً فٱنتصف منهما؛ وكان إبراهيم بن المهديّ ينازعه في هذه الصناعة ولم يَبْلُغْه فيها، ولم يكن بعدَ إسحاقَ مثلُه».

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حَدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال: حَدّثني إبراهيم بن عليّ بن هشام: قال إسحاق وذكر صوته:

صوت

[الكامل]

كـانَ ٱفْـتِـتَـاحُ بَـلائِـيَ الـنَّـظَـرُ ... فَـالْـحَـيْـنُ سَـبَّـبَ ذاكَ والـقَـدَرُ

قـد كـانَ بَـابُ الـصَّـبْـرِ مُـفْـتَـتَـحـاً ... فـالـيـومَ أغْـلَـقَ بَـابَـهُ الـنَّـظَـرُ

(١) هذه العبارة لا تنسجم مع المعنى العام ولعلّها خطأ من النسّاخ.

ـ الشعر والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر، وفيه لأحمد بن المَكّيّ خفيفُ ثقيلٍ، ولعَرِيبَ ثاني ثقيلٍ، جميعاً عن الهِشَاميّ ـ قال إسحاق: ما شبّهتُ صوتي هذا إلاّ بإنسان أخذ الكُرَةَ على الطَّبْطَابة[1] وأهلُ الميدان جميعاً خَلْفَه، فلمّا بلغ أقصى ضربها أحجزها.

[قصته مع يحيى بن معاذ والأمين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا محمد بن يزيد المُهلَّبيّ قال: حَدّثني إسحاق، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيّوب المَدينيّ عن ٱبن المَكّيّ عن إسحاق قال: صنعتُ هذا الصوت في آخر أيام الرشيد وكان إذ ذاك يحيى بن مُعاذ يشرب النبيذ؛ فلمّا كان في أيام محمد غنّيته، فٱشتهاه وٱشتَهَر به، وبعث إلى يحيى بن معاذ وأنا أُغنّيه: [مجزوء الرمل]

اسْـقِـنِـي وٱبْـنَ نَـهِـيـكٍ ... وٱبـنَ يَـحْـيَـى بْـنِ مُـعَـاذِ

فلمّا حضر يحيى غَنّيْتُ:

فـٱسْـقِـنـي وٱسْـقِ نَـهِـيـكـاً ... وٱسْـقِ يـحـيـى بـنَ مُـعـاذِ

فبعث إليه محمد فأحضره فقال: لتشربنّ أو لأُعاقبنّك؛ فلم يبرحْ حتى شرب قدحاً، وغَلَّفَه[2] وأمر له بمال، وسُرَّ بذلك محمد ووهب لي عليه مالاً، وٱنصرفت إلى البيت؛ فجاءني رسول يحيى بن معاذ فصِرتُ إليه، فلم يزل يستحلفني ألاّ أعودَ في هذا الصوت قُدَّامَ محمد أبداً، وأمر لي من المال بشيء فلم أقبله، ولم أَعُدْ فيه.

نسبة هذا الصوت

صوت

[مجزوء الرمل]

يَـوْمُـنَـا يَـوْمُ رَذَاذِ ... وٱصْـطِـبَـاحٍ والْـتِـذَاذِ

فَـٱسْـقِـنِـي وٱبـنَ نَـهِـيـكٍ ... وٱبـنَ يـحـيـى بـن مُـعـاذِ

(١) الطبطابة: خشبة عريضة يُلعب بها بالكرة.

(٢) غَلَّفَه: طَيّبَهُ بالطِّيبِ.

مِـنْ كُـمَـيـتٍ عُـتِّـقَـتْ لِـلـشَّـيْـخِ كِـسْـرَى بـنِ قُـبَـاذِ
لـيـسَ لِـلْـمَـرْءِ مِـنَ الـهَـمِّ سِـوَاهـا مـن مَـلاَذِ

الشعر لعليّ بنِ هشام، والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو.

أخبرني بقوله عليّ بن هشام والحسن بن عليّ قالا: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثني أحمد بن القاسم الهاشميّ قال: حَدّثني أبو عبد الله الهلاليّ قال: كنتُ عند عليّ بن هشام يوماً إذ رَشَّتِ السَّماءُ رَشًا وطَشَّتْ[(١)]؛ فأنشأ عليّ يقول:

يَـومُـنَـا يَـوْمُ رَذَاذِ وٱصْـطِـبَـاحٍ والْـتِـذَاذِ

ـ وذكر الأبيات الأربعة ـ ثم قال لغلامه: اذهب إلى أحمد بن يحيى بن معاذ وقل له: يقول لك أخوك: هذا يوم طيّب، فتعالَ أنت وغلاماك بُنَان وعثعث؛ فجاء إلى بابه الرسولُ وعليه غُرَماءُ له، فمنعوه الدخولَ عليه؛ فقال لهم: كم لكم عليه؟ قالوا: مائتا ألف درهم؛ فرجع الغلام إلى عليّ بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ ما لهم عليه من الدَّيْن؛ فقال له: احملْ إليه مائتي ألفِ درهم وجِيءْ به وبغلامَيْه الساعةَ فحملها؛ فجاء أحمدُ بن يحيى ومعه غلاماه، فقال لعليّ بن هشام: لِم تَحمّلت هذا لي! أنا والله مُنتظر مالاً يجيء فأُعطيهم؛ فقال له: مالي ومالُك واحدٌ. فتغدّيتُ معهما حتى جاءت الحلواء؛ فقال: أَكْثِرْ من الحلواء فلستَ تدخل معنا في ديواننا (يعني الشُّرْبَ)؛ فأكلتُ وغسلت يَدَيَّ؛ فقال لغلامه سِراج: احمِلْ مع أبي عبد الله الهلاليّ ثلاثين ألفَ درهم؛ فٱنصرفتُ وهي معي.

[تذكُّرُ إسحاق لشعر الصِّبا وبكاؤه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدَّثنا سليمانُ المَدَائنيّ عن ٱبن المَكّيّ عن أبيه قال: حَدّثني إسحاق قال: تعشَّقْتُ جاريةً فقلت فيها: [الخفيف]

هـل إلـى أَنْ تَـنَـامَ عَـيْـنِـي سَـبِـيـلُ إنَّ عَـهْـدِي بِـالـنَّـوْم عَـهْـدٌ طَـويـلُ
غـابَ عَـنّـي مَـنْ لا أُسَـمّـي فَـعَـيْـنـي كُـلَّ يـومٍ عـلـيـه حُـزْنـاً تَـسِـيـلُ

ـ الشعر والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو، وفيه لعَرِيبَ خفيفُ رَمَلٍ

(١) طَشّت السماء: أتت بالطَّشيش، والطَّشّ والطشيش: المطر الضعيف.

آخر، وفيه لمحمد بن حمزةَ وَجْه القَرْعة خفيفُ ثقيلٍ، وقيل: إنه لابن المَكّيّ. وفيه رَمَلٌ بالوسطى يُنسب إلى عَلّويه وإلى حسين بن مُحْرِز ـ قال إسحاق: ثم ملكتُها، فكنت مشغوفاً بها، حتى كَبِرْتُ وٱعتلَّتْ عليّ عيناي، فذكرتُ هذا الصوتَ وأيامَه المتقدّمة، فما زلتُ أبكي وأذكر دهري الذي تولّى. وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن يزيد المُهَلَّبيّ عن إسحاق؛ وليس هذا على التمام.

أخبرني جَحْظة عن محمد بن أحمد بن يحيى المَكّيّ عن أبيه قال: دعا المأمونُ بإسحاق فأُحْضِرَه، فأمره أن يُغَنّي في هذا الصوت فغنّى:

* هـل إلـى أن تـنـامَ عَـيْـنـي سـبـيـلُ *

فغنّاه؛ وكنتُ حاضراً فقلت: أَحْسنَ والله يا أمير المؤمنين، وما عَدا بلحنه معنى شعره؛ فقال المأمون: فإنّا نَرُدُّ الحُكمَ إلى مَنْ هو أعلمُ بذلك منك؛ فبعث إلى أبي (يعني يحيى المكيّ) فجِيءَ به، فخَبَّرَهُ بما قلتُ وما قال، وأمر إسحاقَ بردّ الصوت فردَّه؛ فقال يحيى: أحسنَ إسحاقُ في غنائه وأحسنَ ٱبني في ٱستحسانه، إلاّ أن هذا اللحنَ يحتاج أن يُسمَعَ من غير حَلْق إسحاق؛ فضحِك المأمون، وأمر لإسحاقَ بمال وأمر لأبي بمثله ولي بمثله. قال: ولم يكن في إسحاق شيء يُعابُ إلاّ حَلْقُه، وكان يغلب الناسَ جميعاً بطبعه وحِذْقه.

قال: وأما السبب في علّة عين إسحاق وضعف بصره، فأخبرني به محمد بن خَلَف وَكيع قال: حَدّثني به أبو أيّوب المَدِينيّ قال: حَدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعيّ: أنّ إبراهيم ابن أخي سَلَمة الوَصِيف نازَع إسحاقَ في شيء بين يدي الرشيد من الغناء، فَرَدَّ عليه، فشَتَمَهُ، فردَّ عليه إسحاقُ وأَرْبَى[1] في الرَّدِّ؛ فقال له إبراهيم: أتردُّ عليّ وأنا مولى أمير المؤمنين! فقال له: اسكُتْ فإنك من مَوَالي العِيدَيْنِ؛ فقال له الرشيد: وأيُّ شيء موالي العيدينِ؟ قال: يا أمير المؤمنين، يُشْتَرَى للخلفاء كلُّ صانع وكلُّ ضربٍ في العبيد للعتق؛ فيكون فيهم الحَجّامُ والحائك والسَّائس؛ فهو أحد هؤلاء الذين ذكرتُ. قال: وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه، فلمّا جاز عليه مُنْصَرِفاً ضرب رأسَه بِمقْرَعةٍ فيها مِعْوَلٌ؛ فكان ذلك سببَ ضعف بصر إسحاق. وبلغ الرشيدَ الخبرُ، فأمر بأن يُحْجَبَ عنه إبراهيمُ، وحلف ألاّ يدخلَ عليه؛ فدَسّ إلى الرشيدِ من غنّاه:

---

(١) أربى: زاد.

صوت

[الخفيف]

مَــنْ لِــعَــبْــدٍ أَذَلَّــهُ مَــولاهُ ... مَــا لَــهُ شَــافِــعٌ إلَــيــه سِــوَاهُ
يَــشْــتَــكِــي مَــا بِــهِ إلَــيــهِ ويَــخْــشَــا ... هُ ويَــرْجُــوهُ مِــثْــلَ مَــا يَــخْــشَــاهُ

ـ الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم ابن أخي سَلَمة الوَصيف خفيفُ رَمَلٍ، وفيه لِعَريبَ ثقيلٌ أوّلُ، وقيل: إن لابن جامع فيه خفيفَ رملٍ آخر ـ فلمّا غُنِّيَ الرشيدُ بهذه الأبيات، سأل عن صاحب لحنها فعُرِّفَه، فحلف ألاّ يرضَى عنه حتى يرضَى إسحاقُ؛ فقام إسحاق فقال: قد رَضِيتُ عنه يا سيّدي رضاءً حسناً، وقبّل الأرضَ بين يديه شكراً لما كان من قوله؛ فرَضِيَ عنه وأُحْضِرَ وأمره بِتَرَضِّي إسحاقَ ففعل.

وأخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حَدّثنا حَمّاد عن أبيه قال: جاء إبراهيم ابن أخي سَلَمة إلى الرشيد فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّي أُحبّ أن تُشَرِّفَني بأن تكون نَوْبتي ونوبةُ إسحاقَ الموصليّ في مكان، وأن يكون دخولي إليك ودخوله في مكان، فإنْ رأيتَ أن تجعل ذلك كما سألتُ فعلتَ؛ قال: قد فعلتُ؛ ولم أكن حاضراً لمسألته. فلمّا كان يوم دخولي عليه جاءني إبراهيم فدقّ بابي دقًّا عنيفاً وعرّفني الغلامُ خبرَه؛ فقلتُ له: يدخل؛ فأبى وقال له: قل له أخرج أنت؛ فساءَ ظَنّي وأغتممتُ، فخرجتُ إليه فقلت له: ما الخبر؟ قال: إنّ أمير المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألا تدخل الدارَ إلاّ معي بعد أن أُوجِّهَ إليك فتركب إليّ وتمضي معي؛ فمضيت معه على رغمي وأنا منكسر، وكنت بقيَّةَ يومي على تلك الحال. ثم ركبت إلى الفضل بن الرَّبيع فشكوتُ ذلك إليه؛ فقال: ما أرى أميرَ المؤمنين يُحِلُّك هذا المحلَّ، قم بنا إليه؛ فقمت معه، فدخل إلى الرشيد فقال له: يا أمير المؤمنين، إسحاقُ وخدمتُه وحقوقُ أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين المهديّ تضع مقدارَه أن تجعله مضموماً إلى إبراهيم ابن أخي سَلَمة؛ قال: لا والله ما فعلتُ هذا؛ قال: إنه قد جاءني يبكي ويحلِفُ إن جرى عليه هذا تاب من الغِناء وتركَه جملةً، ثم لو قُتِلَ لم يَعُدْ إليه؛ فقال: ويحكَ! والله ما جرى من هذا شيء، إلاّ أنّ إبراهيم ابن أخي سَلَمة جاء فقال: تشرّفني أن تجعل نوبتي مع نوبة إسحاق ووصولي مع وصوله ففعلت؛ فقل له: يجيء متى شاء وينفرد عنه ولا يجيء معه ولا كرامةَ؛ فأخبرني فرجعت. فلمّا كانت نوبتي جاء إبراهيم إليّ ففعل مثلَ فعله؛ فقلت لغلامي: اخرج

إليه فقل له: ولا كرامةَ لك يا زاني يأبنَ الزانية، لا أجيءُ معك ولا أَدَعُكَ تَجِيءُ معي أيضاً، وشَتَمه أقبحَ شَتْم؛ فخرج الغلام فأدّى إليه الرسالة؛ فعلم أن هذا لم يتجرّأ عليه إلاّ بعدَ تَوثّق فخَجِلَ، فقال له: قل له: ومَنْ أكرهك على هذا! إنما أحببتُ أن نصطحبَ ونَتَأنّس في طريقنا، فإن كَرِهْتَ هذا فلا تفعلْه؛ وأنصرَفَ ولم يعاوِدْني بعدها.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حَدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ عن أبن المَكِّيّ عن أبيه قال: كان إسحاق إذا غَنّى هذا الصوتَ يأخذ بِلِحْيته ويبكي: [الطويل]

إذا المرءُ قَاسَى الدَّهرَ وأبْيَضَّ رَأْسُهُ ... وثُلِّمَ تَثْلِيمَ الإنَاءِ جَوَانِبُهْ
فَلَلْمَوتُ خَيْرٌ مِنْ حَياةٍ خَسِيسةٍ ... تُبَاعِدُهُ طَوْراً وطَوْراً تُقارِبُهْ

الشّعر لِزَبّان بن سَيّار الفَزَاريّ، حَدَّثني بذلك الحَرَميّ بن أبي العَلاَء عن الزُّبَير بن بَكّار عن عمّه، والغناء لإسحاقَ رَمَلٌ بالوسطى.

أخبرنا محمد بن مَرْيد والحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق قال: أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لا يسمع حرفاً من الأغاني، فكان أوّلَ من تَغَنّى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد، ثم واظبَ على السّماع مُتَسَتِّراً متشبِّهاً في أوّل أمره بالرشيد، فأقام كذلك أربعَ حِجَج، ثم ظهر إلى النُّدماء والمغنِّين. وكان حينَ أحبّ السماعَ سأل عنّي، فجُرِحْتُ بحضرته، وقال الطّاعن عَلَيّ: ما يقول أمير المؤمنين في رجل يَتِيهُ على الخلافة! قال المأمون: ما أبقى هذا من التِّيهِ شيئاً إلا أستعمله. فأمسك عن ذكري، وجفاني مَنْ كان يصلني، لسوء رأيه الذي ظهر فِيَّ؛ فأضرَّ ذلك بي؛ حتى جاءني عَلّويه يوماً فقال لي: أتأذَنُ لي في ذكرك؟ فإنّا قد دُعِينا اليوم؛ فقلت: لا! ولكن غَنِّه بهذا الشعر؛ فإنه سيبعثه على أن يسألك: لمن هذا؛ فإذا سألك أنفتح لك ما تريد، وكان الجوابُ أسهلَ عليك من الابتداء؛ فقال: هات، فألقيتُ عليه لَحْني في شعري:

صوت

[البسيط]

يا سَرْحَةَ المَاءِ قد سُدَّتْ مَوارِدُهُ ... أَمَا إليكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْدودِ[1]

(١) السَّرحة: الأتان أدركت ولم تحمل، وهنا سَرحة الماء كناية عن المرأة.

لِحَائِمٍ حَامَ حَتَّى لا حِيَامَ لَه مُحَلأٍ عن طريقِ الماءِ مَطْرودِ[١]

ـ الغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن عمرو ـ قال: فمضى عَلّويه، فلما ٱستقرّ به المجلس، غنّاه بالشعر الذي أمرتُه؛ فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتى قال: ويحك يا عَلّويه! لمن هذا؟ قال: يا سَيِّدي، لعبد من عبيدك جَفَوْتَه وٱطّرَحْتَهُ من غيرِ جُرْمٍ؛ فقال: أإسحاقَ تَعْنِي؟ قال: نعم؛ قال: يحضر الساعةَ؛ فجاءني رسوله فصرتُ إليه، فلمّا دخلتُ عليه قال: ادنُ فدنوت، فرفع يديه مَادَّهُما، فٱنكببْتُ عليه، وٱحتضنني بيديه، وأظهر من بِرِّي وإكرامي ما لو أظهره صديق مؤانس لِصديقِهِ لَبَرَّهُ.

أخبرني محمد بن إبراهيم الجُرْجاني قُرَيْض قال: قال لي أحمد بن أبي العَلاَء: غنّيت المعتضدَ يوماً وهو أميرٌ صوتَ إسحاق:

يا سَرْحَةَ الماءِ قد سُدَّتْ موارِدُه أما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ

فطرب وٱستعاده مراراً، وقال: هذا والله الغناء الذي يُخالط الرُّوحَ ويُمازِجُ اللّحمَ والدّم.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدّثنا أبو العُبَيْس بن حَمْدون قال: أخبرني أبي قال: لمّا غَنَّى إسحاقُ في شعره هذا:

صوت

[المتقارب]

لأَسْمَاءَ رَسْمٌ عَفَا بالِلّوَى أَقَامَ رَهِيناً لِطُولِ البِلَى
تَعَاوَرَهُ الدَّهْرُ في صَرْفِهِ بِكَرِّ الجَدِيدَيْنِ حتّى عَفَا

ـ الشعر لإسحاقَ من قصيدة مَدح بها الرشيدَ، والغِناء له ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وفيه لِسُلَيم ثقيلٌ أوّلُ من رواية الهِشَامي، وذكر حَبَشٌ أنه لإبراهيمَ بنِ المهديّ ـ قال: فكان النَّاسُ يتهادَوْن الطُّرْفَةَ والباكورةَ. وقال أبو العُبَيْس حدّثني ٱبن مُخَارِق: أنّ الواثق بعثَ إلى أبيه مُخارق لمّا صنع إسحاقُ هذا الصوتَ ليُلقيَه عليه، فصادفه عليلاً ـ ولم يكن أحد يَلْقَنُ عن إسحاق طَرْحَ الغناءِ كما يَلْقَنُه مُخارِق ـ فأعاد إليه

(١) في اللسان: «لا حِزَاك به» بدل «لا حِيام له». وحَلأ: أبعد وطرد.

الرسولَ ومعه مِحَفّة[١]، لا بدّ أن يجيء على كلّ حال؛ فتحامل وصار إليه حتى أخذ الصوتَ عن إسحاق ورجع.

وذكر محمد بن الحسين الكاتب عن أبي حارثةَ الباهِليّ عن أخيه أبي معاوية: أنّ إسحاق كان يَتَحَلَّى بالشّجاعة والفُرُوسيّة ويحبُّ أن يُنسَبَ إليهما، ويركب الخيل ويتعلّم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول. وكان قد شَهِدَ بعضَ مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكَصَ على عَقِبَيْه؛ فقال أخوه طَيّاب فيه: [المتقارب]

وأَنْـتَ تَـكَـلَّـفْـتَ مـا لا تُـطِـيـقُ ... وقُـلْـتَ أَنَـا الـفَـارِسُ الـمَـوْصِـلِـي

فَـلَـمَّـا أَصَـابَـتْـكَ نُـشَّـابَـةٌ ... رَجَـعْـتَ إلـى سِـنِّـكَ الأَوَّلِ

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال: قال حمزة الزيّات القارىء: يا موصليّ، إنّ لي فيك رأياً، أفترضَى مع فهمك وأدبك ورأيك أن يكون عِوَضُكَ من الآخرة فضلَ مَطْعَم على مَطْعَم!.

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال: أنشدني أبو سعيد السُّكَّريّ قال: أنشدني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ لعمّه يقول لإسحاق: [البسيط]

أَئِنْ تَغَنَّيْتَ لِلشَّرْبِ الكِرَام «ألاَ ... رَدَّ الخليطُ جِمَالَ الحَيِّ فٱنفرقوا»[٢]

وقِيلَ أَحْسَنْتَ فٱستدعاكَ ذاكَ إلى ... ما قُلْتَ وَيْحَكَ لا يَذهَبْ بِكَ الخَرَقُ

وقِيلَ أنتَ حُسَانُ النَّاسِ كُلِّهِمُ ... وٱبنُ الحُسَانِ فقد قالوا وقد صَدَقُوا

فما بِهذا تَقُومُ النَّادِبَاتُ ولا ... يُثْنَى عليكَ إذا ما ضَمَّكَ الخِرَقُ

قال يحيى بن عليّ: إن هذه الأبيات تُرْوَى لابن المُنْذِر العَرُوضيّ وللأصمعيّ.

[إسحاق يهجو الأصمعي]

قال مؤلف هذا الكتاب: كان إسحاق يأخذ عن الأصمعيّ ويكثر الرّواية عنه، ثم فسد ما بينهما، فهجاه إسحاق وثَلَبَهُ وكَشَفَ لِلرشيد معايبَه، وأخبره بقلّة شكره وبُخْله وضَعَة نفسه وأنّ الصَّنيعةَ لا تَزْكُو عنده، ووصف له أبا عُبَيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى

(١) المِحَفّة: سرير يحمل عليه المريض أو المسافر.

(٢) الشَّرْب: مجموعة الشاربين.

بالثّقة والصدق والسّماحة والعلم؛ وفعل مثلَ ذلك للفَضْل بن الرَّبيع وٱستعان به؛ ولم يَزَلْ حتى وضع مرتبةَ الأصمعيّ وأسقطه عندهم، وأنفذوا إلى أبي عُبَيدة مَنْ أقدمه.

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أنشدتُ الفضلَ بن الرَّبيع أبياتاً كان الأصمعيّ أنشدنيها في صفة فرس: [الرجز]

كَأَنّهُ في الجُلِّ وهو سَامِي ... مُشْتَمِلٌ جَاءَ مِنَ الحَمّامِ[1]
يَسُورُ بينَ السَّرْجِ واللِّجَامِ ... سَوْرَ القَطَامِيِّ إلى اليَمَامِ[2]

قال: ودخل الأصمعيّ فسمعني أُنشدها، فقال: هاتِ بقيّتها؛ فقلت له: ألم تقلْ إنه لم يَبْقَ منها شيءٌ؟ فقال: ما بَقِيَ منها إلاّ عيونها، ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتاً منها، فغاظني فعله؛ فلمّا خرجَ عَرَّفْتُ الفضلَ بن الربيع قلّة شكره لِعارفة وبخلَه بما عنده؛ ووصفتُ له فضلَ أبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى وعلمَه ونزاهتَه وبذلَه لما عنده وٱشتمالَه على جميع علوم العرب، ورَغَّبتُه فيه، حتى أنفذ إليه مالاً جليلاً وٱستقدَمه؛ فكنتُ سببَ مجيئه به من البصرة.

أخبرني عَمّي قال: حَدّثنا فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال: جاء عطاءُ المُلْك بجماعة من أهل البَصْرة إلى قُرَيْب أبي الأصمعيّ، وكان نَذْلاً من الرّجال، فوجده مُلْتَفًّا في كِسائه نائماً في الشمس، فركَضه برجله وصاح به: يا قُرَيْب؛ قُمْ ويلكَ! فقال له: هل لَقِيتَ أحداً من أهل العلم قطُّ أو من أهل اللغة أو من العرب أم من الفقهاء أو من المحدِّثين؟ قال: لا والله؛ قال: ولا سمعتَ شيئاً تَرويه لنا أو تُنشدناه أو نكتبه عنك؟ قال: لا والله؛ فقال لمن حضر: هذا أبو الأصمعيّ؛ فٱشهدوا لي عليه وعلى ما سمعتم منه، لا يَقُلْ لكم غداً أو بعده: حدّثني أبي أو أنشدني أبي؛ ففضَحه. قال الفضل: ثم مرِضَ الأصمعيّ، وكان الحال بينه وبين إسحاق الموصليّ ٱنفرجَتْ؛ فعاده أبو رَبِيعة، وكان يرغب في الأدب ويَبَرُّ أهلَه؛ فقال له الأصمعيّ: أَقْرِضْني خمسةَ آلاف درهم؛ فقال: أفعل. فقال له أبو ربيعة: فأيّ شيء تشتهي سوى هذا؟ فقال: أشتهي أن تُهدِي إليَّ فصًّا حسناً وسيفاً قاطعاً وبُرْداً حسناً وسرجاً مُحَلًّى؛ فقال:

---

(١) الجلّ: ما يوضَع على ظهر الدّابة وهو بمثابة الثوب للإنسان.
(٢) يسور: يثب ويثور. والقطامي: الصقر.

أفعل، وبعث بذلك إليه لمّا عاد إلى منزله. وبلغ ذلك إسحاق فقال: [الوافر]

أَلـيسَ مِـنَ الـعَـجَـائِـبِ أَنَّ قِـرْداً ... أُصَـيْـمِـعَ بَـاهِـلِـيًّـا يَـسْـتَـطِـيـلُ
ويَـزْعُـمُ أَنَّـهُ قَـد كَـانَ يُـفْـتِـي ... أَبَـا عَـمْـرٍو ويـسـألُـهُ الـخَـلِـيـلُ
إذا مـا قـالَ قـالَ أبـي عَـجِـبْـنـا ... لِـمَـا يَـأْتـي بـه ولِـمَـا يَـقُـولُ
ومـا إنْ كَـانَ يَـدْرِي مـا دَبِـيـرٌ ... أبـوه إنْ سَـأَلْـتَ ومـا قَـبِـيـلُ[1]
وجَـلَّـلَـه عَـطَـاءُ الـمُـلْـكِ عَـاراً ... تَـزُولُ الـرَّاسِـيَـاتُ ولا يَـزُولُ
نَـصَـحْـتُ أبـا ربـيـعـةَ فيـه جُـهْـدِي ... وبَـعْـضُ الـنُّـصْـحِ أَحْـيَـانـاً ثَـقِـيـلُ
فَـقُـلْ لأَبِـي رَبِـيـعَـةَ إذ عَـصَـانـي ... وجَـارَ بـه عـن الـقَـصْـدِ الـسَّـبِـيـلُ
لـقـد ضَـاعَـتْ بُـرودُكَ فَـاْحْـتَـسِـبْـهـا ... وضَـاعَ الـفَـصُّ والـسَّـيْـفُ الـصَّـقِـيـلُ
وسَـرْجٌ كـانَ لِـلْـبِـرْذَوْنِ زَيْـنـاً ... لـه فـي إِثْـرِهِ جَـزَعـاً صَـهِـيـلُ
وأمّـا الـخَـمْـسَـةُ الآلافِ فَـاْعْـلَـمْ ... بِـأَنَّـكَ غَـبْـنَـهـا لا تَـسْـتَـقِـيـلُ
وأنَّ قَـضَـاءَهـا فَـتَـعَـزَّ عَـنْـهـا ... سَـيَـأْتِـي دُونَـهُ زَمَـنٌ طَـوِيـلُ

حدّثني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كنت جالساً بين يدي الواثق وهو وليّ عهد، إذ خرجتْ وصيفةٌ من القصر كأنها خُوطُ بانٍ، أحسنُ مَنْ رَأتْه عيني قطُّ، تَقْدُمُ عدّةَ وصائفَ بأيديهن المَذَابُّ[2] والمناديل ونحوُ ذلك، فنظرتُ إليها نَظَر دَهِشٍ وهو يَرْمُقُني، فلمّا تبيّن إلحاحَ نظري قال: ما لك يا أبا محمد قد انقطع كلامُك وبانت الحيرةُ فيك! فتلجلجتُ؛ فقال لي: رمتْك والله هذه الوصيفةُ فأصابت قلبَك!؛ فقلت: غيرُ ملومٍ؛ فضحك ثم قال: أنشدْني في هذا المعنى؛ فأنشدتُه قولَ المَرَّار: [الطويل]

أَلِكْنِي إليـهـا عَـمْـرَكَ الـلَّـهَ يـا فَـتًـى ... بِـآيـةِ مـا قـالَـتْ مَـتَـى هـو رَائِـحُ[3]
وَآيَـةِ مـا قَـالَـتْ لَـهُـنَّ عَـشِـيَّـةً ... وفـي السِّـتْـرِ حُـرّاتُ الـوجـوه مَـلائَـحُ
تَـخَـيَّـرْنَ أَرْمَـاكُـنَّ فـارْمِـيـنَ رَمْـيَـةً ... أَخَـا أَسَـدٍ إذ طَـرَّحَـتْـهُ الـطَّـوارِحُ
فَـلَـبَّـسْـنَ مِـسْـلاَسَ الـوِشَـاحِ كَـأَنَّـهـا ... مَـهَـاةٌ لـهـا طِـفْـلٌ بِـرُمَّـانَ رَاشِـحُ[4]

(١) يقال: فلانٌ لا يعرف قبيله من دبيره: أي لا يعرف ما قدّامه وما خلفه.
(٢) المَذَابّ: جمع المذبّة، وهي ما يذَبُّ به كالمروحة.
(٣) أَلِكْني إليها: أبلغها عني واحملْ رسالتي إليها.
(٤) قصر الرمان: بنواحي واسط القصب. وهي التي خرّبها الحجّاج (معجم البلدان ٤: ٣٥٧). والرّاشح: الصغير إذا قَوِيَ ومَشَى وراء أمّه. ويُقال لأمّه: راشح أيضاً.

فقال له الواثق: أحسنتَ بحياتي وظَرُفْتَ، اصنع فيها لحناً؛ فإن جاء كما نريد وأطربَنا فالوصيفةُ لك؛ فصنعتُ فيه لحناً وغنّيته إيّاه، فاْصطبح عليه وشرب بقيَّةَ يومه وليلته حتى سكِر، ولم يقترحْ عَلَيَّ غيرَه، واْنصرفتُ بالجارية.

[يغني الواثق وهو خاثر النفس فيهشّ إليه]

حدّثني عَمّي قال: حَدّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال: دخلت على الواثق يوماً وهو خاثر النَّفْس، فأخذتُ عوداً من الخِزانة ووقفتُ بين يديه فغنّيته:

مِنَ الظُّباءِ ظِباءٌ هَمُّها السُّخُبُ ... تَرْعَى القُلُوبَ وفي قَلْبِي لها عُشُبُ
أَهْوَى الظِّباءَ اللَّوَاتي لا قُرونَ لها ... وحليُها الدُّرُّ والياقوتُ والذّهبُ
لا يَغْتَرِبْنَ ولا يَسْكُنَّ بَادِيةً ... وليسَ يَعْرِفْنَ ما صَرٌّ ولا حَلَبُ[1]
وفي الَّذِينَ غَدَوْا، نَفْسِي الفَداءُ لهم ... شَمْسٌ تَبَرْقَعُ أحياناً وتَنْتَقِبُ
يا حُسْنَ ما سَرَقَتْ عَيْنِي وما اَنْتَهَبَتْ ... والعَيْنُ تَسْرِقُ أحياناً وتَنْتَهِبُ
إذا يَدٌ سَرَقَتْ فالقَطْعُ يلزمُها ... والقَطْعُ في سَرَقِ العَيْنَيْنِ لا يَجِبُ

قال: فهَشَّ إليّ ونشِطَ ودعا بطعام خفيف وأكلْنا واْصطبح وأمر لي بمائة ألف درهم. وأخبرني به الحسن بن عليّ عن اْبن مَهْرويه عن عليّ بن الحسن عن إبراهيم بن محمد الكَرْخيّ عن إسحاق، فذكر مثلَه؛ وقال فيه: فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

حَدَّثني جعفر بن قُدَامة قال: حَدّثني عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر عن أخيه محمد قال: كان إسحاق الموصليّ يدخل في مُبَطَّنة وطَيْلَسان مثل زِيّ الفقهاء على المأمون؛ فسأله أن يأذَن له في دخول المقصورة يوم الجمعة بِدُرّاعة سوداءَ وطَيْلَسان أسود؛ فتبسّم المأمون وقال له: ولا كلّ هذا بمرّة يا إسحاق، ولكن قد اشترينا منك هذه المسألة بمائة ألف درهم حتى لا تغتمّ، وأمر بحملها إليه فحُملت.

حدّثني جعفر بن قُدَامة قال: حَدّثني عُبَيد الله بن عبد الله قال: حَدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات عن أبي خالد الأسْلَميّ: أنه ذكر إسحاق يوماً وكان يُفَضِّلُه ويعظِّم شأنه ويقدّمه في الشعر تقديماً مُفْرطاً، فقال: ما قولكم في رجل محدّث تَشَبَّه بذي الرُّمّة وقال على لسانه شعراً وغَنّى فيه ونَسَبه إليه، فلم

---

(١) صَرَّ الناقة: شَدَّ ضرعها بالصِّرار لئلا يرضعها ولدها.

يشكُكْ أحدٌ سمعه أنه له ولا فَطِنَ لما فعل أحد إلاَّ مَنْ حَصَّل شعرَ ذي الرمّة كلَّه ورواه؛ فسُئِلَ أبو خالد عن هذا الشعر فقال: [الطويل]

ومَـدْرَجَـةٍ لِـلـرِّيـح تَـيْـهَـاءَ لـم تَـكُـنْ ... لِـيَـجْـشَـمَـهـا زُمَّـيْـلَـةٌ غـيـرُ حَـازمِ(١)

يَـضِـلُّ بـهـا الـسَّـارِي وإن كـانَ هَـادِيـاً ... وتَـقْـطَـعُ أَنْـفَـاسَ الـرِّيَـاحِ الـنَّـواسـمِ(٢)

تَـعَـسَّـفْـتُ أَفْـرِي جَـوْزَهـا بِـشِـمِـلَّـةٍ ... بَـعِـيـدةِ مـا بـيـنَ الـقَـرَا والـمَـنَـاسـمِ(٣)

كـأَنَّ شِـرَارَ الـمَـرْوِ مِـنْ نَـبْـذِهَـا بِـهِ ... نُجومٌ هَوَتْ أُخْرَى اللَّيَالِي العَوَاتمِ(٤)

حدّثني عَمّي وأحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال: حَدّثنا فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال: غَنَّيْتُ المأمون يوماً هذين البيتين: [الطويل]

لأَحْـسَـنُ مِـنْ قَـرْعِ الـمَـثَـانـي وَرَجْـعِـهـا ... تَـوَاتُـرُ صَـوْتِ الـثَّـغْـرِ يُـقْـرَعُ بـالـثَّـغْـرِ

وسُكْرُ الهَوَى أَرْوَى لِعَظْمِي ومَفْصِلي ... مِنَ الشُّرْبِ في الكَاساتِ من عاتِقِ الخَمْرِ

فقال لي المأمون: ألا أخبرك بأطيبَ من ذلك وأحسن؟ الفراغُ والشَّباب والجِدَة.

حدّثني الصُّوليّ قال: حدّثني الحسين بن يحيى قال: كان لإسحاق غلام يقال له فَتْح، يستقي الماءَ لأهل داره على بغلين من بغاله دائماً؛ فقال إسحاق: قلت له يوماً: أيُّ شيء خَبَرُكَ يا فتح؟ قال: خبري أنه ليس في هذه الدار أحدٌ أشقى منّي ومنك؛ قلت: وكيف ذلك؟ قال: أنت تُطعمُ أهل الدَّار الخبزَ وأنا أسقيهم الماء؛ فٱستظرفتُ قوله وضحكتُ منه، ثم قلت له: فأيَّ شيء تُحِبُّ؟ قال: تُعْتِقُني وتَهَبُ لي البغلين أَسْتَقِي عليهما؛ فقلت له: قد فعلت.

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسَديّ قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال: كان لأبي البَصير الشاعر قِيانٌ، وكان يتكلّم في الغناء بغير علم ولا صواب فيُضْحَك منه، فقال أبي فيه:

---

(١) المدرجة: الطريق. والتَّيهاء: المفازة التي لا يُهتدَى فيها. ويجشم: يتكلّف الأمر على مشقّة. والزُّمّيلة: الضعيف الجبان.

(٢) السّاري: الذي يسير ليلاً.

(٣) تعسّف المفازة: قطعها ولم يتوخّ طريقاً مسلوكاً. وأفري: أشقُّ. وجوزها: وسطها. والشِّمِلَّة: الناقة السريعة. والقرا: الظّهر. والمناسم: الأخفاف.

(٤) المرو: حجارة بيضاء برّاقة رقيقة.

[الوافر]

سَكَتُّ عَنِ الغناءِ فما أُمَارِي بَصِيراً لا ولا غَيْرَ البَصِيرِ
مَخَافَةَ أَنْ أُجَنَّنَ فيه نَفْسي كما قد جُنَّ فيه أبو البصيرِ

[الرشيد ينهاه عن الغناء إلاّ له]

أخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: نهاني الرَّشيدُ أن أُغَنِّي أحداً غيرَه، ثم ٱستوهبني جعفرُ بن يحيى وسأله أن يأذَنَ لي في أن أُغنِّيه ففعل، وٱتفقنا يوماً عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل، والرشيدُ يومئذ بعَقِب علَّة قد عُوفِيَ منها وليس يشرَبُ؛ فقال لي الفضل: انصرفْ إليّ اللَّيلة حتى أَهَبَ لك مائة ألف درهم؛ فقلت له: إنّ الرشيد قد نهاني ألاّ أُغنِّي إلاّ له أو لأخيك، وليس يخفى عليه خبري، وأنا مُتَّهم عنده بالميل إليكم، ولست أَتَعَرَّضُ له ولا أُعَرِّضُكَ، ولم أُجِبْه. فلمّا نَكَبهم الرشيد قال: إيهِ يا إسحاق، تركتني بِالرَّقّة وجلستَ ببغداد تغنِّي للفضل بن يحيى! فحلفتُ بحياته أنِّي ما جالستُه قَطُّ إلاّ على المذاكرة والحديث، وأنه ما سمعني قطّ أُغنِّي إلا عند أخيه جعفر، وحلفت بتربة المهديّ أن يسأل عن هذا جميعَ مَنْ في الدار من نسائه؛ فسأل عنه فحدّثْتُه بمثل ما ذكرتُه له، وعرف خبر المائة الألف الدرهم التي بذلها لي فرددتُها عليه. فلما دخلت عليه ضحِكَ إليّ ثم قال: قد سألتُ عن أمرك فعَرفتُ منه مثل ما عرّفتني، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً مما بذله لك الفضل.

حدّثني الصُّوليّ قال: حَدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق أنه كان يقول: الإسناد قيدُ الحديث؛ فتحدّثَ مَرّةً بحديث لا إسنادَ له، فسُئِلَ عن إسناده، فقال: هذا من المُرْسَلاَتِ عُرْفاً.

حدّثني الصُّوليّ قال: حَدّثني ميمون بن هارون عن أبيه، وحدّثني عمّي عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال: أنشدتُ الفضلَ بن يحيى قولَ أبي الحَجْناء نُصَيْبٍ مولى المهديّ فيهم:

صوت

[الكامل]

عِنْدَ المُلُوكِ مَضَرَّةٌ ومَنَافِعٌ وأرَى البَرَامِكَ لا تَضُرُّ وتنفعُ
إنْ كانَ شَرٌّ كان غَيْرُهُمُ له أو كانَ خَيْرٌ فهو فيهم أجمعُ

إنَّ العُروقَ إذا آسْتَسرَّ بها الثَّرَى ... أَشِرَ النَّبَاتُ بها وَطَابَ المَزْرَعُ[1]
فإذا جَهِلْتَ مِنِ آمرِىءٍ أَعْرَاقَهُ ... وقديمَهُ فانْظُرْ إلى ما يَصْنَعُ

قال فقال: كأنّا والله لم نسمع هذا الشعر قطُّ، قد كنا وصلْناه بثلاثين ألف درهم، وإذاً نُجَدِّدُ له السّاعَةَ صلةً له ولك معه لحفظك الأبياتَ؛ فوصلَنا بثلاثين ألفَ درهم.

[يسترضي المأمون بالشعر]

وأخبرني الصُّولِيّ قال: حَدّثني الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجَمّاز قال: عَتَبَ المأمونُ على إسحاق في شيء؛ فكتب إليه رُقعةً وأوصلها إليه من يده؛ ففتحها المأمون فإذا فيها قولُه: [البسيط]

لا شَيءَ أَعْظَمُ من جُرْمي سِوَى أَمَلِي ... لِحُسْنِ عَفْوِكَ عن ذَنْبِي وعَنْ زَلَلِي
فإنْ يَكُنْ ذَا وذَا في القَدْرِ قد عَظُما ... فأنتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي ومِنْ أَمَلي

فضحِكَ ثم قال: يا إسحاقُ، عُذْرُكَ أعلى قدراً من جُرمِكَ، وما جال بفكري، ولا أُخْطِرْتُهُ بعد آنقضائِه على ذكري.

[في مجلس الواثق]

حدّثني عمّي قال: حَدّثني يزيد بن محمد المهلّبيّ قال: خرجنا مع الواثق إلى القاطُول[2] للصيد، ومعنا جماعةُ الجلساء والمغنِّين وفيهم عمرو بن بانة وعَلّويه ومُخارِق وعَقيد، وقدِم إسحاقُ في ذلك الوقت فأخرجه معه؛ فتصيّد على القاطول ثم عاد فأكل وشرب أقداحاً، ثم أَمَر بالبُكور إلى الصَّبوحِ فباكرْنا وأصطبحْنا. فغنّى عمرُو بن بانة لحنَ إبراهيم الموصليّ:

صوت [الطويل]

بَلَوْتُ أُمورَ النَّاسِ طُرًا فأَصْبَحَتْ ... مُذَمَّمَةً عِنْدِي بَرَاءً مِنَ الحَمْدِ[3]

---

(١) استسرّ: خَفِيَ. وأَشِرَ: طال.
(٢) القاطول: اسم نهر حفره كسرى أنوشروان يأخذ من دجلة في الجانب الشرقي، وأيضاً هو اسم نهر كان حفره الرشيد في موضع سامرّاء قبل أن يعمّرها المعتصم (معجم البلدان ٤: ٢٩٧).
(٣) طُرًا: جميعاً.

وأصبحَ عِنْدِي مَنْ وَثِقْتُ بِغَيْبِهِ بَغِيضَ الأَيَادِي كُلُّ إحسانِهِ نَكْدُ[١]

- ولحنه خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى - فغنّاه على ما أخذه من إبراهيمَ بن المهديّ وقد غَيَّرَهُ. فقال الواثق لإسحاق: أتعرف هذا اللّحنَ؟ فقال: نعم، هذا لحنُ أبي ولكنّه مما زعمَ إبراهيمُ بن المهديّ أنه جَنْدَره وأصلحه فأفسده ودَمَرَ[٢] عليه؛ فقال له: غَنِّه أنتَ، فغنّاه فأتى به على حقيقته واستحسنه الواثق جدًّا؛ فغمَّ ذلك عمروَ بن بانة فقال لإسحاق: أفأنت مثلُ إبراهيمَ بن المهديّ حتّى تقول هذا فيه! قال: لا والله ما أنا مثله، أمّا على الحقيقة فأنا عبدُه وعبدُ أبيه، وليس هذا مما نحن فيه؛ وأمّا الغناء فما دخولك أنت بيننا فيه! ما أحسنتَ قطُّ أن تأخذ فضلاً عن أن تغنّي، ولا قمتَ بأداء غناءٍ فضلاً عن أن تميّز بين المحسنين؛ وإلاّ فغنِّ أيَّ صوت شئت مما أخذتَه عنه وعن غيره كائناً مَنْ كان، فإنْ لم أُوضحْ لك ولمن حضر أنه لا يَسْلَم لك صوت من نقصانِ أجزاءٍ وفساد صنعةٍ فدمي به رهنٌ؛ فأساء عمرو الجوابَ وأغلظ في القول؛ فأمضَّهُ الواثق وشتَمَهُ وأمر بإقامته عن مجلسه فأُقيمَ. فلمّا كان من الغد دخل إسحاقُ على الواثق فأنشده: [الرجز]

وَمَجْلِسٍ بَاكَرْتُهُ بُكُورا والطَّيْرُ ما فَارَقَتِ الوُكُورا

والصُّبحُ لم يَسْتَنْطِقِ العُصْفُورا على غَدِيرٍ لم يَكُنْ دُعْثُورا[٣]

لم تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُ غَدِيرا يَجْرِي حَبَابُ مَائِهِ مَسْجُورَا[٤]

على حَصًى تَحْسَبُهُ كَافُورا تَسْمَعُ لِلْمَاءِ به خَرِيرا

يَنْسِجُ أعلَى مَتْنِهِ سُطُورا نَسِيمُ رِيحٍ قد وَنَتْ فُتُورا

حتَّى تَخَالَ مَتْنَهُ حَصِيرا والشَّرْبُ قد حَفُّوا به حُضُورا

وأَمَرُوا السَّاقِيَ أنْ يُدِيرا كَأْسَهُمُ الأَصْغَرَ والكَبِيرا

وأَعْمَلُوا البَمَّ مَعاً والزِّيرا وجاوَبَتْ عِيدَانُهُمْ زَمِيرا

وقَرَّبُوا المُغَنِّيَ النِّحْرِيرَا مُقَدَّماً في حِذْقِهِ مَشْهورا[٥]

---

(١) النّكد: قلّة العطاء.

(٢) دَمَرَ عليه: دخل عليه بدون إذنٍ وهجمَ عليه هجومَ الشرّ.

(٣) الدّعثور: الحوض المثلّم الذي...

(٤) حباب الماء: الفقاقيع التي تعلوه، والمسجور: المسترسل.

(٥) النّحرير: الحاذق الفَطِن، أو هو العالم بالشيء المجرِّب.

فهم يطيرونَ به سُرورا ... ولا ترَى في شُرْبِهِمْ تَقْصِيرا
ولا لِصَفْوِ عَيْشِهِمْ تَكْدِيرَا ... ولا لِخُلْقِ منهُمُ نَظِيرَا
إلاّ رُجَيْلاً منهمُ سكِّيرا ... مُعَرْبِداً مُوَضِّحاً شِرِّيرا
مُدَّعِياً لِلْعِلْمِ مُسْتَعِيرا ... يَرُومُ سَعْياً كَاذِباً مَغْرُورا
وأن يكونَ عالِماً بَصِيرا ... مُفَضَّلاً بِعِلْمِهِ مَذْكُورا
غَمَزْتُهُ ولم يَكُنْ صَبُورا ... فعاذَ مِنِّي هارِباً مذعورا
بمعْشرٍ تَحْسَبُهُمْ حَمِيرا ... أشدّ مِنهُمْ حُمُقاً كَثِيرا
لا يَنْطِقُونَ الدَّهْرَ إلاّ زُورا ... حتى إذا كَسَّرْتُهُ تَكْسِيرا
كاللَّيْثِ لَمَّا ضَغَمَ الخِنْزِيرا ... وَلّى انْهِزَاماً خاسِئاً مَذْحُورا[1]
مُعْتَرِفاً بِذُلِّهِ مَقْهُورا ... وكنتُ قِدْماً ضَيْغَماً هَصُورَا[2]
مُعْتَلِياً لِقِرْنِه عَقُورا ... وما أخافُ الزَّمَنَ العَثُورا
إذْ كُنْتُ بالوَاثِقِ مُسْتَجِيرا ... قد عَزَّ مَنْ كانَ له نَصِيرا
إمامُ عَدْلٍ دَبَّرَ الأمُورا ... بِرَأْيِهِ ولم يُرِدْ مُشِيرا
تَرَى مِنَ الحَقِّ عليهِ نُورَا ... تَقَبَّلَ المَهْدِيَّ والمَنْصُورا
وَجَدُّهُ الأدْنى تُقًى وخِيرَا ... وَرِّثَهُ المُعْتَصِمُ التَّدْبِيرَا
فأصبحَ المُلْكُ به مُنِيرَا ... وأصبحَ العَدْلُ بِهِ مَنْشُورا
قد أَمِنَ النَّاسُ به المَحْظُورا ... إذا عَلاَ المِنْبَرَ والسَّرِيرا
رَأَيْتَ بَدْراً طَالِعاً مُنِيرا ... بَحْراً تَرَى الغَنِيَّ والفَقِيرَا
يرجونَ منه نَائِلاً غَزِيرَا ... واللَّهِ لا زِلْتُ لَهُ شَكُورا
لا جاحِدَ النُّعْمَى ولا كَفُورا ... وكنتُ بالشُّكْرِ له جَدِيرَا

حدّثني الصُّوليّ قال: حَدّثني ميمون بن هارون قال: سمعت إسحاقَ يقول: أنشدني الأصمعيّ قولَ الأعْشَى: [البسيط]

إنْ تَرْكَبُوا فرُكُوبُ الخَيْلِ عَادَتُنا ... أو تَنْزلونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

ثم قلت له: أيَّ شيءٍ تحفظُ في هذا المعنى؟ ـ وكان مع بخله بالعلم لا يبخَل

(١) ضغمه: عَضّه ملء فِيه.
(٢) الهَصُور: الأسد لأنه يهصر فريسته أي يكسرها كسراً.

بمثل هذا ـ فأنشدني لِرَبيعة بنِ مَقْروم الضَّبِّيّ: [الكامل]

ولـقـد شَـهِـدْتُ الـخَـيْـلَ يـوم طِـرَادِهـا ... بِـسَـلِـيـم أَوْظِـفَـةِ الـقَـوَائِـم هَـيْـكَـلِ[1]

فَـدَعَـوْا نَـزَالِ فـكـنـتُ أَوَّلَ نـازلٍ ... وعَـلاَمَ أَرْكَـبُـهُ إذا لَـمْ أَنْـزِلِ

[طَرَبُه لجارية تغنّي ومدحه لها بالشعر]

حدّثني عمّي قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدَّثني محمد بن محمد بن مروان قال: حَدّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع قال: اجتمعنا يوماً إمّا قال في منزلي أو في منزل محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصلي وعندنا ملاحظُ تُغَنِّينا وقد قامت الصلاة، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال: فيم كنتم ومَنْ عندكم؟ فأخبرناه بخبرها؛ فقال: لا تُعَرِّفُوها مَنْ أنا فيُخرِجُها التَّصَنُّعُ لي والتّحفّظ منّي عن طبعها، ولكن دعوها وهواها حتّى ننتفعَ بها؛ وخرجتْ وهي لا تعرفه وجلستْ كما كانت أوّلاً، وٱبتدأت وغَنَّتْ ـ والصنعة لِفُلَيح بن أبي العَوْراء، ولحنُه رَمَلٌ. هكذا أخبرنا إسحاق أنّ الغناء لفليح ـ:

صوت

[البسيط]

إنّـي تَـعَـلَّـقْـتُ ظَـبْـيـاً شَـادِنـاً خَـرِقـاً ... عُـلِّـقْـتُـه شِـقْـوَةً مِـنّـي ومـا عَـلِـقَـا

قال: فطربَ إسحاق وشربَ حتى وَالَى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد كان بين يديه وهو يستعيدها؛ فأخذ إسحاق دواة وكتب: [الطويل]

سَـأَشْـرَبُ مـا دَامَـتْ تُـغَـنِّـي مُـلاحِـظُ ... وإنْ كانَ لِي في الشَّيْبِ عَنْ ذَاكَ وَاعِظُ

مُـلاحِـظُ غَـنِّـيـنَـا بِـعَـيْـشِـكِ وَلْـيَـكُـنْ ... عليكِ لِمَا ٱسْتَحْفَظْتُهُ مِنْكِ حافظُ

فَـأُقْـسِـمُ مـا غَـنَّـى غِـنَـاءَكِ مُـحْـسِـنٌ ... مُـجِـيـدٌ ولـم يَـلْـفِـظْ كَـلَـفْـظِـكِ لافـظُ

وفي بـعـضِ هـذا الـقـولِ مِـنّـي مَـسَـاءَةٌ ... وغَـيْـظٌ شَـديـدٌ لِـلْـمُـغَـنِّـيـنَ غـائـظُ

---

(١) الأوظفة: جمع الوظيف: هو ما فوق الحافر من الفرس. والهيكل: العظيم. وأراد هنا بالخيل الفرسان لا الأفراس.

[زجرُ الرشيد له لكلامه عن البرامكة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا يزيد بن محمد المهلَّبيّ قال: حَدّثني إسحاق قال: قال لي الرشيد يوماً: بأيّ شيء يتحدّثُ الناسُ؟ قلت: يَتَحدَّثونَ بأنك تَقْبِضُ على البرامكة وتُوَلِّي الفضلَ بن الرَّبيع الوزارةَ؛ فغضب وصاح بي: وما أنتَ وذاكَ وَيْلَكَ! فأمسكْتُ؛ فلمّا كان بعدَ أيامٍ دعا بنا؛ فكان أوّل شيء غنّيته:

صوت [الهزج]

إذا نَـحـنُ صَـدَقْـنَـاكَ ... فَـضَـرٌ عِـنْـدَكَ الـصِّـدْقُ
طَـلَـبْـنَـا الـنَّـفْـعَ بِـالـبَـاطِـلِ إذ لـم يَـنْـفَـعِ الـحَـقُّ
فـلـو قَـدَّمَ صَـبًّـا فـي ... هَـوَاهُ الـصَّـبْـرُ والـرِّفْـقُ
لَـقُـدِّمْـتُ عـلـى الـنَّـاسِ ... ولَـكِـنَّ الـهَـوَى رِزْقُ

- في هذه الأبيات خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى يُنسب إلى إسحاق وإلى ابن جامع، والصحيح أنه لإسحاق. وقيل: إن الشعر لأبي العتاهية - قال: فضحك الرشيد وقال لي: يا إسحاق، قد صِرْتَ حَقُوداً.

أخبرني الحسن قال: حَدَّثنا يزيد بن محمد قال: حَدَّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلتُ على المعتصم يوماً بِسُرَّ مَنْ رأى، فإذا الواثقُ بين يديه وعنده عَلّويه ومُخارِقٌ؛ فغنّاه مخارِق صوتاً فلم ينشَط له، ثم غناه عَلّويه فأطربه. فلما رأيتُ طربَه لغناء عَلّويه دون غناء مُخَارِق اَندفعتُ فغنّيته لحني:

صوت

تَـجَـنَّـبْـتَ لَـيْـلَـى أَنْ يَـلِـجَّ بِـكَ الـهَـوَى ... وهَـيْـهَـاتِ كـانَ الـحُـبُّ قَـبْـلَ الـتَّـجَـنُّـبِ

فأمر لي بألف دينار ولِعَلّويه بخمسمائة دينار، ولم يأمرْ لمخارق بشيء.

نسبة هذا الصّوت

صوت [الطويل]

تَـجَـنَّـبْـتَ لـيـلَـى أَنْ يَـلِـجَّ بـكَ الـهَـوَى ... وهـيـهـاتِ كـانَ الـحُـبُّ قَـبْـل الـتَّـجَـنُّـبِ

أَلاَ إِنَّمـا غَـادَرْتِ يَـا أُمَّ مَـالِـكٍ صَدًى أَيْنَما تَذْهَبْ به الرِّيحُ يَذْهَبِ

الشعر للمجنون، والغناءُ لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، وغَنَّى ٱبنُ جامع في هذين البيتين وبيتين آخرين أضافهما إليهما ليسا من هذا الشعر، هَزَجاً بالبنصر، والبيتان المضافان:

بَرَى اللَّحْمَ عَنْ أَحْنَاءِ عَظْمِي ومَنْكِبِي هَوًى لِسُلَيْمَى في الفؤادِ المُعَذَّبِ
وإِنِّـي سَـعِـيـدٌ أَنْ رَأَتْ لَـكِ مَـرَّةً مِنَ الدَّهْرِ عَيْنِي مَنْزِلاً في بَنِي أَبِي

أخبرنا الحسن بن علي قال: حَدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ قال: غَنّى عَلّويه بين يدَي الواثق يوماً:

صوت

[مجزوء الوافر]

خَـلِـيـلٌ لـي سَـأَهْـجُـرُه لِـذَنْـبٍ لَـسْـتُ أَذْكُـرُهُ
ولَـكِـنِّـي سَـأَرْعَـاهُ وأَكْـتُـمُـهُ وأَسْـتُـرُهُ
وأُظْـهِـرُ أَنَّـنِـي رَاضٍ وأَسْـكُـتُ لا أُخَـبِّـرُهُ
لِـكَـي لا يَـعْـلَـمَ الـوَاشِـي بِـمَـا عِـنْـدي فـأَكْـسِـرُهُ

ـ الشعر والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى ـ قال: فطَرِبَ الواثقُ طرباً شديداً، وٱستحسن اللَّحنَ، وأمر لعَلّويه بألف دينار؛ ثم قال: أهذا اللّحنُ لك؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، هو لهذا الهِزَبْرِ[1] (يعني إسحاق) ـ قال: وكان إسحاقُ حاضراً ـ فضحِكَ الواثق وقال: قد ظلمناه إذاً، وأمر لإسحاق بثلاثين ألف درهم.

أخبرنا عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن عُبيد الله بن عبد الله بن خُرْدَاذْبَه عن أبيه قال: كان إسحاق عند الفَتْح بن الحَجّاج الكَرْخِيّ وعَلّويه حاضرٌ؛ فغنّاه عَلّويه:

صوت

[مجزوء الوافر]

عَـلِـقْـتُـكِ نَـاشِـئـاً حَـتَّـى رَأَيْـتِ الـرَّأْسَ مُـبْـيَـضّـا
عَـلَـى يُـسْـرٍ وإِعْـسَـارِ وفَـيْـضِ نَـوالِـكُـمْ فَـيْـضـا
أَلاَ أَحْـبِـبْ بِـأَرْضٍ كُـنْـتِ تَـخْـتَـلِـيـنَـهـا أَرْضـا

(١) الهزبر: الأسد.

وأَهْـلُـكِ حَـبَّـذا مـا هُـمْ ... وإنْ أَبْـدَوْا لِـيَ الـبُـغْـضَـا

ـ الشعر لابن أُذَينةَ، والغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق، وفيه لإسحاق هَزَجٌ خفيفٌ مطلقٌ في مجرى البنصر، عن إسحاق أيضاً، وفيه لِلأَبْجَر ثقيلٌ أوّلُ، ولإبراهيمَ الموصليّ رَمَلٌ، جميعُ ذلك عن الهشاميّ، قال: فغنّاه إيّاه في الثَّقيل، ثم غنَّاه هَزَجاً؛ فقال له الفتحُ: لِمَنِ الثقيلُ؟ فقال: لابن سُرَيج، قال: فلِمَنِ الهَزَجُ؟ قال: لهذا الهِزَبْرِ (يعني إسحاقَ)؛ فقال له الفتحُ: وَيْلَكَ يا إسحاق! أتُعارِضُ ثقيلَ ابن سُرَيج بِهَزَجِكَ؟! قال: فقبضَ إسحاقُ على لِحيته ثم قال: على ذلك فوالله ما فاتني إلاّ بتحريكه الذَّقَنَ(١).

أخبرني الحسن قال: حَدّثني يزيد بن محمد قال: حَدّثني إسحاق قال: دخلتُ يوماً على المعتصم وعنده إسحاقُ بن إبراهيم بن مصعَب، واستدناني فدنوتُ منه، واستدناني فتوقَّفتُ خوفاً من أن أكون مُوازِياً في المجلس لإسحاق بن إبراهيم؛ ففَطِنَ المعتصمُ فقال: إنّ إسحاق لَكريمٌ، وإنكَ لم تَستنزلْ ما عند الكريم بمثل إكرامه. ثم تحدّثنا وأفضتُ بنا المذاكرةُ إلى قول أبي خِرَاش الهُذَليّ: [الطويل]

حَـمِـدْتُ إلَـهِـي بـعـد عُـرْوةَ إذْ نَـجَـا ... خِرَاشٌ وبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بعضِ

فأنشدها المعتصمُ إلى آخرها، وأنشد فيها:

ولَـمْ أَدرِ مَـنْ أَلْـقَـى عَـلَـيْـهِ رِدَاءَه ... سِوَى أَنَّهُ قد حُطَّ عن مَاجِدٍ مَحْضِ(٢)

والروايةُ «قد بُزَّ عن ماجدٍ مَحْضٍ»؛ فغلِطْتُ وأسأْتُ الأدبَ، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه رواية الكُتّاب وما أُخِذَ عن المُعَلِّم؛ والصحيح «بُزّ عن ماجدٍ مَحْضٍ»؛ فقال لي: نعم صَدَقْتَ، وغَمَزني بعينه، يُحَذِّرني من إسحاق؛ وفَطِنْتُ لِغَلَطي فأمسكْتُ، وعَلِمْتُ أنه قد أشفق عليّ من بادرة تَبدُرُ من إسحاق: لأنه كان لا يحتمل مثلَ هذا في الخلفاء من أحد حتى يُعْظِمَ عقوبتَه ويُطِيلَ حَبْسَهُ، كائناً من كان: فنبّهني ـ رحمه الله ـ على ذلك حتى أمسكتُ وتَنَبَّهْتُ.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال: قال عبيد الله بن معاوية قال عَمْرو بن بانة: كُنّا عند المأمون، فقال: ما أَقَلَّ الهَزَج في الغناء القديم! وقال إسحاق: ما

---

(١) الذَّقَن والذِّقَن: مجتمَع اللَّحْيَيْنِ من أسفلهما.

(٢) البيتان من قصيدة لأبي خراش في الحماسة باب المراثي، وهو يرثي بها أخاه عروة بن مرّة ويذكر نجاة خراش ابنه. والمحض: الخالص.

أكثره! ثم غَنَّاهُ نحوَ ثلاثين صوتاً في الهَزَجِ القديم، فقلت لأصحابي: هذا الَّذي تزعمون أنه قليل الرّواية!.

أخبرنا يحيى قال: حَدَّثنا أبي عن إسحاق قال: قال لي العباس بن جَرير: قاتَلَكَ اللهُ! مُذَكَّرُ فِطْنةٍ، ومُؤَنَّثُ طبيعة، ما أمكرك!.

حدّثنا يحيى بن عليّ قال: حَدَّثني أبي عن إسحاق قال: وأخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا يزيد بن محمد عن إسحاق قال: أنشدتُ بعضَ الأعراب شعراً لي أقول فيه: [الكامل]

أَجَـرَتْ سَـوابِـقُ دَمْـعِـكَ الـمُـهْـرَاقِ ... لَـمَّـا جَـرَى لَـكَ سَـانِـحٌ بِـفِـرَاقِ؟

إنَّ الـظَّـعَـائِـنَ يـومَ نَـاصِـفَـةِ الـلِّـوَى ... هَـاجَتْ عَـلـيكَ صَـبابةَ الـمُـشْـتَـاقِ[١]

لـم أَنْـسَ إذْ أَلْـمَـحْـنَـنَـا فـي رِقْـبَـةٍ ... مِـنْـهُـنَّ بِـيـضَ تَـرَائِـبٍ وتَـرَاقِ[٢]

وأَشَــرْنَ إذ وَدَّعْــنَـنَــا بِــأَنَــامِــلٍ ... حُـمْـرٍ كَـهُـدَّابِ الـدِّمَـقْـسِ رِقـاقِ[٣]

ورَمَـتْـك هِـنْـدٌ يـومَ ذَاكَ فَـأَقْـصَـدَتْ ... بِــأَغَــرَّ عَــذْبٍ بَـارِدٍ بَــرَّاقِ[٤]

وَتَـنَـفَّـسَـتْ لَـمَّـا رَأَتْـكَ صَـبَـابَـةً ... نَـفَـساً تَـصَـعَّـدُ فـي حَـشَـى خَـفَّـاقِ

ولـقـد حَـذِرْتُ فَـمَـا نَـجَـوْتُ مُـسَـلَّـماً ... حـتـى صُـرِعْـتُ مَـصَـارِعَ الـعُـشَّـاقِ

إنَّ الـخِـلاَفَـةَ أُثْـبِـتَـتْ أَوْتَـادُهـا ... لَـمَّـا تَـحَـمَّـلَـهـا أبـو إسـحـاقِ

مَـلِـكٌ أَغَـرُّ يَـلُـوحُ فـوقَ جَـبِـيـنِـهِ ... نُـورُ الـخِـلاَفَـةِ سَـاطِـعَ الإشـراقِ

كُـسِـيَ الـجَـلاَلَ مـعَ الـجـمـالِ وزَانَـهُ ... هَـدْيُ الـتُّـقَـى ومَـكَـارِمُ الأخـلاقِ

صَـحَّـتْ عُـروقُـكَ فـي الـجِـيـادِ وإنّـمـا ... يَـجْـرِي الـجَـوَادُ بِـصِـحَّـةِ الأَعْـرَاقِ

ذَخَـرَ الـمُـلـوكُ فـكـانَ أكـثـرُ ذُخْـرِهِـمْ ... لِـلـمُـلْـكِ مـا جَـمَـعُـوا مِـنَ الأَوْراقِ[٥]

وذَخَـرْتَ أَبـنـاءَ الـحـروبِ كـأَنَّـهُـمْ ... أُسْـدُ الـعَـرِيـنِ عـلـى مُـتُـونِ عِـتـاقِ[٦]

---

(١) الناصفة: مجرى الماء أو هي الرحبة في الوادي، وقد ذكر ياقوت عدة مواضع بهذا الاسم ولم يذكر ناصفة اللّوى (معجم البلدان ٥: ٢٥١).

(٢) الترائب: جمع التريبة: أعلى الصدر. والتَّراقي: جمع الترقوة: العظم في أعلى الصدر بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان.

(٣) الدِّمَقْس: الحرير الأبيض.

(٤) أقصدت: أصابت الهدف. والأغرّ: الحَسَن، أو الأبيض من كلّ شيء.

(٥) الأوراق: الدراهم.

(٦) العِتاق: جمع العتيق، الكريم الرائع وهنا صفة للفرس.

كَمْ مِنْ كَرِيمَةِ مَعْشَرٍ قد أُنْكِحَتْ بِسيوفِهِمْ قَسْراً بِغَيْرِ صَدَاقِ[1]
وعَزِيزَةٍ في أَهْلِها وقَطِينِها قد فَارَقَتْ بَعْلاً بغيرِ طَلاقِ[2]

قال: فقال لي: أَفْلَيْتَ والله يا أبا محمد؛ فقلت له: وما أفليتُ؟ قال: رَعَيْتَ فلاةً لم يَرْعَها أحدٌ غيرَكَ.

[إذا حضر إسحاق أصبح المغنون أقل من التراب]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدّثني أخي أحمد بن عليّ عن عافيةَ بن شَبيب قال: قلت لِزُرْزور بن سعيد: حَدِّثني عن إسحاق كيف كان يصنع إذا حضر معكم عند الخليفة وهو منقطعٌ ذاهِبٌ وحلوقُكم ليس مِثْلُها في الدّنيا؟ فقال: كان والله لا يزال بِحذْقه ورفقه وتأنّيه ولُطفه حتى نصيرَ معه أقلَّ من التراب.

أخبرنا يحيى قال: حَدّثني أبي قال: حَدّثنا إسحاق قال: دَخَلْتُ على الفضل بن الرَّبيع فقال لي: يا إسحاق، كَثُرَ والله شَيْبُكَ!؛ فقلت: أنا وذاك أصلحكَ الله كما قال أخو ثَقيف: [الكامل]

الشَّيْبُ إنْ يَظْهَرْ فَإنَّ وَرَاءَهُ عُمْراً يكونُ خِلاَلَهُ مُتَنَفَّسُ
لم يَنْتَقِصْ مِنِّي المَشِيبُ قُلاَمَةً ولَنَحْنُ حِينَ بَدَا أَلَبُّ وأَكْيَسُ

قال: هاتِ يا غلام دواةً وقرطاساً، أُكْتُبْهما لي لأتَسلَّى بهما.

أخبرنا يحيى قال: حَدَّثني أبي قال: حَدَّثني إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، وأخبرني الحسن بن عليّ عن يزيد بن محمد بن عبد الملك عن إسحاق قال: قال الفضل بن يحيى لأبي: ما لي لا أرى إسحاقَ، عَرِّفني ما خبرُه؟ فقال: خير. ورأى في كلامه شيئاً يُشَكِّكُ، فقال: أَعَلِيلٌ هو؟ فقال: لا، ولكنه جاءك مرّاتٍ فحجَبه نافذُ الخادم ولَحِقَتْهُ جَفْوةٌ؛ فقال له: فإنْ حَجَبَهُ بعدها فَلْيَنِكْهُ. فجاءني أبي فقال لي: اِلْقَهُ، فقد سأل عنك؛ وخَبّرني بما جرى، وجئتُ فحُجِبْتُ أيضاً؛ وخرج الفضل لِيركبَ؛ فوثبتُ إليه بِرُقْعة وقد كتبتُ فيها: [المتقارب]

جُعِلْتُ فِدَاءَكَ مِنْ كُلِّ سوءٍ إلى حُسْنِ رَأيِكَ أَشْكُو أُناسا

(١) الصَّداق: المهر.
(٢) القطين: الإماء والحشم.

يَحُولُونَ بيني وبين السَّلامِ فَمَا إنْ أُسَلِّمُ إلاّ ٱخْتِلاَسَا
وأنْفَذْتُ أَمْرَكَ في نافِذٍ فما زَادَهُ ذَاكَ إلا شِمَاسَا

فلمّا قرأها ضحك حتى غُلِبَ، ثم قال: أوَ قَدْ فعلتَها يا فاسق؟! فقلت: لا والله يا سيّدي، وإنما مَزَحْتُ؛ فخجِلَ نافذٌ خجلاً شديداً، ولم يَعُدْ بعد ذلك لِمَسَاءتي.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ عن محمد بن عبد الله بن مالك قال: حَدّثني إسحاق قال: ذكر المعتصمُ يوماً بعضَ أصحابه وقد غاب عنه، فقال: تَعَالَوْا حتى نقولَ ما يَصْنَعُ في هذا الوقت؛ فقال قوم: يلعبُ بِالنَّرْدِ، وقال قوم: يُغَنِّي؛ فبلغتْني النَّوْبَةُ، فقال: قل يا إسحاق؛ قلت: إذاً أقولُ وأُصيبَ؛ قال: أتعلمُ الغيبَ؟ قلت: لا، ولكنّي أفهم ما يصنع وأقدِرُ على معرفته؛ قال: فإن لم تُصِبْ؟ قلت: فإن أصبتُ؟ قال: لكَ حُكْمُكَ، وإنْ لم تُصِبْ؟ قلتُ: لكَ دَمِي؛ قال: وَجَبَ؛ قلت: وَجَبَ؛ قال: فقلْ؛ قلت: يتنفّسُ؛ قال: فإن كان ميتاً؟ قلت: تُحفَظُ السَّاعةُ التي تكلَّمْتُ فيها، فإن كان مات فيها أو قبلها فقد قَمَرْتَني[1]؛ فقال: قد أنْصَفْتَ؛ قلت: فالحُكْمُ؛ قال: ٱحتكمْ ما شِئتَ؛ قلت: ما حُكْمي إلاّ رضاكَ يا أمير المؤمنين؛ قال: فإنّ رضايَ لك، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم، أترى مَزِيداً؟ فقلت: ما أَوْلاكَ بذلك يا أمير المؤمنين؛ قال: فإنها مائتا ألف درهم، أترى مزيداً؟ قلتُ: ما أحوجني إلى ذلك يا أمير المؤمنين؛ قال: فإنها ثلثُمائة ألف، أترى مزيداً؟ قلت: ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين؛ قال: يا صفيق[2] الوجه! ما نَزيدُكَ على هذا شيئاً.

[يصف سفينة محمد المخلوع (الأمين)]

أخبرنا يحيى قال: حَدّثني أبو أيوب قال: حَدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: حَدّثني إسحاق قال: عَمِلَ محمد المخلوعُ سفينةً فأُعْجِبَ بها، وركِبَ فيها يريد الأنبارَ، فلمّا أمْعَن وأنا مُقبِلٌ على بعض أبواب السّفينة صاحوا: إسحاق إسحاق، فوثبتُ فدنوتُ منه؛ فقال لي: كيف ترى سفينتي؟ فقلت: حَسَنة يا أمير

(١) قمرتَني: غَلبتني.
(٢) وجهٌ صفيقٌ: أي لا حياء له.

المؤمنين، عَمَّرَها الله ببقائك، فقام يريد الخلاءَ وقال لي: قلْ فيها أبياتا، فقلت، وخرج فقمتُ بالأبيات؛ فأشتهاها جدًّا وقال لي: أحسنتَ يا إسحاق، وحياتِكَ لأَهَبَنَّ لكَ عشرة آلاف دينار؛ قلت: متى يا أمير المؤمنين؟ إذا وَسَّعَ الله عليك! فضحك ودعا بها على المكان، ولم يذكر يحيى في خبره الأبيات.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: غَنَّيْتُ الواثقَ في شعر قلتُه وأنا عنده بسُرَّ مَنْ رأى وقد طال مُقامي وآشتقتُ إلى أهلي، وهو:

صوت

يــا حَــبَّـذَا رِيـحُ الـجَـنُـوبِ إذا بَـدَتْ ... في الـصُّـبْـح وَهْـيَ ضَـعِـيفةُ الأَنْـفَـاس
قـد حُـمِّـلَـتْ بَـرْدَ الـنَّـدَى وتَـحَـمَّـلَـتْ ... عَـبَـقـاً مِـنَ الـجَـثْـجَـاثِ والـبَـسْـبَـاسِ[1]

فشربَ عليه وآستحسنه وقال لي: يا أبا محمد، لو قلتَ مكان «يا حَبّذا ريحُ الجَنُوب»: «يا حَبَّذا ريحُ الشّمال»، ألم يكن أَرَقَّ وأَعْذَى[2] وأصحَّ للأجساد وأقلَّ وَخامةً وأطيبَ لِلأنفس؟ فقلت: ما ذهب عليّ ما قاله أميرُ المؤمنين، ولكن التفسير فيما بعدُ؛ فقال: قل؛ فقلت:

مــاذا تَـهِـيـجُ مِـنَ الـصَّـبَـابَـةِ والـهَـوَى ... لِـلـصَّـبِّ بـعـد ذُهُـولِـهِ والـيَـاسِ

فقال الواثق: إنما آستطبتَ ما تجيءُ به الجَنوبُ من نسيم أهل بغداد لا الجنوبَ، وإليهم آشتقتَ لا إليها؛ فقلت: أجَلْ يا أمير المؤمنين؛ وقمتُ فقبّلتُ يده؛ فضحِكَ وقال: قد أَذِنتُ لك بعد ثلاثة أيام، فآمضِ راشداً؛ وأمر لي بمائة ألفِ درهم. لحنُ إسحاقَ هذا من الثقيل الأوّل.

[جعفر بن يحيى يعد عبد الملك بن صالح بأشياء وينفّذها الرشيد]

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حدّثني أبي عن إسحاق قال: لم أرَ قطُّ مثلَ جعفر بن يحيى؛ كانت له فُتُوةٌ وظَرْفٌ وأدبٌ وحسنُ غِناء وضربٌ بالطَّبلِ، وكان

(١) الجثجاث: شجر أصفر مُرّ تستطيبه العرب ويذكره الشعراء في شعرهم. والبسباس: نبات طيب الريح وهو معروف بالشمّار.

(٢) أعذى: أطيب.

يأخذ بأجزلِ حَظٍّ من كل فنّ من الأدب والفتوة. فحضرتُ بابَ أمير المؤمنين الرشيد، فقيل لي: إنه نائمٌ، فٱنصرفت؛ فلَقِيَني جعفرُ بن يحيى فقال لي: ما الخبر؟ فقلت: أمير المؤمنين نائمٌ؛ فقال: قِفْ مكانَكَ؛ ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنه نائم؛ فخرج إليّ وقال لي: قد نام أمير المؤمنين، فسِرْ بنا إلى المنزل حتى نخلوَ جميعاً بقيَّةَ يومنا وتغنّيني وأُغنّيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا؛ قلت نعم، فصِرْنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا، ودعا بالطعام فطعِمنا، وأمر بإخراج الجواري وقال: لِتَبْرُزْنَ؛ فليس عندنا من تَحْتَشِمْنَ منه. فلمّا وُضع الشرابُ دعا بقميص حرير فلَبِسه ودعا بِخَلُوقٍ فتخَلَّقَ به، ثم دعا لي بمثل ذلك، وجعل يغنّيني وأُغنّيه؛ ثم دعا بالحاجب فتقدّم إليه وأمره بألاّ يأذن لأحدٍ من الناس كلّهم، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أَعْلَمَه أنه مشغول؛ وٱحتاط في ذلك وتقدّم فيه إلى جميع الحُجّاب والخَدَم؛ ثم قال: إن جاء عبدُ الملك فأْذَنوا له ـ يعني رجلاً كان يأنَس به ويمازِحُه ويحضُر خَلَواتِه ـ ثم أخذْنا في شأننا؛ فوالله إنّا لعلى حالة سارّة عجيبةٍ إذ رُفع السِّتْر، وإذا عبدُ الملك بن صالح الهاشميّ قد أقبل، وغلِطَ الحاجبُ ولم يفرِّقْ بينه وبين الذي يأنَس به جعفر بن يحيى. وكان عبدُ الملك بن صالح الهاشميّ من جلالة القَدْر والتقشّف وفي الامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمرٍ جليل، وكان أميرُ المؤمنين قد ٱجتهد به أن يشربَ معه أو عنده قدحاً فلم يفعل ذلك رَفْعاً لنفسه. فلما رأيناه مقبِلاً، أقبل كلُّ واحد منّا ينظر إلى صاحبه، وكاد جعفر أن ينشقَّ غيظاً. وفَهِمَ الرجلُ حالَنا، فأقبل نحوَنا، حتى إذا صار إلى الرِّواق الذي نحن فيه نزَع قَلَنْسِيَتَه فرمىٰ بها مع طَيْلَسانه جانباً؛ ثم قال: أطعِمونا شيئاً؛ فدعا له جعفر بالطعام وهو منتفخٌ غضباً وغيظاً فطَعِمَ، ثم دعا برِطل فشرِبه، ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعِضَادَتي الباب ثم قال: أشركونا فيما أنتم فيه؛ فقال له جعفر: ادخلْ؛ ثم دعا بقميص حرير وخَلوقٍ فلبِسَ وتَخَلَّقَ، ثم دعا برِطلٍ ورِطل حتى شرِبَ عدّة أرطال، ثم ٱندفع لِيغنينا، فكان والله أحسنَنا جميعاً غناءً. فلما طابت نفسُ جعفر وسُرِّيَ عنه ما كان به التفت إليه فقال له: ارفعْ حوائجَكَ؛ فقال: ليس هذا موضعَ حوائجَ؛ فقال: لَتَفْعلنَّ، ولم يَزلْ يُلِحُّ عليه حتى قال له: أمير المؤمنين عليّ واجدٌ؛ فأُحِبّ أن تترضّاه؛ قال: فإنّ أمير المؤمنين قد رَضِيَ عنك، فهاتِ حوائجَك؛ فقال: هذه كانت حاجتي؛ قال: ارفع حوائجك كما أقول لك؛ قال: عَلَيَّ دَيْنٌ فادِحٌ؛ قال: هذه أربعة آلاف ألف درهم، فإن أحببتَ أن تقبِضها فٱقبِضها من منزلي الساعة، فإنه لم يمنعني من إعطائك إيّاها إلا أنّ قَدْرَك يَجلُّ على

أن يصِلك مثلي، ولكني ضامنٌ لها حتى تُحملَ من مال أمير المؤمنين غداً؛ فسَلْ أيضاً قال: ٱبني، تُكَلِّمُ أميرَ المؤمنين حتى يُنَوِّهَ بٱسمه؛ قال: قد وَلاَّه أميرُ المؤمنين مصرَ وزوّجه ابنته العاليةَ ومهَرها ألفَيْ ألفِ درهم. قال إسحاق: فقلت في نفسي: قد سَكِرَ الرَّجُلُ (أعني جعفراً). فلما أصبحتُ لم تكن لي هِمّةٌ إلا حضورَ دار الرشيد؛ وإذا جعفر بن يحيى قد بَكّر، ووجدتُ في الدار جَلَبة، وإذا أبو يوسفَ القاضي ونظراؤه قد دُعِيَ بهم، ثم دُعِيَ بعبد الملك بن صالح وٱبنِه فأُدْخِلا على الرشيد؛ فقال الرشيد لعبد الملك: إنّ أمير المؤمنين كان واجداً عليك وقد رَضِيَ عنك، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم، فٱقبِضْها من جعفر بن يحيى الساعة. ثم دعا بٱبنه فقال: اشهدوا أنّي قد زوّجتُه العاليةَ بنت أمير المؤمنين وأمهرتُها عنه ألفَيْ ألف درهم من مالي وَلَّيْتُهُ مِصرَ. قال: فلمّا خرج جعفر بن يحيى سألتُه عن الخبر؛ فقال: بَكَّرْتُ على أمير المؤمنين فحكيتُ له ما كان منا وما كنا فيه حرفاً حرفاً، ووصفتُ له دخولَ عبد الملك وما صنعَ؛ فعَجِبَ لذلك وسُرَّ به؛ ثم قلت له: قد ضَمِنْتُ له عنك يا أمير المؤمنين ضَماناً؛ فقال: ما هو؟ فأعلمتُه؛ قال: أَوْفِ له بِضمانك، وأمر بإحضاره؛ فكان ما رأيتَ.

[رسالة غنائية بين إسحاق وأبيه]

أخبرني عمّي قال: حَدّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال: لمّا صنعتُ لحني في:

* هـل إلـى نـظـرة إلـيـكِ سـبـيـلُ *

ألقيتُه على عَلّويه، وجاءني رسول أبي بِطَبَقٍ فاكهة باكُورةٍ[1]؛ فبعثتُ إليه: بَرَّكَ الله يا أَبَةِ ووصَلكَ! الساعةَ أبعث إليك بأحسنَ من هذه الباكورة؛ فقال: إني أظنّه قد أتى بآبِدةٍ[2]؛ فلم يلبث أن دخل عليه عَلّويه فغنّاه الصوتَ؛ فعَجِبَ منه وأُعْجِبَ به، وقال: قد أخبرتكم أنه قد أتى بآبدةٍ. ثم قال لولده: أنتم تلومونني على تفضيل إسحاق ومحبّتي له، والله لو كان ٱبنَ غيري لأحببتُه لفضله فكيف وهو ٱبني؛ وستعلمون أنكم لا تعيشون إلاّ به. وقد ذكر أبو حاتم الباهليّ عن أخيه أبي

(١) الباكورة: أول ما يُدرِك من الفاكهة.

(٢) الآبدة: الداهية الخالدة الذِّكْر، الغريبة.

معاوية بن سعيد بن سَلْم أنّ هذه القصة كانت لمّا صنع إسحاقُ لحنَه في:

* غَيَّضْنَ من عَبَراتِهِنّ وقُلْنَ لي *

وقد ذكرت ذلك مع أخبار هذا الصوت في موضعه.

[رأي إسحاق في إبراهيم بن المهدي]

حدّثني جعفر بن قُدَامة قال: حَدّثني عليّ بن يحيى قال: سألت إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ، فقال: دَعْني منه، فليست له روايةٌ ولا دِراية ولا حكاية.

[بعضُ مناسبات أشعاره]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال: حَدّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال: كانت هُشَيْمةُ الخَمَّارة جارتي، وكانت تَخُصّني بأطيب الشّراب وجَيِّدِه؛ فماتت فقلت أرثيها: [الكامل]

أَضْحَتْ هُشَيْمةُ في القُبورِ مُقِيمَةً ... وخَلَتْ مَنَازِلُها مِنَ الفِتْيَانِ
كَانَتْ إذا هَجَرَ المُحِبَّ حَبِيبُهُ ... دَبَّتْ له في السِّرِّ والإِعلانِ
حَتَّى يَلِينَ لِمَا تُرِيدُ قِيَادَهُ ... ويَصِيرَ سَيِّئُهُ إلى الإحسانِ

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: سألني إدريسُ بن أبي حَفْصة حاجة، فقضيتُها له وزِدْتُ فيما سأل؛ فقال لي: [الرجز]

إذا الرِّجَالُ جَهِلُوا المَكَارِمَا ... كان بها ابنُ المَوْصِليِّ عَالِمَا
أَبْقَاكَ ذو العَرْشِ بَقَاءً دَائِمَا ... فقد جُعِلْتَ لِلْكِرَامِ خَاتَمَا
إِسْحَاقُ لو كُنْتَ لَقِيتَ حَاتِمَا ... كان نَدَاهُ لِنَدَاكَ خَادِمَا

قال حَمّاد: وقال لي أبي: كان إدريسُ سَخِيًّا من بين آل أبي حَفْصة؛ فنزل به ضيفٌ، فتنمَّرَتْ امرأتُه عليه؛ فقال لها: [البسيط]

مِنْ شَرِّ أَيَّامِكِ اللاّتي خُلِقْتِ لَهَا ... إذا فَقَدْتِ نَدَى صَوْتِي وزُوّارِي[1]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثنا حَمّاد عن أبيه قال: كان عليّ بن هشام

(١) ندى الصوت: صداه.

قد دعاني ودعا عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنة، فتأخرتُ عنه حتى أصطبحنا شديداً، وتشاغلتُ عنه برجل من الأعراب كان يَجِيئُني فأكتبُ عنه وكان فصيحاً؛ وكان عند عليّ بن هشام بعضُ من يُعاديني؛ فسألوا آبنَ أبي عُيَيْنة أن يُعاتبني بشعر ينسُبني فيه إلى الخُلْفِ؛ فكتب إليّ: [الخفيف]

يا مَلِيّاً بالوَعدِ والخُلْفِ والمَطْـ ـلِ بَطيئاً عَنْ دَعْوَةِ الأَصْحابِ
لَهِجاً بالأعراب إنَّ لَدَيْنا بَعْضَ ما تَشْتَهي مِنَ الأَعْرَابِ
قد عَرَفنا الَّذي شُغِلْتَ بِهِ عَـ ـنّا وإنْ كَانَ غَيْرَ ما في الكِتَابِ

قال: فكتبتُ إلى الّذي حمل آبن أبي عيينة على هذه الأبيات ـ قال حَمّاد: وأظنه إبراهيم بن المهديّ ـ: [الخفيف]

قد فَهِمْتُ الكِتابَ أَصْلَحَكَ الـ ـلّهُ وعِنْدِي عَلَيْهِ رَدُّ الجَوَابِ
ولَعَمْرِي ما تُنْصِفُونَ ولا كا نَ الّذي جَاءَ مِنْكُمْ في حِسَابي
لَسْتُ آتِيكَ فَاعْلَمَنَّ ولا لِي فيكَ حَظٌّ مِنْ بَعْدِ هذا الكتابِ

قال حمّاد: قال أبي: وكتبت إلى عليّ بن هشام وقد آعتللتُ أيّاماً فلم يأتني رسولُه: [السريع]

أنا عَلِيلٌ مُنْذُ فَارَقْتَني وأنتَ عَمَّنْ غَابَ لا تَسْأَلُ
ما هكَذا كُنْتَ ولا هكَذا فِيما مَضى كُنْتَ بنا تَفْعَلُ

فلمّا وصلتْ إليه رُقْعَتي ركبَ إليّ وجاءني عائداً.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثنا حَمّاد قال: لَمّا خرج أبي إلى البصرة خَرْجتَه الأولى وعاد، أنشدني في ذلك لنفسه:

صوت

[البسيط]

ما كُنْتُ أَعْرِفُ ما في البَيْنِ مِنْ حَزَنٍ حتى تَنادَوْا بِأَنْ قَدْ جِيءَ بِالسُّفُنِ
قَامَتْ تُوَدِّعُنِي والعَيْنُ تَغْلِبُها فَجَمْجَمَتْ بَعْضَ مَا قَالَتْ ولم تُبِنِ
مَالَتْ عَلَيَّ تُفَدِّيني وتَرْشُفُني كما يَمِيلُ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالغُصُنِ
وأَعْرَضَتْ ثُمَّ قَالَتْ وهي بَاكِيَةٌ يَا لَيْتَ مَعْرِفَتي إِيَّاكَ لَمْ تَكُنِ
لَمَّا آفْتَرَقْنا على كُرَهٍ لِفُرْقَتِها أَيْقَنْتُ أَنّي رَهِينُ الهَمِّ والحَزَنِ

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أنشدني

شَدّاد بن عُقْبة لجَمِيل: [الطويل]

قِفِي تَسْلُ عَنْكِ النَّفسُ بِالخُطَّةِ الَّتي ... تُطِيلِينَ تَخْوِيفي بِها وَوَعِيدِي
فقد طَالَما مِنْ غَيْرِ شَكْوَى قَبِيحةٍ ... رَضِينا بِحُكْمٍ مِنْكِ غَيْرِ سَدِيدِ

قال: فأنشدتُ الزُّبَير بن بَكّار هذين البيتين، فقال: لو لم أنصرف من العراق إلا بهما لَرَأيتُهما غُنْماً، وأنشدني شدّاد لجميل أيضاً: [الطويل]

بُثَيْنُ سَلِينِي بَعْضَ مَالِي فَإنَّمَا ... يُبَيَّنُ عِنْدَ المَالِ كُلُّ بَخِيلِ
فَإنِّي وتَكْرَارِي الزِّيَارَةَ نَحْوَكُمْ ... لَبَيْنَ يَدَيْ هَجْرِ بُثَيْنَ طويلِ

قال أبي: فقلت لِشَدّاد: فهلا أزيدك فيهما؟ فقال: بلى؛ فقلت: [الطويل]

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هل تقولينَ بعدنا ... إذا نَحْنُ أزْمَعْنَا غَداً لِرَحِيلِ
ألاَ لَيْتَ أيّاماً مَضَيْنَ رَوَاجِعٌ ... ولَيْتَ النَّوَى قد سَاعَدَتْ بِجَمِيلِ

فقال شدّاد: أحسنتَ والله! وإن هذا الشّعر لَضَائعٌ؛ فقلت: وكيف ذلك؟ قال: نَفَيْتَه عن نفسك بتَسْميتكَ جميلاً فيه، ولم يَلْحَقْ بجميل، فضاع بينكما جميعاً.

حدّثني جَحْظة قال: حَدّثني عليّ بن يحيى المُنَجِّم قال: حَدّثني إسحاق الموصليّ قال: دعاني إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبِيّ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذٍ، فوجَّهَ إليّ فحضرتُ وحضَر عَلّويه ومخارقٌ وغيرهُما من المغنّين؛ فبينا هم على شرابهم وهم أسَرُّ ما كانوا، إذ وافاه رسولُ أمير المؤمنين فقال: أجِبْ؛ فقال: السّمع والطّاعة؛ ودعا بثيابه فَلبِسَها. ثم التفتَ إلى محمد بن راشد الخَنَّاق فقال له: قد بلغني أنّك أحفظ النَّاس لِما يدورُ في المجالس، فأحفظ لي كلَّ صوت يمرُّ وما يشربه كلُّ إنسان، حتى إذا عدتُ أعدتَ عليّ الأصوات وشربتُ ما فاتني؛ فقال: نعم، أصلح الله الأمير. ومضى إلى المأمون، فأمره بالشخوص إلى بابك[1] من غَدٍ، وتقدّم إليه فيما يحتاج إليه ورجع من عنده، فلمّا دخل ووضع ثيابَه قال: يا محمد، ما صنعتَ فيما تقدّمتُ به إليك؟ قال: قد أحكمتُه أعَزَّكَ الله؛ ثم أخبره بما شرِبَ القومُ وما استحسنوه من الغناء بعده؛ فأمر أن يُجمعَ له أكثرُ ما شربه واحدٌ منهم في قدح، وأن يُعادَ عليه صوتٌ صوتٌ مما حَفِظَه له حتى يَستوفِيَ ما فاته القومُ

(١) بابك الخُرّميّ.

به، ففعل ذلك وشربَ حتى آستوفى النّبيذ والأصواتَ. ثم قال لي: يا أبا محمد، إني قد عَمِلْتُ في مُنْصَرَفي من عند أمير المؤمنين أبياتاً فآسمعها؛ فقلت: هاتِها أعزَّ الله الأمير؛ فأنشدني:

صوت

[الطويل]

أَلاَ مَنْ لِقَلْبٍ مُسْلَمٍ لِلنَّوائِبِ ... أَحَاطَتْ به الأَحْزَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
تَبَيَّنَ يَوْمَ البَيْنِ أَنَّ اعْتِزَامَهُ ... على الصَّبْرِ مِنْ بَعْضِ الظُّنُونِ الكَوَاذِبِ

صوت

حرامٌ على رَامِي فؤادِي بِسَهْمِهِ ... دَمٌ صَبَّهُ بينَ الحَشَى والتَّرَائِبِ
أَرَاقَ دَماً لَوْلاَ الهَوَى مَا أَرَاقَهُ ... فَهلْ بِدَمِي مِنْ ثَائِرٍ أو مُطالِبِ

قال: فقلت له: ما سَمِعْتُ أحسنَ من هذا الشعر قطّ؛ فقال لي: فآصنعْ فيه؛ فصنعت فيه لحناً؛ وأَحْضَرني وصيفةً له؛ فألقيتُه عليها حتى أخذَتْه؛ وقال: إنّما أردتُ أن أَتَسَلّى به في طريقي وتُذكّرني به الجاريةُ أمرَكَ إذا غَنَّته. فكان كلما ذكر أتاني بِرُّهُ، إلى أن قَدِمَ، عِدَّةَ دفعات. لم أجد لإسحاق صنعةً في هذا الشعر، والّذي وجدتُ فيه لعبد الله بن طاهر خفيفُ رَمَلٍ، ذكره آبنه عُبيد الله عنه، ولِمُخارِق لحنٌ من الرمل، ولِعمرو بن بانة هَزَجٌ بالوسطى، ولِمخارِق والطّاهريّة خفيفُ ثقيل.

حدّثني جَحْظة قال: حَدّثني أبو عبد الله محمد بن حَمْدون قال: سأل المتوكّل عن إسحاق الموصليّ، فعرف أنه قد كُفَّ[1] وأنّه في منزله ببغداد؛ فكتب في إحضاره، فلما دخل عليه رفَعه حتى أجلسه قُدَّامَ السّرير، وأعطاه مِخَدَّةً، وقال له: بلغني أن المعتصم دفع إليك مخدّة في أوّل يوم جلستَ بين يديه وهو خليفة، وقال: إنه لا يُستجلبُ ما عِنْدَ حُرٍّ بمثل الكرامة؛ ثم سأله: هل أكل؟ فقال: نعم؛ فأمر أن يُسْقَى؛ فلما شرب أقداحاً قال: هاتوا لأبي محمد عوداً فَجِيءَ به؛ فآندفعَ يُغَنّي بصوتِ الشّعرُ فيه والغناء له:

(١) كُفّ: عَمِيَ.

صوت

[البسيط]

مـا عِـلَّـةُ الـشَّـيْـخِ عَـيْـنَـاهُ بِـأَرْبَـعَـةٍ تَـغْـرَوْرِقَـانِ بِـدَمْـعٍ ثُـمَّ تَـنْـسَـكِـبُ[١]

ـ قال أبو عبد الله: فوالله ما بَقِيَ غلامٌ من الغِلمان الوقوفِ على الحَيْرِ[٢] إلاّ وجدتُه يرقُصُ طَرَباً وهو لا يعلم بما يفعل ـ فأمر له بمائة ألف درهم. ثم قال لي المتوكّل: يآبنَ حَمْدُون، أتحسنُ أن تغنّيني هذا الصّوت؟ فقلت: نعم؛ قال: غَنِّهِ؛ فترنّمتُ به؛ فقال إسحاق: مَنْ هذا الذي يَحْكيني؟ فقال: هذا ابنُ صديقك حمدون؛ فقال: وَدِدْتُ أنه يُحسنُ أن يَحْكيني؛ فقلت له: أنت عَرَّضتني له يا أمير المؤمنين. ثم آنحدر المتوكل إلى رَقَّةِ بُوصَرَا[٣]؛ وكان يَستطيبها لكثرة تغريدِ الأطيارِ بها، فغنّى إسحاقُ:

صوت

[الطويل]

أَأَنْ هَـتَـفَـتْ وَرْقَـاءُ فـي رَوْنـق الـضُّـحَـى عـلـى غُـصُـنٍ غَـضِّ الـشَّـبَـابِ مِـنَ الـرَّنْـدِ

بَـكَـيْـتَ كـمـا يَـبْـكِـي الـحَـزِينُ صَـبَـابَـةً وشَـوْقـاً وتَـابَـعْـتَ الـحَـنِـينَ إلـى نَـجْـدِ

فضحك المتوكل وقال له: يا إسحاق، هذه أختُ فَعْلتك بالواثق لمّا غنّيتَه بالصّالحيّة:

[الوافر]

طَـرِبْـتُ إلـى الأُصَـيْـبِـيَـة الـصِّـغَـارِ وذَكَّـرَنِـي الـهَـوَى قُـرْبُ الـمَـزَارِ

فكم أعطاكَ لمّا أذِنَ لكَ في الانصراف؟ قال: مائة ألف درهم؛ فأمر له بمائة ألف درهم، وأذِنَ له بالانصراف إلى بغداد؛ وكان هذا آخرَ عهدنا به، لأن إسحاق تُوفِّيَ بعد ذلك بشهرين.

حدّثني جَحْظة قال: حَدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على الواثق أستأذِنه في الانحدار إلى بغدادَ فوجدته مصطبحاً؛ فقال: بحياتي غَنِّ:

---

(١) يُقال: عيناه تدمعان بأربعة: أي باللّحاظين والموقين للعينين، وذلك أشدّ البكاء.

(٢) الحَيْر: اسم قصر كان المتوكّل أنفق على عمارته أربعة آلاف ألف درهم وهو بسامراء (معجم البلدان ٢: ٣٢٨).

(٣) بوصرا. . من قرى بغداد (معجم البلدان ١: ٥٠٩) والرَّقّة: كل أرض إلى جنب وادٍ ينبسط عليها الماء.

صوت

[الطويل]

أَلاَ إِنَّ أَهْـلَ الـدَّارِ قَـدْ وَدَّعُـوا الـدَّارَا ... وإِنْ كَانَ أَهْلُ الدَّارِ في الحَيِّ أَجْوَارَا[1]

وقـد تَـرَكُـوا قَـلْـبِـي حَـزِيـنـاً مُـتَـيَّـمـاً ... بِـذِكْـرِهِـمُ، لـو يَـسْـتَـطِـيـعُ لـقـد طَـارَا

فتطيَّرْتُ من اقتراحه له وغَنَّيته إياه؛ فشربَ عليه مراراً، وأمر لي بثلاثين ألفَ درهم وأذِن لي فٱنصرفت؛ ثم كان آخرَ عهدي به. الشّعر لِمُطِيع بن إياس، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو.

حدّثني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثنا عبد الله بن الفرج قال: حَدَّثنا أحمد بن معاوية قال: كنت في بيتي وعَلُّويه يُغَنّيني:

صوت

[البسيط]

أَعْـرَضْـنَ مِنْ شَـمَـطٍ في الرَّأْسِ لاَحَ به ... فَـهُـنَّ عـنـه إذا أَبْـصَـرْنَـهُ حِـيـدُ[2]

قَـدْ كُـنَّ يَـعـهَـدْنَ مِـنِّـي مَـنْـظَـراً حَـسَـنـاً ... وجُـمَّـةً حَـسَـرَتْ عَـنْـهَـا الـعَـنَـاقِـيـدُ[3]

فوردتْ عليّ رُقعة من إسحاقَ الموصليّ يستسقيني نبيذاً؛ فبعثت إليه بِدَنٍّ مع غلام لي؛ فلما توسّط الغلامُ به الجَسر زُحِمَ فكُسِرَ؛ فرجع الغلام إلى إسحاق فأخبره الخبرَ وسأله مسألتي التجافيَ عنه؛ فكتب إليّ:

[مجزوء الكامل]

يــا أحــمــد بــن مــعــاويَــهْ ... إنِّــي رُمِــيــتُ بِــدَاهِــيَــهْ

أَشْــكُــو إِلَــيْــكَ فَــأَشْــكِــنــي ... كَــسْــرَ الــغُــلاَمِ الــخَــابِــيَــهْ

يَــا لَــيْــتَــهــا سَــلِــمَــتْ وكــا ... ن فِــدَاءَهــا ٱبْــنُ الــزَّانِــيَــهْ

فبعثت إليه بأربعة أدنان، وأعتقتُ الغلام بشفاعته في أمره.

أخبرني جعفر بن قُدَامة ومحمد بن مَزْيد قالا: حَدَّثنا حَمّاد بن إسحاق الموصليّ قال: قال لي حمدون بن إسماعيل رحمه الله: لمّا صنع أبوك رحمه الله هذا الصوتَ:

---

(١) الأجوار: جمع جار.

(٢) الشَّمَط: اختلاط سواد الشعر بالبياض.

(٣) الجمّة: مجتمع شعر الرأس.

صوت

[المنسرح]

قِفْ بِالدِّيارِ الَّتي عَفَا القِدَمُ وغَيَّرَتْها الأرواحُ والدِّيَمُ
لَمَّا وَقَفْنا بها نُسائِلُها فَاضَتْ مِنَ القَوْمِ أَعْيُنٌ سُجُمُ
ذِكْراً لِعَيْشٍ مَضَى إذا ذُكِرَتْ ما فَاتَ مِنْهُ فَذِكْرُهُ سَقَمُ
وكُلُّ عَيْشٍ دَامَتْ غَضَارَتُهُ مُنْقَطِعٌ مَرَّةً ومُنْصَرِمُ

ـ ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ ـ أُعجِبَ به المعتصم والواثق جميعاً؛ فقال له المعتصم: بحياتي ارْدُدْه على مخارِق وعَلّويه والجماعةِ ليأخذوه عنك، وأنصَحْهم فيه؛ فإنهم إن أحسنوا فيه نُسب إليك إحسانُهم، وإن أساءُوا بان فضلُك عليهم؛ فردّه عليهم أكثرَ من مائتي مرّة، وكانوا يقصِدونَ إلى منزله ويَرُدّه عليهم، ومات وما أخذوا منه علم الله إلاّ رَسْمَه؛ الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه ثقيل أوّل.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثنا حَمّاد عن أبيه قال: خرجنا مع الرشيد يريد الرقّة؛ فلمّا صِرْنا بالموضع الذي يقال له القائم[1] نزلْنا، وخرج يتصيّد وخرجنا معه، فأبْعد في طلب الصيد؛ ولاح لي دَيْر فقصدته وقد تعبتُ، فأشرفتُ على صاحبه؛ فقال: هل لك في النزول بنا اليوم؟ فقلت: إي والله وإني إلى ذلك لَمحتاجٌ؛ فنزل ففتَح لي البابَ وجلس يحدّثني، وكان شيخاً كبيراً وقد أدرك دولة بني أمية، فجعل يحدّثني عمّن نزل به من القوم ومَوَاليهم وجيوشِهم، وعرَضَ عليَّ الطعامَ فأجبتُه؛ فقدَّم إليَّ طعاماً من طعام الدِّيَارات[2] نظيفاً طيِّباً، فأكلتُ منه، وأتاني بشرابٍ ورَيْحان طَرِيّ فشربتُ منه، ووكَّل بي جاريةً تخدُمُني راهبةً لم أر أحسن وجهاً منها ولا أشْكَل؛ فشربتُ حتى سَكِرْتُ، ونمتُ وانتبهتُ عِشاءً؛ فقلتُ في ذلك:

صوت

[مجزوء الوافر]

بِدَيْرِ القَائِمِ الأَقْصَى غَزَالٌ شَادِنٌ أَحْوَى
بَرَى حُبِّي لَهُ جِسْمِي ولا يَعْلَمُ مَا أَلْقَى

(١) دير القائم: على شاطىء الفرات من الجانب الغربي في طريق الرقة من بغداد (معجم البلدان ٢:٥٢٦).

(٢) الديارات: جمع الدير.

وأَكْــتُــمُ حُــبَّــهُ جُــهْــدِي ولاَ والــلّــهِ مــا يَــخْــفَــى

ورَكِبتُ فلحقت بالمعسكر والرشيدُ قد جلس للشرب وطلبني فلم أُوجَد، وأُخبِرْتُ بذلك، فغنَّيتُ في الأبيات ودخلتُ إليه؛ فقال لي: أين كنتَ؟ وَيْحَك! فأخبرته بالخبر وغنَّيته الصوتَ؛ فطرِبَ وشرب عليه حتى سَكِر، وأخَّر الرَّحيلَ في غدٍ، ومَضَيْنا إلى الدَّيْر ونزله، فرأى الشيخَ وآستنطقه، ورأى الجارية التي كانت تخدُمُني بالأمس؛ فدعا بطعام خفيف فأصاب منه، ودعا بالشراب، وأمر الجاريةَ التي كانت بالأمس تخدُمني أن تتولّى خدمتَه وسَقْيَه ففعلتْ، وشرب حتى طابت نفسه؛ ثم أمر للدَّيْر بألف دينار، وأمر بآحتمال خراجه له سَبْعَ سنين؛ فرحَلْنا.

قال حَمّاد: فحدّثني أبي قال: فلما صِرنا بتلّ عَزّاز من دَابِق[1] خرجتُ أنا وأصحاب لي نتنزّه في قرية من قُراها، فأقمنا بها أيّاماً، وطلبَني الرشيدُ فلم يجَدني، فلمّا رجَعتُ أتيتُ الفضلَ بن الربيع؛ فقال لي: أين كنتَ؟ طلبَك أميرُ المؤمنين؛ فأخبرته بنُزْهتنا فغضِب. وخِفْتُ من الرشيد أكثر مما لقيتُ من الفضل؛ فقلت:

صوت [الخفيف]

إنَّ قَـلْـبِـي بِـالـتَّـلِّ تَـلِّ عَـزَازِ	عِـنْـدَ ظَبْـي مِـنَ الـظِّـبَاءِ الـجَـوَازِي[2]
شَـادِنٍ يَـسْـكُـنُ الـشَّـآمَ وفـيـه	مَـعَ ظَـرْفِ الْعِـراقِ شَـكْـلُ الـحِـجـازِ[3]
يَـا لَـقَـوْمِـي لِـبِـنْـتِ قَـسٍّ أَصَـابَـتْ	مِـنكَ صَـفْـوَ الـهَـوَى ولَـيْـسَـتْ تُـجَـازِي
حَـلَـفَـتْ بِـالـمَـسِـيـحِ أَنْ تُـنْـجِـزَ الـوَعْـ	ـدَ ولَـيْـسَـتْ تَـهُـمُّ بِـالإنْـجَـازِ

وغنَّيْتُ فيه؛ ثم دخلتُ على الرشيد وهو مُغْضَبٌ؛ فقال: أين كنت؟ طلبتُك فلم أجِدْك؛ فآعتذرتُ إليه وأنشدتُه هذا الشعرَ وغنَّيته إياه؛ فتبسَّم وقال: عذرٌ وأبيك وأيُّ عذر! وما زالَ يشربُ عليه ويَستَعِيدُنيه ليلتَه جَمْعاء حتى انصرفنا مع طلوع الفجر. فلمّا وصلتُ إلى رَحْلي إذا برسول أمير المؤمنين قد أتانا يَدْعونا؛ فوافَيْتُ فدخلتُ؛ وإذا ابنُ جامعٍ يتمرّغ على دُكّان في الدار وهو سَكْرانُ يتململ؛ فقال لي:

---

(١) دابق: قرية قرب حلب من أعمال عزاز (معجم البلدان ٢: ٤١٦).

(٢) الجوازي: جمع الجازئة: من الظباء التي استغنت بالرطب عن الماء.

(٣) الشَّكل: الدلّ.

يأبنَ الموصليّ، أتدري ما جاء بنا؟ فقلت: لا والله ما أدري؛ فقال: لكنّي والله أدري دِرَايةً صحيحةً، جاءت بنا نَصْرانيَّتُك الزّانية، عليك وعليها لعنة الله. وخرج الآذنُ فأَذِنَ لنا، فدخلنا. فلما رأيتُ الرشيد تبسَّمْتُ؛ فقال لي: ما يُضحكك؟ فأخبرته بقول آبن جامع؛ فقال: صَدَق، ما هو إلا أن فقدتُكم فآشتقتُ إلى ما كنّا فيه، فعُودوا بنا، فعُدْنا فيه حتى آنقضى مجلسنا وآنصرفنا.

لحنُ إسحاقَ:

* بِـــدَيْـــرِ الــقـــائـــمِ الأَقْـــصـــى *

خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى، وفيه للقاسم بن زُرْزُور ثقيلٌ أوّلُ. ولحنه في:

* إنْ قــلــبــي بــالــتَّــلّ تــلّ عَــزَازِ *

خفيفُ رَمَلٍ.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثني حَمّاد عن أبيه قال: دخلتُ على الرشيد يوماًفي عمامة قد كَوَّرْتُها على رأسي؛ فقال: ما هذه العمامة! كأنك من الأنبار. فلمّا كان من غدٍ دعا بنا إليه، فأمهلتُ حتى دخل المغنُّون جميعاً قبلي، ثم دخلتُ عليه في آخرهم؛ وقد شَدَدْتُ وسطي بِمَشَدّة حرير أحمر، ولبِسْتُ لِباساً مُشْتَهِراً، وأخذتُ بيدي صَفَّاقَتَيْن وأقبلتُ أَخطِرُ وأضرب بالصَّفّاقتَيْن وأُغَنّي: [المجتث]

إِسْـمَـعْ لِـصَـوْتٍ مَـلِـيـحٍ	مِـنْ صَـنْـعَـةِ الأَنْـبَـارِي
صَـوْتٍ خَـفِـيـفٍ ظَـرِيـفٍ	يَـطِـيـرُ فـي الأَوْتَـارِ

فبسط يده إليَّ حتى كاد يقوم، وجعل يقول: أحسنتَ وحياتي! أحسنتَ أحسنتَ! حتى جلستُ، ثم شربَ عليه بقيّةَ يومه، وما آستعاد غيرَه، وأمر لي بعشرين ألف درهم. لحنُ إسحاق في هذا الشعر هَزَج.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثنا حَمّاد قال: حَدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال: كنتُ عند الفضل بن الربيع، فَغَنّى بعضُ مَنْ كان عنده:

صوت

[الرمل]

كُـلُّ شَـيْءٍ مِـنْـكِ فـي عَـيْـنِـي حَـسَـنْ	ونَـصِـيـبِـي مِـنْـكِ هَـمٌّ وحَـزَنْ
لا تَـظُـنِّـي أَنَّـهُ غَـيَّـرَنِـي	قِـدَمُ الـعَـهْـدِ ولا طُـولُ الـزَّمَـنْ

فقال لي: أتدري لمن هذا؟ فقلت: لبعض الطُّنْبُورِيِّين؛ فقال: لا ولكنه لذلك الشّيطان إسحاق؛ لحنُ إسحاق في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى من مجموع أغانيه.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثنا حَمّاد عن أبيه قال: لمّا خرجنا مع الرشيد إلى طُوس كنتُ معه أُسايِرُه، فٱستسقَيْتُ ماءً من منزلٍ نزلناه يقال له سَحْنة[1]، فخرجَتْ إلينا جاريةٌ كأنها ظبيةٌ، فسقَتْني ماءً؛ فقلتُ هذا الشعر:

صوت [الوافر]

غَــزَالٌ يَــرْتَــعِــي جَــنَــبَــاتِ وَادِ ... بِـسَـحْـنَـةَ قـد تَـمَـكَّـنَ فـي فُـؤادِي
سَــقَــانِــي شَـرْبَــةً كَــانَــتْ شِــفَــاءً ... لِـعِـلَّـةِ حَـائِـمٍ حَـرّانَ صَـادِي[2]

وغنّيته الرشيدَ؛ فقال لي: أتحبُّ أن أُزَوِّجكها؟ فقلتُ: نعم والله يا سيِّدي؛ قال: فٱخطُبها والمهرُ عليّ وما يُصلحها؛ فخطبتُها، فأبى أهلها أن يُخرجوها من بلدهم. لحنُ إسحاقَ في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ، وفيه لعَلّويه خفيفُ رَمَلٍ.

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال: حَدّثني حَمّاد بن إسحاق قال: قال لي أبي: ما ٱغتممتُ بشيء قطُّ مثلَ ما ٱغتممتُ بصوتٍ مليحٍ صنعتُه في هذا الشعر:

صوت [المديد]

كَـــانَ لـــي قَـــلْـــبٌ أَعِـــيـــشُ بـــه ... فَـــٱكْـــتَـــوَى بِـــالـــنَّـــارِ فَـــٱحْـــتَـــرَقَـــا
أَنَـــا لَـــمْ أُرْزَقْ مَـــحَـــبَّـــتَـــهـــا ... إنَّـــمَـــا لِـــلْـــعَـــبْـــدِ مـــا رُزِقَـــا
مَـــنْ يَـــكُـــنْ مـــا ذَاقَ طَـــعْـــمَ رَدًى ... ذاقَـــهُ لا شَـــكَّ إنْ عَـــشِـــقَـــا

فإنّي صنعتُ فيه لحناً وجعلتُ أُردّده في جَناحٍ لي سَحَراً؛ فأظنّ أنّ إنساناً من العامّة مرّ بي فسمعه فأخذه؛ فبكَّرْتُ من غَدٍ إلى المعتصم لأُغَنِّيَه، فإذا أنا بسَوّاط يَسُوط الناطِفَ[3] وهو يُغَنِّي اللَّحْنَ بعينه إلا أنه غناء فاسِدٌ. فعجبتُ وقلتُ: تُرَى من أين لهذا السَّوَّاط هذا الصّوت! ولعلّي إذ غَنَّيتُه أن يكون قد مَرَّ بي هذا فسمعني أُغنّيه؛ وبقيتُ مُتحيِّراً، ثم قلت: يا فتى، ممن سمعت هذا الصوت؟ فلم يجبني

(١) سحنة: موضع بين بغداد وهمذان (معجم البلدان ٣: ١٩٥).
(٢) الحائم والصادي: العطشان.
(٣) يسوط: يخلط. والناطف: نوع من الحلواء.

وآلتفتَ إلى شريكه، وقال: هذا يسألني ممن سَمِعْته! هذا غنائي، والله لو سمعه إسحاق الموصليّ لَخَرِىء في سَرَاويله؛ فبادرتُ والله هارباً خوفَ أن يمرَّ بي إنسانٌ فيسمع ما جرى عليّ فأَفتضِحَ؛ وما علم الله أني نطقت بذلك الصوتِ بعدها.

حدّثني جعفر بن قُدامة قال: حَدّثني حمّاد بن إسحاق قال: كتب إبراهيمُ بن المهديّ إلى أبي: أيّ شيء تصحِيفُ: «لا يُريحُ مثلُ الأسنّةِ». فكتب إليه أبي: تصحيفُه: «لا يَرِثُ جمِيلٌ إلا بُثَينَة»؛ فكتب إليه: وَيْ منك!.

أخبرنا جعفر قال: حَدّثنا حمّاد عن أبيه قال: دخلتُ يوماً على جعفر بن يحيى، فرأى شَفَتَيَّ تتحرّكانِ بشيء كنتُ أعمله؛ فقال: أتدعو أم تَصنع ماذا؟ فقلتُ: بل أمدح؛ قال: قل؛ فقلت:

صوت

[الطويل]

وكُـنْـتُ إذا إذْنٌ عَـلَـيـكَ جَـرَى لـنـا ... تَــجَــلّـى لَـنَـا وَجْـهٌ أَغَـرُّ وَسِـيـمُ
عَــلانِـيَــةٌ مَــحْــمُـودَةٌ وسَـرِيــرَةٌ ... وفِـعْـلٌ يَـسُـرُّ الـمُـعْـتَـفِـيـنَ كَـرِيـمُ

فآحتَبسني وأمر لي بمال جليل وكُسوةٍ، وقال: زدِ البيتين حُسناً بأن تصنع فيهما لحناً؛ فصنعتُ لحناً من الثقيل الثاني؛ فلم يَزَلْ يَشربُ عليهما حتى سَكِر.

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال: حَدّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه أنه حدّثه قال: غدوتُ يوماً وأنا ضَجِرٌ من ملازمةِ دار الخلافةِ والخدمةِ فيها؛ فخرجتُ وركِبت بُكرة وعزمْتُ على أن أطوفَ الصحراءَ وأتفرَّجَ؛ فقلتُ لغلماني: إن جاء رسول الخليفة أو غيرهُ فعرِّفوه أني بَكَّرْتُ في بعض مُهِمّاتي، وأنكم لا تعرِفون أينَ توجّهتُ؛ ومضيتُ وطُفتُ ما بدا لي، ثم عُدتُ وقد حَمِي النهارُ؛ فوقفتُ في الشارع المعروف بالمخرَّم في فِناءٍ ثَخينِ الظلّ وجَناحٍ رَحْبٍ على الطريق لأستريحَ. فلم أَلبَثْ أن جاء خادمٌ يقودُ حماراً فارِهاً عليه جاريةٌ راكِبة، تحتها مِنديلٌ دَبيقيّ وعليها من اللباس الفاخر ما لا غايةَ بعده، ورأيتُ لها قَواماً حسناً وطَرْفاً فاتِراً وشمائلَ حسنةً؛ فخَرَصْتُ عليها أنها مُغنّية، فدخلتِ الدار التي كنتُ واقفاً عليها. ثم لم ألبث أن جاء رجلانِ شابّانِ جميلانِ، فآستأذنا فأُذِن لهما فنزلا ونزلتُ معهما ودخلتُ؛ فظنا أن صاحب الدار دعاني وظنّ صاحبُ الدار أني معهما؛ فجلسنا، وأُتِي بالطعام فأكلنا وبالشراب فوُضِع، وخرجتِ الجاريةُ وفي يدها عودٌ فغنّتْ

وشرِبنا؛ وقمتُ قومةً، وسأل صاحبُ المنزل الرجلين عنّي فأخبراه أنهما لا يعرفانِي؛ فقال: هذا طُفَيليٌّ، ولكنه ظريفٌ، فأَجْمِلوا عِشرتَه. وجئتُ فجلستُ؛ وغنّتِ الجاريةُ في لحنٍ لي: [الطويل]

ذَكَرتُكِ أن مرَّتْ بنا أُمُّ شادِنٍ ... أمامَ المطايا تَشرئِبُّ وتَسْنَحُ
من المؤلِفاتِ الرملِ أَدْماءُ حُرَّةٌ ... شُعَاعُ الضحى في مَتْنِها يَتَوَضَّحُ

فأدّته أداءً صالحاً وشَرِبت. ثم غنَّتْ أصواتاً شتَّى، وغنَّتْ في أضعافها من صنعتي: [مجزوء الخفيف]

الطُّلُولُ الدوارِسُ ... فارقَتْها الأوانِسُ
أَوحشتْ بعد أهلها ... فهي قَفْرٌ بَسَابِسُ

فكان أمرُها فيه أصلحَ منه في الأوّل. ثم غنَّتْ أصواتاً من القديم والحديثِ، وغنَّتْ في أثنائها من صنعتي: [مجزوء الخفيف]

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا ... ونأى عَنْكَ جَانِبَا
قد بَلَغْتَ الَّذي أَرَد ... تَ وإن كُنْتَ لاَعِبَا

فكان أصلحَ ما غنّته؛ فاستَعَدْتُه منها لأُصَحِّحه لها؛ فأقبل عليّ رجل من الرجلين وقال: ما رأيتُ طُفَيليًّا أصفقَ وجهاً منك! لم تَرْضَ بالتطفل حتى اقترحْتَ، وهذا غايةُ المثل «طُفَيلِيٌّ مُقْتَرِحٌ»؛ فأطرَقْتُ ولم أُجِبْهُ؛ وجعل صاحبُه يَكُفُّه عنّي فلا يَكُفُّ؛ ثم قاموا للصلاة وتأخرتُ قليلاً، فأخذتُ عودَ الجارية، ثم شددتُ طبقتَه وأصلحتُه إصلاحاً محكماً، وعُدتُ إلى موضعي فصلَّيتُ، وعادوا؛ ثم أخذ ذلك الرجلُ في عَرْبَدتِه عليّ وأنا صامتٌ؛ ثم أخذتِ الجاريةُ العودَ فَجَسَّته وأنكرتْ حاله وقالت: من مَسَّ عُودي؟ قالوا: ما مسَّه أحدٌ! قالت: بلى! والله لقد مسَّه حاذقٌ متقدّم وشَدّ طبقتَه وأصلحه إصلاحَ مُتَمكّن من صناعته؛ فقلتُ لها: أنا أصلحتُه؛ قالت: فبالله خُذْه واضرِب به؛ فأخذتُه وضربتُ به مَبدأً صحيحاً ظريفاً عجيباً صَعْباً، فيه نَقَراتٌ محرّكةٌ؛ فما بقي أحدٌ منهم إلا وثَبَ على قدميه وجلس بين يديّ؛ ثم قالوا: بالله يا سيّدَنا أتُغنّي؟ فقلتُ: نعم، وأُعَرِّفُكم نفسي، أنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الموصليّ، ووالله إني لأَتِيهُ على الخليفة إذا طلبني وأنتم تُسمِعُونَني ما أكره منذ اليوم لأني تملَّحتُ معكم؛ فوالله لا نَطقتُ بحرفٍ ولا جلستُ معكم حتى تُخرِجُوا هذا المُعَرْبِدَ المَقِيتَ الغَثَّ؛ فقال له صاحبُه: مِن هذا حَذِرتُ عليك؛ فأخذ يَعتذِرُ؛

فقلتُ: والله لا نطقتُ بحرف ولا جلستُ معكم حتى يُخْرَجَ؛ فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا. فبدأتُ وغَنَّيْتُ الأصواتَ التي غَنَّتها الجاريةُ من صنعتي؛ فقال لي الرجلُ: هل لك في خَصْلةٍ؟ قلتُ: ما هي؟ قال: تُقيمُ عندي شهراً، والجاريةُ والحِمارُ لك مع ما عليها من حُلِيّ؛ قلت: أفعل؛ فأقمتُ عنده ثلاثين يوماً لا يَدرِي أحدٌ أين أنا، والمأمونُ يطلُبني في كلّ موضع فلا يعرِفُ لي خبراً. فلمّا كان بعد ثلاثين يوماً أسلم إليّ الجاريةَ والحمارَ والخادمَ؛ فجئتُ بذلك إلى منزلي، وركِبتُ إلى المأمون من وقتي؛ فلمّا رآني قال: إسحاقُ! وَيْحَكَ! أين تكون؟ فأخبرتُه بخبري؛ فقال: عليّ بالرجل الساعةَ؛ فدللتُهم على بيته فأُحضِر؛ فسأله المأمونُ عن القصة فأخبره؛ فقال له: أنت رجل ذو مروءةٍ وسَبيلُكَ أن تُعاوَنَ عليها، وأمر له بمائة ألف درهم، وقال: لا تُعَاشِرنّ ذلك المعربِدَ النَّذْلَ ٱلبتَّةَ؛ وأمر لي بخمسين ألف درهم، وقال: أَحضِرْني الجاريةَ، فأحضرتُها فغنّته؛ فقال لي: قد جعلتُ لها نوبةً في كلّ يوم ثُلاثاء تُغَنّيني وراءَ الستارة مع الجواري؛ وأمر لها بخمسين ألف درهم. فربِحتُ والله بتلك الرَّكْبةِ وأربَحْتُ.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[الطويل]

ذَكَـرْتُـكِ أَنْ مَـرَّتْ بِـنـا أُمُّ شَـادِنٍ ... أَمَـامَ الـمَـطَـايـا تَـشْـرَئِـبُّ وتَـسْـنَـحُ

مِـنَ الـمُـؤْلِـفَـاتِ الـرَّمْـلِ أَدْمَـاءُ حُـرَّةٌ ... شُـعَـاعُ الـضُّـحَـى فـي مَـتـنِـهـا يَـتَـوَضَّـحُ

الشعرُ لذي الرُّمّة. والغناءُ لإِسحاقَ ثقيل أوّلُ بالسبابة والوسطى، عن ابن المكيّ. ومن أغاني إسحاق:

صوت

[مجزوء الخفيف]

قُـلْ لِـمَـنْ صَـدَّ عَـاتِـبَـا ... ونَـأَى عَـنْـكَ جَـانِـبَـا

قَـدْ بَـلَـغْـتَ الَّـذي أَرَدْ ... تَ وإِنْ كُـنْـتَ لاَعِـبَـا

الشعرُ والغناء لإِسحاقَ. وقد تقدّم خبره قبل هذه الأخبار.

صوت

[مجزوء الخفيف]

الطُّلُولُ الدَّوَارِسُ فَارَقَتْهَا الأَوَانِسُ
أَوْحَشَتْ بَعْدَ أَهْلِهَا فَهْيَ قَفْرٌ بَسَابِسُ

الشعرُ لابن ياسين، شاعر مجهول قليل الشعر، كان صديقاً لإِسحاق. والغناء لإِسحاق خفيفُ ثقيلٍ، وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائعه.

أخبرني عمّي قال: حَدّثني يزيدُ بن محمد المهلَّبيّ قال: كنتُ عند الواثق، فغَنَّتْه «شجى» التي وهبها له إسحاقُ هذا الصوتَ؛ فقال لمخارق وعَلّويه: والله لو عاش مَعْبدٌ ما شقَّ غبارَ إسحاقَ في هذا الصوتِ؛ فقالا له: إنه لحسنٌ يا أمير المؤمنين؛ فغضب وقال: ليس عندكما فيه إلا هذا! ثم أقبل على أحمدَ بن المَكّي فقال: دعني من هذين الأحمقين؛ أوّلُ بيتٍ في هذا الصوت أربع كلمات: «الطُّلول» كلمة، و «الدوارس» كلمة، و «فارقتها» كلمة، و «الأوانس» كلمة؛ فأنظر هل ترك إسحاقُ شيئاً من الصنعة يتَصرَّفُ فيه المغنِّي لم يُدخِلْه في هذه الكلماتِ الأربعِ! بدأ بها نشيداً، وتلاه بالبسيط، وجعل فيه صِياحاً، وإسجاحاً، وترجيحاً للنَّغَمِ، وأختلاساً فيها، وعمِل هذا كلَّه في أربع كلمات، فهل سمِعتَ أحداً تقدّم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه؟! فقال: صدق أميرُ المؤمنين، قد لَحِقَ مَنْ قبله وسبق مَنْ بعده.

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال: حَدَّثني ميمونُ بن هارون قال: حَدّثني إسحاق قال: لمّا خرجت مع الواثق إلى النَّجَفِ دُرْنا بالحِيرةِ ومَرَرْنا بِدِيَاراتِها؛ فرأيتُ ديرَ مريمَ بالحِيرة، فأعجبني موقعُه وحسنُ بنائه؛ فقلتُ: [البسيط]

نِعْمَ المَحَلُّ لِمَنْ يَسْعَى لِلَذَّتِهِ دَيْرٌ لِمَرْيَمَ فَوْقَ الظَّهرِ مَعْمُورُ
ظِلٌّ ظَلِيلٌ ومَاءٌ غَيْرُ ذِي أَسَنٍ وقَاصِرَاتٌ كَأَمْثَالِ الدُّمَى حُورُ[1]

فقال الواثقُ: لا نَصطبحُ والله غداً إلا فيه؛ وأمر بأن يُعَدَّ فيه ما يَصْلُحُ من اللّيل؛ وباكرناه فأصطبَحْنا فيه على هذا الصوتِ؛ وأمر بمالٍ فَفُرِّقَ على أهل ذلك الدّيرِ، وأمر لي بجائزة. لحنُ إسحاق في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالبنصر.

---

(١) الماء الآسِن: المتغيّر الطعم واللون والرائحة. والقاصرة من النساء: التي لا تنظر لغيرِ زوجها.

[إسحاق وعبد الله بن طاهر]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال: أخرج إليّ عبدُ الله بن طاهر يوماً بَيْتَيْ شعر في رُقْعة وقال: هذان البيتان وجدتُهما على بِساطٍ طَبَريّ أَصْبَهْبُذِيّ أُهْدِيَ إليّ من طَبَرِسْتَانَ، فأُحبُّ أن تُغنّيني فيهما؛ فقرأتُهما فإذا هما:

لَـــجَّ بِـــالـــعَـــيْـــنِ وَاكِـــفُ ... مِـــنْ هَـــوًى لا يُـــسَـــاعِـــفُ
كُـــلَّـــمَـــا كَـــفَّ غَـــرْبُـــهَـــا ... هَـــيَّـــجَـــتْـــهُ الـــمَـــعَـــازِفُ[1]

قال: فغنّيت فيهما وغَدَوتُ بهما إليه، فأُعجِبَ بالصوت ووصلني بِصلة سنّيةٍ، وكان يَشتهيه ويَقترحه، وطرحتُه على جميع جواريه، وشاع خبر إعجابه به. فبينا المعتصمُ يوماً جالسٌ يُعرَضُ عليه فرشُ الربيعِ، إذ مرّ بِساطُ ديباجٍ في نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما: [مجزوء الخفيف]

إنَّـــمَـــا الـــمَـــوْتُ أَنْ تُـــفَـــا ... رِقَ مَـــــنْ أَنْـــــتَ آلِـــــفُ
لَـــكَ حُـــبَّـــانِ فـــي الـــفُـــؤَا ... دِ تَـــلِـــيـــدٌ وطَـــارِفُ

فأمرَ بالبساطِ فحُمِلَ إلى عبد الله بن طاهر، وقال للرسول: قل له: إني قد عرفتُ شغفك بالغناء في هذا الشعر، فلما وقع هذا البساط أحبَبْتُ أنِ أُتِمَّ سرورَك به؛ فشكر عبدُ الله ما تأدّى إليه من هذه الرسالة وأعظمَ مقدارَه، وقال لي: والله يا أبا محمد لسُرورِي بتمام الشعر أشدُّ من سروري بكل شيء، فألحِقهما في الغناء بالبيتين الأوّلين، فألحقتهما.

نسبة هذا الصوت

صوت

[مجزوء الخفيف]

لَـــجَّ بِـــالـــعَـــيْـــنِ وَاكِـــفُ ... مِـــنْ هَـــوًى لا يُـــسَـــاعِـــفُ
كُـــلَّـــمَـــا كَـــفَّ غَـــرْبُـــهَـــا ... هَـــيَّـــجَـــتْـــهُ الـــمَـــعَـــازِفُ

---

(١) الغَرْب: الدمع، والمعازف: جمع المِعْزَف والمِعْزَفَة: هي آلات الطرب كالطنبور والعود والقيثارة.

إنَّـمَـا الـمَـوْتُ أنْ تُـفَـا رِقَ مَـنْ أنْـتَ آلِـفُ
لَـكَ حُـبَّـانِ فـي الـفُـؤا دِ تَـلِـيـدٌ وطـارِفُ

ولم أعرف من خبر شاعره غيرَ ما ذكرتُه في هذا الخبر، والغناء لإسحاقَ هَزَجٌ بالوسطى.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حَدّثنا أبو أيّوب المَدِينيّ عن ابن المَكّيّ عن أبيه قال: قلت لإسحاق يوماً: يا أبا محمد، كم تكون صنعتُك؟ فقال: ما بلغت مائتين قطُّ.

[مرضه ووفاته]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال: قال لي وكيل بن الحَرُونيّ: قلت لأبيك إسحاق: يا أبا محمد، كم يكون غناؤك؟ قال: نحواً من أربعمائة صوت. قال: وقال له رجل بحضرتي: ما لكَ لا تُكثر الصنعةَ كما يُكثر الناس؟ قال: لأنّي إنما أنقُر في صخرة.

ولإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحَشْو، طرحتُها لذلك؛ وله أخبار أُخَر حسُن ذكرها في مواضع تليق بها فأخّرتها واحتبستها عليها؛ وفيما ذكرتُه ها هنا منها مقنع.

وتوفّي إسحاق ببغداد في أوّل خلافة المتوكّل؛ فأخبرني الصُّولِيّ قال: ذكرَ إبراهيمُ بن محمد الشّاهِينيّ: أنّ إسحاق كان يسأل اللّهَ ألاّ يبتليَه بالقُولَنْج لِمَا رأى من صعوبته على أبيه؛ فرأى في منامه كأنّ قائلاً يقول له: قد أُجيبَتْ دعوتُكَ ولستَ تموت بالقولنج، ولكنك تموت بِضدّه، فأصابه ذَرَبٌ[1] في شهر رمضان سنةَ خمسٍ وثلاثين ومائتين؛ فكان يتصدّق في كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم؛ ثم ضَعُفَ عن الصوم فلم يُطِقْهُ ومات في شهر رمضان.

أخبرنا الحسن بن عليّ قال: حَدّثني يزيد بن محمد المهلَّبيّ قال: نُعِيَ إسحاقُ إلى المتوكّل في وسط خلافته، فغَمَّه وحَزِنَ عليه، وقال: ذهب صدرٌ عظيمٌ من جمال الملك وبهائه وزينته؛ ثم نُعِيَ إليه بعده أحمدُ بن عيسى بن زيد بن

(١) الذَّرَب: فساد المعدة وعدم هضمها للطعام.

عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، فقال: تكافأت الحالتان، وقام الفتح بوفاة أحمد ـ وما كنت آمَنُ وَثْبَتَه عليّ ـ مقامَ الفَجيعة بإسحاق؛ فالحمد لله على ذلك.

[رثاء الشعراء له]

حَدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال: حَدّثني رجل من الكتّاب من أهل قُطْرَبُّل قال: حَدّثني أبي عن أبيه قال: رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول لي:

مَـاتَ الـحُـسَـانُ ابْـنُ الـحُـسَـا ... نِ ومَـاتَ إحْـسَـانُ الـزَّمَـانِ

فأصبحت من غدٍ فركبت في بعض حوائجي، فتلقّاني خبر وفاة إسحاق الموصليّ.

وقال إدريس بن أبي حَفْصة يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصليّ: [الطويل]

سَقَى اللَّهُ يَاَبْنَ المَوْصِليّ بِوَابِلٍ ... مِنَ الغَيْثِ قَبْراً أنتَ فيه مُقِيمُ
ذَهَبْتَ فَأَوْحَشْتَ الكِرَامَ فَمَا يَنِي ... بِعَبْرَتِهِ يَبْكي عَلَيْكَ كَرِيمُ
إلى اللهِ أَشْكُو فَقْدَ إسحاقَ إنّني ... وإنْ كُنْتُ شَيْخاً بِالعِراقِ يَتيمُ

وقال محمد بن عمرو الجُرْجاني يرثيه: [الطويل]

على الجَدَثِ الشَّرْقِيِّ عُوجَا فَسَلِّما ... بِبَغْدادَ لَمَّا ضَنَّ عَنْهُ عَوائِدُهْ
وقُولاَ له لو كَانَ لِلْمَوْتِ فِدْيَةٌ ... فَدَاكَ مِنَ المَوْتِ الطَّرِيفُ وتَالِدُهْ
أَإسْحَاقُ لا تَبْعَدْ وإنْ كَانَ قد رَمَى ... بكَ المَوْتُ وِرْداً لَيْسَ يَصْدُرُ وَارِدُهْ[1]
إذا هَزَلَ اخْضَرَّتْ فُنُونُ حَدِيثِهِ ... ورَقَّتْ حَواشِيهِ وطَابَتْ مَشَاهِدُهْ
وإنْ جَدَّ كانَ القَوْلُ جِدًّا وأَقْسَمَتْ ... مَخَارِجُهُ ألاَّ تَلِينَ مَعَاقِدُهْ
فَبَكِّ عَلَى ابْنِ المَوْصِليّ بِعَبْرَةٍ ... كما ارْفَضَّ مِنْ نَظْمِ الجُمَانِ فَرَائِدُهْ

وقال مصعَب بن عبد الله الزُّبيري يرثيه ـ نسخت ذلك من كتاب جعفر بن قُدَامة، وذكر أن حَمّاد بن إسحاق أنشده إياها، ونسختُه أيضاً من كتاب الحَرَميّ بن أبي العَلاَء يذكر فيه عن الزُّبير عن عمّه مصعَب أنه أنشده لنفسه يرثي إسحاق ـ:

---

(١) يصدر: يرجع.

[الطويل]

أَتَدْرِي لِمَنْ تَبْكِي العُيونُ الذَّوارِفُ ... ويَنْهَلُّ مِنْهَا وَاكِفٌ ثم وَاكِفُ
نَعَمْ لامْرِئٍ لَمْ يَبْقَ في النَّاسِ مِثْلُهُ ... مُفِيدٌ لِعِلْمٍ أو صَدِيقٌ مُلاطِفُ
تَجَهَّزَ إِسْحَاقُ إلى اللهِ غَادِياً ... فَلِلَّهِ ما ضُمَّتْ عَلَيْهِ اللَّفَائِفُ
وما حَمَلَ النَّعْشَ المُزَجَّى عَشِيَّةً ... إلى القَبْرِ إلاَّ دَامِعُ العَيْنِ لاَهِفُ
صُدورُهُمُ مَرْضَى عَليهِ عَمِيدَةٌ ... لَهَا أَزْمَةٌ مِنْ ذِكْرِهِ وزَفَازِفُ(١)
تَرَى كُلَّ مَحْزُونٍ تَفِيضُ جُفُونُهُ ... دُموعاً على الخَدَّيْنِ والوَجْهُ شَاسِفُ(٢)
جُزِيتَ جَزَاءَ المُحْسِنينَ مُضاعَفاً ... كما كانَ جَدْواكَ النَّدَى المُتَضَاعِفُ
فَكَمْ لَكَ فِينا مِنْ خَلائِقَ جَزْلَةٍ ... سَبَقْتَ بها مِنْها حَدِيثٌ وسَالِفُ
هِيَ الشَّهْدُ أو أَحْلَى إلينا حَلاَوَةً ... مِنَ الشَّهْدِ لَمْ يَمْزُجْ به الماءَ غَارِفُ
ذَهَبْتَ وخَلَّيْتَ الصَّديقَ بِعَوْلَةٍ ... بِه أَسَفٌ مِنْ حُزْنِهِ مُتَرادِفُ
إذا خَطَرَاتُ الذِّكْرِ عَاوَدْنَ قَلْبَهُ ... تَتَابَعَ مِنْهُنَّ الشُّؤُونُ النَّوازِفُ
حَبِيبٌ إلى الإخْوَانِ يَرْزُونَ مَالَهُ ... وآتٍ لِمَا يَأْتِي امْرُؤُ الصِّدْقِ عَارِفُ(٣)
هو المَنُّ والسَّلْوى لِمَنْ يَستفيدُهُ ... وسُمٌّ على مَنْ يَشْرَبِ السُّمَّ زَاعِفُ
بَكَتْ دَارُهُ مِنْ بَعْدِهِ وتَنَكَّرَتْ ... مَعَالِمُ مِنْ آفَاقِهَا ومَعَارِفُ
فما الدَّارُ بالدَّارِ التي كنتُ أَعْتَري ... وإنِّي بها لَوْلا افْتِقادِيكَ عَارِفُ
هي الدَّارُ إلاَّ أَنَّها قد تَخَشَّعَتْ ... وأَظْلَمَ منها جَانِبٌ فَهْوَ كاسِفُ
وبَانَ الجَمَالُ والفَعَالُ كِلاَهُما ... مِنَ الدَّارِ واسْتَنَّتْ عَليها العواصفُ(٤)
خَلَتْ دَارُهُ مِنْ بَعْدِه فكَأَنَّما ... بِعَاقِبَةٍ لَمْ يُغْنِ في الدَّارِ طَارِفُ
وقد كانَ فيها لِلصَّدِيقِ مُعَرَّسٌ ... ومُلْتَمَسٌ إنْ طَافَ بالدَّارِ طَائِفُ
كَرامةُ إخْوانِ الصَّفَاءِ وزُلْفَةٌ ... لِمَنْ جَاءَ تُزْجِيهِ إليه الرَّواجِفُ(٥)
صَحَابَتُهُ الغُرُّ الكِرَامُ ولَمْ يَكُنْ ... لِيَصْحَبَهُ السُّودُ اللِّئَامُ المَقارِفُ(٦)

---

(١) الأَزْمة: الضيق والشدة. والزفازف: جمع الزفزفة: في الأصل الريح الشديدة الهبوب والتي تصدر صوتاً ويريد أن نشيجاً وزفيراً في صدورهم من الحزن عليه.
(٢) الشّاسف: اليابس من الهزال.
(٣) يرزأون: يرزؤون: حُذِفَتْ منه الهمزة لإسناد الفعل إلى ضمير الجمع.
(٤) استنّت: انصبّت.
(٥) الزُّلفة: الدرجة والمنزلة والقُرْبة.
(٦) المقارف: الأنذال.

فَلُقِّيتَ في يُمْنَى يَدَيْكَ صَحِيفةً إذا نُشِرَتْ يومَ الحِسَابِ الصَّحَائِفُ
يَسُرُّ الَّذي فيها إذا ما بَدَا له ويَفْتَرُّ منها ضاحكاً وهو واقفُ
بِمَا كان مَيْمُوناً على كُلِّ صاحبٍ يُعِينُ على ما نَابَهُ ويُكَانِفُ[١]
سَرِيعٌ إلى إخوانِهِ بِرِضَائِهِ وعَنْ كُلِّ ما سَاءَ الأخِلاَّءَ صَارِفُ
أَرَى النَّاسَ كَالنَّسْنَاسِ لم يَبْقَ مِنهُمُ خِلاَفَكَ إلا حُشْوَةٌ وزَعَانِفُ[٢]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: أنشدني أبو أيّوبَ لأحمد بن إبراهيم يرْثِي إسحاق في قصيدة له: [الوافر]

لقد طَابَ الحِمَامُ غَدَاةَ أَلْوَى بِنَفْسِ أَبِي مُحَمَّدٍ الحِمَامُ
فلو قُبِلَ الفِدَاءُ إذاً فَدَتْهُ مُلوكٌ كَانَ يَأْلَفُهَا كِرَامُ
فلا تَبْعَدْ فَكُلُّ فَتًى سَيَثْوِي عليه التُّرْبُ يُحْثَى والرِّجَامُ[٣]

قال وقال أيضاً يرثيه: [الكامل]

للهِ أَيُّ فَتًى إلى دَارِ البِلَى حمَلَ الرِّجالُ ضُحًى على الأَعْوَادِ
كَمْ مِنْ كَريمٍ ما تَجِفُّ دُمُوعُهُ مِنْ حَاضِرٍ يَبْكِي عليه وبَادِ
أَمْسَى يُؤَبِّنُهُ ويَعْرِفُ فَضْلَهُ مَنْ كَانَ يَثْلِبُهُ مِنَ الحُسَّادِ
فَسَقَتْكَ يَابْنَ المَوصليّ رَوَائِحٌ تُرْوِي صَدَاكَ بِصَوْبِها وغَوَادِ[٤]

وقد بقيتْ من أخبار إسحاق بقايا مثلُ أخباره مع بني هاشم، وأخباره مع إبراهيم بن المهديّ وغيرها، فإنها كثيرة، ولها مواضع ذُكِرت فيها وحسُن ذكرها هنالك، فأخرتُها لذلك عن أخباره التي ذُكرت ها هنا، حَسْبما شَرطنا في أوّل الكتاب.

ومما في المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم:

---

(١) يكانف: يعين.

(٢) الحُشْوَةُ: الرديء من الشيء أو الناس. والزّعانف: جمع الزِّعْنَفة والزِّعْنِفة: الرّذْل أو الداهية، والزعانف: كل جماعة ليس لهم أصل واحد.

(٣) الرِّجام: الحجارة التي توضع على القبور.

(٤) الرّوائح: جمع الرّائحة: الأمطار أو السحب التي تجيء رَوَاحاً أي عند العشيّ. والصَّوْب: المطر والغوادي: جمع الغادية: السحابة تنشأ غُدوَةً، مطرة الغداة.

صوت

أَلاَ قَـاتَـلَ الـلَّـهُ الـلِّـوَى مِـنْ مَـحَـلَّـةٍ ... وقَـاتَـلَ دُنْـيـانـا بـهـا كَـيْـفَ ذَلَّـتِ

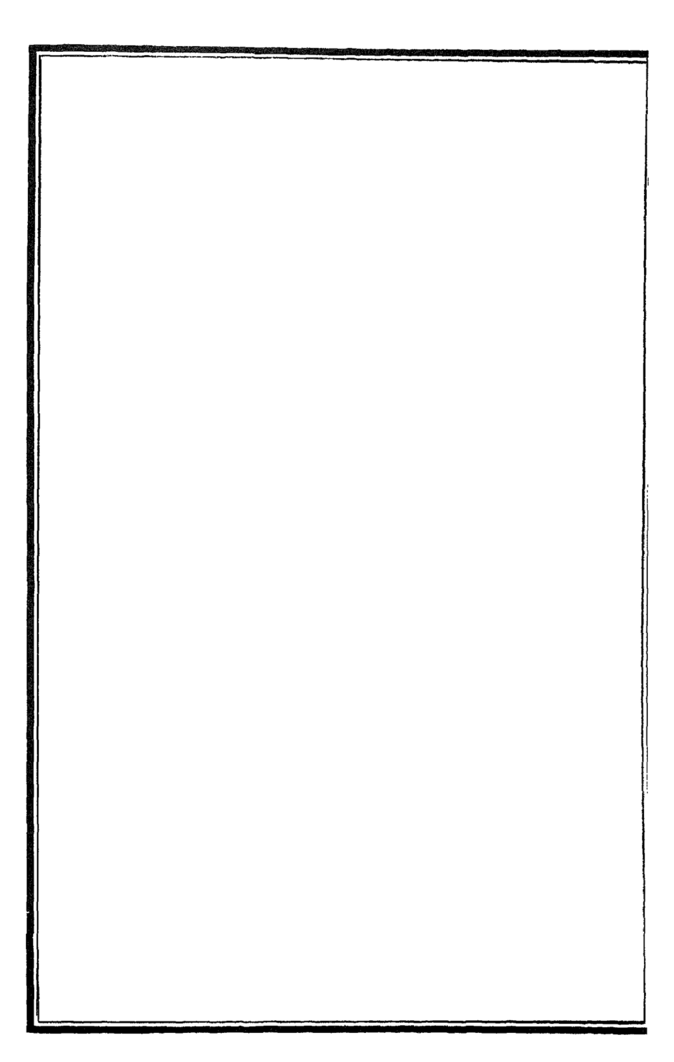
غَـنِـيـنَـا زَمَـانـاً بِـالـلِّـوَى ثـمَّ أَصْـبَـحَـتْ ... عِرَاصُ اللِّوَى مِنْ أَهْلِها قد تَخَلَّتِ[1]

عَرُوضه من الطويل، الشعرُ للصِّمَّة القُشَيْرِيّ، والغِناء لإسحاق، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى في مجراها.

انتهى بحمد الله الجزء الخامس ويليه الجزء السادس

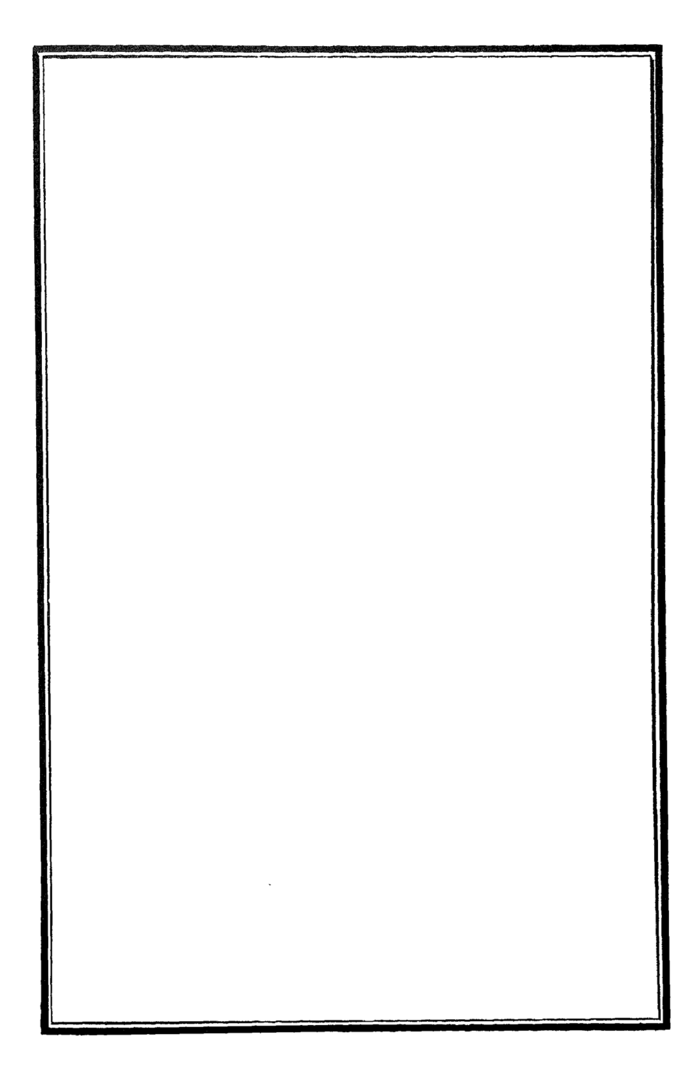
وأوّله أخبار الصِّمَّة القشيريّ ونسبه.

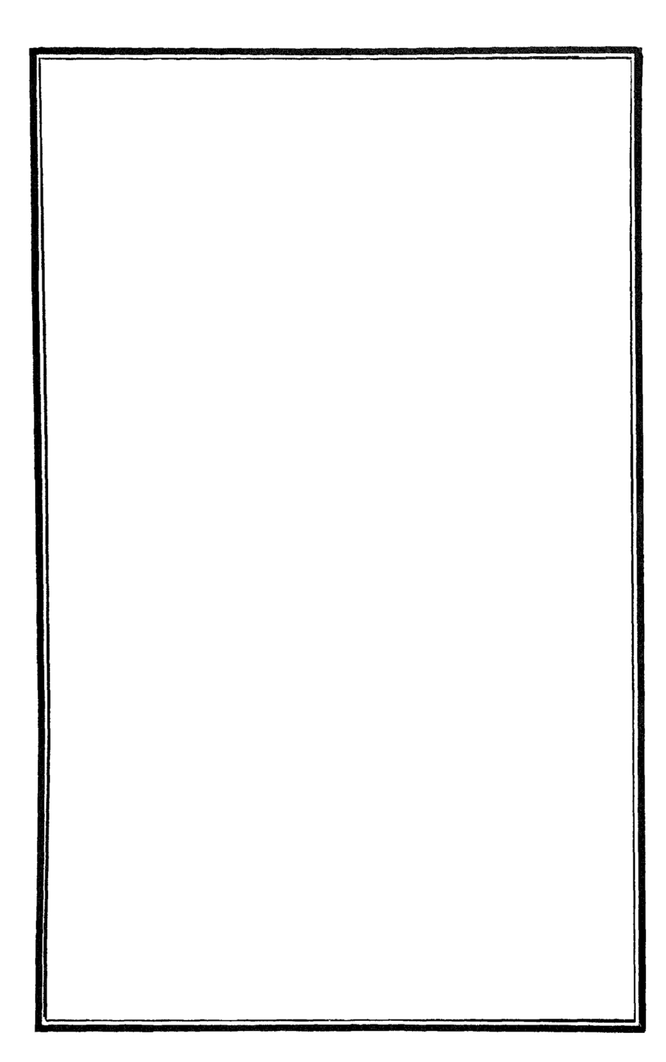
(١) العِرَاص: جمع العرصة: ساحة الدار.

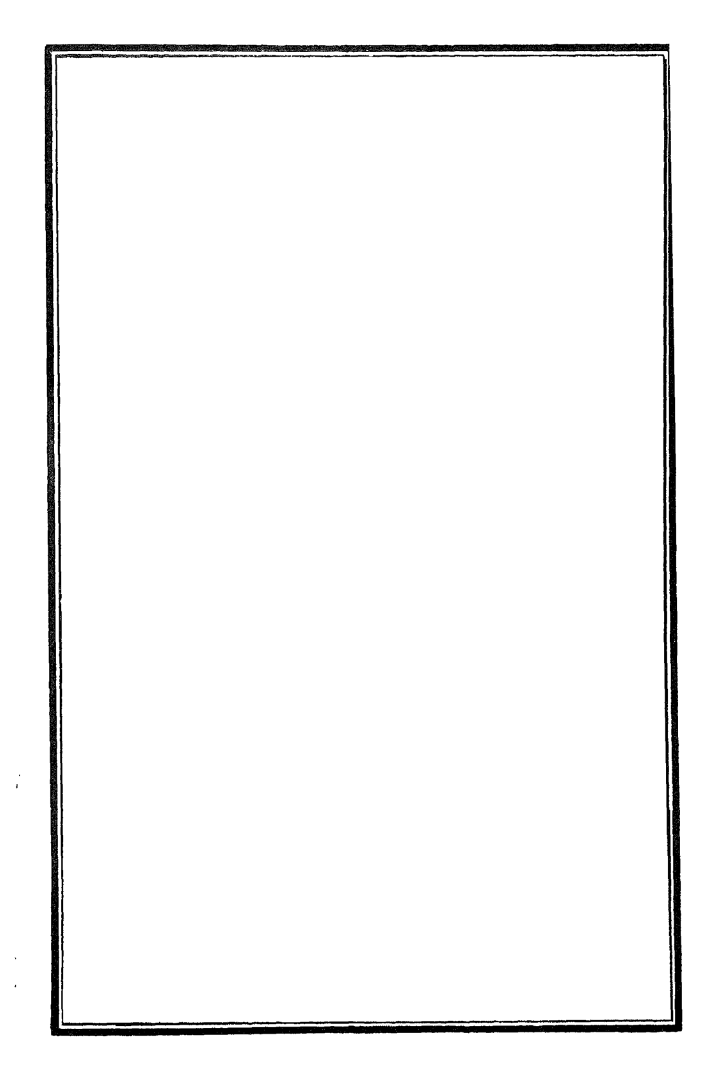


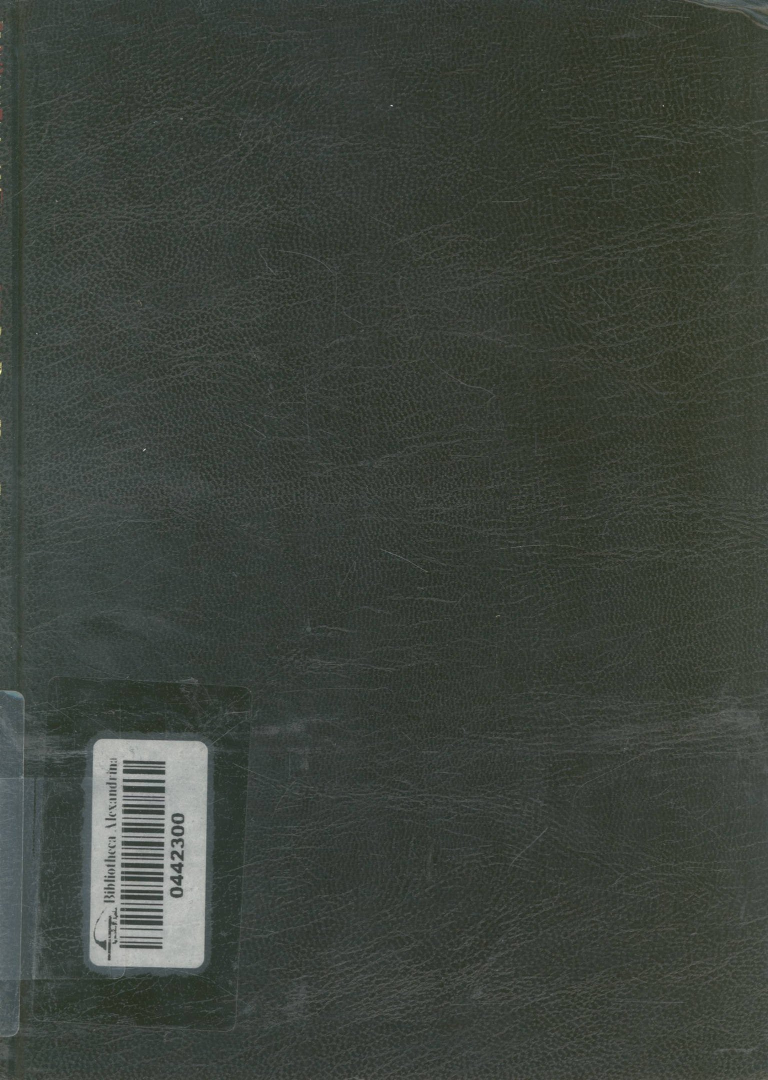
الفهرس

الموضوع	الصفحة








Bibliotheca Alexandrina
04442300